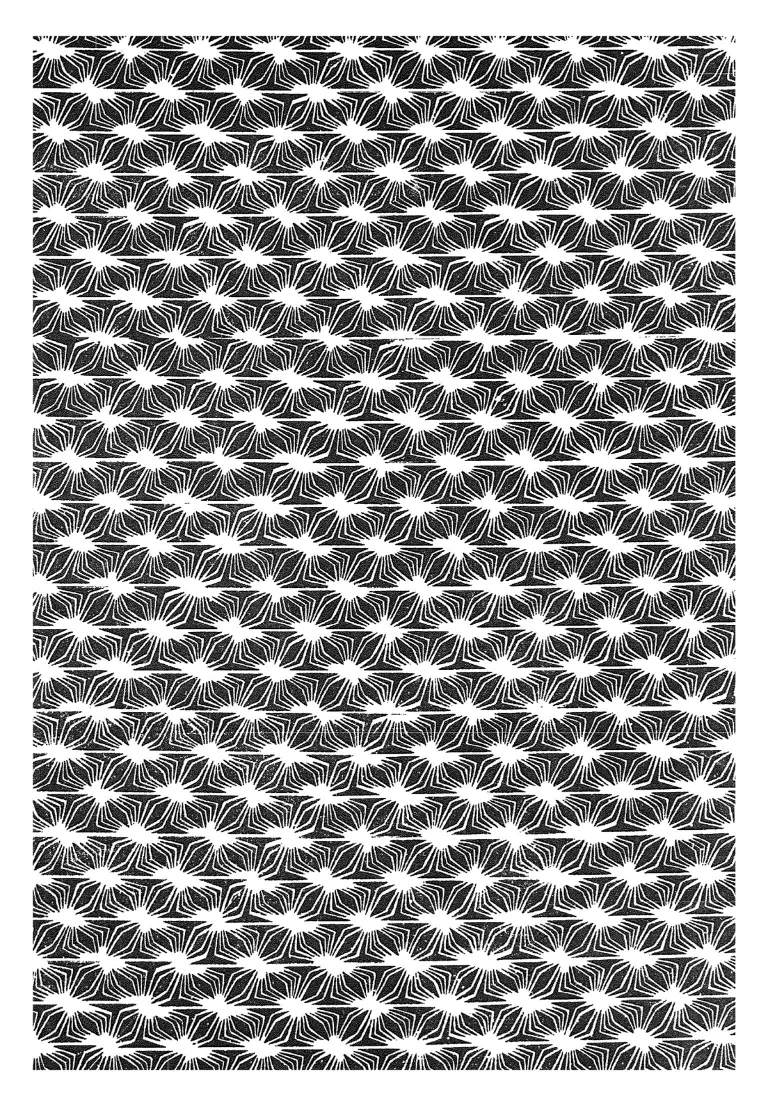
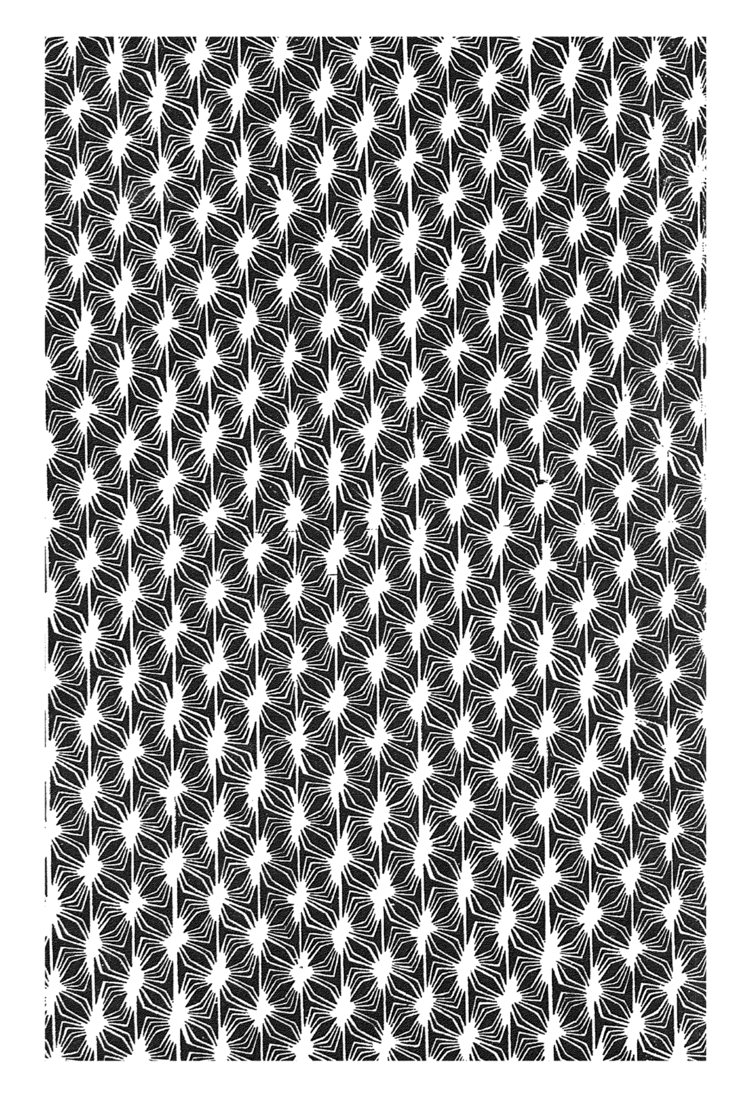






إفهام حقيقة

لايخفى ان إحياء علوم الدين للامام الغزالى من أجل كتب الدين وقدسبق طبعه مرارا لما للكتاب من الاهمية عندالامة وعندمارأت إدارة مكتبة (مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر) إعادة طبعه فى هذه المرة حسن لديها أن تقرن بين الاحياء و بين تخريج العراقى المسمى «المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار» خدمة لاحاديث الرسول ﷺ وتعريفا للواقف على الاحياء درجة الاحاديث المنقولة فيه واستحضرت المكتبة أصح النسخ للتصحيح ولكن عندمادخلنا فى عباب المغنى وجدناه يخرج بعض أحاديث ليست فى النسخ التى بأيدينا من الاحياء فراجعنا الشارح فوجدنا تلك الاحاديث بنسخته فأثبتناها تبعا لنسخة الشارح ووجدناه يسقط تخريج أحاديث فى النسخ التى بأيدينا وهى ليست بنسخة الشارح فأثبتناها ونبهنا على كل ذلك بتعليقات ووجدنا أن أغلب الأحاديث التى يخرجها فيها ألفاظ كثيرة لاتوافق ألفاظ أحاديث الاحياء وان طابقتها معنى فعلمنا ان المقصود أن يكون لهذه الأحاديث أصل فى المغنى كما أشار إلى ذلك العراقى فى الخطبة وقديشير فى التخريج إلى من ينسب إليهم الحديث من المخرجين بطريق الرمز بالحروف فيشير إلى البخارى بلفظ خ والى مسلم م والى الترمذى ت والى النسائى ن والى ابن ماجه ه والى أبى داود د والى مارواه البخارى ومسلم متفق عليه والى الدار قطنى قط والى الطبرانى فى الاوسط طس وفى الاصغر طص والى البيهقى هق والى ابن حبان حب والى العقيلى عق والى الحاكم ك فنبهنا على ذلك ليكون الواقف فيه على بصيرة وقدسبب اقتران العراقى بالاحياء أن حازت الاحياء فيه درجة من الصحة لم تحزه فى طبعة من الطبعات كما يظهر للواقف ونسأله تعالى حسن التمام والنفع لسائر الأنام

« ترجمة الامام الغزالى عليه رحمة الله المولى المتعالى »

هو محمد بن محمد بن أحمد الامام الجليل أبو حامد الطوسى الغزالى حجة الاسلام * ومحجة الدين التى يتوصل بها إلى دار السلام * جامع أشتات العلوم * والمبرز فى المنقول منها والمفهوم * جرت الأئمة قبله لشأو ما قنع منه بالغاية * ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح فى دأب لايقضى له بنهايه * حتى أخجل من الاقران كل خصم بلغ مبلغ السها * وأخمد من نيران البدع كل مالا تستطيع أيدى المجالدين مسها * كان رضى الله عنه ضرغاما إلا أن الاسود تتضاءل لديه وتتوارى * وبدرا تماما إلا أن هداه يشرق نهارا * و بشرا من الخلق إلا أنه الطود العظيم * و بعض الناس ولكن مثل ما بعض الجماد الدر النظيم * جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء * وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء * فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله * و يحمى حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله * حتى أصبح الدين وثيق العرى * وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت الا حديثا مفترى * هذا مع ورع طوى عليه ضميره * وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره * ترك الدنيا وراء ظهره * وأقبل على الآخرة يعامل الله فى سره وجهره * ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة وكان والده يغزل الصوف و يبيعه فى دكان بطوس ولما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له إن لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك مافاتنى فى ولدى هذين فعلمهما ولاعليك أن ينفد فى ذلك جميع ما أخلفه لهما فلما مات أقبل الصوفى على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النذر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفى القيام بقوتهما فقال لهما اعلما انى قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد ليس لى مال فاواسيكما به وأصلح ماأرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب

فى سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالى يحكى هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله * ويحكى أن أباه كان فقيرا صالحا لا يأكل الا من كسب يده فى عمل غزل الصوف ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجد فى الاحسان إليهم والتفقه بما يمكنه عليهم وانه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ولدا ويجعله فقيها ويحضر مجالس الوعظ فاذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولدا واعظا فاستجاب الله دعوتيه أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه * وامام أهل زمانه * وفارس ميدانه * كلمة شهد بها الموافق والمخالف * وأقر بحقيقتها المعادى والمحالف * وأما أحمد فكان واعظا تنفلق الصم عند استماع تحذيره * وترعد فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره * قرأ الغزالى فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكانى ثم سافر إلى جرجان إلى الامام أبى نصر الاسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس * قال الامام أسعد الميهنى فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا فتبعتهم فالتفت إلى مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتى فقط فما هى شئ تنتفعون به فقال لى وما هى تعليقتك فقلت كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة * قال الغزالى فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى به فى أمرى فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمى * وقد روى هذه الحكاية عن الغزالى أيضا الوزير نظام الملك كما هو مذكور فى ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعانى * ثم ان الغزالى قدم نيسابور ولازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برع فى المذهب والخلاف والاصلين والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وابطال دعاويهم وصنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها وكان رضى الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الادراك بعيد الغور غواصا على المعانى الدقيقة جبل علم مناظرا محجاجا وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالى بحر مغرق * والكيا أسد مخرق * والخوافى نار تحرق * ويقال ان الامام كان بالآخرة يمتعض منه فى الباطن وان كان يظهر التبجح به فى الظاهر * ثم لما مات امام الحرمين خرج الغزالى إلى العسكر قاصدا للوزير نظام الملك وناظر الائمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه على الجميع واعترفوا بفضله وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه إليها فقدم بغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة واشاراته اللطيفة وأحبوه وأحلوه محل العين بل أعلى * وقالوا أهلا بمن أصبح لاجل المناصب أهلا * وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مشهور الاسم تضرب به الأمثال وتشد إليه الرحال إلى ان شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فحج وتوجه إلى الشام فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه فى التدريس وجاور بيت المقدس ثم عاد إلى دمشق واعتكف فى زوايته بالجامع الاموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه ولبس الثياب الخشنة وقلل طعامه وشرابه وأخذ فى التصنيف للاحياء وصار يطوف المشاهد * ويزور الترب والمساجد * ويأوى القفار * ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الابرار * ويكلفها مشاق العبادات * ويبلوها بأنواع القرب والطاعات * إلى أن صار قطب الوجود * والبركة العامة لكل موجود * والطريق الموصل إلى رضا الرحمن ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء قال ابن النجار ولم يكن له استاذ ولا طلب شيأ من الحديث * لم أر له الاحديثا واحدا سيأتى ذكره فى هذا الكتاب يعنى تاريخه قلت ولم أر ذكر هذا الحديث بعد * وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ

بحديث من حديثه أوردناه فى الطبقات الكبرى * قال الامام محمد بن يحيى الغزالى هو الشافعى الثانى وقال أسعد الميهنى لا يصل الى معرفة علم الغزالى وفضله * الا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال فى عقله * وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى رأيت بالاسكندرية فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام المركب باحراق كتب الغزالى بالمرية ثم ان الغزالى عاد الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ثم رجع الى طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وادامة الصلاة والصيام وسائر العبادات الى أن انتقل الى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء * أعلى منزلة من نجوم السماء وأهدى للامة من البدر فى الظلماء * لا يبغضه الا حاسد أو زنديق * ولقد كان فى ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالى و يغتابه فرأى النبى ﷺ فى المنام وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى جانبه وكأن الغزالى واقف بين يديه وهو يقول يارسول الله هذا يعنى الرائى يتكلم فى و يؤذينى قال فقال النبى ﷺ هاتوا السياط وأمر به فضرب بين يديه لاجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره * ومن تصانيف الغزالى * البسيط * والوسيط * والوجيز * والخلاصة * والمستصفى * والمنخول * وتحصين الادلة * وشفاء الغليل * والاسماء الحسنى . والرد على الباطنية . ومنهاج العابدين * واحياء علوم الدين * وغير ذلك من التصانيف توفى بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع و بلاغ

(ترجمة الامام العراقى رحمه الله)

﴿ منقولة من حسن المحاضرة للامام السيوطى ﴾

قال فى باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده (العراقى) الحافظ الامام الكبير زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ولد بمنشاة المهرانى بين مصر والقاهرة فى جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة كالسبكى والعلائى وابن كثير وغيرهم ونقل عنه الاسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس وله مؤلفات فى الفن بديعة كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ونظم الاقتراح وتخريج أحاديث الاحياء وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس وشرع فى املاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الاملاء بعد أن كانت داثرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس وكان صالحا متواضعا ضيق المعيشة مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة ورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلانى بقصيدة غراء فانظرها هناك

(ترجمة الامام السهروردى)

هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسمه عبد الله البكرى الملقب شهاب الدين بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه * كان فقيها شافعى المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية فى المجاهدة والخلوة وصحب عمه أبا النجيب والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى وكان شيخ الشيوخ ببغداد وله تآليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وله أشعار كثيرة فى كلام القوم * مولده بسهرورد فى أواخر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة * وتوفى فى المحرم * سنة ٦٣٢ ببغداد كذا فى ابن خلكان وسهرورد بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفى آخره دال مهملة وهى بلدة عند زنجان من عراق العجم اه

فهرست

(الجزء الأول من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالى)

﴿ تمت ﴾





الجزء الأول

من

احياء علوم الدين

﴿ تأليف ﴾

العلامة الامام حجة الاسلام

أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى

قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

ومعه كتاب ﴿ المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار ﴾ لحافظ الاسلام زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث مايتعلق بها من المغنى

ولتمام النفع وضعنا بالهامش ثلاثة كتب

(الاول) كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للاستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى قدس الله سره

(الثاني) كتاب الاملاء عن اشكالات الاحياء تصنيف الامام الغزالى رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحياء

(الثالث) كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردى نفعنا الله بهم آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

رجب - ١٣٤٦ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدالله أوّلا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلى وأسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين وأستخيره تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى احياء علوم الدين وأنتدب لقطع تعجبك رابعا أيها العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف فى التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوّقنى عهدة الكلام وقلادة النطق ماأنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ماتعبده الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتدارك البعض مافرط من اضاعة العمر يأسا من تمام التلافى والجبر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها وأعبده وأستعين به لعظام الامور وعضالها وأشهد أن لااله إلا الله وحده لاشريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها واقية من حلول الدركات وأهوالها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لاقاطع لاتصالها (و بعد) فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث احياء علوم الدين فى سنة احدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه الى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى اكماله غير متعرض لتركه واهماله الى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى اكماله فأجبت وبادرت اليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أوحسنه أوضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ماليس له أصل فى كتب الاصول والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤل * فان كان الحديث فى الصحيحين أوأحدهما اكتفيت بعزوه اليه والا عزوته الى من خرجه من بقية الستة وحيث كان فى أحد الستة لم أعزه الى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون فى كتاب التزم مخرجه الصحة أويكون أقرب الى لفظه فى الاحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فان كان فى باب واحد منها اكتفيت بذكره أوّل مرة وربما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لغرض أو

﴿كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق لنشر المحاسن وطيها فى أحسن كتاب وجعل ذلك قرة لأعين الأحباب وذخيرة ليوم المآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أحيا باحياء شريعته وطريقته قلوب ذوى الألباب وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأصحاب ماأشرقت شمس الاحياء للقلوب وتوجهت همة روحانية مصنفه الولى الموهوب الى اسعاف ملازمى مطالعته ومحبيه بالمطلوب (و بعد) فان الكتاب العظيم الشأن المسمى باحياء علوم الدين المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين

وانحيازا عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (١) أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ولعمري انه لاسبب لاصرارك على التكبر إلا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الامر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق أن لاعلم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة ومادرج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما فى الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لمناهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين وقد أسسته على أربعة أرباع وهى ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله ﷺ (٢) ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال ﷺ (٣) ﴿ نعوذ بالله من علم لاينفع ﴾ وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

﴿ ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب ﴾

كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصيام وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الأذكار والدعوات وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات

﴿ وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب آداب الأكل وكتاب آداب النكاح وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

﴿ وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات

لذهول عن كونه تقدم وان كرره فى باب آخر ذكرته ونبهت على انه قد تقدم وربما أنبه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد لذلك الحديث ذكرت مايغنى عنه غالبا وربما لم أذكره * وسميته ﴿المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج مافى الاحياء من الأخبار﴾ جعله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة الى النعيم المقيم

﴿ أحاديث الخطبة ﴾

(١) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف (٢) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (٣) حديث نعوذ بالله من علم لاينفع ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن

وأهل طريق الله السالكين المشايخ العارفين المنسوب الى الامام الغزالى رضى الله عنه عالم العلماء وارث الأنبياء حجة الاسلام حسنة الدهور والاعوام تاج المجتهدين سراج المتهجدين مقتدى الأئمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذى باهى به سيد المرسلين ﷺ وعلى جميع الأنبياء ورضى عن الغزالى وعن سائر العلماء المجتهدين لما كان عظيم الوقع كثير النفع جليل المقدار ليس له نظير فى بابه ولم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبينا للأسرار الدقيقة رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة صبابة من فضله وشرفه

اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور

﴿ وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت * فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات * وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى عنها متدين * وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص • كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار * وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور ﴿ الأول ﴾ حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه ﴿ الثانى ﴾ ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه ﴿ الثالث ﴾ ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه ﴿ الرابع ﴾ حذف ما كرروه واثبات ما حرروه ﴿ الخامس ﴾ تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا إذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه و يغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن ايراده فى الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم * وانما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران ﴿ أحدهما وهو الباعث الأصلى ﴾ أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لأن العلم الذى يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى ايداعها الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا فى علم الطريق والارشاد اليه * وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى والاقتداء * ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح والى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة واما عبادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر و باطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام ﴿ الباعث الثانى ﴾ أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة

والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة فى ترجمة المصنف رضى الله عنه وسبب رجوعه الى هذه الطريقة

﴿ المقدمة فى عنوان الكتاب ﴾

اعلم أن علوم المعاملة التى يتقرب بها الى الله تعالى تنقسم الى ظاهرة و باطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد و بين الله تعالى ومعاملة بين العبد و بين الخلق * والباطنة أيضا قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الغزالى رحمه الله كتابه احياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال فى خطبته * ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم

تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به الى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب ﴾

(الباب الأوّل) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم و بيان حد الفقه والكلام من علم الدين و بيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعدّه العامّة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وماجاء فيه من الأخبار

﴿ الباب الأوّل فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل ﴾

(فضيلة العلم)

شواهدها من القرآن قوله عز وجل ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ـ فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وقال تعالى ـ قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم ومن عنده علم الكتاب ـ وقال تعالى ـ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ـ تنبيها على انه اقتدر بقوّة العلم وقال عز وجل ـ وقال الذين أوتوا العلم و يلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ـ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ وقال تعالى ـ ولو ردّوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ ردّ حكمه فى الوقائع الى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله * وقيل فى قوله تعالى ـ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ـ يعنى العلم ـ وريشا ـ يعنى اليقين ـ ولباس التقوى ـ يعنى الحياء وقال عز وجل ـ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ـ وقال تعالى ـ فلنقصن عليهم بعلم ـ وقال عز وجل ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ وقال تعالى ـ خلق الانسان علمه البيان ـ وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان * وأما الأخبار فقال رسول الله ﷺ [١] من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و يلهمه رشده وقال ﷺ [٢] العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال ﷺ [٣] يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض وأىّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال ﷺ [٤] ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمراته فى الدنيا ومعلوم أنّ

﴿ كتاب العلم • الباب الأوّل ﴾

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و يلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله و يلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما فى السموات وما فى الأرض هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البرّ فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف

كتاب قواعد العقائد كتاب أسرار الطهارة كتاب اسرار الصلاة كتاب أسرار الزكاة كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الأذكار والدعوات كتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات * وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الأكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كتاب أخلاق النبوّة * وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين البطن والفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والرياء كتاب الكبر والعجب كتاب الغرور * وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة

الآخرة خير وأبقى * وقال ﷺ (١) خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته وسيأتى معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء * وقال ﷺ (٢) أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه * وقال ﷺ (٣) الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم * وقال ﷺ (٤) أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل * وقال ﷺ (٥) لموت قبيلة أيسر من موت عالم * وقال عليه الصلاة والسلام (٦) الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا * وقال ﷺ (٧) يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء * وقال ﷺ (٨) من حفظ على أمّتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤدّيها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة * وقال ﷺ (٩) من حمل من أمّتى أربعين حديثا لقى الله عزّ وجل يوم القيامة فقيها عالما * وقال ﷺ (١٠) من تفقه فى دين الله عزّ وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب * وقال ﷺ (١١) أوحى الله عزّ وجل الى ابراهيم عليه السلام ياابراهيم إنى عليم أحبّ كل عليم * وقال ﷺ (١٢) العالم أمين الله سبحانه فى الأرض * وقال ﷺ (١٣) صنفان من أمتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء * وقال عليه السلام (١٤) اذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علما يقرّبنى الى الله عزّ وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم * وقال ﷺ فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة (١٥) فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى . فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوّة وكيف حطّ رتبة العمل المجرّد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة * وقال ﷺ (١٦) فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة

(١) حديث خصلتان لا تجتمعان فى منافق الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب (٢) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٣) حديث الايمان عريان الحديث الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف (٤) حديث أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبرانى وابن عبد البرّ من حديث أبى الدرداء وأصل الحديث عند أبى الدرداء (٦) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث من حفظ على أمّتى أربعين حديثا من السنة حتى يؤدّيها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٩) حديث من حمل من أمّتى أربعين حديثا لقى الله يوم القيامة فقيها عالما ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (١٠) حديث من تفقه فى دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى باسناد ضعيف (١١) حديث أوحى الله الى ابراهيم ياابراهيم انى عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له باسناد (١٢) حديث العالم أمين الله فى الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (١٣) حديث صنفان من أمّتى اذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (١٤) حديث اذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علما يقرّبنى الحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (١٥) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح (١٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم

البدر

النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت * ثم قال رحمه الله فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها مايضطر العالم العامل اليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل فى الفقهيات * وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى المتدين عنها * وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر فى كل واحد من هذه الأخلاق حدّه وحقيقته ثم سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها يترتب ثم العلامات التى بها يتعرّف ثم طرق المعالجة التى منها يتخلص كل

البدر على سائر الكواكب * وقال ﷺ (١) يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة * وقال ﷺ (٢) ما عبد الله تعالى بشئ أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه * وقال ﷺ (٣) خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه * وقال ﷺ (٤) فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة * وقال ﷺ (٥) إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل * وقال ﷺ (٦) بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٧) وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أي العلم تريد قال ﷺ العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ﷺ إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله * وقال ﷺ (٨) يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم نسأل الله حسن الخاتمة (وأما الآثار) فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق * وقال علي أيضا رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال رضي الله تعالى عنه نظما

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء * وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء * ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شئ أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال

(١) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان باسناد ضعيف (٢) حديث ما عبد الله بشئ أفضل من فقه في دين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (٣) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع باسناد جيد والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدي من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف (٥) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه واسناده ضعيف (٦) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٧) حديث قيل له يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٨) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

خصال المقربين والصديقين التي يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل (المقصد في فضل الكتاب المشار اليه و بعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم أن فضائل الاحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فما علمت بتأليف وهي جديرة

بالتصنيف غاص مؤلفه رضي الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر المعاني ثم لم يرض إلا بكبارها وجال في بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد

بعض العلماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم * وقال عليه الصلاة والسلام من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى وقال فتح الموصلى رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل احساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم * وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب الى من إحيائها وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ـ ان الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة * وقيل لبعض الحكماء أى الأشياء تقتنى قال الأشياء التى اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار * وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح ومن رفع عنه حزن * وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت * وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره * وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت بأى شئ أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم آذن له * وقال الزبير بن أبى بكر كتب الى أبى بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا * وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره * وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال

﴿ فضيلة التعلم ﴾

أما الآيات فقوله تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ـ وقوله عز وجل ـ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ـ وأما الأخبار فقوله ﷺ (١) من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة * وقال ﷺ (٢) ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع * وقال ﷺ (٣) لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة * وقال ﷺ (٤) باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها * وقال ﷺ (٥) اطلبوا العلم ولو بالصين * وقال ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس اسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث أنس

أن اقتطف من أزهارها وسما الى سماء المعانى فلم يصطف من كواكبها إلا السياره وجليت عليه عرائس أسرار المعانى فلم ترق فى عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسعى فى احياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى فلله دره من عالم محقق مجيد وامام جامع لشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملى بيد أنه فى العلوم صاحب القدح المعلى إذ كان رضى الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله هيهات لا يأتى الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لشحيح * وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم أشتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته فى فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكاء أصلها

وقال عليه الصلاة والسلام (١) العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ﷺ (٢) لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٣) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال ﷺ وهل ينفع القرآن إلا بالعلم * وقال عليه الصلاة والسلام (٤) من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه و بين الأنبياء في الجنة درجة واحدة * وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها واذا تكلم فأعرب الناس لسانا واذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة * وقال بعض الحكماء إني لا أرحم رجالا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه * وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسئلة أحب الي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك * وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال ياهذا ما الذي قمت اليه بأفضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله

﴿ فضيلة التعليم ﴾

أما الآيات فقوله عز وجل ـ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ـ وهو ايجاب للتعليم وقوله تعالى ـ وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ـ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ـ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ـ وقال ﷺ (٥) ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه وقال تعالى ـ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ـ وقال تعالى ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ وقال تعالى ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ * وأما الأخبار فقوله ﷺ (٦) لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال ﷺ (٧) من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا * وقال عيسى ﷺ من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في

قال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة (١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلعيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم أجد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلي (٧) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

ثابت وفرعها في السماء مع كونه رضي الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي رحمة الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل ابن محمد الحضرمي ثم اليمني سئل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله ﷺ سيد الأنبياء ومحمد بن ادريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الامام الكبير أبا الحسن علي بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الانكار على كتاب احياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الاحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبي ﷺ فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والامام الغزالي قائم بين يدي

ملكوت السموات * وقال رسول الله ﷺ (١) اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عزّ وجل أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدّى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدّى * وقال ﷺ (٢) إن الله عزّ وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون * وقال ﷺ (٣) من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار * وقال ﷺ (٤) نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة * وقال ﷺ (٥) الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما * وقال ﷺ (٦) إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير * وقال ﷺ (٧) ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه * وقال ﷺ (٨) كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة (٩) وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عزّ وجل ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم * وقال ﷺ (١٠) مثل ما بعثنى الله عزّ وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عزّ وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ اهـ فالأوّل ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما * وقال ﷺ (١١) اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به الحديث * وقال ﷺ (١٢) الدال على الخير كفاعله * وقال ﷺ (١٣) لا حسد إلا فى اثنتين رجل

---

(١) حديث اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبى فى العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة قال الترمذى حديث حسن (٤) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها الحديث الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال الترمذى حسن غريب (٦) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذى من حديث أبى أمامة وقال غريب وفى نسخة حسن صحيح (٧) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولأبى نعيم من حديث عبد الله ابن عمرو وما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو تردّه عن ردى (٨) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (٩) حديث خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (١٠) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبى موسى (١١) حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (١٢) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذى من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (١٣) حديث لا حسد إلا فى اثنتين الحديث

النبى ﷺ فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالى هذا خصمى يارسول الله فان كان الأمر كما زعم تبت الى الله وان كان شيأ حصل لى من بركتك واتباع سنتك فخذ لى حقى من خصمى ثم ناول النبىّ ﷺ كتاب الاحياء فتصفحه النبىّ ﷺ ورقة ورقة من أوّله الى آخره ثم قال والله ان هذا لشئ حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذى بعثك بالحق انه لشئ حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصدّيق فأمر النبىّ ﷺ بتجريد الفقيه على بن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحدّ حدّ المفترى فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصدّيق رضى الله عنه وقال يارسول الله لعله ظنّ خلاف سنتك فأخطأ فى ظنه فرضى الامام الغزالى وقبل شفاعة الصدّيق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط فى ظهره وأعلم أصحابه وتاب الى الله عن

آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير * وقال ﷺ (١) على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى و يعلمونها عباد الله * وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل * وقال ابن عباس رضى الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر * وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله و بين خلقه فلينظر كيف يدخل * وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله انسان فقال اكروا لى لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألنى عن شئ * وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره * وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية * وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وماهو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه * وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة * وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره * وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت * وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا (٢) تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم و بأجنحتها تمسحهم وكل رطب و يابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل و به يعبد و به يوحد و به يمجد و به يتورع و به توصل الأرحام و به يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق

﴿ فى الشواهد العقلية ﴾

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها * والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيآن فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشئ كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل و يزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه أفضل لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شئ والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة الى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله سبحانه و به شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس

متفق عليه من حديث ابن مسعود (١) حديث على خلفائى رحمة الله الحديث ابن عبد البر فى العلم والمروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه (٢) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له اسناد قوى

الله ﷺ الى أن رأى النبى ﷺ دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة احياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى * قال اليافعى رو يناذلك بالأسانيد الصحيحة فأخبرنى بذلك ولى الله عن ولى الله عن ولى الله عن ولى الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد ابن الميلق الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبى الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصرا لابن حرزهم قال وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ولقد مات الشيخ أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر

من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الاطلاق من غير اضافة * واعلم أن الشئ النفيس المرغوب فيه ينقسم الى مايطلب لغيره والى مايطلب لذاته والى مايطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لامنفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا فى الآخرة وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى ان أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها * وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه افادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة للآخرة وهى الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لالمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ﴿ثلاثة أقسام * أحدها﴾ أصول لاقوام للعالم دونها وهى أربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها * الثانى ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها * الثالث ماهى متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضا إما أصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة واما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب * الأولى وهى العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم * والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لاعلى باطنهم * والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهى قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع * والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف ﴿بثلاثة أمور﴾ اما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة

البساط ظاهر على ظهره وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وكان أدرك الامام الغزالى واجتمع به قال سمعت الامام الفقيه الصوفى سعد بن على بن أبى هريرة الاسفرايني يقول سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوى بمكة المشرفة يقول دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ علىّ حال وأخذنى عن نفسى فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة مابى فوقعت على جنبى الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسى النوم فأخذتنى سنة بين النوم واليقظة فرأيت النبى ﷺ فى أكمل صورة وأحسن زى من القميص والعمامة ورأيت الأئمة الشافعى ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد وهو ﷺ يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبى ﷺ بطرده واهانته فتقدمت أنا

إذ

إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عزّ وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الانفاق منه على كل محتاج اليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿الباب الثانى * فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين الى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة﴾

﴿بيان العلم الذى هو فرض عين﴾ * قال رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عزّ وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذاك وصرفوا اللفظ عن عمومه * وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله ﷺ (١) بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله الى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب * والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ﴿ثلاثة﴾ اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ اكتفى رسول الله ﷺ (٢) من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما أن تكون فى الفعل واما فى الترك واما فى الاعتقاد * أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر

﴿الباب الثانى﴾

(١) حديث بنى الاسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور فى كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام ابن ثعلبة

وقلت يارسول الله هكذا الكتاب أعنى احياء علوم الدين معتقدى ومعتقد أهل السنة والجماعة فلو أذنت لى حتى أقرأه عليك فأذن لى فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد بسم الله الرحمن الرحيم كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت الى قول الغزالى وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمدا ﷺ الى كافة العرب والعجم والجن والانس فرأيت البشاشة فى وجهه ﷺ ثم التفت وقال أين الغزالى واذا بالغزالى واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يارسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالى يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبى ﷺ أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتى عليه الاحياء ثم انتبهت والدمع يجرى من عينى من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره ﷺ لمذاهب أئمة السنة

فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت و يحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى الى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك إلا الابل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الابل وكذلك فى سائر الاصناف فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغى لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين * وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه * وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع و بعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وماذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ (١) «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» ولا ينفك عنها بشر و بقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى * ومما ينبغى أن يبادر فى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به و يصدق

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف

آمين «فصل» اثنى على الاحياء عالم من علماء الاسلام وغير واحد من عارفى الأنام بل جمع أقطاب وأفراد فقال فيه الحافظ الامام الفقيه أبو الفضل العراقى فى تخريجه انه من أجل كتب الاسلام فى معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع الى سرائر دقت عن الأفهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر فى اللجة بحيث يتعذر الرجوع الى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها فى أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول على كرم الله وجهه خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالى و يرجع اليهم الغالى الى آخر ما ذكره مما الأولى بنا فى هذا المحل طيه ثم الانتقال الى نشر محاسن وهو

وهو من تمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل مايقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم مايتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام انما أراد بالعلم المعرّف بالألف واللام في قوله ﷺ ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم

﴿بيان العلم الذي هو فرض كفاية﴾

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود مايرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس بفريضة * أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعدّ الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرّض للهلاك باهماله * وأما مايعدّ فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوّة في القدر المحتاج اليه * وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات * وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه (وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان) فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها مايظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة * أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب ﴿الضرب الأوّل الاصول﴾ وهي أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الأمة وآثار الصحابة والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فانه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ماغاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن ﴿الضرب الثاني الفروع﴾ وهو مافهم من هذه الاصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام [1] لا يقضي القاضي وهو غضبان أنه لا يقضي اذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين * أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا * والثاني مايتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وماهو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب ﴿والضرب الثالث المقدمات﴾ وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من

(١) حديث لا يقضي القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكرة

الاحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه وقال عبدالغافر الفارسي في مثال الاحياء انه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق اليها وقال فيه النووي كاد الاحياء أن يكون قرآنا وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والاحياء جامعها كما سيأتي انه البحر المحيط وكان السيد الجليل كبير الشان تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله اليه وحث على التزام مطالعته والعمل بمافيه ومن كلامه رضي الله عنه عليكم

العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا إذ كان رسول الله ﷺ (١) أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا ﴿ الضرب الرابع المتممات ﴾ وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراآت ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم لتميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات * فان قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب الى الأرحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة أو الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق أيضا بالدين لكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا (٢) ﴿ لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف ﴾ فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال * فان قلت هذا ان استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر * أما الاسلام

(١) حديث ﴿كان رسول الله ﷺ أميا﴾ أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس واسناده حسن

الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس * ومن كلامه عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الاسلام الغزالي في كتابه العظيم الشان الملقب أعجوبة الزمان احياء علوم الدين الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة ومن كلامه عليكم بملازمة كتاب احياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله

فيتكلم

فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا الى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال (١) هلا شققت عن قلبه للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال ﷺ (٢) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كالوخاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه * وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا فى جميع صلاته من أولها الى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى ان مافعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة و به ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه * وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى مايقطع به مطالبة السلطان حتى أنه اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته * وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول و يستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية مثل وهذا هو العلم الضار * وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب ﴿ الأولى ﴾ الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر ﴿ الثانية ﴾ ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات * قال ﷺ (٣) دع مايريبك الى مالا يريبك * وقال ﷺ (٤) الاثم حزاز القلوب ﴿ الثالثة ﴾ ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه الى الحرام * قال ﷺ (٥) لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات ﴿ الرابعة ﴾ ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم و يتحقق أنه لا يفضى الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة ومايقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة * قال رسول الله ﷺ (٦) لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وان أفتوك وان أفتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى شئ من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر وكان سفيان

(١) حديث هلا شققت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمرو بن عمر (٣) حديث دع مايريبك الى مالا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على (٤) حديث الاثم حزاز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى (٦) حديث استفت قلبك وان أفتوك أحمد من حديث وابصة

ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة فى الدنيا والآخرة وصار عالما فى الملك والملكوت * ومن كلامه الوجيز العزيز لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء الا بما فى الاحياء * ومن كلامه اعلموا أن مطالعة الاحياء تحضر القلب الغافل فى لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج فى العفص والماء وتأثير كتب الغزالى واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شئ أنفع للقلب وأقرب الى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالى ومحبة كتبه فان كتب الامام الغزالى لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول والله وكيل على ما أقول * ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب احياء علوم الدين فهو من المهتدين * ومن كلامه من أراد طريق الله وطريق رسول الله

فهو البحر المحيط ومن كلامه لشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالى فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة * ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالى وخصوصا البحر المحيط احياءه أعجوبة الزمان * ومن كلامه نطق معانى معنوى القرآن ولسان حال قلب رسول الله ﷺ وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون أن لاشئ أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب الى رضا الرب كمتابعة الغزالى ومحبة هذه

الثورى وهو امام فى علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو تلك الأعمال * فان قلت لم سويت(٧) بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ﴿ ثلاثة أوجه * أحدها ﴾ أنه علم شرعى إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع * والثانى أنه لايستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج اليه إلا المرضى وهم الأقلون * والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤهما صفاء فى المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة * فان قلت فصل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه ﴿قسمان﴾ علم مكاشفة وعلم معاملة * فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله * وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشئ من هذا العلم بدعة أو كبر * وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لايذوق منه شيأ و ينشد على قوله

وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة و ينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه و بصفاته الباقيات التامات و بأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ ومعنى قوله تعالى ــ و إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ــ ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء و بعضهم يرى ان بعضها أمثلة و بعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته و بعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل و بعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لايشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن

(٧) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقى كلامه فتأمل اهـ مصححه

كتبه وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة بل قلب المعقول والمنقول وأقسم يوم ينفخ اسرافيل فى الصور وفى يوم

هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ماينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولاسبيل اليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لاتسطر في الكتب ولايتحدث بها من أنعم الله عليه بشئ منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده ﷺ بقوله (١) إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلاتحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه * وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما مايحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص . فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ومازال حتى يعود من علم الآخرة وأما مايذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لايعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ماأعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة * وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولوسئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولايحتاج الى شئ منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلايزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولايجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لانرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال مالاقائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيهات

(١) حديث ان من العلم كهيئة المكنون الحديث أبو عبد الرحمن السلمى فى الأربعين له فى التصوف من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف

نقر الناقور والله وكيل على ماأقول وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ومن كلامه كتاب إحياء علوم الدين فيه جميع الأسرار وكتاب (بداية الهداية) فيه التقوى وكتاب الاربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق الى الله وكتاب الخلاصة فى الفقه فيه النور *ومن كلامه السر كله فى اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة فى كتاب احياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان ومن كلامه بخ بخ لمن طالع احياء علوم الدين أوكتبه أوسمعه وكلامه رضى الله عنه فى تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الامام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين وقد كان سيدى ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ بن عبد الله العيدروس رضى

الشيخ عبد الله فى الغزالى فلم يتيسرله وأرجو أن يوفقنى الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولنى دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولىّ عارف وقطب مكاشف لايجازف فى مقال ولاينطق إلاعن حال وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه مالايحتاج معه الى مزيد إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد فان العظيم لايعظم فى عينه الاعظيم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل واذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خيرمن شهادة ألف ألف وحصل من الاحياء فى زمانه بسببه نسخ عديدة

هيهات قداندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن و يضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب * كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب و يسأله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول إنّ هذا وفق لما أغفلناه * وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله ﷺ (١) لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة فقال ﷺ سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت * وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما اذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار الى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه * فان قلت فلم لم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان * فاعلم أن حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وماخرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع و بعضها خوض فيما لايتعلق بالدين ولم يكن شئ منه مألوفا فى العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حدّ محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى * وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هى ﴿أربعة أجزاء * أحدها﴾ الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولايمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لايندب الى مخالطتهم * الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحدّ وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام * والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر و بعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة * والرابع الطبيعيات و بعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم و بعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض و يصح وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم فى الطبيعيات فلاحاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه منه

(١) حديث قيل له كيف نفعل اذا جاء أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

موقع الحارس فى طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وانما تميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفه فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ـ فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها (١) ومافضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشئ وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين ﷺ فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله ﷺ عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان اذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب الى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام انما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شئ وما ينال به الشهرة عند الناس شئ آخر فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته و بقصده التقرب الى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله

---

(١) حديث ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

حتى أن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم ان الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شئ منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الاحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ * قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله عنه مدمنا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرة وكان يعمل فى ختمه ضيافة عامة فلازمته ميراث عيدروسى وتوفيق قدوسى

سبحانه ومثابا لامن حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل بعلمه * وأقسام مايتقرب به الى الله تعالى ﴿ثلاثة﴾ علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أوفى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ماتعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ماقصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة الى ذكرها * ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الاسلام ماتعلم به أن ماذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب ﴿خمسة﴾ الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال أتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الأربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة * أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم * قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة * وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة * وقال الحسن الكرابيسى بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لايمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولايمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ماشبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام * وقال الشافعى رحمه الله ماحلفت بالله تعالى لاصادقا ولا كاذبا قط فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أوفى جوابى فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لايتكلم ولايسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب * وقال أحمد بن يحيى ابن الوزير خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى الينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى أخبث شئ فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها * وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلاتدنس علمك بظلمة الذنوب

فتبقى

بالله الشهير على ابن أبى بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف لو قلب أوراق الاحياء كافر لأسلم ففيه سر خفى يجذب القلوب شبه المغناطيس قلت وهو صحيح فانى مع خسيس قصدى وقساوة قلبى أجد عند مطالعتى له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم يفتر برجوعى الى ماأنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق وماذاك إلا لشئ أودعه الله فيه وسر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافر هنا فيما يظهر الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن ادراك الحق أى فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور يشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لأن الوعظ اذا صدر عن قلب

متعظ كان حريا أن يتعظ به سامعه وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون رتبة فوق

فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم * وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب * وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها كلها * وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا * وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا * وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحبّ شيأ أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد * ويدل على قوّة زهده وشدّة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات أفضل زمانه وماروى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وعمر ابن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية عليه ـ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ـ فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعرّ جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخرّ مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مرّ بى رجل فقال لى ياغلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الىّ فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيأ فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عزّ وجل فانه ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما * وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه * روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم * وقال الشافعى رحمه الله تعالى اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك اذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب * وقال الشافعى رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه * وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سرّه * وقال ما من أحد إلا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عزّ وجل * وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعى رحمه الله التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ألا ترى أن الله عزّ وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عزوجل ـ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ـ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله

غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم علية واشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة اذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه فى منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا وشيأ مجربا موجودا فانظر الى نفع الناس بكتاب الخلاف فى مذهب مالك رحمه

الله تعالى والتنبيه فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى والجمل العربية والارشاد فى علم الكلام وانتشارها مع أن ماحوت من العلم فى فنونها

تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة * وأما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ماروى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم ومانسب الى شئ منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى * وقال الشافعي رضي الله عنه ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ * وقال ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه * وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما منى إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته فهذه العلامات هى التى تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله مارأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله تعالى * وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعى والى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار ومابينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أى رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يابنى كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله فى عنقه منة * وقال يحيى بن سعيد القطان ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين * وأما الامام مالك رضي الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ماتقول يامالك فى طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * وأما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله ﴿ الجدال فى الدين ليس بشئ ﴾ ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لاأدرى ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لايدرى ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمن على من مالك * وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث * وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف * وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل

قليل وقدجمع غيرهؤلاء فى هذه الفنون فى مثل اجرام هذه الكتب أضعاف مافيهامع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعانى وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهى أظهر وأشهر لأن العلم يزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يضعه الله فى القلب قلت ومما أنشده الشيخ على بن أبى بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله

أخى انتبه والزم سلوك الطرائق * وسارع الى المولى بجد وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة * وقانون قلب القلب بحر الرقائق
وايضاح منهج للحقيقة مشرق * وشرب حيا صفو راح الحقائق
واجلاء أذكار المعانى ضواحكا * بباهج حسن جاذب للخلائق
عليك باحياء العلوم ولبها * وأسرارها كم قد حوى من دقائق

الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال ﷺ (١) اختلاف أمتى رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله ﷺ (٢) المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام (٣) المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هى ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعنى إنك انما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته الى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا ولما حملت اليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ماروى عن الشافعى رحمه الله انه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان و بغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية منى اليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انى أستحى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة فانظر الى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ماروى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وان أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتى فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس * وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة * وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله * وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمر يوما فى طريق فأشار اليه انسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال أنا أستحى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فى من عبادته * وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب * قال الحكم بن هشام الثقفى حدثت بالشام حديثا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى * وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها * وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر مايكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أى هذه عادته فقال ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه * وروى أنه دعى الى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما أصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء * وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى * وقال شريك النخعى كان

(١) حديث اختلاف أمتى رحمة ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابى لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير (٣) حديث المدينة تنفى خبثها الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

فكم من بديع اللفظ يجلى عرائسا وكم من شموس فى حماه شوارق معانيه أضحت كالبدور سواطعا * على در لفظ للمعانى مطابق وكم من عزيزات زهت فى قبابها * محجبة عن غير كفؤ مسابق وكم من لطيف مع بديع وتحفة * حلاوتها كالشهد تحلو لذائق بساتين عرفان وروض لطائف * وجنة أنواع العلوم الفوائق رعى الله صبارا تعانى جنانها * يروح ويغدو بين تلك الحقائق و يقطف من ذاك جناها فوا كها * بساحل بحر بالجواهر دافق خضم طمى حتى علا فوق من علا * بشامخ مجد مشرق بالحقائق فان لم يهذا القول تؤمن بخبر * وأقبل على تلك المعانى وعانق

 وارجع طرفا فى بديع جمالها ٧ * وطف فى حماها منشدا كل سابق

أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الامارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة * وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقلّ من أتباع هؤلاء وسفيان أقلّ أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن فى سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمّل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرّد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر الى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

﴿الباب الثالث﴾ فيما يعدّه العامّة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما و بيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة و بيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها ﴿بيان علة ذم العلم المذموم﴾ لعلك تقول العلم هو معرفة الشئ على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشئ علما و يكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وانما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة ﴿الأوّل﴾ أن يكون مؤدّيا الى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حقّ إذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين (١) وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر و بامور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور و يرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع و يتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين و يحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشرّ شرّ فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حرز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشئ على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه الى الضرر ﴿الثانى﴾ أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته إذ هو ﴿قسمان﴾ قسم حسابى وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عزّ وجل ـ الشمس والقمر بحسبان ـ وقال عزّ وجل ـ والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ـ * والثانى الأحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمّه الشرع * قال ﷺ (٢) اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر أصحابى فأمسكوا * وقال ﷺ (٣) أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البرّ والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه ﴿من ثلاثة أوجه * أحدها﴾ أنه مضر با كثر الخلق فانه اذا ألقى اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية و يعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها و يرى الخير والشرّ محذورا أو مرجوّا من جهتها و يمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع

﴿الباب الثالث﴾

(١) حديث سحر رسول الله ﷺ متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث اذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٣) حديث أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البرّ من حديث أبى محجن باسناد ضعيف

وكم قد سعت فى غربها والمشارق فيضحى براح الحبّ سكران مغرما * أصم عن العذال غير موافق و يمسى يناديها طريحا ببابها * منعم عيش فى الربوع الغوادق صلاة على سرّ الوجود شفيعنا * محمد المختار خير الخلائق وأصحابه أهل المكارم والعلا * وعترته ورّاث علم الحقائق

﴿فصل﴾ وأما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفى التحقيق لا اشكال أو أخبار وآثار تكلم فى سندها فأما من جهة تلك المواضع فمن أجاب عنها المصنف نفسه فى كتابه المسمى (بالأجوبة) وأسوق لك نبذة من ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الأولياء تحلّ معاليها عن بعض ما وقع فى

على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى الى مسبب الاسباب فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم * وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وامحى ذلك العلم وامحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا * وثالثها انه لا فائدة فيه فأقل أحواله انه خوض فى فضول لا يغنى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان فى غير فائدة وذلك غاية الخسران (١) فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر (٢) وقال ﷺ انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فاذا الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض فى جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض فى علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففى ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبى الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ (٢) نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم

---

(١) حديث مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه وفى آخر الحديث ـ انما العلم آية محكمة ـ الى آخره وهذه القطعة عند أبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا وقد تقدم

الاملاء الملقب بالاحياء عما أشكل على من نجب وقصر فهمه ولم يفز بشئ من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التعزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الانعام واتباع العوام وسفهاء الاحلام وعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال واضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيغ عن الشريعة واختلال الى ان قال ستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ثم ذكر آيات أخرى فى المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين بما يرجع حاصلها الى الحسد والى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك فى الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقه بأربعه الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف الى آخر

الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولاتكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك و برهانك وزعمك انى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ماهي عليه فأى ضرر في التفكر في العلم فان مايعود عليك من ضرره أكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته * واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لايعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلاتتحكم على سنتهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطلبه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لايعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوّته الاحاطة بها كما ان في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وافادتها اصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقى الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ماينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير مطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لايطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك الى صدق النبي ﷺ ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلاتسلم الا به والسلام ولذلك قال ﷺ (١) ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم أن العلم لايكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال أيضا ﷺ (٢) قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

﴿ بيان مابدل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة الى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأوّل وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسامي عليهم (اللفظ الأوّل الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لابالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب و يدلك عليه قوله عز وجل ـ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ـ وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لايحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب و ينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى ـ لهم قلوب لايفقهون بها ـ وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمرى ان الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى ـ لأنتم أشد رهبة في

(١) حديث ان من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال العقل بدل العلم ولم يخرجه ولده في مسنده

يتحاشى منه المتورع لئلا يقع في الموضوع وحاصل ما أجيب به عن الغزالى ومن المجيبين الحافظ العراقي ان أكثر ماذكره الغزالى ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الاكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة روى وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر انه يعمل به في الفضائل وكتابه في الرقائق فهو من قبيلها ولان له أسوة بأئمة الائمة الحفاظ في اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والمسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الاحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووى رحمه الله في المتأخرين

صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أوهو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم وقال ﷺ (١) علماء حكماء فقهاء للدين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية وقال ﷺ (٢) ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه ولما روى أنس بن مالك قوله ﷺ (٣) لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى زيد الرقاشى وزياد النميرى وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال ﷺ (٤) لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء رضى الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن الشئ فأجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع (اللفظ الثانى العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبافعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وباحكامه وبافعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم ((اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شئ فى العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما مايشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان الى قبولها

(١) حديث علماء حكماء فقهاء أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق وأبو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن على (٣) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن (٤) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا

ونبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار الى ذلك كله العراقى قال عبد الغافر الفارسى سبط القشيرى ظهرت تصانيف الغزالى وفشت ولم يبد فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لما آثره الى آخر ماذكره ومما يدلك على جلالة كتب الغزالى مانقل ابن السمعانى من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث فحدثت فى جميع المغرب بدعة الامر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت مصنفاته الى المغرب أمر سلطانه على بن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره فى مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد فى عكس ونكد بعد أن كان عادلا (خاتمة فى الاشارة الى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنابه ونفعنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه الى طريقة الصوفية رضى الله عنهم) أما ترجمته رضى الله

فى أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عزوجل رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت احدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال لى انى فعال لما أريد وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر و بصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو أن تقول بلسانك لا إله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة * والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره و يخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ * وقال ﷺ (١) أبغض اله عبد فى الأرض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهواء و يخرج من هذا التوحيد ٧ التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عزوجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر الى ماذا حول و بأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة و يتوجه الى القبلة و يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه ان أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والأقطار وان أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الأموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فتى وجه وجهه للذى فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة و يكذب أخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر والتذكير) فقد قال الله تعالى ـ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ـ وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ (٢) اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر * وفى الحديث (٣) ان لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم و يحفون بهم و يستمعون ألا فاذكروا الله

(١) حديث أبغض اله عبد عند الله فى الأرض هو الهوى الطبرانى من حديث أبى أمامة باسناد ضعيف
(٢) حديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذى من حديث أنس وحسنه (٣) حديث ان لله ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله فى الهواء وللترمذى سياحين فى الأرض وقال مسلم سيارة

الشافعى الأشعرى الذى انتشر فضله فى الآفاق ووفاق ورزق الحظ الاوفر فى حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر فى جزالة العبارة وسهولتها وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر فى أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم فى منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على اجمالها وتفصيلها مع ما خصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعزوف عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى رحمهم الله تعالى ولد الامام الغزالى بطوس سنة خمسين واربعمائة وابتدا بها فى صباه بطرف

وأوحد أقرانه وجلس للاقراء وارشاد الطلبة فى أيام امامه وصنف وكان الامام يتبجح به ويعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطا لرحال العلماء ومقصد الائمة والفضلاء ووقع للامام الغزالى فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطارصيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار امام العراق بعد ان حاز امامة خراسان وارتفعت درجته فى بغداد على الامراء والوزراء والاكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الامر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة

وذكروا أنفسكم فنقل ذلك الى ما ترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات أما القصص فهى بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص (١) وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص * وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجنى الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص ياشيخ الا تستحى فقال لم أنا فى سنة وأنت فى كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال (٢) حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وان كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ الى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكلنا بصدد المعاصى فلا غرو ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة والى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع * قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمرو قد سمعه يسجع هذا الذى يبغضك الى لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاء فى حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات (٣) اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع

---

(١) حديث لم تكن القصص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن

(٢) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى الباب الاول

(٣) حديث اياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب اياك والسجع فان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان

المحذور المتكلف مازاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي ﷺ (١) أسجع كسجع الاعراب * وأما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى ـ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ـ وقال تعالى ـ وما علمناه الشعر وماينبغي له ـ وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار مايتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لايحوي الا أجلاف العوام و بواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلاتحرك الاشعار من قلوبهم الا ماهو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون و يتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد فلاينبغي أن يستعمل من الشعر الا مافيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس * وقد قال ﷺ (٢) ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان أولئك لايضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل مايسمعه على مايستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك فقال لا ماهؤلاء أصحابي انما هم أصحاب المجلس ان أصحابي هم الخواص * وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا و يتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس و يستشهدون بقوله أنا الحق * و بما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلاتعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لايلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشئ منه فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه مايحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عزوجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني أنا الله لااله الا أنا فاعبدني فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية (الصنف الثاني) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما أن تكون مفهومة له ولكنه لايقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب و يدهش العقول و يحير الاذهان أو يحمل على ان يفهم منها معاني ما أريدت بها و يكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه * وقد قال ﷺ (٣) ماحدث أحدكم قوما بحديث لايفقهونه الا كان فتنة عليهم * وقد قال ﷺ (٤) كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون

واجتنب السجع وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (١) حديث أسجع كسجع الاعراب مسلم من حديث المغيرة (٢) حديث ان من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب (٣) حديث ماحدث أحدكم قوما بحديث لايفقهونه الا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٤) حديث كلموا الناس بما يعرفون

مشتغلا بأسباب التقوى وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق اليها مثل أحياء علوم الدين وغيره التي من تاملها عرف محل مصنفها من العلم قيل ان تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم سار الى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الاخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ثم عاد الى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وارشادهم ودعائهم الى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين و يفيد الطالبين دون أن يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة خصه الله تعالى بأنواع الكرامة في اخراه كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالي ثلاثة

أتريدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغى - انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه وفى قوله ﷺ (١) تسحروا فان السحور بركة أراد به الاستغفار فى الاسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فانه كان ﷺ (٢) يتناول الطعام ويقول تسحروا (٣) وهلموا الى الغداء المبارك فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله ﷺ (٤) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغى أن يفهم منه انه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبى ﷺ فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضى الله عنه (٥) اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات

ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على على ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (١) حديث تسحروا فان فى السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث تناول الطعام فى السحور البخارى من حديث أنس أن النبى ﷺ وزيد بن ثابت تسحرا (٣) حديث هلموا الى الغداء المبارك أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان (٤) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى (٥) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخارى من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم

رحمه الله تعالى باسناده الثابت الى الشيخ الكبير القطب الربانى شهاب الدين أحمد الصياد اليمنى الزبيدى وكان معاصرا للغزالى نفع الله بهما قال بينما أنا ذات يوم قاعد اذ نظرت الى أبواب السماء مفتحة واذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء الى سماء الى أن جاوز السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه فسألت عنه فقيل لى هذا الامام الغزالى وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى

 ورأى فى النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه النبى ﷺ وقد

مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله ﷺ (١) من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ماعرف فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى أثنى الله عزوجل عليها فقال تعالى ـ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ وقال ﷺ (٢) كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا ومافيها فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا (٣) لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فاكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله ﷺ (٤) بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى وفى خبر آخر (٥) هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم وفى حديث آخر (٦) الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق أبغضوه

﴿ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ﴾

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم ※ فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا اذ فيه

وقال صحيح الاسناد (١) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس (٢) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٣) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمى بنحوه من رواية الاحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف (٤) حديث بدا الاسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٥) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٦) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو

رضى عنه يقول لاصحابه من كانت له منكم الى الله حاجة فليتوسل بالغزالى وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى ﷺ فى أن الله تعالى يحدث لهذه الامة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة انه كان على رأس المائة الاولى عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الاشعرى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الاولين أعنى عمر بن عبد العزيز

ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يمسكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه * وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى و بصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة و بذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب و يعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أول الامر و يعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها * وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن أحد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء و يزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم و باطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر و يساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب و يستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على

والشافعي ومناقبه رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ * ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه واحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله في أصول الفقه المستصفى والمنخول والمنتحل في علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدين والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس في الوحدة وكتاب القربة الى الله عز وجل وكتاب أخلاق الابرار والنجاة من الاشرار وكتاب بداية الهداية وكتاب جواهر القرآن والاربعين في أصول الدين وكتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وكتاب ميزان العمل وكتاب

غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير مايبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد مايبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وماوراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلامرد له الى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل مافى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ماتحتاج اليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف اليهما ماخرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل مانقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط الى ماوراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير وماوراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقتها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه مايبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لاينفع الامع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه وانما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لافى معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لايقوم الا بالاستتباع ولايستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الاعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فاياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولايعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى يشهد له حدس المفتى اذا صح ذوقه فى الفقه لايمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولاتنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من

شياطين

القسطاس المستقيم وكتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة وكتاب الذريعة الى مكارم الشريعة وكتاب المبادى والغايات وكتاب كيمياء السعادة وكتاب تلبيس ابليس وكتاب نصيحة الملوك وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل وكتاب المقاصد وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام وكتاب الانتصار وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية وكتاب اثبات النظر وكتاب المأخذ وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل وكتاب المستظهرى وكتاب الامالى وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده وكتاب مقصد الخلاف وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ احياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة * وقال يمدحه تلميذه الشيخ الامام أبو العباس الاقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب

شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ماسواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له ماخبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وماانتفعت الا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل (١) وفى الحديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون وفى الحديث فى معنى قوله تعالى ـ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ـ الآية (٢) هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفى بعض الاخبار (٣) انكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل وفى الخبر المشهور (٤) أبغض الخلق الى الله تعالى الألد الخصم وفى الخبر (٥) ما أوتى قوم المنطق الامنعوا العمل والله أعلم

﴿ الباب الرابع فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها ﴾

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لايستعينون بالفقهاء الا نادرا فى وقائع لايستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى ومايتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم الى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء واقبال الأئمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم الامن وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث انكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل لم أجده (٤) حديث أبغض الخلق الى الله الألد الخصم متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما أوتى قوم المنطق الامنعوا العمل لم أجده أصلا

وتنقذنا من طاعة النازغ المردى فربع عباداته وعاداته التى * يعاقبها كالدر نظم فى العقد وثالثها فى المهلكات وانه لمنج من الهلك المبرح والبعد ورابعها فى المنجيات وانه * ليسرح بالارواح فى جنة الخلد ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر * ومنها صلاح للقلوب من الحقد وأماسبب رجوعه الى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكره رحمه الله فى كتابه المنقذ من الضلال ماصورته أما بعد فقد سألتنى أيها الاخ فى الدين ان أبث لك غاية العلوم وأسرارها وغاية المذاهب وأغوارها وأحكى لك ماقاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته من طرق أهل

بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

﴿ بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﴾

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى و يطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان * الأول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه و يتجرد في تحصيل الثياب ونسجها و يقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب * الثاني أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها وأقربها الطب اذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت و يناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضي الله عنه أنه قيل يارسول الله (١) متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم * الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وانما يفتي فيما يسئل عنه

(١) حديث أنس قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه باسناد حسن

أهل التصوف وما تنحل لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل أهل الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك الى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا اليه اعلموا أحسن الله ارشادكم وألان الى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الا كثرون وما نجا منه الا الاقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنفوان شبابي مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى أن أناف السن على

ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجزله أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ومايشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أوقولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أوقولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا الرابع أن لايناظر الا فى مسئلة واقعة أوقريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ماتشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع أومايغلب وقوعه كالفرائض ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أوهى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أولانها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام * والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول * الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع مايحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أومبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام * السادس أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لايفرق بين أن تظهر الضالة على يده أوعلى يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاخصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم * واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى لاتسألونى عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لانكره واستبعده وقال لايحتاج الى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لايستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق * السابع أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لايلزمنى ذكره وهذا يناقض كلامك الاوّل فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ماظهر لى فان ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ماذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها اذ لايلزمنى ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ماتدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لايلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله انى أعرفه ولا أذكره اذ لايلزمنى كذب على الشرع فانه ان كان لايعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه

الخمسين أقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار مذاهب كل طائفة لاميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على باطنيته ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على فلسفته ولا متكلما الا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا وأريد مايرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جراءته فى تعطيله وزندقته وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعان عمرى غريزة من الله وفطرة وضعها الله فى جبلتى لا باختيارى وحيلتى حتى انحلت

فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه و ينظر فيه فان كان قويا يرجع اليه وان كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف أن اظهار ماعلم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها مايضاهى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى أثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل مايخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية مايهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق

﴿ بيان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الاخلاق ﴾

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوّ الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الاخبار والآيات فى ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ماتهيجه المناظرة فمنها الحسد * وقد قال رسول الله ﷺ (١) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فمادام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوّة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلابد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال ﷺ (٢) من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله * وقال ﷺ حكاية عن الله تعالى (٣) العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض

---

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفى تاريخ بغداد باسناد حسن (٢) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٣) حديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

عنى رابطة التقليد وانكسرت عنى العقائد المروية على قرب عهد منى بالصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشء الا على التنصر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء الا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء الا على الاسلام وسمعت الحديث المروى عن النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه فتحرك باطنى الى طلب الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الامور ولابد من طلب حقيقة العلم ماهى فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع

والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم [1] وان المؤمن منهى عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه * وقد قال ﷺ [2] المؤمن ليس بحقود وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ولا نرى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لامحالة فى غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لامحالة مايدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس * قال الله تعالى ـ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ـ وقيل لحكيم ماالصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الامور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ـ ولا تجسسوا ـ والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى أنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم اذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم مايحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لامحالة مايسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن أحد الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكانه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء حتى قال الشافعى رضى الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك

(١) حديث نهى المؤمن عن اذلال نفسه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه (٢) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل

الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وامكانا فانى اذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لى قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك فى معرفتى لكذبه ولم يحصل معى منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقينى ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا فى الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد

المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه * فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الارحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم * رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان أبغض شئ الى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره بأقصى جهده و بذل غاية امكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا و ينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل * قال صلى الله عليه وسلم (٢) من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا و بين من كذب بالحق * فقال الله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ـ وقال تعالى ـ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ـ ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذى يدعو الى أكبر الكبائر كما سيأتى فى كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد اليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ماصلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران و بالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد أو يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا فان لم يتفق له الاصابة فى الاموال لم يطمع فى السلامة من

(١) حديث اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبرانى من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حسن

فلابد من أحكامها أولا لأتبين أن يقينى بالمحسوسات وأمانى من الغلط فى الضروريات من جنس أمانى الذى كان من قبل فى التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق فى النظريات وهو أمان محقق لا غوائل فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل فى المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكننى أشكك نفسى فيها فانتهى بى طول التشكك الى أنه لم تسمح نفسى بتسليم الأمان فى المحسوسات وأخذ يتسع الشك فيها ثم انى ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودى ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمى على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لى

الاذلال بل لابد من لزوم أفصح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم اذلولاحب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذلولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير مارغب الصبيان فى المكتب وذلك لايدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولاحب الرياسة لاندرس العلم ولايدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم (١) ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم * وقال ﷺ (٢) ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه و يستضيء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة امامهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا و باطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من أى الاقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ماينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم ﴾

﴿ أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل ﴾

(الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لاتصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وأنجاس الاوصاف قال ﷺ (٣) بنى الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى ـ انما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب و يطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال ﷺ (٤) لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لايقذفه الله تعالى فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء وهكذا مايرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن من الصفات المذمومات فلا يلاحظون الاطيبا ولايعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب و بالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن و بين التنبيه للبواطن من

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم النسائى من حديث أنس باسناد صحيح
(٢) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبى هريرة

﴿ الباب الخامس ﴾

(٣) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٤) حديث لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبى طلحة الانصارى

المقام ومنادى الايمان ينادى الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا القليل و بين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل وان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها فعند ذلك تنبعث الرغبة و ينجزم الامر على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان و يقول هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن العظيم الخالى عن التكدير والتنغيص والامر السالم الخالى عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة فلم أزل اتردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعى قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست وثمانين وأربعمائة وفى هذا

ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريقة الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار أن يعبر ماذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبيه وهى السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية (١) فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة أسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والابصار (فان قلت) كم من طالب ردىء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له ان المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شئ قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب * وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى ــ انما يخشى الله من عباده العلماء ــ وكأنه أشار الى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (فان قلت) انى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى (الوظيفة الثانية) أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس (٢) فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ وقال ﷺ (٣) ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم فلا ينبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فالعلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار

(١) حديث حشر الممزق لاعراض الناس فى صورة كلب ضار الحديث الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف (٢) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل الا انهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم (٣) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى امامة باسنادين ضعيفين

الشهر جاوز الأمر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسى أن أدرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة الى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنساغ لى شربة ولا تنهضم لى لقمة وتعدى ذلك الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم فى العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن الهم المهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت الى الله التجاء المضطر الذى لا حيلة له فأجابنى الذى يجيب المضطر اذا دعاه وسهل على قلبى الاعراض عن المال والجاه والأهل والأولاد وأظهرت عزم الخروج الى مكة ·

بالجهال

بالجهال بالله تعالى أشد من ضرارة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها و يتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل * العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي
فلا ينال العلم الا بالتواضع وإلقاء السمع * قال الله تعالى ـ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراددته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران * فان قلت فقد قال الله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ـ فالسؤال مأمور به * فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه * وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ﴿الوظيفة الرابعة﴾ أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه الى صفة والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله الى صفته ولمثل هذا جوز للنبي ﷺ ما لم يجوز لغيره (١) حتى أبيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه

(١) حديث أبيح له ﷺ تسع نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي ﷺ

وأنا أدبر في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا واستهزأني أئمة العراق كافة اذ لم يكن فيه من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى في الدين فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات فظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي ليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفارقت ما كان معي من مالي ولم ادخر من ذلك الا قدر الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ولم

صفة العدل الى نسائه وان كثرن وأماغيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين ﴿ الوظيفة الخامسة ﴾ أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة و بعضها مرتبط ببعض و يستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قال الشاعر

ومن يك ذافم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى ﴿ الوظيفة السادسة ﴾ أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب و يبتدئ بالأهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شئ أحسنه و يكتفى منه بشمه و يصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ (1) فما عندى أن ما يعتقده العامى و يرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى الا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه و يزعم أنه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها ان أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب ﴿ الوظيفة السابعة ﴾ أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا و بعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج * قال الله تعالى ـ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ـ أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى الى ما هو فوقه فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشئ فى نفسه

تسع الحديث (1) حديث لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح

أرقى العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريبا من سنتين لا شغل لى الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسى ثم تحركت بى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبى ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت الى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن وعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن ان أرجع اليه وآثرت العزلة حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير فى وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان

فلا

فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وان كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين ان أشرف العلوم العلم بالله عزوجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وأن ترغب الا فيه وأن تحرص الا عليه ﴿الوظيفة التاسعة﴾ أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى الى جوار الملا الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين فى العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة ﴿الوظيفة العاشرة﴾ أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك فى الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف فى هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم أعنى النظر الذى طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وأتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل * الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة * والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل * والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله فى كل مقام منازل من أول اعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك البوادى الى آخره ومن أول أركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجرى مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات

لا يصفو لى الحال الا فى أوقات متفرقة لكنى مع ذلك لا اقطع طمعى عنها فيدفعنى عنها العوائق وأعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذى ينبغى أن نذكره لينتفع به أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيأ من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل فى طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها

الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل ـ فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ـ وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم * واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني انهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه * وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الأديان وأشار به الى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة (فان قلت) لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي الى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لارخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو أمر الهي كما قال تعالى ـ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ـ وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين والجبال اذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الامر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب

التحوم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى وهو أقواها الجاري منها مجرى بالاضافة الى ما تحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت اليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت الى الاخرى فاطرحها وسعى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز ان لي نفسا تواقة لما نالت الدنيا تاقت الى الآخرة قال بعض العلماء رأيت الغزالي رضي الله عنه في البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر الي شذرا وقال لما بزغ بدر السعادة في فلك الارادة وظهرت شموس الوصل

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل * وعدت الى مصحوب أول منزل
ونادتني الاشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الاسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكى طريق الحج أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

﴿ بيان وظائف المرشد المعلم ﴾

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق كما قيل

ماهو الا ذبالة وقدت ❊ تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه ﴿ الوظيفة الاولى ﴾ الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ (١) انما أنا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى ـ انما المؤمنون اخوة ـ وداخلون فى مقتضى قوله تعالى ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴿ الوظيفة الثانية ﴾ أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عزوجل ـ وياقوم لا أسألكم

(١) حديث انما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله على ماخصص وعمم وصلى الله على سيد جميع الانبياء المبعوث الى العرب والعجم وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها عن بعض ماوقع فى الاملاء الملقب بالاحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشئ من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الانعام واجماع العوام وسفهاء الاحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ابليه الى ضلال واضلال ونبذ واقراءه ومنتحليه

عليه مالا ان أجرى الا على الله فان المال وما فى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم فى العرض الاكبر مع المجرمين ناكسى رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض حمارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره فان قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيى من أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات ﴿الوظيفة الثالثة﴾ أن لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى أثناء الامر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدى الى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا ﴿الوظيفة الرابعة﴾ وهى من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم (١) لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فاين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده

بزيغ فى الشريعة واختلال فالى الله انصرافهم ومآبهم وعليه فى العرض الاكبر ايقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون فى شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق ولم يبق فى الغالب الا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة متصفين بحكايات موضوعه متزينين بصفات منمقة متظاهرين بظواهر من العلم فاسدة متعاطين لحجج غير صادقة كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر وتألفوا جميعا على المنكر وعدمت التناصح بينهم فى الامر وتصافوا باسرهم على الخديعة والمكر ان نصحتهم العلماء أغروا بهم وان

للعلمين ينبغى أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر ﷺ (١) حيث قال نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال على رضى الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضى الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله ﷺ (٢) قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى فقد قال الله تعالى ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ـ تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق

أأنثر درا بين سارحة النعم * فأصبح مخزونا براعية الغنم
لانهم أمسوا بجهل لقدره * فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه * وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة * والا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

﴿الوظيفة السابعة﴾ ان المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد الا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيأ وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الاشياء وألذها لما كان

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم الحديث رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه وعند أبى داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم

(٢) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث أبى هريرة بنحوه

صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم أولئك الجهال فى علمهم الفقراء فى طولهم البخلاء عن الله عزوجل بأنفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم مواريث الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية لانهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الاوتاد وفوائد الاقطاب وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثهم طول الغفلة واظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط وهو على كل شئ شهيد فلا يغرنك أعاذنا الله

يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى

لاتنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ـ ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير و يقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم

﴿ الباب السادس في آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء ﴾

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه ﷺ (١) أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ﷺ (٢) العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ﷺ (٣) يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ﷺ (٤) لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال ﷺ من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال ﷺ (٥) لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الأئمة المضلين وقال ﷺ (٦) من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة * وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء و يجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري و يدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف (٤) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح (٥) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد (٦) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث علي باسناد ضعيف الا أنه قال زهدا وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا وروى أبو الفتح الازدي في الضعفاء من حديث علي من ازداد بالله علما

من سوء أعمالهم شيطانهم فكأن قد جمع الخلائق في صعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلي لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فياله من موقف قد أذهل ذوي العقول عن القال والقيل ومتابعة الاباطيل فأعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ولقد جئناك بحول الله وقوته و بعد استخارته عما سألت عنه وخاصة

فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لايزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال ﷺ (١) ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ـ ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ـ لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ماجعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله ـ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ـ وقال تعالى ـ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ـ وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء ـ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ـ حتى قال ـ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات * فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما أرضيت احداهما أسخطت الأخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قاربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ماتصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لايعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام مايصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لاعقل له ومن لايعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لايعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ياداود لاتسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى ياداود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ياداود من رد الى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا

ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (١) حديث ان العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده (٢) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى فى النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم

مازعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذى ذكر فيه الاقلام اذ قد اتفق أن يكون أشهر مافى الكتاب واكثر تصرفا على ألسنة الصدور والاصحاب حتى لقد صار المثل المذكور فى المجالس تحية الداخل وحديث الجالس فساعدتنا أمنيتك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا الى املائنا هذا بيانا غيره مما عدتوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة مخبلا ومضللا ونحن نستعيذ بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان ونتضرع اليه فى المزيد من الاحسان انه الجواد المنان

﴿ذكر مراسم الاسئلة فى المثل﴾

ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافى التقسيم فى المشهود كما ينافى التكرر والتعديد وان صح انقسامه على وجه لايندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت مزيد البيان فى تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها ان

كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز فى القشور واللبوب ولم كان الاول لا ينفع والآخر الذى هو الرابع لا يحل

رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ان أهون ما أصنع بالعالم اذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى أخ له انك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية و بيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر

يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة انه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ ـ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا ـ وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما أراد به طلب الاسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (١) من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الآخرة ـ وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ـ وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ (٢) أنه قال أوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياى يخادعون و بى يستهزؤن لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم

(١) حديث أبى هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبى داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبى الدرداء أوحى الله الى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف

افشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشان افشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه فى الشرع اذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة انما هى مآخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات للعقلاء و بماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الآذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهى وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق فى فانك بالوادى المقدس طوى ولعله ببغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى

حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ علماء (١) هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ماروى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين * وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى ﷺ (٢) قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان ان رد عليه شئ من علمه أو تهاون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وفى خبر آخر (٣) ان العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ (٤) لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال تعالى ـ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ـ الآية فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا * ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشئ مالم يكن هو أول عامل به

(١) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف (٢) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات (٣) حديث ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضه لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٤) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات

الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسرّ قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبى أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتساق الى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص والنبوّة ليست محجورة على أحد الا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع فى النداء اذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الامر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن ان يتخطى رقاب الصدّيقين وما الذى أوصله الى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرفيق والى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذى وصل اليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هذا من قول

قال الله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ـ وقال تعالى ـ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون
وقال تعالى في قصة شعيب ـ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ـ وقال تعالى ـ واتقوا الله و يعلمكم
الله ـ وقال تعالى ـ واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا ـ وقال تعالى لعيسى عليه السلام ـ يا ابن مريم عظ
نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ـ (١) وقال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض
شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال ﷺ (٢)
هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي رحمه الله شكت
النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل بن
عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال أبو الدرداء رضي الله
عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على
قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وانما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا
نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم
الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت
موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا * فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها * وأنت أكثر منهم رغبة فيها
(وقال آخر) لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب أنت بما تعلم
لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء
على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله
وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء
الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله
ﷺ قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله ﷺ (٣) فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا
فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر
فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد
وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل
العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود
سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل
السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا
وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم

(١) حديث مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس
(٢) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٣) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح

أبي سليمان الداراني المذكور في غير الاحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجع وما معنى بان ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الالهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب اليه أو غير ذلك ولم كتبت المشكل من الألفاظ واللغز من العبارات وان جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتحن فما بال من ليس شارعا انتهى جملة مراسم الاسئلة في المشكل فأسأل الله تعالى أن يملي علينا ما هو الحق عنده في ذلك وان يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات المسالك وان يعم بنفعه أهل المبادي والمدارك ثم لا بد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية * أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات أفردها أرباب

حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذى لا اله الا هو ماذلك الا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفى التوراة والانجيل مكتوب لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه انكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين * واعلم أن مثل العالم مثل القاضى وقد قال ﷺ (١) القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار وقال كعب رحمه الله يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال ﷺ (٢) ان الشيطان ربما يسوفكم بالعلم فقيل يارسول الله وكيف ذلك قال ﷺ يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سرى السقطى اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت فى النوم قائلا يقول لى الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيأ وقال ابن مسعود رضى الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى ــ ولكم الويل مما تصفون ــ وفى الخبر (٣) مما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن * ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى (٤) أن رجلا جاء رسول الله ﷺ فقال علمنى من غرائب العلم فقال له ما صنعت فى رأس العلم فقال وما رأس العلم قال ﷺ هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت فى حقه قال ماشاء الله فقال ﷺ هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ماشاء الله قال ﷺ اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم * بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتنى قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وانى لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتى زلة عالم الحديث الطبرانى من حديث أبى الدرداء ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث ان رجلا جاء الى رسول الله ﷺ فقال علمنى من غرائب العلم الحديث ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا

من كلامنا مختصا بهذا الفن فى هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذى يكون سالوكا فى هذه العلوم عليه والسمت الذى تنوى بقصدنا اليه ليكون ذلك أقرب على المتأمل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر فى كلام الناس وآخذ نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه ان يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت فى وجوههم الابواب واسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا

القبر دخل محبو بي معي فقال أحسنت ياحاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عزوجل ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ـ فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل ـ ماعندكم ينفد وماعند الله باق فكلما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ـ فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عزوجل ـ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ـ فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عزوجل ـ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ـ فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه أنه عدولي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لايحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت الى قوله تعالى ـ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ـ فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي قال شقيق ياحاتم وفقك الله تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع انواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لايهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الانبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم ومايتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم مايتعلمون الا الكلام * ومنها أن يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه * ويشهد لذلك ماحكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولاطعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة واذا بزة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه واذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله ﷺ قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن قال عن رسول الله ﷺ قال ورسول الله ﷺ عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزوجل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عزوجل الى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ

مستقيم اعلم ان الألفاظ المستعملة منها مايستعمله الجماهير والعموم ومنها مايستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالمهن والحرف ولاهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولاهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لايشاركهم فيها غيرهم الا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتكون المشاركة اذا اتفقت اما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجاري الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وانما سمينا من العلوم صنائع ماقصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية ومالم يكن كذلك فلانسميه صناعة كعلوم الانبياء صلوات الله عليهم

الى

الى أصحابه وأصحابه الى الثقات وأداء الثقات اليك هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عزوجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أناشرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة ياغلام هات اناء فيه ماء فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسى ياهذا أسرفت قال له حاتم فبماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم ياسبحان الله العظيم أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج الى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا يا أباعبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد الاقطعته قال معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى أفرح اذا أصاب خصمى وأحزن اذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قال له يا أباعبد الرحمن ماالسلامة من الدنيا قال يا أباعبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال ياقوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كان لهم بيوت لاطئة بالارض قال حاتم ياقوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لاتعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله ﷺ فقلت فأين قصره وقص القصة * ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه * فهذه حكاية حاتم الاصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل مايشهد لذلك فى مواضعه * والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لاتمكن الابمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وأمور أخر هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لايسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لايبالغ فى ترك الدنيا حتى (١) نزع القميص المطرز بالعلم (٢) ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتى بيانه * وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن أنس رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغنى انك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن

(١) حديث نزع القميص المعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر

هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولا رباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات الى الحقائق والمسمين بالسادة والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء والمعروفين بالرقة والمعزى اليهم العلم والعمل ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرونه أو يذكرونه ونحن ان شاء الله نذكر مايغمض منها اذ قد يقع منا عند ماننذكر شيأ من علومهم ونشير الى غرض من اغراضهم فلم نر أن يكون ذلك بغير ماعرف من ألفاظهم وعباراتهم ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شئ قدير * فمن ذلك السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع

والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والأدب والرياضة والتخلي والتحلي والتجلي والعلقة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة

الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك أما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى * فقد قال الله تعالى ـ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ واني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراآة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر * ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبتة مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما أن يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط * وقد قال ﷺ [1] من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن وقال ﷺ [2] سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقاتلهم قال ﷺ لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال أبواب الامراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ [3] العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس وقيل للاعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شئ أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله ﷺ [4] شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون

(١) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس (٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

واللوائح والتلوين والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والوسم والرسم والبسط والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحكم والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وان كانت ألفاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أنموذجا ودستورا تتعلم به اذا طرأ عليك مالم نذكره لك ههنا اذ لها مبحث والبهاسيبل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر في طريق المعقولات وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم يرد بذلك سلوك الاقدام التي بها يقطع مسافات ما .

ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع أني لا آخذ منه شيأ ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص و بما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله ﷺ قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين و ينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو أتيتهم فقال يا بنى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا يا أبانا اذن نهلك هزالا قال يا بنى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب الى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفى هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيأ من دنياهم الا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم و يقيم شعائر الشرع الى أن يخيل اليه أن الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام و يداهن و يخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم و يوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم الى الدنيا و إما لمخالطتهم السلاطين * ومنها أن لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلى أفتى وان سئل عما يشك فيه قال لا أدرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر (١) العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى قال الشعبي لا أدرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدرى فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم و يسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال أبو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى و يقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان أبو العالية الرياحى

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى الخطيب فى أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

الاجسام فان ذلك عما شاركه فيه البهائم والانعام وأول مسالك السفر الى الله تعالى عز وجل معرفة قواعد الشرع وخرق حجب الامر والنهى وتعلق الغرض فيها والمراد بها ومنها فاذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطنها أشرفوا على مفاوز أوسع وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا فاذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب وأعرض بغير حساب من ذلك سر القدر وكيف خفى يحكم فى الخلائق وقادهم بلطف فى عنف وشدة فى لين و بقوة فى ضعف و باختيار فى جبر الى ما هو فى مجاريه لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الاعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب مثل العلم الالهى واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش و بالبيت المعمور وهم يسبحونه

وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال ﷺ (١) ما أدرى أعزير نبى أم لا وما أدرى أتبع ملعون أم لا وما أدرى ذوالقرنين نبى أم لا (٢) ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع فى الارض وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدرى الى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة و يسكت عن تسع وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع و يسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر ممن يقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد ابن حنبل والفضيل بن عياض و بشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ مامنهم أحد يسئل عن حديث أوفتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول وروى أن أصحاب الصفة أهدى الى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه الى الآخر وأهداه الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا منه و يشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم انه قال لايفتى الناس الا ثلاثة أمير أومأمور أومتكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ (٣) كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة أمر بمعروف أونهى عن منكر أوذكر الله تعالى وقال تعالى ـ لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أومعروف أو اصلاح بين الناس ـ الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى فكره وجهه وأعرض عنه وقال ماوجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم الا عند الضرورة (٤) وفى الحديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لايقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا وقال أبو سليمان المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقيل اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى أبى الدرداء رضى الله عنهما (٥) وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ يا أخى بلغنى انك قعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر ان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لاتقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان أنس رضى الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضى الله

(١) حديث ما أدرى أعزير نبى أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة
(٢) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر
(٣) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذى حديث غريب (٤) حديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف
(٥) حديث مؤاخاته ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء البخارى من حديث أبى جحفة

و يقدسونه وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ثم التخطى منها الى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شئ فتغشاهم الانوار المحرقة و يتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات و يشاهدون الموصوف و يحجبون حيث غاب أهل الدعوى و يبصرون ما عمى عنه أولو الابصار الضعيفة بحجب الهوى (والحال) منزلة العبد فى الحين فيصفو له فى الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه العبد و يتغير مما يرد على قلبه فاذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فاذا زال لم يكن حالا (والمقام) هو الذى يقوم به العبد فى الاوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد بشئ منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينتقل منه الى غيره (والمكان) هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية فاذا كمل العبد فى

عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم * ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ولذلك قال ﷺ (١) من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به الى الارض ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الي بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى — وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو — الآية ولولا أن ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى (٢) لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم الاقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه

(٢) حديث لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

القلب كله فليس لشئ فيه غيرك موضع (والشطح) كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى الا أن يكون صاحبه محفوظا (والطوالع) أنوار التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها فيطمس سلطان نورها الالوان كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب (والذهاب) هو أن يغيب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها (والنفس) روح سلطه الله على نار القلب ليطفئ شرها (والسر) ما خفي عن الخلق فلا يعلم به الا الحق وسر السر ما لا يحس به السر والسر ثلاثة سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل وسر الحال معرفة مراد الله في الحال من الله وسر الحقيقة ما وقعت به الاشارة (والوصل) ادراك الفائت (والفصل) فوت ما ترجوه من

بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة * ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله ﷺ (١) اليقين الايمان كله فلابد من تعلم علم اليقين أعنى أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال ﷺ (٢) تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم التقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال ﷺ (٣) لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ﷺ مامن آدمى الاوله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال ﷺ (٤) ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يابنى لايستطاع العمل الاباليقين ولا يعمل المرء الابقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى فى القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات (فان قلت) فما معنى اليقين ومامعنى قوته وضعفه فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان مالاتفهم صورته لايمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له أربع مقامات الاول أن يعتدل التصديق والتكذيب و يعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لاتميل الى الحكم فيه باثبات ولانفى بل يستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانى أن تميل نفسك الى أحد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لايمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى أنه لايعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث أن تميل النفس الى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولايخطر بالبال غيره ولوخطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها اذا رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لايشك فيه ولايتصوّر الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة

(١) حديث اليقين الايمان كله البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد ابن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيأ أقل من اليقين ولا قسم شيأ بين الناس أقل من الحلم الحديث

محبوبك (والادب) ثلاثة أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثانى أدب الخدمة وهو التشمر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة (والرياضة) اثنان رياضة الادب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد (والتحلى) التشبه بأحوال الصادقين بالاحوال واظهار الاعمال (والتخلى) اختيار الخلوة والاعراض عن كل مايشغل عن الحق (والتجلى) هو ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (والعلة) تنبه عن الحق (والانزعاج) انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للانس والوحدة (والمشاهدة) ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الاشياء ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب (والمكاشفة) اتم من المشاهدة وهى ثلاثة

لان

لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم أزلى ضروريا مثل العلم بان الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضرورى فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك و يصدق بالسماع تصديقا جزما و يستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شئ قديم بالضرورة لان الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة و بعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدى الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت فى نفى الشك * الاصطلاح الثانى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه و يقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الاول فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر أعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك أيضا عنه لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا و بين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الامرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لان السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه * فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه * فاعلم أن جميع ما ورد به الانبياء صلوات

مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية تزيادة الحال ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الاشارة (واللوائح) ما يلوح من الاسرار الظاهرة الصافية من السمو من حالة الى حالة أتم منها والارتقاء من درجة الى ما هو أعلى منها (والتلوين) تلوين العبد فى أحواله وقالت طائفة علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة وقال آخرون علامة الحقيقة التلوين لانه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة (والغيرة) غيرة فى الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى وغيرة على الحق هى كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه (والحرية) اقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعندغيره حرا (واللطيفة) اشارة دقيقة المعنى تلوح

الله وسلامه عليهم من أوله الى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة
المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى احصائها ولكنى أشير الى بعضها وهى أمهاتها فمن ذلك التوحيد
وهو أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق
بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان
غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم
بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا
بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم
والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الأزلية
هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد
وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى ـ وما من دابة فى
الارض إلا على الله رزقها ـ واليقين بأن ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى
الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة * ومن
ذلك أن يغلب على قلبه ان ـ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وهو اليقين بالثواب
والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم
والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على
الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها
وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق
المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيآت وكلما كان اليقين أغلب
كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ * ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس
ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثانى وهو
المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله كالجالس
بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب
ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة اذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره
فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر
الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق
المحمودة وهذه الاخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة
وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار
وكالانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاصل والاساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى
ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن * ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا
صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره
مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة
والذلة والتواضع * وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيما الصالحين
والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق
فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين
عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم

المقربون

فى الفهم ولا يسعها العبارة (والفتوح) ثلاثة فتوح العبادة فى الظاهر وذلك سبب اخلاص القصد وفتوح الحلاوة
فى الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق (والوسم والرسم) معنيان يجريان فى الابد بما جريا فى الازل (والبسط) عبارة عن حال الرجاء (والقبض) عبارة عن حال الخوف (والفناء) فناء المعاصى ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك (والبقاء) بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شئ (والجمع) التسوية فى أصل الخلق وعن آخرين معناه اشارة من أشار الى الحق بلا خلق (والتفرقة) اشارة الى اللون والخلق فمن أشار الى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارى سبحانه ومن أشار الى جمع بلا
تفرقة فقد أنكر قدرة القادر واذا جمع بينهما فقد وجد (عين التحلم)

المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لايورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى و بامر الله تعالى و بايام الله تعالى وهم الصديقون فى الخشية والخشوع انما تغلب عليهم وأراد بايام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم و يقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفى الاثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفى الخبر(١) ان من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم فى الارض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يمشون بالسكينة و يتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والارض و يروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشئ وانى لا أقبل من نفاقك شيأ فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى * وحكى الاوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى فيستعيذ بالله منه و ينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى(٢) وروى انه قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الاصحاب خير قال ﷺ صاحب ان ذكرت الله أعانك وان نسيته ذكرك قيل فأى الأصحاب شر قال ﷺ صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال ﷺ الذين اذا رؤا ذكر الله قيل فاى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال ﷺ (٣) ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا وقال على رضى الله عنه فى خطبة له ذمتى رهينة وأنا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى اذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض اليه أولئك الذين

(١) حديث ان من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقى فى شعب الايمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا سئل النبى ﷺ أى الاعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمى من رواية الاحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء وقد تقدم (٣) حديث ان أكثر الناس أمنا يوم القيامة أكثرهم خوفا فى الدنيا الحديث لم أجد له أصلا

ارادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وارادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وارادة الله سبحانه وذلك موضع الاخلاص (والمريد) هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين الى الله عز وجل بالاسم (والمراد) هو العارف الذى لم يبق له ارادة وقد وصل الى النهاية وغير الاحوال والمقامات (والهمة) ثلاثة همة منية وهى تحرك القلب للمنى وهمة ارادة وهى أول صدق المريد وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل فان الامر إدّ والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع

حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال على رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضى الله عنهما[1] لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه[2] كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه و يضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عزوجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية فمن قوله تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وأما الخشوع فمن قوله تعالى ـ خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ـ وأما التواضع فمن قوله تعالى ـ واخفض جناحك للمؤمنين وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ـ وأما الزهد فمن قوله تعالى ـ وقال الذين أوتوا العلم و يلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا[3] ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال ﷺ نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها و يشوش القلوب و يهيج الوسواس و يثير الشر فان أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل

عرفت الشر لا * للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

ولان الاعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشأن فى معرفة ما يفسدها و يشوشها وهذا مما تكثر شعبه و يطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والاقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة و يتركون ما يلازمهم و يتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات

(١) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى (٢) حديث كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الايمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٣) حديث لما تلا رسول الله ﷺ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام الحديث الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود

ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق أن لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح وهى جمع الهمم بصفاء الالهام (والغربة) ثلاثة غربة عن الأوطان من اجل

النفس وقد قيل له يا أباسعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله ﷺ (١) كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت إن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشئ منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق الا الى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولاسيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب * ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ ثم اذا قلد صاحب الشرع ﷺ في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع ﷺ فعله وفعله لابد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله ﷺ وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا (٢) حديث ابن عباس ما من أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله ﷺ الطبراني من حديثه يرفعه بلفظه من قوله ويدع

(والاصطلام) نعت وله يرد على القلوب بقوة سلطان فيستكنها (والمكر) ثلاثة مكر عموم وهو الظاهر في بعض الاحوال ومكر خصوص وهو في سائر الاحوال ومكر خفي في اظهار الآيات والكرامات (والرغبة) ثلاثة رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق (والرهبة) رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق (والوجد) مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده (والوجود) تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم * وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين (والتواجد) استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة

الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وماجاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لايدخل فى الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوّة مايحرسهم فى الاكثر عن الخطأ واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة و بعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم و بعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيأ مافعله رسول الله ﷺ وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه و بقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أوقراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ و يقول ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم * وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية * ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثورى * ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك الاالأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لايتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الاعن الخواص منهم كانوا اذاقيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم و بين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه و يسكت * ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن * واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم الى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضى الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادّعوا أنه لاسبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سيئ زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا

بالأقوال والأعمال والأحوال على الله تعالى قصدا اذاتيا لاعلى ماسلكه أرباب علوم الظاهر ثم التصديق بالقوّة والنظر الى الملكوت من كونه ومعرفة العلوم فى الانصراف ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومعاطاة الوجودات الحس الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى وقلما أدرك شئ من العجز والعلم لاينال براحة الجسم ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (والوصية) أيها الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب

لهما يغضب ولهما يرضى وإياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا أصبح فى هـذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم و يقتفى آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك كونوا(١) وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال انما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ماهو آت قريب ألا ان البعيد ماليس بآت وفى خطبة رسول الله ﷺ (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها بدعة وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الامور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وانكم لاتزالون بخير ماعرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم اذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم و بين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان و يزعمون انه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين فى القرآن والاذان ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم و يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لاتسألوهم اليوم عما أحدثوه بانفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لايعرفونها وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول لاينبغى لمن ألهم شيأ من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى اذ وافق مافى نفسه وانما قال هذا لان ماقد أبدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب ور بما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لاتأتون بخير مما أعلم أبدا والله لاصليت وراءك اليوم وانما أنكر ذلك عليه لان رسول الله ﷺ (٣) كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء

(١) حديث ابن مسعود انما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه (٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أوعصا الطبرانى من حديث البراء ونحوه فى يوم الأضحى

الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفى الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أوالى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أوحفظ أو امام متبع أوصحة ميز أوماشاكل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت فى الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك ان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب واذا نظرت فى كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء لكن يستغنى عنه فى الظاهر وله اليه كثير حاجة فى الباطن ولا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعانى أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات وكثير علم مالم يعبر عنه وأطمح بنظر قلبك فى كلامه

على قوس أو عصا لا على المنبر وفى الحديث المشهور (١) من أحدث فى ديننا ماليس منه فهو ردّ (٢) وفى خبر آخر من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وماغش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال رسول الله ﷺ (٣) ان لله عز وجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته * ومثال الجانى على الدين بابداع مايخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة الى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال ﷺ (٤) عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى و يرتفع اليه التالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى ـ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ـ وقال تعالى ـ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ـ فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة من اللعب واللهو وحكى عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء مانصيب منهم شيأ وقد أتعبونا فقال انكم لاتقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم أين شاؤا فان قلت من أين عرف قائل هذا ماقاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولاحدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوّة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة فاياك أن يكون حظك من هذا العلم انكار ماجاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لايطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى الى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لان كل انسان يخوض فيما أحب و يدفع مالا يوافق محبوبه ولذلك قال الله

ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب فى العيدين خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس الحديث (١) حديث من أحدث فى ديننا ماليس فيه فهو ردّ متفق عليه من حديث عائشة بلفظ فى أمرنا ماليس منه وعند أبى داود فيه (٢) حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله الحديث الدارقطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث ان لله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته لم أجد له أصلا (٤) حديث عليكم بالنمط الأوسط الحديث أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على علىّ بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا

الى غاية مايحتمل فذلك يعرفك قدره و يفتح باب قصده ولاتقطع له بصحة ولاتحكم عليه بفساد وليكن تحسين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك بما تتيقن من معانيه واذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ماتجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عورة ولو فى بعض مايأتى به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولىّ الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال فخذ ماظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى اياك فلاتذهل عنه

اسمع وصيتى ان تحفظ حظيت بها * وان تخالف فقد يردى بك الخلف

عز

عزوجل ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر و يتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وأن ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لايزال مستمرا عليه الى الموت واذ غلب هذا على أكثر الناس الامن عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كماسيأتى فى كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المرعشى ماظنك بمن بقى لايجد أحدا يذكرالله تعالى معه الا كان آثما أوكانت مذاكرته معصية وذلك انه لايجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لاتنفك عن غيبة أوسماع غيبة أوسكوت على منكر وان أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولوتأمل هذا المسكين وعلم أن افادته لاتخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم ان المستفيد انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هومعينا له على ذلك وردأوظهيرا ومهيئا لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتاعشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أومعترفا بالتقصير مع الاقرار به و إياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بان بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لاتغره الحياة الدنيا ولايغره بالله الغرور

﴿ الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه ﴾

﴿ بيان شرف العقل ﴾

اعلم أن هذا مما لايحتاج الى تكلف فى اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لايشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة أوكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل * ولذلك قال ﷺ (١) الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولالزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوّة وان كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد أن نورد ماوردت به الاخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقال سبحانه أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور * وقال ﷺ (٢) يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا

﴿ الباب السابع فى العقل ﴾

(١) حديث الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبومنصور الديلمى من حديث أبى رافع بسند ضعيف (٢) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المحبر أحد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث أبى هريرة وهو فى مسند الحرث بن أبى أسامة عن داود

ولى فى وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله و بأمره و بآياته مهتما بالخشية لله سبحانه والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والايثار لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار البدعة قد أخرس المتكلمين وأفحم المفرضين برهانه ساطع و بيانه قاطع وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة قد حمى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله و بأمره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد فى الدنيا والرغبة والحرص وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه

بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنىء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين * وقال ﷺ (١) أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه (٢) قال أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا فقال ﷺ كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال ﷺ ان الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم * وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٣) ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله * وقال ﷺ (٤) ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٥) لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * وعن عمر رضي الله عنه أنه قال (٦) لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل * وعن البراء بن عازب رضي الله عنه (٧) قال كثرت المسائل يوما على رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (٨) لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله ﷺ أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال ﷺ انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم * وعن البراء بن عازب أنه ﷺ (٩) قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الاوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين (٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا في الثناء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا (٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المحبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٤) حديث ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٥) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٦) حديث عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٧) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٨) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المحبر (٩) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا

عقولهم

مغتر بعد معرفته مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله والازدراء لاوليائه والاستخلاف بالجهال من عباده ونحره بلقاء أميره وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجب له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله في مثل هذا ضرب الله المثل حين قال واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فويل لمن صحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه ان أعطي من الدنيا رضي بالمدحة لمن أعطاه وان منع رش بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الارزاق وقدر الاقدار واجرى الاسباب وفرغ من الخلق كلهم

فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وانما زدتك هذه الزيادة وان ظهر لكثير أنها ليست من الغرض

عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله[1] بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون باعمالهم فقال ﷺ ياعائشة وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم و بقدر ماعملوا يجزون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ[2] لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المرء العقل ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة و بضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه و يذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه و يذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال ﷺ[3] ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فافلح وأنجح وقال ﷺ[4] أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

﴿ بيان حقيقة العقل وأقسامه ﴾

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالاول) الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحرث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق بينهما الا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة و يقال لافرق الا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيآت بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه

فى طاعة الله بالعقل الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث فى مسنده ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر (١) حديث عائشة قلت يارسول الله بأى شئ يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه (٢) حديث ابن عباس لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل الحديث ابن المحبر وعنه الحارث (٣) حديث ان أحب المؤمنين الى الله من نصب فى طاعة الله الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد آخر ضعيف (٤) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المحبر من حديث أبى قتادة

الذى نحن فيه فقصدى ان يعلم من ذهب من الناس ومن بقى ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم ان الصنفين الاولين من العلماء قد ذهبوا وان كان بقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولامدرك بالملاحظة

غاب الذين اذا ماحدثوا صدقوا * وظنهم كيقين ان هم حدسوا

وذلك لما سبق فى القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد نعم وعدم الصنف الثالث على غربته وأعز شئ على وجه الارض وفى الغالب مايقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وانما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من عمر الارض وصيروا أنفسهم أوتاد

الغريزة (الثانى) هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبى غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا (الرابع) أن تنتهى قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب مايقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان فالاول هو الأس والسنخ والمنبع والثانى هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثانى اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهى الغاية القصوى فالأولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله ﷺ [1] ماخلق الله عزوجل خلقا أكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله ﷺ [2] اذا تقرب الناس بأبواب البر والاعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لابى الدرداء رضى الله عنه [3] ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابى أنت وأمى وكيف لى بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأدّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عزوجل القرب والعز وعن سعيد بن المسيب [4] أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال ﷺ العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروأته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال ﷺ وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقى وان كان فى الدنيا خسيسا ذليلا قال ﷺ فى حديث آخر [5] انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا فى الاستعمال وانما أطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشئ بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها الا فى القسم الاول والصحيح وجودها بل هى الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة

(١) حديث ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث اذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم فى الحلية من حديث على اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب واسناده ضعيف (٣) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا الحديث قاله لأبى الدرداء ابن المحبر ومن طريقه الحارث بن أبى أسامة والترمذى الحكيم فى النوادر (٤) حديث ابن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأباهريرة دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن المحبر (٥) انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

وانتقاض أهل الارادة والدين مثل البهائم جهال بخالقهم لهم تصاوير لم يعرف لهن حجا كل يروم على مقدار حيلته * زوائر الأسد والنباحة اللهثا فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ماكانوا يعملون أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون أولو النفاق فان قلت اصدقوا كذبوا من السفاه وان قلت اكذبوا صدقوا (ولنأخذ) فى جواب ماسألت عنه على نحو مارغبت فيه واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة وهو ربى ورب كل شئ واليه المصير (ابتداء الاجوبة عن مراسم الاسئلة) جرى الرسم فى الاحياء بتقسيم التوحيد

ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشئ وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شئ جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى ـ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ـ فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال تعالى ـ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ معناه ان اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها ـ أي كل آدمي فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من أعرض فنسي وهم الكفار والى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل ـ لعلهم يتذكرون ـ وليتذكر أولو الألباب ـ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ـ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ـ وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه ٧ السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ـ ما كذب الفؤاد ما رأى ـ وقال تعالى ـ وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ـ الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى ـ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ـ وقال تعالى ـ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ـ وهذه الأمور التي كشف للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

﴿ بيان تفاوت النفوس في العقل ﴾

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشئ الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك

٧ (قوله يستروجه) من الرواج أي يكون السماع والتقليد انجح عنده فتأمل اهـ مصححه

على أربع مراتب تشبيها لموافقة الغرض في التمثيل به وذكرت أن المعترض وسوس أو بالخواطر هجس بأن لفظ التوحيد ينافي التقسيم اذ لا يخلو بأن يتعلق بوصف الواحد الذي ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك واما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمه اذا وجد فيهم فذلك أيضا لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقل وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا يتصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما الشرك والثاني الالباس وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل ايمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المرسلين وانما تختلف طرق ايمانهم التي هي علومهم ومذهبهم في ذلك معروف ونحن لا نلم في هذه الاجابة كلها بشئ

المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لاينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه إما تفاوتا في الغريزة وإما تفاوتا في الممارسة فاما الأول وهو الأصل أعني الغريز فالتفاوت فيه لاسبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لايزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عزوجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لاتظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لايفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بأدنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى ـ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ـ وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي ﷺ حيث قال (١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لايليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولاتظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لايبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لايفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لاينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى مايجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى مايحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى مالاينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت (٢) يار بنا هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عزوجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والاربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك * فان قلت فمابال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول * فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم

(١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف

(٢) حديث ابن سلام سئل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب

انكم

من أنحاء الجدال ومقابلة الأقوال بالأقوال بل بقصد ازالة غبر الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال (واعلم) أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على انحاء يتوجه ههنا بشيء قدح به المعترض أو هجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحائه ما تميز به بعض الاشخاص بما اختصت به من الاحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ماشرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمي أيضا موحدا على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيا والحنبلي حنبليا

انكم أخطأتم فى التسمية اذ كان ذلك لا يمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى و يعرف صدق رسله فكيف يتصوّر ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أوّلا وآخرا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول ﴾

﴿الفصل الأول﴾ فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الاسلام فنقول و بالله التوفيق الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف اياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله و بالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالابرار فى دار القرار واتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم (الحياة والقدرة) وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة

هل خلقت شيأ أعظم من العرش الحديث ابن الحبر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا

ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وسعى من أجله بشكوكه العارضة له فيسمى موحدا لانه عارف به يقال جدلى ونحوى وفقيه ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو (وأما) من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يجد فيه فضلا لغيره الا على طريق التبعية له ويكون شهود التوحيد لكل ما عداه سابقا له مع الذكر والفكر مصاحبا من غير أن يعتريه ذهول ولا نسيان له لا لاجل اشتغاله بغيره كالعادة فى سائر العلوم فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه (فأما) الصنف الاول وهم أرباب النطق المفرد فلا يضربون فى التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شئ من أحكام أهله فى الحياة الا مادام الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما يفرد القول عليه بعد هذا ان شاء الله عزوجل (وأما) الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى ﷺ

والجبر وتله السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم لايشذ عن قبضته مقدور ولايعزب عن قدرته تصاريف الامور لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الأرضين الى أعلى السموات وأنه عالم لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولافى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء و يدرك حركة الذر فى جو الهواء و يعلم السر وأخفى و يطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفا به فى أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلايجرى فى الملك والملكوت قليل أوكثير صغير أوكبير خير أوشر نفع أوضر ايمان أوكفر عرفان أونكر فوز أوخسران زيادة أونقصان طاعة أوعصيان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لايخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولافلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لاراد لأمره ولامعقب لقضائه ولامهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته الا بمشيئته وارادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وان ارادته قائمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى أزله لوجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله من غير تقدم ولاتأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولاتغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولاتربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شان (السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع و يرى لايعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولايغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولايحجب سمعه بعد ولايدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان و يسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب و يبطش بغير جارحة و يخلق بغير آلة اذ لاتشبه صفاته صفات الخلق كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لايشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أواصطكاك أجرام ولابحرف ينقطع باطباق شفة أوتحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لايقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والأوراق وأن موسى ﷺ سمع كلام الله بغير صوت ولاحرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولاعرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات (الافعال) وأنه سبحانه وتعالى لاموجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وانه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لايقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولايتصور الظلم من الله تعالى فانه لايصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ماسواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه انشاء بعد أن لم يكن شيأ اذ كان فى الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق فى الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لاعن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لاعن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب و يبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولوفعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولاظلما وأنه عزوجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لابحكم الاستحقاق واللزوم له اذ لايجب عليه لأحد فعل ولايتصور منه ظلم ولايجب لاحد عليه حق وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بايجابه على

ذلك واعتقدوه على الجلة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذى هو منهم و بمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم (وأما الصنف الثالث والرابع) فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربى ولا سريانى ولاعبرانى ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذى يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة

السنة أنبيائه عليهم السلام لابمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به (معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمى القرشى محمدا ﷺ برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع الا ماقرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهوقول لااله الاالله مالم تقترن بها شهادة الرسول وهوقولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وانه لايتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعدالموت وأوله سؤال منكر ونكير[1] وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك وهما[2] فتانا القبر[3] وسؤالهما أول فتنة بعدالموت وأن يؤمن[4] بعذاب القبر وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على مايشاء[5] وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عندالله بفضل الله وتطرح صحائف السيآت فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله[6] وأن يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم الى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون الى دار القرار[7] وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة اذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير وفى الصحيحين من حديث أنس أن العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث انهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبدالله بن عمر وأن رسول الله ﷺ ذكر فتانى القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث ان سؤالهما أول فتنة بعدالموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجاه من حديث عائشة انكم تفتنون أوتعذبون فى قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته ﷺ من عذاب القبر (٥) حديث الايمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طباق السموات والارض البيهقى فى البعث من حديث عمر قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لايذكر أحد أحدا عندالميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حى قدعلمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشئ ويوضع فى هذه الشئ فيرجح احداهما وتخف الاخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس واطلبنى عندالميزان ومن حديث عبدالله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبوسعيد ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث مايدل على أنه مرفوع (٧) حديث الايمان بالحوض وانه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس فى نزول انا أعطيناك الكوثر هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة بن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث

وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدرى من سماع أو رؤية قلب

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

فلو قرؤا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصريف له بالقدرة على حكم الارادة بما سبق فى ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا الى معرفة الكاتب الذى أحدث الأشياء وكونها ولايخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته ولا انتقلت الى الحرية عن رق استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فخلصت لهم التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها باذنه وايجاده عن غيره وعقلت انها علقت توحيده فسبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس فى وسعها أن تدركه الابه وهو اللطيف الخبير

و بعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه الى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٥) و يسأل المبتدعة عن السنة (٦) و يسأل المسلمين عن الاعمال وأن يؤمن (٧) باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد فى النار موحد وأن يؤمن (٨) بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وأن يعتقد فضل الصحابة

ابن عمر أمالكم حوض كما بين جرباء وأذرح (٧) وقال الطبرانى كما بينكم و بين جرباء وأذرح وهو الصواب وذكر الحوض فى الصحيح من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وعبدالله بن عمرو وحذيفة وأبى ذر وجابر بن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (١) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبدالله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٢) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٣) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش فى الحساب ومسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال يارسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله و بالموت و بالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى ـ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ـ قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب * ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا وفرج عبدالرحمن بن أبى بكر بين يديه الحديث (٤) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين * البخارى من حديث أبى سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث * ولابن ماجه يجىء النبى يوم القامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٥) حديث سؤال المبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشئ من القدر سئل عنه يوم القيامة * ومن حديث أبى هريرة مامن داع يدعو الى شئ الاوقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا اليه وان دعا رجل رجلا واسنادهما ضعيف (٦) حديث سؤال المسلمين عن الاعمال أصحاب السنن من حديث أبى هريرة ان أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتى فى الصلاة (٧) حديث اخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيأ ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله الا الله الحديث (٨) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ابن ماجه

لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجد الليه فيما لايزال وهم المقربون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم ان عرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون و بينهما تفاوت كثير (وأما طريق) معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لايخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الانحاء المذكورة عنده فأما من عدمت عنده فهو كافر ان كان فى زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها اليه أو فى فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلدا فى عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية فى الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التى اعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب

رضى الله عنهم وترتيبهم وأن (١) أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم (٢) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ وعليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته أنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿الفصل الثانى﴾ فى وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد * اعلم أن ماذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم الى الصبي فى أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لايزال ينكشف له معناه فى كبره شيأ فشيأ فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه فى أول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف فى الابتداء على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقى اليه فلابد من تقويته واثباته فى نفس الصبي والعامى حتى يترسخ ولايتزلزل وليس الطريق فى تقويته واثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلايزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان مايشوشه الجدل أكثر مما يمهده ومايفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لاتحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لافرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شئ والاستدلال بالنظر شئ آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق اذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وان

من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم فى العلم * وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأخرجوه وفى رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (١) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس فى زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبى داود كنا نقول ورسول الله ﷺ حى أفضل أمة النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبي ﷺ ولاينكره (٢) حديث احسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين

من البلوغ فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التى أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهرا لصحة اذ هو دائر بين النفى والاثبات ومحصور بين المبادى والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الاولى فى شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هم من أهله الا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لابد من الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول ﷺ ثم لم يعتقدوا معنى مانطقوا به لما لم يعلموه لايتصورن صحته ولافساده ولاصدقه ولا كذبه

أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم مايلزمهم من الاعتقاد والعمل ومابعدذلك فان التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيأ من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ماعلموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يتطلع منه على مايغيرعنه بعض ملاذه من الاطعمة والاشربة والانكحة أو كثيرمنها فيحتاج الى أن يتركها أو يرتكبها على رقبه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا مثل هذا الصنف عن

أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل اذ قال ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ـ وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه ﴿ مسئلة ﴾ فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب اليه فاعلم أن الناس في هذا غلوا واسرافا في أطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله عزوجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية أو على الاعيان وانه أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى والى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشئ من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شئ ماظننته قط ولأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام * وحكى الكرابيسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شئ من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس مافي الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فأشهد بانه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحرث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال له ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة وقال مالك رحمه الله أرأيت ان جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والاهواء فقال بعض أصحابه في تأويله انه أراد بأهل الاهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الاهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر مانقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ماسكت عنه الصحابة مع انهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي ﷺ (١) هلك المتنطعون هلك المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم مايأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه

من حديث أبي سعيد لاتسبوا أصحابي * وللطبراني من حديث ابن مسعود اذا ذكر أصحابي فأمسكوا

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

معنى مانطقوا به وهل اعتقدوه فيقولون لانعلم فيه مايعتقد ومادهانا

فقد

(١) فقد علمهم الاستنجاء (٢) وندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم (٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان قالوا ان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد أحدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع الى جميع الاسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى ـ قل هاتوا برهانكم ـ وقال عز وجل ـ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ـ وقال تعالى ـ قل هل عندكم من سلطان بهذا ـ أي حجة وبرهان وقال تعالى ـ قل فلله الحجة البالغة ـ وقال تعالى ـ ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر ـ اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل ـ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ـ وقال تعالى ـ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ـ وقال تعالى في قصة فرعون ـ وما رب العالمين ـ الى قوله ـ أولو جئتك بشيء مبين ـ وعلى الجملة فالقرآن من أوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى ـ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ـ وفي النبوة ـ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ـ وفي البعث ـ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ـ الى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى ـ وجادلهم بالتي هي أحسن ـ فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا

(١) حديث أن النبي ﷺ علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٢) حديث ندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذي من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت (٣) حديث نهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا تقدم في العلم

النطق الا مساعدة الجماهير وانخراطا باظهار القول في الجم الغفير ولا تعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر ﷺ عن حاله بمسئلة الملكين أحدهم في القبر اذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقولان له لا دريت ولا تليت وسماه النبي ﷺ الشاك والمرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الاله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه فحرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه ﷺ في ذلك ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة الا

يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما علمتم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين * فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن اطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشئ قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات الى أغلب الأحوال فان تصدى شئ تقابلت فيه الأحوال فالاولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شئ واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة * وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي

اعتقدوها

الزنادقة * والصنف الثالث أطلقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم أسروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا الى أهل الالحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد وما نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل اليهم أحد منا خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقرار بهما فقالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق فأمروا أن يظهروا الرضا ويفهموا بلا مهلة فسكنوا الى

اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا و يزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى الى الحق باللطف لا بالتعصب و بالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع في شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل انما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه منها الا دواء الجدل فجاز أن يلقى اليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة و يتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان أقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه و ينتظر قضاء الله تعالى فيه الى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الاكوان وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام

ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها فاخترم أحدهم من حينه من قبل أن يأتي منه استفهام أو تصور يمكن أن يكون له معه معتقد فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا الى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعني المخترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي ﷺ في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى فرغت

وازالة الشكوك اذا عرضت * والثانيـة الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليـه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه * والثالثـة أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذى بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون مايفسده مثل هـذا المتعلم أكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام انما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله فى الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعى وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيـه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه وان مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج ومانقل عن على رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجـة وذلك محمود فى كل حال نعم قد تختلف الاعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ماهى عليه وادراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله ﴿مسئلة﴾ فان قلت هذا الكلام يشير الى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شئ من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيأ وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال ﷺ (١) ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال على رضى الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال ﷺ (٢) نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ﷺ (٣) ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى ـ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون ـ وقال ﷺ (٤) ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله تعالى الحديث الى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم وقال ﷺ (٥) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعرى ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن ادراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ـ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن ـ لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم وقال ﷺ (٦) مافضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره رضى الله عنه

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٣) حديث ماحدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٤) حديث ان من العلم كهيئة المكنون الحديث تقدم فى العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٦) حديث مافضلكم

الجنة ويكون فى أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجل والحديث يطول وهو صحيح واعا اختصرت منـه قدر الحاجة على المعنى * وحكم الصنف الاول والثانى والثالث أجمعين أن لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صائرون الى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

﴿فصل﴾ ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع به فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة الامدة حياته عن السيف أن يراق دمه واليدان تسلط على ماله

ولاشك فى أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التسترى رضى الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لأهله وعلم هو بينه و بين الله تعالى لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لاتناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة ﴿مسئلة﴾ فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لايناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحدا فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما و ينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل الى أن ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب و باطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلابد من كلام وجيز فى حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان بل الأسرار التى يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون فى علمها و يمتنعون عن إفشائها اليهم ترجع الى خمسة أقسام القسم الاول أن يكون الشئ فى نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح (١) وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله ﷺ فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وان لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شئ لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل * و بالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر الا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحويمه

أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم فى العلم

(١) حديث كف رسول الله ﷺ عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبى ﷺ فلم يرد عليهم شيأ الحديث

مجالس الطعام ولا تشتهيه النفوس الامادام منطويا على مطعمه صونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشئ ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الاخفاء فى صحته والغرض بالتمثيل تقريب ماغمض الى نفس الطالب وتسهيل مااعتاص على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق الممثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه

﴿فصل﴾ فان قلت فالذى صد هؤلاء الاصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله وهم فى الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفى الذى منعهم

على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال ﷺ(١) لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى انى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصدّيق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته * ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الاقسام ما تكل الافهام عن ادراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله ﷺ(٢) ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره * القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم اذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا اذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الأمد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم ﴿القسم الثالث﴾ أن يكون الشئ بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ومنه قوله ﷺ(٣) ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير

(١) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك فى سجوده (٢) حديث ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله و بين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور واسناده ضعيف * وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله ﷺ لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى و بينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولابن ماجه شئ أدركه بصره (٣) حديث ان المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجد له أصلا

يخاف من التوغل فيها ان يخرج من المقصد ولكن لابد اذا وقع فى الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاقت الى سماع الجواب عنه أن نورد فى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته نعم ماسبق فى العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه السلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده وأعدها لان تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشى انواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهيأها لتحصيل المعرفة به فى كان فيها شئ من

له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة وكذلك قوله ﷺ (١) أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء و بين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله ﷺ (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى وكنى بالأصابع عن القدرة لان ذلك أعظم وقعا فى تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى ـ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ـ فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشئ قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ الآية وان معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الاودية هى القلوب وان بعضها احتملت شيأ كثيرا و بعضها قليلا و بعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وان ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث وفى هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر ﴿ القسم الرابع ﴾ أن يدرك الانسان الشئ جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان و يكون الأول كالقشر والثانى كاللباب والأول كالظاهر والثانى كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وادراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثانى عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة و بين علم الصحيح بها ففى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شئ منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه و يكمله كما يتمم اللب القشر والسلام ﴿ القسم الخامس ﴾ أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر و يعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ـ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ فالبليد يفتقر فى فهمه الى أن يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى ـ وان من شئ الا يسبح بحمده ـ فالبليد يفتقر فيه الى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو

تلك الاخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شئ من الخير من قبله اذ هى الوسائط بين الله تعالى و بين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والموصلون اليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق المذمومة التى جلت فيهم وهى التى ذم الكلب لاجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به و يكون معها لخفيها حات حل الخير فى ذلك القلب بحلولها وانما هى لها خفيها وجدت قلبا خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على الملائكة ما زحمها عنه من تلك الاخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم فى مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الايمان بالله

به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال * وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد * وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك مامن شئ الا وهو محتاج فى نفسه الى موجد يوجده و يبقيه ويديم أوصافه و يردده فى أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذووالبصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ـ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ وأما القاصرون فلايفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلايفقهون كنهه وكماله اذلكل شئ شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله و بصيرته وتعداد تلك الشهادات لايليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفى هذا المقام لأرباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى ـ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ـ وقوله تعالى ـ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ـ وكذلك المخاطبات التى تجرى من منكر ونكير وفى الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم ـ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ـ زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله ـ كن فيكون ـ وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول انه حسم باب التأويل الا لثلاثة ألفاظ قوله ﷺ (١) الحجر الاسود يمين الله فى أرضه وقوله ﷺ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله ﷺ (٢) انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد اذ حد ماجاوز الاقتصاد لاينضبط فلا بأس بهذا الزجر و يشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل مايتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا مايتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الاجساد و بالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة و بالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود و يذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد فى الآخرة وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون امامعذبة وامامنعمة بعذاب ونعيم لايدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله و بين جمود الحنابلة دقيق غامض لايطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور إلهى لابالسماع ثم اذا انكشفت لهم أسرار الامور على ماهى عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ماشاهدوه بنور اليقين قرروه وماخالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلايستقر له فيها قدم ولايتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الامور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وانه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة

(١) حديث الحجر يمين الله فى الارض الحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو (٢) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات

والصلاح وضروب المعارف النافعة عندالله عزوجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذى هومتاع الملك و يثبت فيه خلقا مذموما لايوجد الا فى الكلب وهومتاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى (فان قلت) فميز لى أصناف هذه الاخلاق المذمومة التى صدت هؤلاء الاصناف المذكورين عن اعتقاد الايمان ونفرت الملائكة عن النزول الى قلوبهم بكشف معانى التوحيد ومنعهم من الحلول بها حتى لم ينالوا شيأ من الخيرات الكائن معها فاعلم أن الاخلاق التى

أمور كثيرة واذا رأين أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الاولى الااذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ماحررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

﴿الفصل الثالث﴾ من كتاب قواعد العقائد فى لوامع الادلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسى بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لااله الاالله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا أن كلمتى الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الايمان على هذه الاركان وهى أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول * الركن الاول فى معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولاجسم ولاعرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولامستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد * الركن الثانى فى صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والارادة * الركن الثالث فى أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهى أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأن له تعالى تكليف مالايطاق وأن له ايلام البرىء ولايجب عليه رعاية الاصلح وأنه لاواجب الابالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات * الركن الرابع فى السمعيات ومداره على عشرة أصول وهى اثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الامامة وان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الامامة

﴿ فأما الركن الاول من أركان الايمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿ الاصل الاول ﴾ معرفة وجوده تعالى وأول مايستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ـ ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ـ وقال تعالى ـ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس * وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ـ وقال تعالى ـ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ـ وقال تعالى ـ أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون الى قوله للمقوين فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل اذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لايستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى ـ أفى الله شك فاطر السموات والارض ـ ولهذا بعث الانبياء

فان حقير (أما) الصنف الاول فانهم رجعوا وخافوا أن تبدو لهم صحة مايشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم مارغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ماهم عليه * وأما الصنف الثانى والثالث فصدهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم أن يزول ومؤانسة أشياعهم أن تتغير وتذهب ومواساة ايلافهم أن تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من أهل الايمان أن يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الاعمال والوظائف اذ يمتثلوا والكلب مأذم لصورته وانما ذم بهذه الاخلاق التى هى الطمع فى الخسائس والجزع من الصبر على مايعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل اذا

صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لااله الا الله وما أمروا أن يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم ولذا قال الله عزوجل ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ـ وقال تعالى ـ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن مايغنى عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول ان الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لايستغنى فى حدوثه عن سبب أما قولنا ان الحادث لايستغنى فى حدوثه عن سبب فجلى فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ماقبله ومابعده يفتقر بالضرورة الى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لاتخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان ومالايخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى * الاولى قولنا ان الأجسام لاتخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلايحتاج فيها الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لاساكنا ولامتحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا * الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ماشوهد منها ومالم يشاهد فمامن ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته ومامن متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لوثبت قدمه لاستحال عدمه على ماسيأتى بيانه وبرهانه فى اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس * الثالثة قولنا مالايخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لولم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بجملتها لاتنتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء مالانهاية له محال ولانه لوكان للفلك دورات لانهاية لها لكان لايخلو عددها عن أن تكون شفعا أووترا أوشفعا ووترا جميعا أولاشفعا ولا وترا ومحال أن تكون شفعا ووترا جميعا أولاشفعا ولاوترا فان ذلك جمع بين النفى والاثبات اذفى اثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما اثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعوز مالانهاية له واحد ومحال أن يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لانهاية لاعدادها ومحال أن يكون لاشفعا ولاوترا اذ له نهاية فتحصل من هذا أن العالم لايخلو عن الحوادث ومالايخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة ﴿ الاصل الثانى ﴾ العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شئ وقبل كل ميت وحى * وبرهانه أنه لوكان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى مالانهاية ومايتسلسل لم يتحصل أو ينتهى الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه ﴿ الاصل الثالث ﴾ العلم بانه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ماثبت قدمه استحال عدمه * وبرهانه أنه لوانعدم لكان لايخلو اما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولوجاز أن ينعدم شئ يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شئ يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لوكان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث ﴿ الاصل الرابع ﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولايخلو من أن يكون ساكنا فيه أومتحركا عنه فلايخلو عن الحركة أوالسكون وهما حادثان ومالايخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا

عادية وسباع ضارية وأصناف الخير انما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهى لاتدخل موضعا يحل فيه شئ مما ذكرنا واذا لم تدخل لم يصل الى الخير الذى يكون معها ولم تصل اليه فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له الى الايمان على هذا المفهوم فاعلم ان هذا يستدعى أصنافا من علم القلوب ولاسبيل الى ذلك فى مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى فى جواب ماسألت عنه ان للشيطان غفلات وللاخلاق المذمومة عدمات كما أن الملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعاميك قلبا خاليا ولوزمنا مافر ودخل فيه وأراه ماعنده من الخير فان صادف منه قبولا

من

ولما عرض عليه من الخير تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملأ و يستغرق لبه وان صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين

من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ﴿الأصل الخامس﴾ العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر أو لشئ آخر من أقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا فى الاسم مع الاصابة فى نفى معنى الجسم ﴿الأصل السادس﴾ العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل لان العرض ما يحل فى الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة و يكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا فى الجسم وقد كان موجودا فى الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتى بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذا لا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿الأصل السابع﴾ العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق واما أسفل وإما يمين واما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الارض و يسمى رجلا والآخر يقابله و يسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل حتى ان النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وان كان فى حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما أقوى من الاخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما و يتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان فى الازل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه و يتعالى عن أن يكون له فوق اذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت اذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر و يتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه أيضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ﴿الأصل الثامن﴾ العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذى أريد بالاستواء الى السماء حيث قال فى القرآن ـ ثم استوى الى السماء وهى دخان ـ وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن الى تأويل قوله تعالى ـ وهو معكم أينما كنتم ـ اذ حمل ذلك

استغاثة بالاخلاق الكلابية استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو نزغة شيطان (فان قلت) فأى بيت فهم عن النبى ﷺ فى الخطاب وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجلته ان المقصود بالاخبار هو بيت اللبن وكلب الحيوان معلوم ولا يبتك فى ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه و يستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه و يتخطى منه الى ما أشرنا لك نحوه ولا ننكر فى ذلك اذا دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستضاءة ولم

تصادم به شيأ من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب

بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله ﷺ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الاسود يمين الله في أرضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال ﴿الاصل التاسع﴾ العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ـ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ـ ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عزوجل ـ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ـ ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام ـ لن تراني ـ وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونه محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر فهو انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك ﴿الأصل العاشر﴾ العلم بان الله عزوجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى ـ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ـ وبيانه انه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

﴿الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الاصل الاول﴾ العلم بان صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله ـ وهو على كل شئ قدير ـ صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الغباوة والجهل ﴿الاصل الثاني﴾ العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء صادق في قوله ـ وهو بكل شئ عليم ـ ومرشد الى صدقه بقوله تعالى ـ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ أرشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم بانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشئ الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف ﴿الاصل الثالث﴾ العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات ﴿الاصل الرابع﴾ العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه ﴿الاصل الخامس﴾ العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع

وكيف

فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه الى ما في معناه ومشابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها اليه ولولا ذلك لما قال النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع وحامل فقه الى من هو أفقه منه (سؤال) فان قلت فقد قال النبي ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة وعلم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه الى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه الى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منبها عليه وهو ان الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عزوجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضي بذلك ونقص ادراك من دان به حين قال مخبرا

وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته أوكيف تستقيم حجة ابراهيم ﷺ على أبيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ـ وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن اذ لا فرق بينهما ﴿الاصل السادس﴾ أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شئ وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والارض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروأ بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق ﴿الأصل السابع﴾ أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير ويبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل ـ اخلع نعليك ـ بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم ﴿الأصل الثامن﴾ ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى ﴿الأصل التاسع﴾ ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة أخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر

بيت فيه صورة لاجل أن فيه ما عبد من دون الله سبحانه أو ما حكى به ما هو على مثاله ويترقى من ذلك المعنى الى ان القلب الذى هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فاذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا (فان قيل) فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا ينبغي أن لا يقتضي الا منافرة ما عبد أو ما نحت على مثاله (قلنا) تشابهت الصور المنحوتة كلها في المعنى الذى قصد بها التصوير لاجله وهو مضارعة ذي الأرواح وما نحت للعبادة انما قصد به تشبيه ذي روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة

الى أخرى و يتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز أن يحدث ارادة بغير ارادة لجاز أن يحدث العالم بغير ارادة

﴿ الاصل العاشر ﴾ ان الله تعالى عالم بعلم حى بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع و بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصوّر قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصوّر قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصوّر عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوّز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف

﴿ الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿ الاصل الاوّل ﴾ العلم بان كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له فى قوله تعالى ــ الله خالق كل شئ ــ وفى قوله تعالى ــ والله خلقكم وما تعملون ــ وفى قوله تعالى ــ وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ــ أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهى متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أوكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع و يصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات ﴿ الاصل الثانى ﴾ أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خالق القدرة والمقدور جميعا وخالق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أوكيف يكون خالقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا و بقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى فى الازل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها ﴿ الاصل الثالث ﴾ ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته و بارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء و يهدى من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون و يدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها و يدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هى جارية على وفق ارادة العدوّ ابليس لعنه الله مع أنه عدوّ لله سبحانه والجارى على وفق ارادة العدوّ أكثر من الجارى على وفق ارادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستمر لعدوّ الزعيم

الثوب الذى رقت فيه (فان قيل) فما بال الثياب رخص فى محاكاتها بالتصوير وذات أنواط فى العرب مشهورة معلومة * فاعلم ان ذات أنواط انما كانت شجرة فى أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما فى السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لاجل اجتماعها عندها وراحتها فى ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والأصنام ولو كان ذلك ماسأل أصحاب رسول الله ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبى ﷺ ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر و بعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلىّ رضى الله عنه ولم يعبدوا مانحت على شكل النبات

في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد و يأمر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد اظهار حجته بان يأمر العبد بفعل و يخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريد الامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال ﴿الأصل الرابع﴾ ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت واما أن يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال وهو أن يصير العلم جهلا فان أراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرضه للضرر وان أراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم وان أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلايا و يعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب ﴿الاصل الخامس﴾ أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ولان الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان أباجهل لا يصدقه ثم أمره بان يأمره بان يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده ﴿الاصل السادس﴾ ان الله عزوجل ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما و يدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة * فان قيل ان الله تعالى يحشرها و يجازيها على قدر ماقاسته من الآلام و يجب ذلك على الله سبحانه * فنقول من زعم أنه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وان أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب ﴿الأصل السابع﴾ أنه تعالى يفعل بعباده مايشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شئ بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه في مسئلة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي و بين بالغ ماتا مسلمين فان الله سبحانه يزيد في درجات البالغ و يفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ و يجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عزوجل وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى و يقولون يارب أما علمت اننا اذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك

وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالادلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروه في أنفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طباعهم واعتياص طرق ذلك عليهم و يقع عليهم اسم الموحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضي الله عنهم ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد اسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ماهم عليه وهؤلاء

وهل يجب عند هذا الا القطع بأن الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال * فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لايليق بالحكمة * قلنا القبيح مالا يوافق الغرض حتى أنه قد يكون الشئ قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه و يستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصوّر منه قبيح كما لا يتصوّر منه ظلم اذ لا يتصوّر منه التصرف فى ملك الغير وان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق ارادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح وانما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى ﴿ الأصل الثامن ﴾ أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان أوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما أن يرجع الى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان واما أن يرجع ذلك الى غرض العبد وهو أيضا محال لانه لا غرض له فى الحال بل يتعب به و ينصرف عن الشهوات لسببه وليس فى المآل الا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان اذ ليس له الى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لماله من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر * فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبى ان العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى الا بالنظر ولست أقدم على النظر أدّى ذلك الى افحام الرسول ﷺ قلنا هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورائى ولا ألتفت ورائى ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد فكذلك النبى ﷺ يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا الى صدقى بالالتفات الى معجزتى والا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم أجمعون وانما على البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا أن فى تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدى الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة ﴿ الأصل التاسع ﴾ أنه ليس يستحيل بعثة الانبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة فى بعثتهم اذ فى العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدى الى الافعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الأنبياء كحاجتهم الى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة و يعرف صدق النبى بالمعجزة ﴿ الأصل العاشر ﴾ ان الله سبحانه قد أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع

غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله عز وجل * والصنف الثانى اعتقدوا الحق مع ماظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام فى مخيلتها أنها أدلة وظنها براهين وليست كذلك وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار اليه فضلا عمن دونهم فان وقع الى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح و يبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا لما يأتى به و يترفعوا الى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك المخاييل

اليهود والنصارى والصابئين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة (١) كانشقاق القمر (٢) وتسبيح الحصى (٣) وانطاق العجماء وما انفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التى تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا السبيه ونهبه وقتله واخراجه كما أخبر الله عزوجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن اذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الاولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال كقوله تعالى ـ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين ـ وكقوله تعالى ـ ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ـ ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فهما كان مقرونا بتحدى النبى ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

﴿ الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول ﴾

﴿ الأصل الاول ﴾ (٤) الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه فى العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى ـ قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ـ فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عزوجل ـ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ـ والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول ﴿ الأصل الثانى ﴾ (٥) سؤال منكر ونكير وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعى الاعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذى به فهم الخطاب وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله ﷺ (٦) يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه ﴿ الأصل الثالث ﴾ (٧) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى ـ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ـ واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسبيح الحصا البيهقى فى دلائل النبوة من حديث أبى ذر وقال صالح بن أبى الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بنى سليم لم يسم عن أبى ذر (٣) حديث انطاق العجماء أحمد والبيهقى باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا الى النبى ﷺ أهله وقد ورد فى كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس انكم لمحشورون الى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبى هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى ﷺ أفتنا فى بيت المقدس أرض المحشر والمنشر الحديث واسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله ﷺ يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى قلت وهذا هو الاغلب والافقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم (٧) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبى هريرة وعائشة وقد تقدم

من يكون دليله خبراله ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمرى انهم ينبغى اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا فى شئ من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون اذا تقبح الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ فى نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا فى تكفير مسلم وتضليله بل هنالك أسباب كثيرة واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب فى أكلتها لم يقنع بدونها واذا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همته الى ما هو أعلى من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وانما يهلك من لا يبلغه ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة بما جاء بضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل

على اعادة الادراك اليها ﴿الأصل الرابع﴾ الميزان وهو حق قال الله تعالى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ـ وقال تعالى ـ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه ـ الآية ووجهه ان الله تعالى يحدث فى صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب ﴿الأصل الخامس﴾ الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى ـ فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون ـ وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير فى الهواء قادر على أن يسير الانسان على الصراط ﴿الأصل السادس﴾ أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ـ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ـ فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لااستحالة فيه ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى ـ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ـ ﴿الأصل السابع﴾ أن الامام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصلا اذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن أبو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله ﷺ وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه الا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وماجرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامة اذ ظن على رضى الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب أمر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة على ذو تحصيل أصلا ﴿الاصل الثامن﴾ ان فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله ﷺ [1] وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وانما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الاحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ﴿الاصل التاسع﴾ أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله ﷺ [2] الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق ﴿الاصل العاشر﴾ أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان فى صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لانا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذى يبنى قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هى قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

(١) حديث الثناء على الصحابة تقدم

(٢) حديث الائمة من قريش النسائى من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير انهم أوثق رباطا من الاولين لان أولئك ان وقع اليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء فى الاغلب لا سبيل الى انحلال عقودهم اذ لا يرون أنفسهم انهم مقلدون وانما يظنون انهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا *والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا لعلموا ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا لادركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالقعود فى

﴿الفصل الرابع من قواعد العقائد﴾ فى الايمان والاسلام ومابينهما من الاتصال والانفصال ومايتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل ﴿مسئلة﴾ اختلفوا فى أن الاسلام هو الايمان أو غيره وان كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شئ واحد وقيل انهما شيآن لايتواصلان وقيل انهما شيآن ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد أورد أبو طالب المكى فى هذا كلاما شديد الأضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل مالا تحصيل له فنقول فى هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين فى اللغة و بحث عن المراد بهما فى اطلاق الشرع و بحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة والبحث الأول لغوى والثانى تفسيرى والثالث فقهى شرعى ﴿البحث الأول﴾ فى موجب اللغة والحق فيه أن الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى ـ وما أنت بمؤمن لنا ـ أى بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام فى القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الاسلام أعم والايمان أخص فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا ﴿البحث الثانى﴾ عن اطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل أما الترادف ففى قوله تعالى ـ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ـ ولم يكن باتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ـ ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ـ وقال ﷺ (١) بنى الاسلام على خمس (٢) وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس وأما الاختلاف فقوله تعالى ـ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ـ ومعناه استسلمنا فى الظاهر فأراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط و بالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفى حديث جبرائيل عليه السلام (٣) لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و بالبعث بعد الموت و بالحساب و بالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفى الحديث عن سعد أنه ﷺ (٤) أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال ﷺ أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله ﷺ وأما التداخل فما روى أيضا انه سئل (٥) فقيل أى الأعمال أفضل فقال ﷺ الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لان الايمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز

---

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس تدرون ما الايمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث فى فى الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم (٣) حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقى فى البعث وقد تقدم (٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجاه بنحوه (٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الاخير قال رجل يارسول الله أى الاسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

حضيض الجهل فهؤلاء فيهم اشكال عند كثير من الناس فى البديهة و يتردد فى حالهم النظر وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج الى تمهيد آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين فى العوام على الاطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن فنهم من لم ير أنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم انهم أطلقوا اسم الكفر عليهم ولعلك تقول ان مذهبهم المشهور ان المحل لايخلو عن الصفات الا الى ضدها فمن لم يحكم له بالايمان حكم عليه بالكفر كما ان من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات قلنا فلئن صح ذلك فى الصفات التى هى اعراض فقد لايصح فى الاوصاف التى هى أحكام الايمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الاعراض وانما ذكرت لك هذا فى معرض الشك فى شعوب ما نورد

في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى ـ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ـ وقوله ﷺ في حديث سعد أو مسلم لانه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسلمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الايمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل أي الاسلام أفضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادا فالاسم الاسلام ومطابقاله فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴿البحث الثالث﴾ عن الحكم الشرعي للاسلام والايمان حكمان أخروي ودنيوي * أما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله ﷺ (١) يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قائل انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة * والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره * الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب المكي العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ اذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ (٢) لا يكفر أحد الا بعد جحوده لما أقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في

---

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجاه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه الحديث ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان لفظ البخاري منهما وله تعليقا من حديث أنس يخرج من النار من قال لا إله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان (٢) حديث لا تكفروا أحدا الا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الايمان الا بجحود ما دخل فيه واسناده ضعيف

على ذلك ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة في صحة الايمان وانما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألموا بقول من جعل المعارف كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا انما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لانهم اذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الالفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار الى المحدث بعد لاعتقدوا وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك * واعلم

استحقاق

استحقاق الجنة به وان قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فاضبط تلك المدة وماعدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وماعدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر أصلا * الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه و بين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال ﷺ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق * الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب و يساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلابد أن يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لامستند الا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان عبارة عن التصديق بالقلب * وقد قال ﷺ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمتا الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم * الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به انه ماقاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه وانما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه و بين الله تعالى وذلك بان يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي و يقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني و بين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه اعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا و باطنا و يحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره و باطنه ظاهر له في نفسه بينه و بين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث و يلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله ﷺ طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو مايشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم * فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وماحجة بطلان قولهم * فاقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل ـ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ـ ولقوله عز وجل ـ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون الآية ولقوله تعالى ـ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ـ الى قوله ـ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ـ فقوله كلما ألقي فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذبا ولقوله تعالى ـ لا يصلاها الا الأشقى الذي كذب وتولى ـ وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ـ فالايمان رأس الحسنات ولقوله تعالى ـ والله يحب المحسنين ـ وقال تعالى ـ انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ـ ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث

مواضع العلوم والافهام اذا نبهوا عليها وتلطف بهم في تفهيمها بالزوال الى ما ألفوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا الى الفيئة ومثال هذا كمن نسي شيأ كان معه أو انسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لاجل غيبته ثم رآه بعد ذلك فذكر فانه يقال بدا لانه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ماوجد عدم الانكار وسرعة الالفة عنه وطائفة من المتكلمين أيضا أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وانما غرضنا تبعيد ماشاعه في الاحياء أهل الغلول والاغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد

ذكر الايمان فى هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل اذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله ﷺ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ـ ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ـ وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ـ ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم ـ وقال تعالى ـ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ـ فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة[1] بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى ـ وان منكم الا واردها ـ كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى ـ لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى ـ أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالاشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى ـ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ـ أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الألفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها * وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى ـ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ وقوله تعالى ـ والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وقوله تعالى ـ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ـ ثم قال ـ ثم ننجى الذين اتقوا ـ وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم ـ وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالايمان وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ـ وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ـ و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ فينبغى أن تبقى له مشيئته فى مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقوله تعالى ـ انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ـ وقوله تعالى ـ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ـ فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ـ أى لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب * فان قلت فقد مال الاختيار الى أن الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه و بقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال ﷺ[2] لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية ﴿مسئلة﴾ فان قلت فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد و ينقص يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان * فاقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فاذكروه حق وانما الشأن فى فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشئ لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان * فان قلت فالاشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد و ينقص وهو خصلة واحدة * فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث و يأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث (٢) حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبى هريرة

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ماجرى فلتعلم أن مامنهم صنف الاوله على التقريب ثلاثة أحوال لايستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقار الضرورى فاصنى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه فى الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق * الحالة الثانية أن لا يعتقدوا الا بعض الاركان مما فيه خلاف اذا نفر ولم ننصف اليه فى اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقدانه موجود حى لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا ينعقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذى يعتقده من الاركان الثلاثة

يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الاولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف ايمان أو اسلام وسواء في ذلك الصنف الأوّل والثاني من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه * وأما أهل الحالة الثانية وهي الاقتصار على الوجود المفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التي للكمال والجلال وأركانهما فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم في صورة المسئلة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود

ثلاثة أوجه * الاول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالاوّل ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى ـ فزادتهم ايمانا ـ وقال تعالى ـ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال ﷺ فيما يروى في بعض الاخبار (١) الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى ـ كلا بل ران على قلوبهم ـ الآية ﴿الاطلاق الثاني﴾ أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال ﷺ (٢) الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا الى أنه يؤثر فيه ﴿الاطلاق الثالث﴾ أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس الى أن الاثنين أكثر من الواحد

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون بابا وذكر بعد هذا فزاد فيه أدناها اماطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه

كطمأنينتها الى أن العالم مصنوع حادث وان كان لاشك فى واحد منهما فان اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر فى جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفى الاخبار أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى بعض المواضع فى خبر آخر (١) مثقال دينار فأى معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما فى القلب لا يتفاوت ﴿ مسئلة ﴾ فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك فى الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثورى رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثنى يا أبا سعيد فى الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا أقبلت لك عملا فأنا أعمل فى غير معمل وقال ابراهيم بن أدهم اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك فى الايمان وسؤالك اياى بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو ان شاء الله وقال الثورى نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناآت فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان الى الشك لا فى أصل الايمان ولكن فى خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان الى الشك * الوجه الأول الذى لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا انفسكم - وقال - ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا فى معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء * الوجه الثانى التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال تعالى - ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله ﷺ فى كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال ﷺ (٢) لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة وكذلك العدول الى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الامر * الوجه الثالث مستنده الشك

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبى سعيد وسيأتى فى ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبى هريرة

الله عز وجل وأظهر الاقرار بنبيه ﷺ من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عز وجل هل له ارادة أو بقاء أو كلام أو ما شاكل ذلك وهل له صفات معنوية ليست هى هو ولا هى غيره بما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه ما يخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الاقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبى ﷺ قد رفع القتال والقتل وأوجب حكم الايمان أو الاسلام لمن قال لا إله إلا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضى أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة فى الظاهر وعلى البديهة من غير نظر ثم سمعنا عمن قالها فى صدر الاسلام انه لم يعلم بعدها الافرائض

ومعناه أنا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك فى كمال الايمان لا فى أصله وكل انسان شاك فى كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك فى كمال الايمان حق من وجهين * أحدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه * والثانى انه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى ـ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ـ فيكون الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ـ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ـ فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى ـ أولئك الذين صدقوا ـ وقد قال تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ وقال تعالى ـ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ـ الآية وقد قال تعالى ـ هم درجات عند الله ـ وقال ﷺ (١) الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال ﷺ الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله ﷺ (٢) أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى (٣) القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام (٤) اكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى حديث (٥) الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه (٦) كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا الى أن يموت وانى لاسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى ﷺ فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى انه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أوغيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الارض بأقدامنا (٧) وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ وقال ﷺ من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة وقال أيضا ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم انى برىء من النفاق أحب الى من تلاع الارض

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم (٢) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا الحديث أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله ﷺ الحديث البخارى الا أنه قال شر بدل أكثر (٧) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

ولا هل الله تعالى عالم بعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أو باق بنفسه وأشباه هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذا الا معاند أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بان من قال لا اله الا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال فى مواطن أخرى الا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها نعم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا

ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول الله ﷺ (١) كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده و بين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هوهذا الرجل الذى وصفناه فقال ﷺ أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبى ﷺ نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال ﷺ فى دعائه (٢) اللهم انى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال ومايؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه ـ و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات وقال سرى السقطى لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وانه لايؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين وقال أبوسليمان الدارانى سمعت من بعض الأمراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين و يلحق بالكافرين و يسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين و يحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لايخلو عنها الا الصديقون ﴿ الوجه الرابع ﴾ وهو أيضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لايدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر فى اثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء أكثر الخائفين لاجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التى لاتظهر الا بظهور المقضى به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة ور بما يظهر فى الحال ماسبقت الكلمة بنقيضه فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل فى معنى قوله تعالى ـ وجاءت سكرة الموت بالحق ـ أى بالسابقة يعنى أظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله مامن أحد يأمن أن يسلب ايمانه الاسلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لانى لا أدرى مايعرض لقلبى من التغير عن التوحيد الى باب

(١) حديث كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٢) حديث اللهم انى أستغفرك لما علمت ومالم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم انى أعوذبك من شر ماعملت ومن شر مالم أعمل ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل وشر ما أعلم وشر مالا أعلم

النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفى مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت تسمع عن الله عزوجل يقول فى الآخرة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وذكر من المثقال الى الذرة والخردلة من الايمان الى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لان التقدير وقع فى الايمان لافى الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الأركان اذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أوكلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وانهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبداله أنه تسبب الى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها

الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني و بينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفى الحديث[١] من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل فى قوله تعالى ـ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ـ صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك ـ وقد قال تعالى ـ ولله عاقبة الامور ـ فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد أن يسئل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الايمان وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿ كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة وصلى الله على النبى محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا و بين كل آفة (أما بعد) فقد قال النبى ﷺ[٢] بنى الدين على النظافة وقال ﷺ[٣] مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ وقال النبى ﷺ[٤] الطهور نصف الايمان قال الله تعالى ـ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم ـ فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء والقائه وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الاولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ لانهما لا يجتمعان فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبرانى فى الاوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم تقدم والشطر الاوّل روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ من قال أنا فى الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

﴿ كتاب الطهارة ﴾

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٣) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث علىّ قال الترمذى هذا أصح شئ فى هذا الباب وأحسن (٤) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الاشعرى بلفظ شطر كما فى الاحياء

ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الايمان عنهم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم يعرضوا على الاستتابة ان كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فاذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا اليه فلنرجع الى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهى اعتقاد البدعة فى الصفات أو بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا واسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن ايصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم فى العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدايم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم فى الدنيا وزجرهم عنه ان أظهروا المنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل

بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاوّل وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الامر يدرك بالمنى و ينال بالهوينى نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها و يستقصى فى مجاريها و يستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم باخمص أقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد و يمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لايجعل بينه و بين الارض حاجزا فى مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة[1] كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضى الله عنه[2] ما كنا نعرف الاشنان فى عصر رسول الله ﷺ وانما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا اذا أكلنا الغمر مسحنا بها و يقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله ﷺ أربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة فى النعلين أفضل لان رسول الله ﷺ[3] لما نزع نعليه فى صلاته باخبار جبرائيل عليه السلام له ان بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال ﷺ لم خلعتم نعالكم وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم فى هذه الامور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة و يجلسون عليها و يصلون فى المساجد على الارض و يأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أومشى على الارض حافيا أوصلى على الارض أوعلى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أومشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أوتوضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء الحديث ه من حديث عبدالله بن الحرث بن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله ﷺ وانما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٣) حديث خلع نعليه فى الصلاة اذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة د ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى

والهالك من خلقه والمطيع والعاصى من عباده هكذا ينبغى أن يكون مذهب من نظر فى خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عزوجل و بين عباده فيما غاب عنه علمه وعلم فيه سبيل اليقين وفهم معنى قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فان قلت وأين أنت من تكفير كثير من الناس لجميع أهل البدع عامة وخاصة وقول النبى ﷺ فى القدرية انهم مجوس هذه الامة وقوله ﷺ ستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وقال عن قوم يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أومن قول

ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه * فان قلت أفتقول ان هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات * فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول ان هذا التنظيف والتكلف واعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع بدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فاذا لم يقترن به شئ من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لان الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به اذا لم يخرج الى منكر أو اسراف * وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم اليه الا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الأبرار سيآت المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ الا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل بشئ شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب * فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

﴿ القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة ﴾

﴿ الطرف الأول في المزال ﴾

كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وان كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الاكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر امام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الامة أضافهم الى الامة وما حكم بان لم يقل مجوس على الاطلاق وحين أخبر عن الفرق انهم في النار فما أخبر انهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فقد قال متصلا بهذا القول وتمارى في الفرق وما موضع هذا التمارى من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله

وهي النجاسة والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل مايستحيل من الاطعمة وكل ماليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسمان * أحدهما مايقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس * الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ماليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وماله مقر وهو مستحيل فنجس الا ماهو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة * الأول أثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه مالم يعد المخرج * والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر مايتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط أو سقطة * الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة * الرابع دم البراغيث ماقل منه أو كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته * الخامس دم البثرات وماينفصل منها من قيح وصديد ودلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه مايترشح من لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد الا مايقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في أحواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك ان أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها

﴿ الطرف الثاني في المزال به ﴾

وهو اما جامد واما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة مايستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله ﷺ (١) اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون مافوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلات وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وماعن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وماسفل عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله ﷺ الى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث (٢) اصغاء رسول الله ﷺ

(١) حديث اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث اصغاء الاناء للهرة الطبراني في الاوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة

أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ فصل ﴾ ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ماهو عليه صونا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفا فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج

الاناء للهرة وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار * والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني * والخامس انهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وان كان قليلا وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا . فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها و بين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الابدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ اقضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى أن يجتمع في مستنقع قلتان فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة * والسادس أنه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها * والسابع أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون و يغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس أنهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله ﷺ (١) خلق الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا و يحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال الصفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته و يتصور بصفة الماء و ينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة وهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج و يظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله ﷺ لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل أراد به اذا لم يتغير فيمكن أن يقال انه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره في الحمل أي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الغدران و يغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة (فان قلت) فقد قال النبي ﷺ لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات المعتادة الى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس و بذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه * من حديث أبي امامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره

حدود أحدها أن يتكلم في الاسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بحصوله كما قدره العز بن العليمي واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني ان يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للسالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يلقى أهله به و يطلعون عليه بسببه و يكرمون به من أجله و يتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الاول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلله للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الانبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز

﴿ الطرف الثالث فى كيفية الازالة ﴾

والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلابد من ازالة العين و بقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشئ له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط الى تقدير النجاسات ﴿القسم الثانى طهارة الاحداث﴾ ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ان شاء الله تعالى

﴿ باب آداب قضاء الحاجة ﴾

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشئ ان وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان فى بناء والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وان استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى وان كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما (١) قالت عائشة رضى الله عنها من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضى الله عنه (٢) رآنى رسول الله ﷺ وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما قال عمر فما بلت قائما بعد وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضى الله عنه أنه عليه السلام (٣) بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه (٤) ولا يبول فى المغتسل قال ﷺ عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه السلام لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى أو رسوله ﷺ ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وان يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفى الخبر (٥) أنه ﷺ فعله أعنى رش الماء وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفى حديث سلمان رضى الله عنه (٦) علمنا رسول

(١) حديث عائشة من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال ت هو أحسن شئ فى هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآنى النبى ﷺ وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث انه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال فى البول فى المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن ه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله ﷺ كل شئ حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد

وجل على أمناء وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه فى القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واياه عنى رسول الله ﷺ بقوله من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وجميع ذلك محصور فى اثنتين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر فى تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تشبيها بالرمز تارة و بالتصريح

الله ﷺ كل شئ حتى الخراءة فأمرنا أن لانستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراء قال بلى وأبيك انى لأحسنها وانى بها لحاذق أبعد الاثر وأعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح وأقعي اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك

﴿ كيفية الاستنجاء ﴾

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى والا استعمل رابعا فان أنقى استعمل خامسا لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام (٢) من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره الى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخر أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أو فى ثلاثة أحجار أو فى ثلاثة مواضع من جدار الى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح فان حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك ان أراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط أو بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى (٣) ـ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ قال رسول الله ﷺ لأهل قباء ماهذه الطهارة التى أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر

﴿ كيفية الوضوء ﴾

اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله ﷺ (٤) ان أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال ﷺ (٥) صلاة على أثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال ﷺ (٦) لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال

---

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الحديث فى أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ه ك وصححه من حديث أبى أيوب وجابر وأنس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى أهل قبا لا يعرف مردود بما تقدم (٤) حديث ان أفواهكم طرق القرآن أبو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ه موقوفا على على وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة (٦) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبى هريرة

أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار اليه اذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على التعليم انما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لان الحد الأول فيه محض النصح للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتنكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم الى معرفة هذا المقام وما وراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الاكبر وفوز الابد وقد بين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول ان الله لا يضيع أجر

ﷺ (١) مالى أراكم تدخلون علىّ قلحا استاكوا أى صفر الاسنان(٢) وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال(٣) لم يزل ﷺ يامرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شئ وقال عليه السلام (٤) عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم (٥) وكان أصحاب النبى ﷺ يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الاراك أوغيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عندكل صلاة وعندكل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أوطول الازم أوأكل ماتكره رائحته ثم عندالفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال ﷺ (٦) لاوضوء لمن لم يسم الله تعالى أى لاوضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ويقول اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوى رفع الحدث أواستباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عندالوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بأن يرد الماء الى الغلصمة الا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر مافيها ويقول فى الاستنشاق اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى مايقبل من الذقن فى الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض ولايدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والاهداب لانها خفيفة فى الغالب والعذران هما مايوازيان الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة أعنى مايقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أويفيض الماء على ظاهر مااسترسل من اللحية ويدخل الاصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما(٧) فقدروى أنه عليه السلام فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج

(١) حديث مالى أراكم تدخلون علىّ قلحا استاكوا البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبدالمطلب د والبغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٢) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٣) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله ﷺ بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شئ رواه أحمد (٤) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقدرواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان (٥) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د ت وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٦) حديث لاوضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخارى أنه أحسن شئ فى هذا الباب (٧) حديث ادخاله الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبى أمامة كان يتعاهد الماقين ورواه الدارقطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء أعينكم

فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الاخبار ولم يفده كثير من الأحاديث وأيضا فان الاخبار بما وراء الحد الاول والثانى على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه اهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه فى منازل الرفعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع ماعهد فى عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشؤا عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لايدرك شئ من ذلك بقياس ولايتصور بواسطة لفظ ولايحمل عليه مثل كما قال

الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى أعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام (١) من استطاع أن يطيل غرته فليفعل وروى أن (٢) الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل عليّ من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله ﷺ (٣) مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء الى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب اليك فاغفر لي وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة * ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وان يسرف في الماء (٤) توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء وقال (٥) سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال (٦) من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن أدهم يقال ان أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضي الله عنه أنه عليه السلام مسح وجهه (٧) بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ (٨) كانت له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر

(١) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبي هريرة (٢) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٣) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٤) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبد الله بن مغفل (٦) حديث من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في التطهير لم أجد له أصلا (٧) حديث معاذ أن النبي ﷺ مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب واسناده ضعيف (٨) حديث عائشة أن النبي ﷺ كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شئ

عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وحكي عن ابن عباس رحمه الله انه قال ليس عند الناس من علم الآخرة الا الاسماء وأراد من لم ينكشف له شئ من علمها وحقائقها في الدنيا وأيضا فلو جاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل الى تصورها الا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد ويتطرق اليمن أهل الغفلة وذوى القصور بجحود وتبعيد فلهذا أمروا بالكتم اشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر ﷺ لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال ﷺ ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم الا كان عليهم فتنة وعلى هذا يخرج قول المشايخ افشاء سر الربوبية كفر رزقنا الله واياكم قلوبا واعية الخبر انه ولى كل صالح واذا علمت أن الحد الاول قد تقرر علمه في كتب الرواية والدراية وملئت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير

وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية اناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة والتخلق بالاخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

﴿ فضيلة الوضوء ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه وقال ﷺ أيضا (٢) ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا و يرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ ﷺ (٣) مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين أتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال ﷺ (٤) من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال ﷺ (٥) من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقال ﷺ (٦) الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضأ (٧) العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له و يروى (٨) أن الطاهر كالصائم قال عليه الصلاة والسلام (٩) من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء

(١) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر لم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشئ من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما و د من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما الحديث (٢) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا و يرفع به الدرجات الحديث م عن أبى هريرة (٣) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطنى من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف (٥) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلا (٧) حديث اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابحى واسناده صحيح ولكن اختلف فى صحته وعند م من حديث أبى هريرة وعمرو بن عنبسة نحوه مختصرا (٨) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمى من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٩) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزى فى الاطراف وقد رواه ن فى اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمى فى مسنده

فيه ههنا قولا ولما كان حكم الحد الثالث المكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل الى تعدالى محدودات الشرع فلنثن العنان الى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فنقول أرباب المقام الثالث فى التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف وعلى الجملة فكلهم نظروا الى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار الى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بايمان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفى أسرارهم وهم مع ذلك فى درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم فى اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الاصناف الثلاثة انما

وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لايبيت الاطاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الأرواح تبعث على ماقبضت عليه

﴿ كيفية الغسل ﴾

وهو أن يضع الاناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى و يغسل يديه ثلاثا ثم يستنجى كما وصفت لك و يزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوأه للصلاة كما وصفنا الا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر و يخلل شعر الرأس واللحية و يوصل الماء الى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت أن الماء لايصل الى خلال الشعر و يتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها مالابد لسالك طريق الاخرة من علمه وعمله وماعداه من المسائل التى يحتاج اليها فى عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ماذكرناه فى الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل * وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ماينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب وأما الموالات فليست بواجبة والغسل الواجب باربعة بخروج المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعداه من الاغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

﴿ كيفية التيمم ﴾

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو اوشدة الضنا فينبغى أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار و يضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه و يمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة و ينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار الى ماتحت الشعور خفت أو كثفت و يجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار و يحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لايزيد على عرض الكفين ويكفى فى الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه و يضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لايجاوز أطراف الأنامل من احدى الجهتين عن المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الايمن الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الايمن و يمرها الى الكوع و يمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه و يخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بان يستوعب بضربتين وزيادة واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغى أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم

﴿ القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء ﴾

﴿ النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهى ثمانية ﴾

الاوّل مايجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث عنه وكان ﷺ(١) يدهن الشعر و يرجله غبا و يأمر به و يقول عليه السلام(٢) ادهنوا غبا وقال عليه

---

(١) حديث كان يدهن الشعر و يرجله غبات فى الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووى غير معروف وعند د ت ن من

و يكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كماله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهمار فى قراءته ومن حافظ فى تلاوته غير متوقف فى شئ منه وكلهم ينسب اليه و يعد فى المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل الى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات مايتم عليه ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ومن ماهر فى قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة فى رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الاشياء فى فراغه وشغله و بحسب ذلك اختلفت أحوالهم فى الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء ولامزيد

الصلاة والسلام[1] من كان له شعرة فليكرمها أى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل[2] ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان * الثانى ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع * الثالث ما يجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه و يزيلها بالاستنشاق والاستنثار * الرابع ما يجتمع على الاسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما * الخامس ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد و يستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور أنه ﷺ[3] كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب وفى خبر غريب أنه ﷺ[4] كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان ﷺ[5] كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علىّ عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها[6] اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أوتفعل ذلك يارسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان ﷺ مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم و يحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك و يتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله عزوجل وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد و بين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره و يزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة و يزعمون أن قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر و يوم يبعثر ما فى القبور و يحصل ما فى الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر * السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع

حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الاغبا باسناد صحيح (١) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس اسناده بالقوى (٢) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد (٣) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوّف من حديث أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف وسيأتى فى آداب السفر مطوّلا (٤) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط (٥) حديث كان كث اللحية ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوّة من حديث علىّ وأصله عند ت (٦) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر

فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوّز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما فى هذا الفن أحد الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى و يسمى هذا بعدا مأخوذ من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والانس والانقطاع فى مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على انه لم يصل فى

في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله ﷺ (١) بغسل البراجم * السابع تنظيف الرواجب أمر (٢) رسول الله ﷺ العرب بتنظيفها وهي رؤس الانامل وما تحت الأظفار من الوسخ لانها كانت لايحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (٣) فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر رسول الله ﷺ (٤) بتنظيف ما تحت الأظفار وجاء في الاثر أن النبي ﷺ (٥) استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولاتنظفون رواجبكم وقلحا لاتستاكون مر أمتك بذلك والأف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله عز وجل ـ فلاتقل لهما أف ـ تعبهما أي بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لاتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر * الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولابأس بدخول الحمام دخل أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الانصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات * فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلايتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ ومابين السرة الى العانة وفي اباحة مس ماليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعني الفخذين * والواجبان في عورة الغير أن يغض بصره نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولايسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب أوشتم أومايجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله أعلم ان ذلك لايفيد ولا يعمل به فهذا لايكون عذرا بل لابد من الذكر فلايخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلايجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لاتخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة الى مافوق العانة اذ الناس لايعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لايملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام ورؤى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لابأس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه * وأما السنن فعشرة * فالاول النية وهو أن لايدخل لعاجل دنيا ولاعابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان مايستوفيه مجهول وكذا ماينتظره الحمامي فتسليم الاجرة

(١) حديث الامر بغسل البراجم الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبدالله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدي في حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم (٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقيل ولم لايبطئ وأنتم لاتستنون ولاتقلمون أظفاركم ولاتقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش (٣) حديث التوقيت في قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس (٤) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الاظفار الطبراني من حديث وابصة بن سعيد سألت النبي ﷺ عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى مالا يريبك (٥) حديث استبطاء الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لاتغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

لعلك تقول أرى بعض أئمة الكلام عن لحوق هذا المقام كان لم يضربوا فيه بسهم ولم يفز قدحهم منه بحظ ولا سهم وأراهم عند الجمهور في الظاهر وعند أنفسهم انهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق الى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة وقد سبق في الاحياء انهم مع العوام في الاعتقاد سواء وانما فارقوهم باحسانهم حراسة عقودهم * فاعلم ان ما رأيت في الاحياء صحيح ولكن بقي في كشفه أمر لايخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين اذا كانوا منصفين وهو ان المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام وانما فارقوهم بالجدل عن الانخرام والجدل علم لفظي وأكثره احتيال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ولاجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع في حال النضال ايراد القطعي وماهو حكمه من غلبة

قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول و يقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فانه ان لم يكن فى الحمام الا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر فى العورات ثم لا يخلو الانسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدرى ولاجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه و يغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحامى لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام و يقدر نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة و يقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار و بناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيأ الا و يكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شئ الا و يفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر أفاعى جهنم وان نظر الى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيأ حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام فى الدنيا الى مدة المقام فى الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته * ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان أجاب غيره وان أحب قال عافاك الله ولا بأس بان يصافح الداخل و يقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان و يكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بان يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بان يغسله انسان لم يكن من أصحابه وقال انه دلكنى فى الحمام مرة فأردت ان أكافئه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك و يدل على جوازه ما روى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ (١) نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسئل عنه وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعيم الذى أحدثوه هذا من جهة الشرع أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفئ المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء أنفع من شربة دواء وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس و يكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال * وأما النساء فقد قال ﷺ (٢) لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحم والمشهور (٣) انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول

(١) حديث نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل لرجل ان يدخل حليلته الحمام الحديث يأتى فى الذى يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر الحديث النسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام

الظن وابداء الصحيح والزام مذهب الخصم والمقام المشار اليه بالذكر وشبهه انما هو علم التوحيد وفهم الاحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضرورى بان لا إله إلا الله اذ لا فاعل غيره ولا حاكم فى الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للمنازل طىّ المنازل وما لعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره و يقطع به ولكن ليس عن مطالع الانوار ومدارك الاستبصار والمدار فى أوقات الضرورات والاختيار و بين ما يراد لوقت حاجته ان دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذى ضلالة بما ينغص على ذوى اليقين العيش و يشغل الذهن و يكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان اليهم لا نقول

الحمام الانفساء أومريضة ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه

﴿ النوع الثانى فيما يحدث فى البدن من الاجزاء وهى ثمانية ﴾

* الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه و يرجله الا اذا تركه قزعا أى قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعار الهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا * الثانى شعر الشارب وقد قال ﷺ (١) قصوا الشارب وفى لفظ آخر جزوا الشوارب وفى لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها وحفاف الشئ حوله ومنه - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وفى لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا - أى يستقصى عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله ﷺ وقال المغيرة ابن شعبة نظر الى رسول الله ﷺ (٢) وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله ﷺ اعفوا اللحى أى كثروها وفى الخبر ان اليهود (٣) يعفون شواربهم و يقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة * الثالث شعر الابط و يستحب نتفه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء فاما من تعوّد الحلق فيكفيه الحلق اذ فى النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ فى خللها و يحصل ذلك بالحلق * الرابع شعر العانة و يستحب ازالة ذلك اما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغى ان تتأخر عن أربعين يوما * الخامس الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله ﷺ (٤) يا أباهريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ماطال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه لا يمنع وصول الماء ولانه يتساهل فيه للحاجة لاسيما أظفار الرجل وفى الاوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدى من العرب وأهل السواد وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالقلم و ينكر عليهم مايرى تحت أظفارهم من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أر فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت أنه ﷺ (٥) بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى مايدل على أن الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوّة وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن

وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتى قال صحيح الاسناد ولابى داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء الا من مريضة أونفساء (١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله ﷺ وقد طال شاربى فقال تعال فقصه لى على سواك د ن ت فى الشمائل (٣) حديث ان اليهود يعفون شواربهم و يقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم و يوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور ان هذا فعل المجوس ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم و يحلقون لحاهم فخالفوهم (٤) حديث يا أباهريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ماطال منها الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجرى مابين اللحم والظفر (٥) حديث البداءة فى قلم الاظفار بمسبحة اليمنى والختم بابهامها وفى اليسرى بالخنصر الى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبدالله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به

فى أكثرهم انهم لايحسنون غيره ولايختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه بل الظن بهم انهم علماء مثل ماذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم فى الظاهر الا ما كانت الحاجة اليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم فى وقتهم من البدع وظهر من الاهواء وشاع من تشقيت كلمة أهل الحق وتجرأ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعى فى اجتماع الكلمة على السنة بعد افتراقها واهلاك ذوى الكيد فى احتيالهم واخماد نارهم الذين هم أهل الاهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الاشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الارواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وان كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك

يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لابد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها اذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمنى وان وضعت ظهر الكف على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمين الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع فى حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى أن يعود الى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم وانما قدرت الكف موضوعه على الكف حتى تصير الأصابع كاشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لايقتضيه الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندى ان لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل فان المعانى التى ذكرناها فى اليد لاتتجه ههنا اذ لامسبحة فى الرجل وهذه الاصابع فى حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوّة فى لحظة واحدة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولاتظنن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لايقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهلا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط أقرب وعن الاهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته الى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر اذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لابد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم (١) فانه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلاينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لايخصها الا واحدة والغالب أن الواحدة لاتستوعب أصول الأجفان بالكحل وانما خص اليمين بالثلاث لان التفضيل لابد منه للايتار واليمين أفضل فهى بالزيادة أحق (فان قلت) فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج فالجواب أن ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته فى الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح (٢) وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق ماراعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الامر فقس بما سمعته مالم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى

(١) حديث كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين الطبرانى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٢) حديث الا كتحال فى كل عين ثلاثا قال الغزالى ونقل ذلك فى الصحيح قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن

أولى من مؤانسة وحيد والتصدق على ذى بلغة من العيش فكيف ان كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام انما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موقع السيف للانبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادى على الغى وسبيل الفساد فكما لايقال السيف أبلغ حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك لايقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء وكما لايقال فى الصدر الأول فقهاء الامصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم فى الغالب الا علوم أخر كالفقه والحديث والتفسير لان الخلق أحوج الى علم ماحفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلولا ان حفظ الله تعالى تلك

ﷺ الا درجة واحدة وهى درجة النبوّة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام * السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع فى أوّل الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال ﷺ [(١)] الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة قال ﷺ لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية [(٢)] أشمى ولا تنهكى فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها فانظر الى جزالة لفظه ﷺ فى الكناية والى اشراق نور النبوّة من مصالح الآخرة التى هى أهم مقاصد النبوّة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمى من هذا الامر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين ﷺ * الثامنة ماطال من اللحية وانما أخرناها لنلحق بها مافى اللحية من السنن والبدع اذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته وأخذ مافضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله ﷺ اعفوا اللحى والامر فى هذا قريب ان لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوّه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شئ حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

﴿فصل﴾ وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين * أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه لقوله ﷺ [(٣)] خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر [(٤)] ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب [(٥)] أهل النار وفى لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أوّل من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ [(٦)] أنه قال يكون فى آخر الزمان

(١) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح ابن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكى الحديث الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم الحديث الطبرانى من حديث واثلة باسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ولمسلم من حديث جابر وغيروا هذا بشئ واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار وفى لفظ خضاب الكفار الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر (٦) حديث يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائى من حديث ابن عباس باسناد جيد

جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وان لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضى الله عنهم بعد النبى ﷺ لما خافوا دروس الاسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة الى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة ﷺ والمبعوث لدعوة الحق عليه السلام رأوا ان الجهاد والرباط فى ثغر العدوّ والغزو فى سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وادخال الناس فى دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وانما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الاقل وهم فى حال ذلك الشغل والنظر الى حال العموم أوكد من النظر الى الخصوص لان

قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة * الثانى الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ(١) الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة و بالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة * الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة و يسأله دونهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله عزوجل عبدا علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عزوجل ـ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ـ وقوله تعالى ـ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ـ وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا ـ وكان أنس رضى الله عنه يقول(٢) قبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه و يقال(٣) ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضى أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء اذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختيانى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال على بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان أصغر سنا منك وقيل لأبى عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر إن علم سفيان ان فاتنى بعلو أدركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول * الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام(٤) عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور * الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوّه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة * شهد عند عمر بن عبد العزيز

---

(١) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر قال ابن أبى حاتم منكر (٢) حديث قبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أباحمزة وقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله ﷺ قال ماشانه الله ببيضاء (٣) حديث ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه به رسول الله ﷺ قاضيا على أهل اليمن * الخطيب فى التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة الى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الانصارى ومالك وابن أبى حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاثة وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم (٤) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن ه من

الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم ان لم يكن مشتغلا بهم واذا بدالهم عن هاكانهم وساتقابهم الى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك اليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك ان فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شئ كامل من البر فلا خاصة الا بعامة ولقد كانت رعاية النبى ﷺ بحال الجاهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال والهلاك أشد واللطف بهم فى تخفيف الوظائف والاخذ بالرفق أبلغ وكان أهل القوّة وذوى البصائر فى الحقائق يأخذون أنفسهم بالمشقات وكان هو ﷺ يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فما يمنعه منه أو من المداومة عليه الا خوف أن يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم وفيه زيادة الاجر وكثرة الثواب

رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها فى أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان لله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل فى غريب التأويل اللحية هى المراد بقوله تعالى ـ يزيد فى الخلق مايشاء ـ قال أصحاب الاحنف بن قيس وددنا أن نشترى للاحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية ان كان للمشتوم لحية وقد قيل ان أهل الجنة مرد الا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا * السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لاخلاق لهم * السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى الى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح * الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر فى اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد * التاسع * والعاشر النظر فى سوادها وفى بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع أجزاء البدن بل فى جميع الأخلاق والافعال على ماسيأتى بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها فى الرأس وهى [١] فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق [٢] وقص الشارب والسواك وثلاثة فى اليد والرجل وهى القلم وغسل البراجم [٣] وتنظيف الرواجب وأربعة فى الجسد وهى نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله عز وجل * تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه * ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿ كتاب أسرار الصلاة ومهماتها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذى تنزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص

رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره الى أن قال ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه (٢) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعنى الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبى ده من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر اعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها فى الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر اعفاء اللحية وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة الفطرة خمس الختان الحديث (٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم

﴿ باب أسرار الصلاة ﴾

والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم أن يقعوا فى تضييع الفرض فيكون عليهم كفل من الوزر ألا ترى كيف نهى الخلق عن قيام الليل كله وكان عثمان رضى الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه اياه وقال لعائشة رضى الله عنها لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم وقال للانصار أما ترون أن يذهب الناس بالشاء والبعير فتذهبون برسول الله ﷺ الى رحالكم ومع ذلك فالذى حفظ عنه ﷺ وعن الصحابة من بعد وفقهاء الامصار وأعيان المتكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لايحصى وانما القليل من جمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس

للعباد فى المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لايسمح بالخلوة الابعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما (أما بعد) فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعوله اليها يفزع و يرجع ونحن الآن فى هذا الكتاب نقتصر على مالابد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص والنية مالم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب (الباب الأول) فى فضائل الصلاة (الباب الثانى) فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة (الباب الثالث) فى تفضيل الاعمال الباطنة منها (الباب الرابع) فى الامامة والقدوة (الباب الخامس) فى صلاة الجمعة وآدابها (الباب السادس) فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد الى معرفتها (الباب السابع) فى التطوعات وغيرها

﴿ الباب الأول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها ﴾

﴿ فضيلة الأذان ﴾

قال ﷺ (١) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لايهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عزوجل وأم بقوم وهم به راضون ورجل أذن فى مسجد ودعا الى الله عزوجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال ﷺ (٢) لايسمع نداء المؤذن جن ولا انس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة وقال ﷺ (٣) يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل فى تفسير قوله عزوجل ـ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ـ نزلت فى المؤذنين وقال ﷺ (٤) اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك مستحب الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لاحول ولاقوة الا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والارض وفى التثويب صدقت و بررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته انك لاتخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

﴿ فضيلة المكتوبة ﴾

قال الله تعالى ـ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ـ وقال ﷺ (٥) خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال ﷺ (٦) مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لاشئ قال ﷺ فان

---

(١) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف (٢) حديث لايسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبى سعيد (٣) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبرانى فى الأوسط والحسن بن سعيد فى مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبى سعيد (٥) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٦) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبى هريرة

المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توفق ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

﴿ بيان المرتبة الرابعة ﴾ وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه فقد كان بيان اشارات الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيما خصوا من المعرفة فى هجيراهم فكان هجيرا أبى بكر الصديق رضى الله عنه لااله إلا الله وكان هجير عمر رضى الله عنه أكبر وكان هجير عثمان رضى الله عنه سبحان الله وكان هجير على رضى الله عنه الحمد لله فاستقرى السابقون من ذلك ان أبا بكر لم يشهد فى الدارين غير الله سبحانه وتعالى فلذا كان الصديق وسمى به كما علمت وكان يقول لااله إلا الله

الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن. وقال ﷺ (١) ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال ﷺ (٢) بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال ﷺ (٣) من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشئ من حسناته وقال ﷺ (٤) الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين (٥) وسئل ﷺ أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال ﷺ (٦) من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا و برهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال ﷺ (٧) مفتاح الجنة الصلاة وقال (٨) ماافترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبى ﷺ (٩) من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أى قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال ﷺ (١٠) من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أباهريرة قال من أجل كثرة الخطا ويروى ان (١١) أول ماينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال ﷺ (١٢) يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فأطفؤها

﴿ فضيلة اتمام الأركان ﴾

(١) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبى هريرة (٢) حديث بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث من لقى الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشئ من حسناته وفى معناه حديث أول مايحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب فى الاوسط من حديث أنس (٤) حديث الصلاة عماد الدين البيهقى فى الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط انه غير معروف (٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا الحديث أحمد حب من حديث عبدالله بن عمرو (٧) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلا فى الرواية (٨) حديث ماافترض الله على خلقه بعد التوحيد شيأ أحب اليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (٩) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الدرداء باسناد فيه مقال (١٠) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد ﷺ حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات

(١١) حديث أول ماينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح اسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى

(١٢) حديث يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل

اذا الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله وعلىّ لايرى نعمة فى الدفع والرفع والعطاء والمنع فى المكروه والمحبوب الا من الله سبحانه فكان يقول الحمد لله وأهل هذه الرتبة على الجملة فى حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لابد لهم من أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة

قال ﷺ (١) مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال (٢) يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة وقال ﷺ (٣) ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال ﷺ (٤) لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال ﷺ (٥) أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار وقال ﷺ (٦) من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوأها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوأها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال ﷺ (٧) أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال ﷺ (٨) صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات فقال (٩) لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فأحرق بيوتهم وفي رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا (١٠) من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال ﷺ (١١) من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد وقال محمد

---

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة (٢) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٣) حديث ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المحبر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبي اسامة في مسنده عن ابن المحبر (٤) حديث لا ينظر الله الى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار * ابن عدي في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه اذا التفت في صلاته أن يحوّل الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار (٦) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوأها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طب في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة (٨) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٩) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (١٠) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (١١) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد ابن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

تتحد بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخييل للولي لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعدّ حالا لولي أو فضيلة لبشر (الجواب) عن ذلك ان الحوادث لم تنقلب الى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى الولي تخييل فتخيل ما لا حقيقة له وانما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد الا يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بمعيارك وكلتهم

ابن

ابن واسع ما أشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا انه ان تعوجت قوّمني وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها و يكتب لي فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بي آنفا حتى أريت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لان تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الي من ولاية العراق وقال ﷺ (١) من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق و براءة من النار و يقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى و يعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفي وقال رسول الله ﷺ (٣) مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى (٤) أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال ﷺ أعني بكثرة السجود وقيل (٥) أقرب مايكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل ـ واسجد واقترب ـ وقال عز وجل ـ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ـ فقيل هو مايلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال ﷺ (٦) اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي و يقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار و يروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد و يروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني و بين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شئ من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم مامن خصلة في العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات (٢) حديث ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٣) حديث مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٤) حديث ان رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك و يرزقني مرافقتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الاسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٥) حديث ان أقرب مايكون العبد الى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٦) حديث اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة

من المعرفة مالم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وماذكره من ذلك لا ينساه ولا في حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشئ وثبت في قلبه حاله انه اذا نام أو اشتغل لم يفقده في شغله ونومه كما لا يفقده في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل له ألهت الولي عن غيره وصار لم يرسواه ومعنى ذلك انه لا يتميز بالذكر في سر القلب وغيره

وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عزوجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

﴿ فضيلة الخشوع ﴾

قال الله تعالى ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ وقال تعالى ـ ولا تكن من الغافلين ـ وقال عزوجل ـ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ـ قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال ـ حتى تعلموا ما تقولون ـ وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول فى صلاته وقال النبى ﷺ (١) من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال النبى ﷺ (٢) انما الصلاة تمكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى وقال ﷺ (٣) انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال ﷺ للذى اوصاه (٤) واذا صليت فصل صلاة مودع أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال عزوجل ـ يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ـ وقال تعالى ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ـ وقال تعالى واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ـ وقال ﷺ (٥) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ (٦) يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عزوجل وقال ﷺ (٧) لاينظر الله الى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخى اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه

---

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله دون قوله بشئ من الدنيا وزاد طس الا بخير (٢) حديث انما الصلاه تمكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث اذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبى أيوب وك من حديث سعد بن أبى وقاص وقال صحيح الاسناد والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا * على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب واسنده ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابى عباس باسنادلين والطبرانى من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر الحديث واسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرته الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الازدى فى الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبى ﷺ اذا سمع الأذان كأنه لايعرف أحدا من الناس (٧) حديث لاينظر الله الى صلاة لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب واسناده ضعيف

المعرفة ولا بالادراك فى ظاهر الحس دون ما كان موجودا به وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أصحبه أن لايحتاج اليها مع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الا منه ولا نور الا من عنده وله الحول والقوة وهو العلى العظيم ﴿فصل﴾ وأما معنى افشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفر دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به المفشى وتعظيما لما ارتكبه * و يعترض هذا بان يقال لايصح أن يسمى هذا كفرا لانه ضد الكفر اذ الكفر الذى سمى على معناه ساتر وهذا المفشى للسر ناشر وأين النشر والاظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا هين بان يقال ليس الكفر الشرعى تابع الاشتقاق وانما هو حكم لمخالفة الامر وارتكاب النهى فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين

على لحيته ورأى رسول الله ﷺ (١) رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن أيوب ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال لا أعود نفسى شيأ يفسد على صلاتى قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين أنه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود ﷺ فى مناجاته إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله اليه ياداود انما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى أعطيته أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى اظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

﴿ فضيلة المسجد وموضع الصلاة ﴾

قال الله عز وجل ـ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ـ وقال ﷺ (٢) من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال ﷺ (٣) من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال ﷺ (٤) اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال ﷺ (٥) لاصلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال ﷺ (٦) الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال ﷺ (٧) يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد

---

(١) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ت الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف والمعروف انه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث ه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة (٣) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٤) حديث اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبى قتادة (٥) حديث لاصلاة لجار المسجد الا فى المسجد الدارقطنى من حديث جابر وأبى هريرة باسنادين ضعيفين وك من حديث أبى هريرة (٦) حديث الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث يأتى

احداهما من جهة الاشتقاق ويكون اذ ذاك اسما ينبئ عن وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذاك حكما يوجب عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يغرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعاتها واحترس من استدراجها فاذا من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره وفى مخالفة الامر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله ﷺ لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم وفى ارتكاب النهى عصيان ويسمى فى باب القياس على المذكور كفران البدن وقسمة أخرى وذلك ان العلم ان حلل الى ماعلم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان تشابه سماء العالم من حيث ان كل ماعلا فهو سماء وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء بها

فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال ﷺ قال الله عز وجل فى بعض الكتب[1] ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال ﷺ[2] اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد ابن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا ويروى فى الاثر أو الخبر[3] الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعى كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراسانى مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال مامن منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

﴿ الباب الثانى فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله ﴾

ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى ﷺ[4] عن الصفن والصفد فى الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى ـ مقرنين فى الاصفاد ـ والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله عز وجل ـ الصافنات الجياد ـ هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه ان شاء تركه على استواء القيام وان شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدى فريضة الظهر لله ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معانى هذه الالفاظ حاضرة فى قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك

فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (١) حديث قال الله تعالى ـ ان بيوتى فى أرضى المساجد ـ وان زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبى سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل ـ يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله ﷺ باسناد صحيح وأسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٢) حديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنه و ه وك وصححه من حديث أبى سعيد (٣) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل

﴿ الباب الثانى ﴾

(٤) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره

فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه وحيوانه وحياته فيها تظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل فى الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره وحاول حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهى تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط جسم الانسان وهى تغيب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية محوة والنفس مثلها ومحو القمر فى آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها ويعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب .

الى آخر التكبير حتى لايعزب فاذا حضر فى قلبه ذلك [١] فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمتى أذنيه و برؤس أصابعه رؤس أذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه وابهاميه الى القبلة و يبسط الأصابع ولايقبضها ولايتكلف فيها تفريجا ولاضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل فى الأثر النشر والضم [٢] وهذا بينهما فهو أولى واذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على مافوق السرة وتحت الصدر و يضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة و ينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد و يقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روى [٣] ان التكبير مع رفع اليدين ومع [٤] استقرارهما ومع الارسال [٥] فكل ذلك لاحرج فيه وأراه بالارسال أليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى فى صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لاينبغى ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولايردهما الى خلف منكبيه ولاينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير و يرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا و يستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفى بعض الروايات انه ﷺ [٦] كان اذا كبر أرسل يديه واذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغى ان يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولايدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولايدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول اكبار و يجزم راء التكبير ولايضمها فهذه هيئة التكبير ومامعه ﴿القراءة﴾ ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن [٧] يقول عقب قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا [٨] وجهت وجهى الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول [٩] سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولاإله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ماورد فى الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام

أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أوصافنا قدميه فقال اخطأ هذا السنة (١) حديث رفع اليدين الى حذو المنكبين وورد الى شحمة أذنيه وورد الى رؤس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأوّل ود من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف الى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبى هريرة والبيهقى لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الاصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخارى من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبى داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث أبى حميد كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا قال ابن الصلاح فى المشكل فكلمة حتى التى هى للغاية تدل بالمعنى على ماذكره أى من ابتداء التكبير مع الارسال (٦) حديث كان اذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبرانى من حديث معاذ باسناد ضعيف (٧) حديث انه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلى مع رسول الله ﷺ اذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث وده من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٨) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهى الحديث م من حديث على (٩) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث فى الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه ت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت و بين سبحانك اللهم

وذهول وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفى الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه مايحصل به لذوى العقول تشبيه وتمثيل فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا انما تساعد عليه اذ قد كثر الخلاف فى ذلك فاعلم انه انما على الانسان أن يبنى كلامه على مايعلم لاعلى مايجهل وأنت لو علمت النفس والروح علمت انهما اثنان فان قلت فقد سبق فى الاحياء انهما شئ واحد وقلت فى هذه الاجابة ان النفس من أسماء الروح فالذى سبق فى الاحياء ورأيت فى هذه الاجابة وهو

شئ واحد لا يتناقض مع ماقلناه الآن وذلك ان لها معنى يسمى بالروح تارة و بالنفس أخرى و بغير ذلك ثم لا يبعد أن

سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها و يجتهد في الفرق بين الضاد والظاء و يقول آمين في آخر الفاتحة و يمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا و يجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا أن يكون مأموما و يجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل الى آخر السورة بتكبير الهوي بان يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله و يقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة

﴿ الركوع ولواحقه ﴾

ثم يركع و يراعي فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشر حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام و يرفع يديه و يقول سمع الله لمن حمده و يطمئن في الاعتدال و يقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ماشئت من شئ بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح [١] و يقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

﴿ السجود ﴾

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض و يضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة و يكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع و ينبغي أن يكون أول مايقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع جبهته وأنفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وأن يكون في سجوده مخويا على الارض ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الارض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما و يضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا بأس [٢] ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الأعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا أن يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا و يجلس على رجله اليسرى و ينصب قدمه اليمنى و يضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها و يقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح و يأتي بالسجدة الثانية كذلك و يستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حال الارتفاع و يمد التكبير حتى يستغرق مابين وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه الى القيام و يبتدئ في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه وهو أقرب الى التعميم و يصلي الركعة الثانية كالاولى و يعيد التعوذ كالابتداء

﴿ التشهد ﴾

(١) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي ﷺ يقنت صلاة في الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث دت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي ﷺ كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر واسناده صحيح

(٢) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس

يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الاضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو ان من حمل اضافة الصورة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله سبحانه نبأ بانه حي قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم الا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تباين مابين

ثم

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله ﷺ وعلى آله و يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى و يقبض أصابعه اليمنى الا المسبحة ولا بأس بارسال الابهام أيضا و يشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله و يجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل (١) الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الأيسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر و يضجع رجله اليسرى خارجة من تحته و ينصب اليمنى و يضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله و يلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من الجانب اليمين و يلتفت شمالا كذلك و يسلم تسليمة ثانية و ينوي الخروج من الصلاة بالسلام و ينوي بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى و ينوي مثل ذلك في الثانية (٢) و يجزم التسليم ولا يمده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد و يرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته الا بقدر ما يسمع نفسه و ينوي الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة و يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد و يجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد و يجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم و يقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا و يسكت الامام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه و يقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام و يقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الاول بعد قوله اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد و يقتصر في الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الاخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله ﷺ و ينوي عند السلام السلام على القوم والملائكة و ينوي القوم بتسليمهم جوابه و يثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام و يقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت ان كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم و ينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب الي ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا و يجهر به و يؤمن القوم و يرفعون أيديهم حذاء الصدور و يمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه والا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد

﴿ المنهيات ﴾

نهى رسول الله ﷺ عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء (٣) وعن السدل (٤) والكف (٥) وعن الاختصار (٦) وعن الصلب (٧) وعن المواصلة (٨)

---

(١) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث علي في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الاصل (٢) حديث جزم السلام سنة د ت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان (٣) حديث النهي عن الاقعاء ت ه من حديث علي بسند ضعيف لا تقع بين السجدتين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث سمرة وصححه نهى عن الاقعاء (٤) حديث النهي عن السدل في الصلاة د ت ك وصححه من حديث أبي هريرة (٥) حديث النهي عن الكفت في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا (٦) حديث النهي عن الاختصار د ك وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٧) حديث النهي عن الصلب في الصلاة دن من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٨) حديث النهي عن المواصلة عزاه رزين الى ت ولم

الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى الا في الاسماء الملفوظ بها لا غير وفرارا ان تثبت صورة لله تعالى و يطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك و يلج قلبك و يظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان حملت احدى الصورتين على الاخرى في الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه تيقن انك من المشبهين لا من المنزهين على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكر كما قيل كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة أي تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب اليهم أي تقرأ التوراة ولا تعمل بها وان كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أي ليس تعتقد من الاضافة في الضمير الى الله تعالى الا الاسماء دون المعاني فتلك المعاني المسماة لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلي رحمة الله عليه في معنى ماذكرناه من

وعن صلاة الحاقن(١) والحاقب(٢) والحاذق(٣) وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم(٤) وهو ستر الوجه أما الاقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه و ينصب ركبتيه و يجعل يديه على الارض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا رؤس أصابع الرجلين والركبتين * وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه و يدخل يديه من داخل فيركع و يسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع و يسجد و يداه فى بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الازار على رأسه و يرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والاول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أومن خلفه اذا أراد السجود وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال وفى الحديث(٥) أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكف * وأما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه * وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه فى القيام و يجافى بين عضديه فى القيام * وأما المواصلة فهى خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما * وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحاذق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله ﷺ(٦) اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء الا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفى الخبر(٧) لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وفى الحديث (٨) سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى

أجده عنده وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى دت وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ اذا دخل فى صلاته فاذا فرغ من قراءته واذا فرغ من قراءة القرآن وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة الحديث (١) حديث النهى عن صلاة الحاقن دوقط من حديث أبى أمامة أن رسول الله ﷺ نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن ود من حديث أبى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان (٢) حديث النهى عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للازهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا (٣) حديث النهى عن صلاة الحاذق عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحاذق وهو صاحب الخف الضيق (٤) حديث النهى عن التلثم فى الصلاة ده من حديث أبى هريرة بسند حسن نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الافواه (٥) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٧) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٨) حديث سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى و بين صلاتى الحديث وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم

قلت فكذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بمناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه فى ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق فاعلم ان الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد اعراضا عنه وأبلغ فى الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى ألممنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته اياه بل يدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا و بين ماقاله ابن قتيبة ألم أخبرك اننا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذى يغلب على الظن فى ابن قتيبة انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا

وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه (١) أو يفرقع أصابعه (٢) أو يستر وجهه (٣) أو يضع احدى كفيه على الاخرى و يدخلهما بين فخذيه (٤) في الركوع وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصى بيده فانها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالاظهر بطلان صلاته والله أعلم

{ تمييز الفرائض والسنن }

جملة ماذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعي جميعها * فالفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على النبي ﷺ والسلام الاول فأما نية الخروج فلا تجب وما عداهذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت فيها وفي الفرائض * أما السنن فمن الافعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فأما ماذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيآت تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيآت تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر * وأما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبي ﷺ ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر أربعة منها بسجود السهو * وأما من الافعال فواحدة وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود وأما الاذكار فكلها لاتقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبي ﷺ فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لاتغير صورة العبادة * وأما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد ومازيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لايؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد مايجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر

وللشيخين من حديث أبي هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة ان أحدكم اذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لايدري كم صلى (١) حديث النهي عن تشبيك الاصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ت ه حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٢) حديث النهي عن تفقيع الاصابع في الصلاة ه من حديث علي باسناد ضعيف لاتفقع أصابعك في الصلاة (٣) حديث النهي عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٤) حديث النهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الايدي على الركب

اليها وأخرجناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما ظهر له شئ لم يكن له به إلف وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوي التصور تشبيها و بين التأويل الذي ينفيه فأثبت المعنى المرغوب عنه وأرادني ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام مااقترف فهاهو صورة لا كالصورة ولكن ساقطة لاقطة فتبادر الناس الى الاخذ عنه

{ فصل } ومعنى قاطع الطريق فانك بالواد المقدس طوى أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وانما تقدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ماحصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه والا فالمقصود ماحذف لاما أظهر بالقول اذ المواضع لاتأثير لها وانما هي ظروف

واجب احتراز عن أصل القيام فى الصلاة ﴿فان قلت﴾ تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه * فاعلم أن اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صوّرها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الآن فى أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف * وأما الهيآت وهى ما وراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون * وأما وظائف الاذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عزوجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن تميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا أنه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهى قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان اذا أخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى أن تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاوّل على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالع الاخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها

﴿ الباب الثالث فى الشروط الباطنة من أعمال القلب ﴾

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

﴿ بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب ﴾

اعلم ان أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ـ أقم الصلاة لذكرى ـ وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ـ ولا تكن من الغافلين ـ نهى وظاهره التحريم وقوله عزوجل ـ حتى تعلموا ما تقولون ـ تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله ﷺ انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفى وقوله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال ﷺ

نودى به موسى انى أنا ربك أى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق واشارات قرب الوصول وسر القلب كما يقول أدن الرأس ووسع الآذان وما يوحى أى ما يرد من الله تعالى بواسطة ملك أو القاء فى روع أو مكاشفة تحقيقه أو ضرب مثل مع العلم بتأويله ومعنى لعلك حرف ترويح ومعنى ان لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من الحجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أو قنوع بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسرادقات المجد هى حجب الملكوت وما نودى به موسى هو علم التوحيد التى وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ياموسى انى أنا الله لا إله الا أنا والمنادى باسمه

(١) كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال ﷺ (٢) ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها والتحقيق فيه أن المصلى (٣) مناج ربه عز وجل كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فأى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة الا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى ــ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ــ أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الامر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها فهذا مما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب

* فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن

---

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ن ه من حديث أبى هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن (٢) حديث ليس للعبد من صلاته الا ماعقل لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه (٣) حديث المصلى يناجى ربه متفق عليه من

أزلا وأبدا هو اسم موسى لما سمى السالك الموجود فى كلام الله تعالى فى أزل الازل قبل أن يخلق موسى لا الى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما لا يتغير هو اذ ليست صفاته المعنوية لغيره وهو الذى لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهوانهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ما جاوزه من المذهب أليسوا وهم يعرفون ان كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب انسانا آخر قلده ولاية كبيرة وفوض اليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو ينادى باسمه أو يأمره بما يمتثل من أمره ثم ان السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى الخلوع عليه والمفوض اليه فى شئ مما ولى وأعطى ولم تجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية

القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لايمكن أن يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحرث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله ﷺ [1] ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لايتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها فجعله اجماعا ومانقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الأقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا أن يشترط منه ماينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لايكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة واذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ماينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن * وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان أقل مايبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة وكم من حى لاحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها الا عند التكبير كمثل حى لاحراك به نسأل الله حسن العون

﴿ بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة ﴾

اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهى حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج فى اكتسابها * أما التفاصيل * فالأول حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ماهو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ماهو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شئ فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لامحالة * وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب

حديث أنس (١) حديث ان العبد ليصلى الصلاة لايكتب له سدسها ولا عشرها الحديث دن حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه

والمفوض اليه الامر ولذلك هذا السالك المذكور اذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم فلا يمتنع أن يسمع مايوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك اذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة وكفى بها انها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام مااستحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحى مقصودا بذلك بحلوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى الى ذلك المقام اضعافا فجاوز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه لان هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة ليست من غايات

والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما * وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال * وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغى أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل * وأما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب و يتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب * وأما أسباب هذه المعانى الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وأبقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا أضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة و بمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدى بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن فى تقوية الايمان وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع * وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الاسباب التى تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيأ أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه * وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو أهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض و بالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات * وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل و يقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء

كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يعرف انه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته مخاصم منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبه ان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبى ولا رسول واذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض فى مسالك الحقائق فنقول ليس فى الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لانا

الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم و بقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روى أن الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق وروى أن الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لايذكرونى فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان و باختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها و بعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه و يساره ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أووزير و يحدثه بمهمته ثم يخرج ولوسئل عمن حواليه أوعن ثوب الملك لكان لايقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوّ ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه و يموت على ماعاش عليه و يراعى فى ذلك حال قلبه لاحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

﴿ بيان الدواء النافع فى حضور القلب ﴾

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلاينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدرة قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لاسبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولايلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولايدفع الشئ الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا أما الخارج فمايقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه و يتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره و يتسلسل و يكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أولا يترك بين يديه مايشغل حسه و يقرب من حائط عند صلاته حتى لاتتسع مسافة بصره و يحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد و يغضون البصر ولايجاوزون به موضع السجود و يرون كمال الصلاة فى أن لايعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر رضى الله عنهما لايدع فى موضع الصلاة مصحفا ولاسيفا الانزعه ولا كتابا الامحاه * وأما الأسباب الباطنة فهى أشد فان من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لاينحصر فكره فى فن واحد بل لايزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لايغنيه فان ماوقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا الى فهم مايقرؤه فى الصلاة و يشغلها به عن غيره و يعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر

أليس من يسمع كلام انسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه انه كليمه وقد حكى ان طائفة من بنى اسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوته ورسالته على انا نقول نفس ورود الخطاب الى السامعين من الله تعالى يمكن الاختلاف فيه فيكون النبى المرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه و بين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه أوسره واشباه ذلك كما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى انهم سمعوا

صوتا كالشبور ٧ وهو القرآن فاذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب فموسى سمع كلام الله

المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع و يفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال رسول الله ﷺ لعثمان بن أبى شيبة (١) انى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذى يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو أن ينظر فى الامور الصارفة الشاغلة عن احضار القلب ولاشك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه أضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روى أنه ﷺ لما لبس (٢) الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال ﷺ اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم وأمر رسول الله ﷺ بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فأمر أن (٣) ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ (٤) قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى أول سائل لقيه ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان ﷺ فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه (٥) وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى أن أباطلحة (٦) صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت * وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى غيره فاما ماذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل الا حواشى القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده و يعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السوانى ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمى ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على

---

(١) حديث انى نسيت أن أقول لك تخمر القرنين اللذين فى البيت الحديث د من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند أحمد ووقع للمصنف انه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتونى بانبجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم (٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه فى صلاته ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا باسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى الحديث أبو عبد الله بن حقيق فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف (٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق (٦) حديث ان أباطلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر فى الشجر الحديث فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبى بكر ان أباطلحة الأنصارى فذكره بنحوه

بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه اذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهى الحروف المتلو بها القرآن كلام الله تعالى اذ هى دلالة عليه فان قلت فما يبقى على السامع اذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضرورى فيما أرى بانه الشئ المرسل الا بان يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه

أخر عنه ومقامه مقامه ٧ فاعلم ان الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالخايل انك بعيد عن غور

حب الدنيا حتى مال الى شئ منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطعمن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه و بمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لامحالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغى ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع و بقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لامحالة ولا يجتمعان

﴿ بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة ﴾

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أوّلا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها ✽ أما الشروط السوابق فهى الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك و باطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال ﷺ (١) أرحنا يا بلال أى أرحنا بها و بالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها ﷺ وأما الطهارة فاذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب ثم فى بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك ✽ وأما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها الا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك و يستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسىء الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الامور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سواه وقد قال ﷺ (٢) اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه وأما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطأ متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال انك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل

---

(١) حديث يا أرحنا يا بلال قط فى العلل من حديث بلال ولأبى داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح (٢) حديث اذا قام العبد الى صلاته وكان وجهه وهواه الى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاولى وأجل وأكبر و بينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به و بين من لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الاشارة باختلاف ورود الخطاب اليهما مما يوجب نفورا وتباين ما بينهما فان فهمت الآن والافقد عنى لا ندر بحبال ٧ فان قيل ألم يقل الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما فى الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع

صالح.

صالح من أهلك أوممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عندذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبدمسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أوتخشين الناس ولاتخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال(١) أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال ﷺ تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك وروى من أهلك * وأما النية فاعزم على اجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلد المنة منه باذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى و بماذا تناجى وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف * وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شئ هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين فى قولهم انه ﷺ رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فانت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه * وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه هو الى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أومقبل على فاطر السموات واياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى الا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى ـ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ـ نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك مايحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع أوعدو ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا إله الا الله اذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ (٢) لا إله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من قومك الخرائطى فى مكارم الأخلاق هق فى الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله هق بزيادة ابن عمر فى السند وفى العلل قط عن ابن عمر له وقال انه أشبه شئ بالصواب لو روده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة (٢)

والاستقامة أو عمل بما جاء به لان النبى ﷺ قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل يبقى الا ماغاب عنه أن ينكشف اليه وقال ان يكن منكم محدثون فعمر أو كما قال المؤمن ينظر بنور الله وفى القرآن العزيز قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فعلم ما غاب عن غيره من امكان بيان ماوعد به وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذى القرنين من اخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وان كان وقع الاختلاف فى نبوة ذى القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المسطور فى الآية وان رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به

والمتحصن به من لامعبود له سوى الله سبحانه فامامن اتخذاله هواه فهو فى ميدان الشيطان لافى حصن الله عز وجل واعلم أن مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ماتقرأ فاعلم أن كل مايشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها * فاما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم و يسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهى درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب * وتفصيل ترجمة المعانى انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها ان الأمور كلها بالله سبحانه وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله سبحانه فلاجرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لامن حيث انه مسخر من الله عز وجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلانه لاملك الاله وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوّة بقولك واياك نستعين وتحقق أنه ماتيسرت طاعتك الاباعانته وأن له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولوحرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك و يفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم (١) قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدنى عبدى وأثنى علىّ وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى أن تفهم ماتقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق أخبار الأنبياء وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور خر ميتا وكان ابراهيم النخعى اذا سمع قوله تعالى ـ اذا السماء انشقت ـ اضطرب حتى تضرب أوصاله وقال عبدالله بن واقد رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سعيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لاتنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل و يفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد

حديث قال الله تعالى لا إله الا الله حصنى ك فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث علىّ باسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمى انه حديث ثابت مردود عليه (١) حديث قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين الحديث م عن أبى هريرة

ذوالقرنين وماظهر على يدى الذى كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوّز على عمر التشبه بالحقائق فيما يصنع فيما يجرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد ان يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول الامن ارتضى من رسول فدل على ان فى الآية حذف مضاف معناه ماتقدم وانظر الى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه انه يرى الملائكة وهو غيب الله واعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأوّل و يلهو المعاند هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر مما نقل الكافة و يحتمل ان يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته تنجلى العلوم وتنكشف الغيوب فتى لم يرسل الله ملكا باعلام غيب أو يخاطب مشافهة والتعظيم

والتعظيم والتمجيد كان النخعي اذا مر بمثل قوله عز وجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله يخفض صوته كالمستحيي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به وروى أنه يقال (١) لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وأما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال ﷺ ان الله عز وجل (٢) مقبل على المصلى ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليه و بقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال ﷺ وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء (٣) اللهم أصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود و بعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه * وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتابعة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وان أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى أصله فانك من التراب خلقت واليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الأعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك * وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه و يرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق د ت ن من حديث عبد الله بن عمرو وقال ت حسن صحيح
(٢) حديث ان الله يقبل على المصلى ما لم يلتفت د ن ك وصحح اسناده من حديث أبي ذر
(٣) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام لم يكن الى علم ذلك الغيب سبيل و يكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ان يرسله الى من يشاء من عباده في يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك أيضا و يكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته واعلامه أنه لا تصل اليها نفسه ولا مخلوق سواه الا بالله تعالى حين أرسل اليه الملك بذلك و بعثه الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته و يرجع الى الله تعالى وحده و يتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك الا بارادته ومشيئته و يحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده و يكون معنى من رسول أي عن بدء رسول من الملائكة ﴿فصل﴾ ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين

وصدق الرجاء بالاجابة وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لاتعيش لمثلها وقال ﷺ للذى أوصاه صل صلاة مودع ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وخف أن لاتقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله * كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح وعلى مايفوته ينبغى أن يتحسر وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد * وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة الا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لاوسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته

واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية انما يكاشفون فى الصلاة لاسيما فى السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى ـ واسجد واقترب ـ وانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعانى فى كل وقت أسباب خفية لاتحصى وأشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شئ معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لاتتراءى الا فى المرائى الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدإ على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود الانسان فى متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر مايزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان فى كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلاينبغى أن ينكر كل واحد ماوراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به الى أن يشاهد بالتجربة ففى الخبر (١) ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادى مناد لو علم هذا المناجى من يناجى ماالتفت وان أبواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه وفى التوراة مكتوب ياابن آدم لاتعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف

(١) حديث ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أجده

الحجاب

ان قلت ماالذى أوصله الى مقامهم أوجاوز به ذلك وهو فى المرتبة الثالثة حال المقربين ماوصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وانما خاصية من هو فى رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالاحوال وخاصية من هو فى رتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال ومثالها فيما أشير اليه مثال انسانين دخلا فى بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لايسأل عن شئ مما يراه ولايحتاج الى أن يخبر به والثانى لايعرف مما رأى شيأ أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقى وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه الى ماهو أعلى منه وكان غير مراد لذلك امانى ذلك الوقت أو الابد وتلك العلوم متى كانت لاتنال بالكسب وانما

الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف و باهى الله به مائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قرب به و باب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد الا رتبته التى هى وقف عليه وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات قال الله عز وجل ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى ـ والذين هم على صلاتهم يحافظون ـ * ثم قال تعالى فى ثمرة تلك الصفات ـ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ـ فوصفهم بالفلاح أولا و بوراثة الفردوس آخرا وما عندى أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهى الى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم ماسلككم فى سقر ـ قالوا لم نك من المصلين ـ فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضى الله عنهم ﴾

اعلم أن الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا فى الصلاة وفى غير الصلاة بل فى خلوته وفى بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول و بشر المخبتين أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك وفى لفظ آخر لأحبك وفى لفظ آخر لضحك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول مادخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها الا ما أقول ومايقال لى وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشئ قال نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيأ مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الاسنة فى أحب الى من أن أجد فى صلاتى ماتجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه فقطع وهو فى الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فاذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشئ من الدنيا فى الصلاة فقال لافى الصلاة ولا فى غيرها وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلاة شيأ فقال وهل شئ أحب

مقامهم فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فى حاله وسيرته فعساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حالة القرب وهى تتلو الصديقية فهذا معناه

﴿ فصل ﴾ ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى ذلك الرفيق الأعلى اما أنه لما وصل اليه بالسؤال صرف اليه مالاق به من الاحوال ليحكم مابقى عليه من الاعمال كما قال المصطفى ﷺ للذى سأله أن يعلمه غرائب العلم اذهب فأحكم ماهناك و بعد ذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكر وفوائد المزيد ووجهه ان من لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه

الى من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن (١) عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيأ قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله ﷺ قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عزوجل فيها * وسئل أبو العالية عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في أول الوقت لم يفرح وان أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد (٢) جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجاني عبدي و بالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي ﷺ (٣) قال الله تعالى لا ينجوني عبدي الا باداء ما افترضته عليه وروى أن النبي ﷺ (٤) صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم و يتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله عزوجل الى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون اليه وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها الى الله عزوجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد باطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق

﴿ الباب الرابع في الامامة والقدوة ﴾

وفي أركان الصلاة و بعد السلام وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

﴿ أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة ﴾ أولها أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر

---

(١) حديث ان عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان الحديث وفيه ان العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها الى آخره أحمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيأ قال الرب عزوجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجوني عبدي الا باداء ما افترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح

بعد بالموت وطول الغيب عنه لايمكن في العادة ولو أمكن لهلاك الجسم وتفرقت الاوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا وقد سبق في علمه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا ما رجع الى حالة الانتقاص من وصل الى حالة الاخلاص والذي طمع الناظر في الحصول فيه سؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذ لم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله ﴿ فصل ﴾ ومعنى بأن ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان ادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الالهي وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض القدرة الالهية فكيف يقضي عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا وكان ذلك ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم و يقال ادخار اخراج العالم من العدم الى الوجود

الى الاكثرين فان كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى وفى الحديث(١) ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام أم قوما وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدم ان كان وراءه من هو أفقه منه الا اذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فان لم يكن شئ من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة و يكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وماروى من مدافعة الامامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه ايثارهم من رأوه انه أولى بذلك أوخوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه و يتشوش عليه الاخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس * الثانية اذا خير المرء بين الأذان والامامة فينبغى أن يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله ﷺ(٢) الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال ﷺ(٣) الامام أمين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث(٤) فان أتم فله ولهم وان نقص فعليه لاعليهم ولانه ﷺ قال(٥) اللهم أرشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة أولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر(٦) من أم فى ٧ مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلاحساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح أن الامامة أفضل اذ واظب عليها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والائمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الامارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ(٧) ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه فقد قال ﷺ(٨) أئمتكم شفعاؤكم أوقال وفدكم الى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدى الله عزوجل و بين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة و بهذه الحجة احتج الصحابة(٩) فى تقديم أبى بكر الصديق رضى الله

(١) حديث ثلاثة لاتجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق الحديث ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبى هريرة وحكى عن ابن المدينى انه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولاعليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة ابن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الائمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشطر الاول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (٨) حديث أئمتكم وفدكم الى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم قط هق وضعف اسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الاسلمى وهو ضعيف

(٩) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله ﷺ لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس وانى

(٧) قول من أم الخ هكذا هو فى النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن فى العراقى والشارح لفظا وان فى الموضعين فليحرر الحديث اهـ مصححه

يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان الفاعل المختار له أن يفعل فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الانهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفنا انها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم مجارى أفعاله ومصادر أموره وأن نتحقق ان كل ما اقتضاه و يقضيه من خلقه بعلمه وارادته وقدرته ان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كل ما خلق دليلا قاطعا و برهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان ماخلق ناقصا بالاضافة الى غيره ماقدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك

عنه وعنهم للخلافة اذقالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا وماقدموا (١) بلالا احتجاجا بأنه رضيه للاذان وماروى أنه قال له رجل يارسول الله (٢) دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن اماما قال لاأستطيع فقال صل بازاء الامام فلعله ظن أنه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه (٣) ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روى عن رسول الله ﷺ وفى الحديث (٤) ان العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا ومافيها ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد (٥) تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ﷺ ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال رسول الله ﷺ قد أحسنتم هكذا فافعلوا وقد (٦) تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهو فى الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره * الرابعة أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبى العاص الثقفى وقال (٧) اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا فالأذان طريق الى الصلاة فهى أولى بان لا يؤخذ عليها أجر فان أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد فى اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة وأما الامانة فهى الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغى أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى أثناء

لشاهد ما أنا بغائب ولا بى مرض فرضينا لدنيانا مارضى به النبى ﷺ لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (١) حديث تقديم ٥ الصحابة بلالا احتجاجا بأن رسول الله ﷺ رضيه للاذان أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد فى بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبى ﷺ فروى الطبرانى أن بلالا جاء الى أبى بكر فقال ياخليفة رسول الله أردت أن أربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يابلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ماقال لأبى بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يابلال فقال الى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله ﷺ فجعل عمر الاذان الى سعد وعقبه وفى اسناده جهالة (٢) حديث قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء و طب فى الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٣) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث ان العبد ليصلى الصلاة فى أول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطنى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الفجر وكان فى سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة (٦) حديث تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٧) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه

(٥) قول العراقى تقديم الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتأمل اه مصححه

فهو ماوعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا و يتزر به الا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح فى مشابه ذلك أصلا فى العلم أو كان نسخا له ومعنى نقيس عليه غيره وأما انكشافه بخير ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم فى حق الخبر اذ أفشاه لغير أهله وأهداه لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لا تعلقوا الدر فى أعناق الخنازير وانما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الاحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الاحكام

صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى بل يأخذ بيد من يقرب منه و يستخلفه فقد ذكر رسول الله ﷺ (١) الجنابة فى أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق * الخامسة أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب و يتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس فى الصلاة ففى الخبر (٢) ليتمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى (٣) عن مدافعة الأخبثين (٤) وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب * السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر مايسمع نفسه و ينوى الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم ﴿وأما وظائف القراءة فثلاثة﴾ أولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد و يجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد و يجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم و يقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا (٥) و يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة (٦) واختيار الشافعى رضى الله عنه الجهر * الثانية أن يكون للامام فى القيام ثلاث سكتات هكذا رواه (٧) سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله ﷺ أولاهن اذا كبر وهى الطولى منهن مقدار مايقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه مانقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لا عليهم * والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الاولى فاتحته وهى كنصف السكتة الاولى * السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها

أجرة أصحاب السنن و ك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى (١) حديث تذكر النبى ﷺ الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وانما قال ثم أومأ اليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه (٢) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ت ك من حديث جابر يابلال اجعل بين أذانك واقامتك قدر مايفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر اذا دخل لقضاء حاجته قال ت اسناده مجهول وقال ك ليس فى اسناده مطعون فيه غير عمرو بن قائد قلت بل فيه عبد المنعم الرياحى منكر الحديث قاله خ وغيره (٣) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة وللبيهقى لا يصلين أحدكم الحديث (٤) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه (٥) حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس (٦) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم وللنسائى يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٧) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين فى سكتات الامام أحد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله ﷺ سكتات فى صلاته وقال عمران أنا أحفظهما عن رسول الله ﷺ فكتبوا فى ذلك الى أبى بن كعب فكتب ان سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضع من المسند و د ه حب و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس فى حديث سمرة الاسكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبى هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الامام فليقرأ بفاتحة

فى حقها لمن يطلع عليه فى ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة ومايظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا انه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه فى خير وكذلك لو انكشف له انه من أهل النار كل انهماكه فلا يحتاج الى تعب زائد ولا تصيبه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الاحكام الجارية عليه وان كان كشفها من مخبر استروح الضعيف الى مايسمع من ذلك فيتعطل و ينخرم حاله و ينحل قيده و بعد هذا فلا يحمل كلام سهل الا على مايقدر لا على مايوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشئ لامتناع غيره كما يقال لو كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل فى ظاهر العلم

(فصل)

وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر

وذلك بقدر ماتنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة * الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بان يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين الى أن يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه ﷺ (١) قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروى أنه ﷺ (٢) قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - (٣) وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ (٤) المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماصلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف أولى لاسيما اذا كثر الجمع قال ﷺ في هذه الرخصة (٥) اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء وقد كان (٦) معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله ﷺ فزجر رسول الله ﷺ معاذا فقال أفتان أنت يامعاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها { وأما وظائف الأركان فثلاثة } أولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال (٧) مارأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام نعم روى أيضا أن أنس بن مالك (٨) لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروى مجملا أنهم قالوا (٩) كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي

الكتاب في سكتاته (١) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٢) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الاولى منهما - قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون - و د من حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا بما أنزلت أو انا أرسلناك بالحق - (٣) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه (٤) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل (٥) حديث اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهي عند البيهقي (٧) حديث أنس مارأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام متفق عليه (٨) حديث أنس انه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان (٩) حديث كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا الا في الحديث الذي قبله وفيه فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات

فقديما ندب الناس الديار وسالوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد جاء في أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفي حديث النبي ﷺ أسكن أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم اسأل الارض تخبرك عمن شق أنهارها وبحر بحارها وفتق أهواءها ورتق أجواءها وأرسى جبالها ان لم تجبك اجابتك اعتبارا وانما الذي يتوقف على الاذهان ويتحير في قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات في هذا وقع الانكار واضطرب النظار وكذب في تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقي الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه في المشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما تتلقى من أهل النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للانبياء

أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده * الثانية فى المأموم ينبغى أن لا يساوى الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد (١) هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام وقد اختلف فى أن الامام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا بأس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم * الثالثة لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لى فقد كره للامام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله ﷺ (٢) فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمى مسيحا لانه يمسح الأرض بطولها وقيل لانه ممسوح العين أى مطموسها ﴿وأما وظائف التحلل فثلاثة﴾ أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة * الثانية أن يثبت عقيب السلام (٣) كذلك فعل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة فى موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفى الخبر المشهور أنه ﷺ لم (٤) يكن يقعد الا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام * الثالثة اذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها الا شيأ واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم الا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدنى ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضى ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك (٥) وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن للايدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت فانه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة والله الموفق

﴿ الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها ﴾

(١) حديث كان الصحابة لا يهوون للسجود الا اذا وصلت جبهة النبى ﷺ الى الارض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٢) حديث التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالى هنا واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون و ك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء (٣) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة (٤) حديث انه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام م من حديث عائشة (٥) حديث رفع اليدين فى القنوت البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

تلقى الكلام فى حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويعترى هذا سائر الحواس كمثل مايسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى سمعه وأما مايجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة فقد ورد أن الحجر فى زمن عيسى ينادى المسلم يامسلم خلفى يهودى فاقتله وان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستتر عن الابصار فى العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل فى أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال فى العرض الاكبر يوم القيامة اذ ينودى فيه باسم كل واحد على الخصوص وفى الخلائق مثل اسم المنادى به كثير وقد قالت

﴿ فضيلة الجمعة ﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى ـ اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ـ فحرم الاشتغال بأمور الدنيا و بكل صارف عن السعى الى الجمعة وقال ﷺ (١) ان الله عزوجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وقال ﷺ (٢) من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر (٣) فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر (٤) ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال (٥) أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخر له ماهو أعظم منه أو تعوّذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عزوجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عزوجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال ﷺ (٦) خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر (٧) ان لله عزوجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ (٨) قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال ﷺ (٩) ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عزوجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال ﷺ (١٠) من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

﴿ الباب الخامس ﴾

(١) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن و ك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٣) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٤) حديث ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه (٥) حديث أنس أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٦) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبى هريرة (٧) حديث ان لله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار عد حب فى الضعفاء وهب فى الشعب من حديث أنس قال قط فى العلل والحديث غير ثابت (٨) حديث أنس اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٩) حديث ان الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس الى أن قال الا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (١٠) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو و ت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتصل * قلت وصله ت الحكيم فى النوادر

العلماء انه لايسمع النداء فى ذلك الجمع الامن نودى فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى فى حاسة اذنه ليتحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس

واجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى
فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى عيش وخفض زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم * ومن الذى يبقى على الحدثان

وفى أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة تتأتى منها ماعبرت الابما قد استعيرلها وعلى هذا المعنى حمل

﴿ بيان شروط الجمعة ﴾

اعلم انها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط * الأول الوقت فان وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف * الثاني المكان فلا تصح في الصحاري والبراري و بين الخيام بل لابد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الأحب استئذانه * الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الاول الى الآخر * الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممها ظهرا * الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم أولا واذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الأقدم فان تساويا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى * السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين

﴿ وأما السنن ﴾ فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة و يسلم الخطيب على الناس اذا أقبل عليهم بوجهه و يردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا و يشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كي لا يعبث بهما أو يضع احداهما على الأخرى و يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة و يستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى ـ اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ـ و يرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعني أصحاب الاعذار تأخير الظهر الى أن يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم

﴿ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل ﴾

الاول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس و يوم الجمعة و يغسل في هذا اليوم ثيابه و يبيضها و يعد الطيب ان لم يكن عنده و يفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة و ينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس أو السبت لا مفردا فانه مكروه و يشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير و ينسحب عليها فضل يوم الجمعة و يجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحب

على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ومنها تلقي الكلام من الجبال مثل قوله ﷺ كأني أنظر الى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس فقوله كأني يدل على انه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لان يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود الخيالي في البصر والوجود الخيالي في السمع ومنها تلقي الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقي عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله عليه السلام في صوت أبي موسى

ذلك قوم حملوا عليه قوله ﷺ (١) رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين اذا أصبحوا قالوا ماهذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس وأخفهم نصيبا من اذا أصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجلها * الثانى اذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لايبكر فأقربه الى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال ﷺ (٢) غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما (٣) من أتى الجمعة فليغتسل وقال ﷺ (٤) من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل وكان أهل المدينة اذا تسابّ المتسابان يقول أحدهما للآخر لأنت أشرّ ممن لا يغتسل يوم الجمعة (٥) وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال مازدت بعد أن سمعت الأذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه وبما روى انه ﷺ (٦) قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له ألّلجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم وانما أمره به لانه لم يكن نواه وكان لايبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا وقد جعل فى الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك * الثالث الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ماسبق فى كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره (٧) وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه روى ذلك فى الاثر وقال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس مافيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ والعمامة مستحبة فى هذا اليوم (٨) روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله ﷺ

صوته بها وكما اذا سمع المريد صوت مزمار أو عود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما فجأ صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فأنت اذا أحسنت التصرف بين أساليبها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عمن نظر بمشكاة نور الله تعالى الى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له مابال وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد فلم سوّدت وجهك فقال سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا فقال صدقت ثم

(١) حديث رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن و حب و ك وصححه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت (٢) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٤) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهق من حديث ابن عمر (٥) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث الى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى وعثمان (٦) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث سمرة (٧) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه د ت وحسنه و ن من حديث أبى هريرة (٨) حديث واثلة بن الأسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة ط وعد وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة

أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعمل الفكر وجدد النظر وحل

قال ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلاة و بعدها ولكن لاينزع فى وقت السعى من المنزل الى الجمعة ولافى وقت الصلاة ولاعند صعود الامام المنبر ولافى خطبته * الرابع البكور الى الجامع و يستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر و يدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم و ينبغى أن يكون فى سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناو يا للاعتكاف فى المسجد الى وقت الصلاة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله عز وجل الى الجمعة إياه والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال ﷺ (١) من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شئ والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولافضل فيه وقال ﷺ (٢) ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل فى طلبهن الأذان والصف الاوّل والغدوّ الى الجمعة وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الغدو الى الجمعة وفى الخبر (٣) اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالاوّل على مراتبهم وجاء فى الخبر (٤) ان الملائكة يتفقدون الرجل اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذى أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فأغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى فى القرن الأوّل سحرا و بعد الفجر الطرقات مملوأة من الناس يمشون فى السرج و يزدحمون بها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل أوّل بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لايستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والشراء والربح فلم لايسابقهم طلاب الآخرة و يقال ان الناس يكونون فى قربهم عند النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد * الخامس فى هيئة الدخول ينبغى أن لايتخطى رقاب الناس ولايمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد (٥) فى تخطى الرقاب وهو

(١) حديث من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل فى طلبهن الأذان والصف الأوّل والغدوّ الى الجمعة أبو الشيخ فى ثواب الاعمال من حديث أبى هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذنه الابالاستهام عليها حرصا على مافيهن من الخير والبركة الحديث قال والتهجير الى الجمعة وفى الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس مافى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا اليه (٣) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه فى التفسير من حديث علىّ باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا مافعل فلان هق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن * واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا (٥) حديث من تخطى

سبب انه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب و بأى لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما صدق الناطق الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولاشاهد فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة استعارة من مشكاة الزجاجة التى أعمرت بسراج النار الى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبيها بها لانهما سرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنسوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الاشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لاعن غيرهما.

أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا أن رسول الله ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يافلان مامنعك أن تجمع اليوم معنا قال يانبي الله قد جمعت معكم فقال النبي ﷺ ألم نرك تتخطى رقاب الناس أشار به الى أنه أحبط عمله وفى حديث مسند أنه قال (٢) مامنعك أن تصلى معنا قال أولم ترنى يارسول الله فقال ﷺ رأيتك تأنيت وآذيت أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لاحرمة لهم واذا لم يكن فى المسجد الا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لانه تكليف جواب فى غير محله * السادس أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو الى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعنى بين يدى المصلى فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال ﷺ (٣) لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصلى وقال ﷺ (٤) لأن يكون الرجل رمادا رمديدا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع فقال (٥) لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ماعليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه قال ﷺ (٦) ليدفعه فان أبى فليدفعه فان أبى فلتقاتله فانه شيطان وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيأ طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده * السابع أن يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه (٧) وفى الحديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى (٨) وقد اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل فى طلب الصف الاول عن ثلاثة أمور * أولها انه اذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لاقرب الاجساد وأشار به الى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال

رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم ت وضعفه و ه من حديث معاذ بن أنس (١) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي ﷺ بينما هو يخطب اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك فى الرقائق (٢) حديث مامنعك أن تصلى معنا فقال أولم ترنى قال رأيتك آنيت وآذيت د ن حب ك من حديث عبدالله بن بسر مختصرا (٣) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى البزار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لا أدرى أربعين يوما أو شهرا أو سنة و ه وحب من حديث أبى هريرة مائة عام (٤) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى أبو نعيم فى تاريخ اصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبدالله بن عمر وزاد متعمدا (٥) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلى ماعليهما فى ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٦) حديث أبى سعيد فليدفعه فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٧) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن (٨) حديث انه اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس د حب ك من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقال صحيح على شرط م

وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه اذ هما فى عالم الملك والشهادة الذى لمحل جولة الناظر فى حال نظره وأما سبب انه لم يعرف الكتابة والمكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى وانما يروم معرفة قراءة الخط الالهى الذى هو أبين وأدل على الفهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو جماد فسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر ان كان مرادا فيلقى الكلام فى الحس بما ينبهه عن المطلوب من الحق وهو من باب الالقاء فى الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد فى عذره واحالته على الحبر لم يكن لمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تسكن وشهادة النفس وهذا

شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر (١) ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم (٢) الا أن هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إيثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات * ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة * وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب * الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وانصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال ﷺ (٣) من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على أن الاسكات ينبغي أن يكون باشارة أو رمي حصاة لا بالنطق (٤) وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبيا والنبي ﷺ يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله ﷺ قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبي ﷺ فقال صدق أبي * وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة حتى ينتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كانت تكره الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه

---

(١) حديث ادن فاستمع د من حديث سمرة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٢) حديث أبي الدرداء ان هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٣) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له ت ن عن أبي هريرة د و ت قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له (٤) حديث أبي ذر لما سأل أبيا والنبي ﷺ يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هق وقال في المعرفة اسناده صحيح ده من حديث أبي بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من حديث أبي الدرداء انه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي ﷺ لم يا سعد فقال لانه كان

يسأل الى القدرة وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم الملك * وأما ما سمعته في حد عالم الجبروت فذلك من القدرة المحدثة الى العقل والعلم الموجودين في الانسان المستقرة في القوة الوهمية المدركة جميع ما لا يستدعي وجوده جسما ولكن قد يعرض له انه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم الملكوت وذلك من العلم الالهي الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شئ حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك باسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تخبر-

تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر و بعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب * التاسع ان يراعى فى قدوة الجمعة ماذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان و يستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه ﷺ (١) كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة أربعا (٢) وروى على وعبدالله بن عباس رضى الله عنهم ستا (٣) والكل صحيح فى أحوال مختلفة والأكمل أفضل * العاشر أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان أقام الى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى فالأفضل أن يرجع الى بيته ذاكرا لله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال ﷺ (٤) يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم

﴿ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة أمور ﴾

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ولا ينبغى أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ (٥) نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله و يفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور و بين الاستماع واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (٦) فقد روى أبوذر ان حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة قال أنس بن مالك فى قوله تعالى ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ـ أما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى ـ وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ـ وقال تعالى ـ ولقد آتينا داود منا فضلا ـ يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة و يخرجون القصاص من الجامع * بكر ابن عمر رضى الله عنهما الى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاص يقص فى موضعه فقال قم عن مجلسى فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه فأرسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت اقامته فقد قال ﷺ (٧) لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا و توسعوا وكان ابن عمر اذا قام الرجل له من مجلسه

يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (١) حديث ابن عمر فى الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة فى الأربع ركعات بعد الجمعة م اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا (٣) حديث على وعبدالله فى صلاة ست ركعات بعد الجمعة هق مرفوعا عن على وله موقوفا على ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٤) حديث يأتى على أمتى زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم الحديث هق فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح اسناده و حب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٥) حديث عبدالله بن عمر فى النهى عن التحلق يوم الجمعة د ن و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٦) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم فى العلم (٧) حديث لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من

غنى حميد

﴿فصل﴾ والفرق بين العلم المحسوس فى عالم الملك و بين العلم الالهى فى عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته مجسما بطىء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك مختلفا عن مثله فى الظاهر مجعولا تحت قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والافك فالعلم الالهى عبارة عن خلق لله فى عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة فى عالم الملك يرى من أوصاف ما سمى به القلم المحسوس كليا معبرا فاتميز الخالق بحكم ارادته على ماسبق به علمه فى أزل الازل وانما سمى بهذا الاسم لاجل شبهه بعمل ماسمى به غيرانه لا يكتب الا حقائق الحق والفرق

لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر أن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده * الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور(١) ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا أعطاه وفي خبر آخر(٢) لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل اذا صعد الامام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس(٣) وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى أن تغرب الشمس وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها ﷺ وعليها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال ﷺ(٤) ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشئ من تلك النفحات(٥) وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله ﷺ من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا الى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما * الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم فقد قال ﷺ(٦) من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ وان أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة(٧) فقال اللهم اجعل فضائل

حديث ابن عمر (١) حديث ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف المزني (٢) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في العلل هق في الشعب وعلته الاختلاف (٤) حديث ان لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في اسناده (٥) حديث اختلاف كعب وابي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الاحياء أن كعبا هو القائل انها آخر ساعة وليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال انها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبي هريرة و ه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٦) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٧) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على

بين يمين الآدمي و يمين الله عز وجل أن يمين الآدمي كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعضل تعضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها ولحم ممتد وجلد غير جلد موصولة كلها في الضعف والانفعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق لله هي واسطة بين القلم الالهي الناقش العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفته له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الالهي المبثوث على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الأميون اذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئين اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك يمين الآدمي الا في بعض الاسماء لاجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريبا الى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل

صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله و بلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلغ حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا وينبغى أن يضيف اليه الاستغفار فان ذلك أيضا مستحب فى هذا اليوم * الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة (١) فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى يوم الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال و يستحب أن يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر ان قرأ بالليل أوفى ركعتى المغرب أو بين الأذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة و يقال ان من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون على النبى ﷺ ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وان قرأ المسبعات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ سورا باعيانها الا فى يوم الجمعة وليلتها كان (٢) يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروى أنه ﷺ (٣) كان يقرؤهما فى ركعتى الجمعة وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان * الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن (٤) قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله ﷺ أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتى التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف (٥) أمر رسول الله ﷺ بذلك وفى حديث غريب أنه ﷺ (٦) سكت للداخل حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما و يستحب فى هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه و يس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور فى ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص و يستحب أن يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب التطوعات

---

(١) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما (٢) حديث القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وفى عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفى ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لا يصح مسندا ولا مرسلا (٣) حديث القراءة فى الجمعة بالجمعة والمنافقين وفى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبى هريرة (٤) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتى مرة الحديث الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٥) حديث الامر بالتخفيف فى التحية اذا دخل والامام يخطب م من حديث جابر وخ الامر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٦) حديث سكوته ﷺ عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلا

وصحة التعبير وحد عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالامر الازلى بلا تدريج و يبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فخيز بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت

﴿فصل﴾ ومعنى ان الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ وللعلماء فيه وجهان فنهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبى ﷺ فنهاه وقال ان الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل فى هذا الموضع لم يرده مورد آخر فى غير هذا الموطن

التطوعات كيفيتها (١) لانه ﷺ قال لعمه العباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس رضى الله عنهما لايدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن أن يجعل وقته الى الزوال للصلاة و بعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم و بعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار ✽ السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف الاعلى من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة لينا وله اياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكانه من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم و باسمك الذى لا إله الا الله هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفرلى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له ✽ السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا و يكثر فيه الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر (٢) فقد روى أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد و بالجملة ينبغى أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه اذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت و يستحب في الجمعة دعوات وسيأتى ذكرها في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى و يحتاج المريد الى معرفتها
فاما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه ﴾

﴿مسألة﴾ الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التى تخاف و يمكن قتلها بضربة أو ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت و بطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذى يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعى يأخذها و يوهنها ولا شئ عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها و يخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الى أن يدعها الا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر مالا تؤذى ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا أعود نفسى ذلك فيفسد على صلاتى وقد سمعت أن الفساق بين يدى الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة ﴿مسألة﴾ الصلاة في النعلين جائزة وان كان

(١) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها في كل جمعة د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح (٢) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الافراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

﴿ الباب السادس ﴾

يعز ويعسر فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غيره هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذى في صورته عائدا الى الله سبحانه و يكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هى الى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث و يتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أى جهة يحمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه ففيها وجهان أحدهما ان اضافته اضافة ملك الى الله تعالى كما يضاف اليه

 العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة

نزع النعلين سهلا وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفى معناها المداس صلى رسول الله ﷺ (١) فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ﷺ ان جبرائيل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا فاذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلاة فى النعلين أفضل لانه ﷺ قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه ﷺ سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم أنهم خلعوا على موافقته (٢) وقد روى عبد الله بن السائب أن النبى ﷺ خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه و يساره فيضيق الموضع و يقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ (٣) قال اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله ﷺ (٤) على يساره وكان اماما فللامام أن يفعل ذلك اذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة ﴿مسئلة﴾ اذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا أنه مكروه فينبغى أن يحترز منه الا كما أذن رسول الله ﷺ فيه اذ روى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ (٥) رأى فى القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال ائتونى بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال أيكم يحب أن يبزق فى وجهه فقلنا لا أحد قال فان أحدكم اذا دخل فى الصلاة فان الله عزوجل بينه و بين القبلة وفى لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض ﴿مسئلة﴾ لوقوف المقتدى سنة وفرض أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهى خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف أو يجرّ الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما فى جماعة فان كانا فى مسجد كفى ذلك جامعا لانه بنى له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى أن يعرف أفعال الامام صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد فى طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرّق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة اذ يصل فعل أحدهما الى الآخر وانما يشترط اذا وقف فى صحن دار على يمين المسجد أو يساره و بابها لاطئ فى المسجد فالشرط أن يمد صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء ﴿مسئلة﴾ المسبوق اذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع

(١) حديث صلى فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له د ك وصححه من حديث أبى سعيد
(٢) حديث عبدالله بن السائب فى خلع النبى ﷺ نعليه م (٣) حديث أبى هريرة اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد (٤) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبدالله بن السائب (٥) حديث رأى فى القبلة نخامة فغضب الحديث م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشه وأبى سعيد وأبى هريرة وابن عمر

مضاهاة صورة العالم الاكبر لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الاكبر واذا شابهت أجزاء جلة أجزاء جلة فالجلتان بلا شك متشابهتان فالذى نظر فى تحليل صورة العالم الاكبر فقسمه على انحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبهين فمن ذلك ان العالم ينقسم الى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثانى باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة.

الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها وان أدرك الامام فى السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا أدركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا فى الركوع والامام بعد فى حدّ الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة ﴿ مسئلة ﴾ من فاتته صلاة الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر أوّلا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى فان صلى منفردا فى أوّل الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة أو تطوّعا جاز وان كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة ﴿ مسئلة ﴾ من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب استئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ بان عليهما نجاسة فانه ﷺ لم يستأنف الصلاة ﴿ مسئلة ﴾ من ترك التشهد الاول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ فى التشهد الاول أو فعل فعلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أوشك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام و بعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل فى السجود كأنه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات ﴿ مسئلة ﴾ الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل أو جهل بالشرع لان امتثال امر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلوقال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفيها فى عقله بل كما يراه و يعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر أو فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لوقام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه الا أنك دعيت الى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشئ فى النفس و بين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم الى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله انى أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله

عالم الملكوت وهو الباطن فى العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم الى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابهة لعالم الملكوت فثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه والوجه الثانى أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الاول ويكون هذا مطابقا لحديث النبى ﷺ لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدا بما لم يصله عقله ربما سارع الى التكذيب وهو الاكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى و بما أوجدتها فقد

سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يمتثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله الى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فى الوسوسة وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوها من التحقيق فى تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء الى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها ﴿ مسئلة ﴾ ينبغى أن لا يتقدم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فان تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الامام بل هذا أولى لان الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالتبعية فى الفعل أهم وانما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له الا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله ﷺ التكبير فيه فقال [(١)] أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الاول ﴿ مسئلة ﴾ حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال ﷺ [(٢)] ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسىء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة اذا أخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء [(٣)] فى الحديث أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على من ترك الجماعة ولا ينبغى أن يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى بعض من تخلف عن الجماعة اشارة الى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله ﷺ [(٤)] حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال ﷺ من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه الى خلف ويدخل فيه أعنى اذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

﴿ الباب السابع فى النوافل من الصلوات ﴾

(١) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث ان بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث ه من حديث ابن عمر بسند ضعيف

﴿ الباب السابع ﴾

كفر ولو لم يقصد الكفر فان أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ماقصدت الكفر ولا تظنه بأنفسها وهى كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت الى ما مال اليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكمة والراسخين فى العلم حين ظن ان قائل ذلك أراد الكفر الذى هو نقيض الايمان والاسلام بتعلق مخبره ٧ وتلحق قائله وهذا لا يخرج الا على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بالمعاصى وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذى ينزه به والعمل الذى يقصد به التعبد لوجهه الذى يستزيد به ايمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من المنح ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والايمان

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن مانقل عن رسول الله ﷺ المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ماورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعني بالتطوعات ماوراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجلتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولاحرج على من يغير هذا الاصطلاح فلامشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ماورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله ﷺ عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم مابعدهما من الرواتب على تفاوتها * واعلم أن النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء والى مايتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم الى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الاسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام

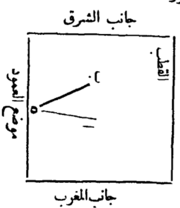
﴿ القسم الاول مايتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى واحياء مابين العشاءين والتهجد ﴾

(الاولى) راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله ﷺ (١) ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله الا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه ﷺ (٢) قال اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما أداء ماوقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولايصلي الى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة (الثانية) راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (٣) أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة م من حديث أبي هريرة (٣) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة

مايحصل به تناقض الايمان اللهم الا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لامحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم انه من سب أحدا منهم على معنى مايجده له من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وانه أيما فعل ذلك وسب رسول الله ﷺ فهو كافر بالاجماع ﴿ سؤال ﴾ فان قيل فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب اليه للالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سر لوانكشف لبطل العلم وللعلم سر لوانكشف بطلت الاحكام وجاء في الاحياء على اثر هذا القول وقائل هذا القول ان لم يرد به ابطال النبوة في حق الضعفاء فما قالوا

له حتى الليل وكان ﷺ (١) لايدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه أبو أيوب الانصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ماروت أم حبيبة زوج النبي ﷺ (٢) أنه قال من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضي الله عنهما حفظت من رسول الله ﷺ (٣) في كل يوم عشر ركعات فذكر ماذكرته أم حبيبة رضي الله عنها الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ ولكن حدثتني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلة الى جهة الشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلا الى أحد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى أحدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال وهذه صورته



(١) حديث أبي أيوب كان لايدع أربعا بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصرا وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٢) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتى عشرة ركعة الحديث ن ك وصحح اسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٣) حديث ابن عمر حفظت من النبي ﷺ في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ

المرسومة فهو متعلق منها بما فرغ من الكلام فيها آنفا وناظر اليه اذ ما أدى افشاؤه الى ابطال النبوة والاحكام والعلم كفر (فالجواب) ان الذي قاله رحمه الله وان كان مستهجنا في الظاهر فهو قريب المسلك باد للمتأمل الذي يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم الالهية ومن وصل اليه اليقين الذي لولاه لم يكن نبيا لايخلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي هي غائبة عنها بان كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه ما يبهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا ومافيها وذلك لضعفه ومن انتهى الى هذه الحالة فتبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل

(الثالثة) راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (١) رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لامحالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر (الرابعة) راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن واقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أوغيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ (٢) السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم (٣) كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله ﷺ (٤) بين كل أذانين صلاة لمن شاء وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أوحيث لايراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى أن يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال ﷺ (٥) اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقعت أداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين (الخامسة) راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ (٦) يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (٧) ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال ﷺ (٨) الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل فاذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبعد لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لاتسلم له فريضة من غير جابر (السادسة) الوتر قال أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ (٩) يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وجاء في الخبر أنه ﷺ (١٠) كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا

خ ولم يقل في كل يوم (١) حديث أبي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر د ت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أوغيره في ابتدار أصحاب رسول الله ﷺ السواري اذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لامن حديث عبادة وروى عبدالله ابن أحمد في زيادات المسند أن أبي بن كعب وعبدالرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا م من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبدالله بن مغفل (٥) حديث اذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د (٧) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لايفصل بينهن (٨) حديث الصلاة خير موضوع أحمد وابن حبان ك وصححه من حديث أبي ذر (٩) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح الحديث ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (١٠) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا م من حديث عائشة

ماجاء من قبلها اذقد شغله عنها ماهو أعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل مايطرأ عليه كما حكى ان شابا من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به واما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة في حق المخبر حين نهى أن لايفشي فأفشى أو أمر أن لايتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبي ﷺ فيها فلهذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه فان قيل فلم لاتكفروه على هذا الوجه اذا بطلت النبوة في حقه باخباره قلنا مابطلت في حقه جميعا وانما بطل في حقه منها ماخالف الامر الثابت من قبلها ويعد هذا من الكلام على تغليظ حق الافشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى افشاء سر الربوبية كفر وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق

وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار (١) اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة التكاثر وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٢) وثلاث (٣) وخمس (٤) وهكذا بالاوتار (٥) الى احدى عشرة ركعة (٦) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (٧) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (٨) وكانت هذه الركعات أعني ماسميناه جملتها وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الاوراد وفي الأفضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة أفضل اذ صح أنه ﷺ كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أي لا ينال فضيلة الوتر (٩) الذي هو خير له من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر أن ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون في نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث الا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوي بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد

(السابعة) صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها أما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه ﷺ (١٠) صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضي الله عنها فانها ذكرت أنه ﷺ (١١) كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة أي انه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى

---

(١) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين الحديث هق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر (٢) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٣) حديث الوتر بثلاث تقدم (٤) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شئ الا في آخرها (٥) حديث الوتر بسبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد الا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (٦) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل احدى عشرة ركعة الحديث (٧) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (٨) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل (٩) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة ان الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (١٠) حديث أم هانئ صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهي منكرة (١١) حديث عائشة كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله م

معرفتها على الجملة اذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة الا نبي فان انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الحجة له بالامر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه فيكون كالنبي اذا سئل عن شئ لو وقعت له واقعة لم يحتج الى النظر فيها ولا الى البحث عنها بل ينتظر ما عوّد من كشف الحقائق باخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روع فيعود ٧ مخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم ان الجنة أعلى النعيم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى الكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى ان العالم باسره أخرجه

فى حديث مفرد أن النبى ﷺ (١) كان يصلى الضحى ست ركعات وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه ﷺ كان يصلى الضحى ستا فى وقتين (٢) اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ماقبل الزوال وقت للضحى على الجلة (الثامنة) احياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله ﷺ (٣) بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله عز وجل - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقد روى عنه ﷺ (٤) أنه قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين وقال ﷺ (٥) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الارض لوسعهم وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد ان شاء الله تعالى

﴿ القسم الثانى ما يتكرر بتكرر الأسابيع ﴾

وهى صلوات أيام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الايام فنبدأ فيها بيوم الاحد (يوم الاحد) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (٦) أنه قال من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ (٧) أنه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته (يوم الاثنين) روى جابر عن رسول الله ﷺ (٨) أنه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد

---

(١) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٢) حديث كان اذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعا ت ن ه من حديث على كان نبى الله ﷺ اذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى اذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٣) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى به وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة (٤) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين ابن المبارك فى الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا (٥) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٦) حديث من صلى يوم الاحد أربع ركعات الحديث أبو موسى المدينى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث على وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد الحديث ذكره أبو موسى المدينى فيه بغير اسناد (٨) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى المدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا

من العدم الذى هو نفى محض الى الوجود الذى هو اثبات صحيح وقدره منازل وجعله الميقات فمن حى وميت ومتحرك وساكن وعالم وجاهل وشقى وسعيد وقريب وبعيد وصغير وكبير وجليل وحقير وغنى وفقير ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر وذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به موجود بقدرته وباق بعلمه ومنته الى أجله ومصرف بمشيئته وذلك على بالغ حكمته فأما كل جهل من لا يجذبه الا قدماه ولا من يصرفه الا استبداده ولا ملكه الا ملكه فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلق الله كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخيل المتوهمين وزيغ الزائغين

(فصل) وأما حكم هذه العلوم المكتوبة فى الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق

ضربين أحدهما ماهو في حكم المبادي والثاني في حكم الغايات فاما الذي هو في حكم المبادي فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وافراغ الوسع وجميع مايقدر عليه من العبادة وذلك ماتضمنه أصول علم المعاملة مثل اخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الاجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لان هذه كلها ومايتعلق بها من علم الامر والنهي واجبة قال الله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقد سبق التنبيه عليه وأما الذي هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيآت والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات ٧ والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسير معاني التقرير وأوصاف أهل أبيات

والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى ذنوبه كلها وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ (١) أنه قال من صلى يوم الاثنين ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول مايعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (يوم الثلاثاء) روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال ﷺ (٢) من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة (يوم الأربعاء) روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٣) من صلى يوم الاربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش ياعبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ماتقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي (يوم الخميس) عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (٤) من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة (يوم الجمعة) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ (٥) أنه قال يوم الجمعة صلاة كله مامن عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٦) أنه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (يوم السبت) روى أبو هريرة أن النبي ﷺ (٧) قال من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل

---

(١) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر (٢) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه (٣) حديث أبي ادريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب * قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٤) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٥) حديث علي يوم الجمعة صلاة مامن عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس الحديث لم أجد له أصلا وهو باطل (٦) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لايصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرفه له وجها غير هذا (٧) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا

هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عزوجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء (وأما الليالي * ليلة الأحد) روى أنس بن مالك في ليلة الاحد أنه ﷺ (١) قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوّذتين مرة مرة واستغفر الله عزوجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي ﷺ مائة مرة وتبرأ من حوله وقوّته والتجأ الى الله ثم قال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا و بعثه الله عزوجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (ليلة الاثنين) روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله ﷺ (٢) من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة (ليلة الثلاثاء) (٣) من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوّذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وانا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله الى الجنة (ليلة الاربعاء) روى النبي ﷺ (٤) انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم اذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد ﷺ عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة وفي حديث آخر ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الاوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار (٥) روت فاطمة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله ﷺ من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (ليلة الخميس) قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ (٦) من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء

---

(١) حديث أنس من صلى ليلة الاحد بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا وحديث من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير اسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا

(٢) حديث الاعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الاعمش بغير اسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر

(٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير اسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة (٤) حديث من صلى ليلة الاربعاء ركعتين الحديث لم أجد فيه الاحديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الاربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٦) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الاحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا ما لم يخرجه تأمل

اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء الى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخطى رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الاخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شئ من الحقيقة وان كان حقا غير أن حاله معلول اما مفتون بدنياه أو محجوب بهواه وربك على كل شئ قدير

{ فصل } وأما لأي شئ ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الالفاظ دون المحكمات وان كان قد سبق هذا من الشارع فيما له أن يتمحن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون

ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوّذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وان كان عاقالهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء (ليلة الجمعة) قال جابر قال رسول الله ﷺ (١) من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد احدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال أنس قال النبي ﷺ (٢) من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه الى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر وقال ﷺ (٣) أكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة (ليلة السبت) قال أنس قال رسول الله ﷺ (٤) من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بنى له قصر فى الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له

﴿ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين ﴾

وهى أربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان (الاولى صلاة العيدين) وهى سنة مؤكده وشعار من شعائر الدين وينبغى أن يراعى فيها سبعة أمور * الاوّل التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر الى الشروع فى صلاة العيد وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الاقاويل ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد * الثانى اذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج * الثالث (٥) أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله ﷺ وكان ﷺ (٦) يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور * الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ويجوز فى يوم الصحو أن يأمر الامام رجلا يصلى بالضعفة فى المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين * الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله ﷺ (٧) * السادس فى كيفية الصلاة فليخرج الناس

المدينى وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (١) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة الحديث باطل لا أصل له (٢) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات الحديث باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجانى فى كتاب فضائل القرآن وابراهيم بن المظفر فى كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب واذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال ابراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح فى أيام الاسبوع ولياليه شئ والله أعلم (٣) حديث أكثروا على من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الازهر طب فى الاوسط من حديث أبى هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٤) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث الخروج فى العيد فى طريق والرجوع فى أخرى م من حديث أبى هريرة (٦) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية (٧) حديث

مكبرين

ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه محله والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله ومالم يصل اليه فيه شئ كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وان أصاب كان له أجران ثم ان الوارث رأى النبي ﷺ يصرح بعلوم المعاملات وأشار عما وراءها بما لا يفهمه الا أرباب التخصيص كما قال الله عز وجل وما يعقلها الا العالمون فلم يكن للوارث تعدّ عن حكم الموروث كما حكى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انى رويت عن رسول الله ﷺ

مكبرين فى الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد الصلاة جامعة و يصلى الامام بهم ركعتين يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر و يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح و يؤخر الاستعاذة الى ماوراء الثامنة و يقرأ سورة ق فى الاولى بعد الفاتحة واقتربت فى الثانية والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع و بين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها * السابع أن يضحى بكبش ضحى رسول الله ﷺ (١) بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى وقال ﷺ (٢) من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيأ قال أبو أيوب الانصارى (٣) كان الرجل يضحى على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته و يأكلون و يطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه (٤) وقال سفيان الثورى يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة و بعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة ﴿الثانية التراويح﴾ وهى عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا فى أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ (٥) فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال أخاف أن توجب عليكم وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحى فقيل ان الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل فى الانفراد و ينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله ﷺ (٦) فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت وروى أنه ﷺ (٧) قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله عز وجل وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه فى الجمع و يأمن منه فى الوحدة فهذا ماقيل فيه والمختار أن الجماعة أفضل كما

تعجيل صلاة الاضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعى من رواية أبى الحويرث مرسلا أن النبى ﷺ كتب الى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الاضحى وأخر الفطر (١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى متفق عليه دون قوله عنى الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود و ت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٢) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٣) حديث أبى أيوب كان الرجل يضحى على عهد رسول الله ﷺ الشاة عن أهله فيأكلون و يطعمون ت ه قال ت حسن صحيح (٤) قال سفيان الثورى من السنة أن يصلى بعد الفطر اثنتى عشرة ركعة و بعد الأضحى ست ركعات لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح مايخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا وأما قول تابعى التابع كذلك كالثورى فهو مقطوع (٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٦) حديث فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت رواه آدم بن أبى اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى ﷺ موقوفا وفى سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة (٧) حديث صلاة فى مسجدى هذا أفضل

وعاين أحدهما هو الذى بثثته فيكم وأما الثانى فلو بثثته لحز ثم السكين على هذا البلعوم وأشار الى حلقه و بعد كل شئ ففى القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفى اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذى علم عليم وقد أفدناك من طرائف ماعندنا وأهدينا اليك من غرائب ما لدينا والى الله يرد العلم مادق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وانما ينطق الانسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه اذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ماعند ربك وخالقك من خير واستجلب ماتؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثانى والقرآن العظيم التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها فى كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق ﷺ ان ليس فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح بان يكثر

رآه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر وأما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع و بين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان (أما صلاة رجب) فقد روي باسناد عن رسول الله ﷺ (١) أنه قال ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى عليّ سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد و يقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه و يقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الاكرم ثم يسجد سجدة أخرى و يقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله ﷺ لا يصلي أحد هذه الصلاة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال و ورق الأشجار و يشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما أوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكني رأيت أهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت ايرادها ﴿وأما صلاة شعبان﴾ فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة و يسمونها صلاة الخير و يجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن انه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ (٢) أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة

﴿القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة﴾

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن ﴿الاولى صلاة الخسوف﴾ قال رسول الله ﷺ (٣) ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم ﷺ وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته * والنظر في كيفيتها ووقتها أما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة

من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمهما الا الله أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بألفي ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما الا وجه الله عز وجل واسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الاوزاعي قال دخلت على يحيى فاسند لي حديثا فذكره الا انه قال في الاولى ألف وفي الثانية مائة (١) حديث ما من أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع (٢) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل وه من حديث علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (٣) حديث ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله

منها بما ضمنت من الفوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجمال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعدلك والله تعالى سبحانه حسيب من أراده وهادي من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو الغني الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المباعدة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدرات والاهواء ومراتب الغين فبيده مجاري المقدورات وهو إله من ظهر وغبر واليه يرجع من آمن وكفر ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافي الضرر وعلى آله السادات الغرر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

﴿تم كتاب الاملاء في اشكالات الاحياء﴾

أوغير مكروهة نودى الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولايجهر فيقرأ فى الاولى من قيام الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفى الثانية الفاتحة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أومقدارذلك من القرآن من حيث أراد ولواقتصرعلى الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولواقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء و يسبح فى الركوع الأوّل قدرمائة آية وفى الثانى قدرثمانين وفى الثالث قدرسبعين وفى الرابع قدرخمسين وليكن السجود على قدرالركوع فى كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعدالصلاة بينهما جلسة و يأمرالناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا أنه يجهرفيها لانها ليلية*فاما وقتهافعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء و يخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذيبطل سلطان الليل ولاتفوت بغروب القمرخاسفا لان الليل كله سلطان القمر فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الامام فقدفاتته تلك الركعة لان الاصل هوالركوع الاول ﴿الثانية صلاة الاستسقاء﴾ فاذا غارت الأنهار وانقطعت الامطار أوانهارت قناة فيستحب للامام أن يأمرالناس أوّلا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع و بالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله ﷺ (١) لولاصبيان رضع ومشايخ ركع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولوخرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودى الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغيرتكبير ثم يخطب خطبتين و بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين و ينبغى فى وسط الخطبة الثانية (٢) أن يستدبر الناس و يستقبل القبلة و يحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله ﷺ فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وماعلى الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس و يدعون فى هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة و يدعون أرديتهم محوّلة كماهى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب و يقول فى الدعاء اللهم انك أمرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقدعوناك كما أمرتنافأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ماقارفنا واجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا ولابأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة وردالمظالم وغيرها وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات ﴿الثالثة صلاة الجنائز﴾ وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله ﷺ (٣) صلى على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفرله وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرامن داره وأهلا خيرامن أهله وزوجا خيرامن زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت أن أكون أناذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغى أن يراعى ترتيب الصلاة فى نفسه و يكبرمع تكبيرات الامام فاذاسلم الامام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة فى هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هى الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات هذاهو الأوجه عندى وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشيعها مشهورة فلانطيل بايرادها وكيف لايعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات وانما تصيرنفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضورغيره ثم ينال بهافضل فرض

الحديث اخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة (١) حديث لولاصبيان رضع ومشايخ ركع الحديث هق وضعفه من حديث أبى هريرة (٢) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء أخرجاه من حديث عبدالله بن زيد المازنى (٣) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة اللهم اغفرلى وله وارحمنى وارحمه وعافنى

الباهر حجته و برهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة فى الآباد والآزال لايصوّره وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم الديمومى والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها نطقت الكائنات بانه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود بانه الخالق المخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الالسن وصف الحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة نسطاما واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى قضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل غليلا ولم ينتهج الى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا

الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد و يستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله عز وجل فيه واذا شيع جنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه ﴿ الرابعة تحية المسجد ﴾ ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الامام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر و بعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى انه ﷺ (٢) صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء واذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها أسبابا * الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله ﷺ ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ (٣) اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وان كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضى اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله ﷺ في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتدارك في وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه ﷺ (٤) قال أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ (٥) أنه قال من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والا بعاد لما سلطت الملالة عليه ﴿ الخامسة ركعتان بعد الوضوء ﴾ مستحبتان لان الوضوء

وعافه الحديث مسلم دون الدعاء للمصلي (١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م (٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما الحديث (٣) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٤) حديث أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله ورواه

تعريفه وتعذر على العقول تجديده وتكييفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الانس مأواة ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت لقبول الامداد القدسية واستعدت لورود الانوار العلوية واتخذت من الانفاس العطرية بالاذكار جلاسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا وأشعلت في ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت الى المعالي أعناقها وطمحت الى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملا الاعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الاعز الاقصى مزاورا ومجاورا أجسادا أرضية

قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء و يضيع السعى فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال ﷺ (١) دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتنى الى الجنة فقال بلال لا أعرف شيأ الا أنى لا أحدث وضوأ الا أصلى عقيبه ركعتين ﴿السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه﴾ روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٢) اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفى معنى هذا كل أمر يبتدأ به مماله وقع ولذلك ورد ركعتان (٣) عند الاحرام وركعتان (٤) عند ابتداء السفر وركعتان (٥) عند الرجوع من السفر فى المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله ﷺ وكان بعض الصالحين اذا أكل أكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك فى كل أمر يحدثه و بداية الامور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهى على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال ﷺ (٦) كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر الثانية مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتى و يقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضى الله عنهم فى ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد * الثالثة مالا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام ومايجرى مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب ﴿السابعة صلاة الاستخارة﴾ فمن هم بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف ان الخير فى تركه أو فى الاقدام عليه فقد أمره رسول الله ﷺ (٧) بان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة امرى وعاجله وآجله فاقدره لى و بارك لى فيه ثم يسره لى وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقدر لى الخير أينما كان انك على كل شئ قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ اذا هم أحدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول

ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (١) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتنى الى الجنة الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٢) حديث أبى هريرة اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك الحديث هق فى الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم قال بكر حسبته عن أبى سلمة عن أبى هريرة فذكره وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة اذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدى وهو بهذا الاسناد منكر وقال خ لا أصل له (٣) حديث ركعتى الاحرام خ من حديث ابن عمر (٤) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أنس مااستخلف فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد فى بيته اذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف (٥) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٦) حديث كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر دن ه حب فى صحيحه من حديث أبى هريرة (٧) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

طيارة مذاهبهم فى العبودية مشهورة وأعلامهم فى أقطار الارض منشورة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان لارواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البر اسعاف يتنعمون بالخدمة فى الدياجر و يتلذذون من وهج الطلب بظمأ الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان و ينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان لايزال فى كل عصر منهم علماء بالحق

ومن عطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ﴿ الثامنة صلاة الحاجة ﴾ (١) فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه الى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شئ علمه سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل ﴿ التاسعة صلاة التسبيح ﴾ وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ (٢) قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشئ اذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى السنة مرة وفى رواية أخرى انه يقول فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن اذ ورد أن صلاة (٣) الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل فى الاوقات المكروهة إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهى مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الاوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغى أن يتوضأ ليصلى لا انه يصلى لانه توضأ وكل محدث يريد أن يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له الا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغى أن ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى أن ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول فى وضوئه أتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول أصلى لوضوئى بل من أراد أن يحرس

(١) حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال ت حديث غريب وفى اسناده مقال (٢) حديث صلاة التسبيح تقدم (٣) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجاه من حديث ابن عمر

ماهيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الاكرمين الامجاد * ثم ان ايثارى لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حدانى ان أذهب عن هذه العصابة بهذه الصبابة وأؤلف أبوابا فى الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلف أحوالهم وتستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق الى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه ان حاصلهم راجع الى

وصوأه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطرق اليها خلل لسبب من الأسباب فان قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فامانية التطوع فلاوجه لها ففي النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني لاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال ﷺ (١) ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقها واذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات في هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الآخرة لايزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على مامنع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض و بعث على انتظار انقضاء الوقت نخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شئ واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولاركوعا مجردا ولاقياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملل فاذا كانت هذه أمورا مهمة في النهي عن ارتكاب أوقات الكراهة الى غير ذلك من أسرار أخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لاتترك الا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ماضعف عنها فلاينبغي أن يصادم به مقصود النهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم * كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج اليه من أخفق في رزقه وأكدى اظهارا للامتحان والابتلا ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى و بين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى ﴿ أما بعد ﴾ فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى ــ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ــ وقال ﷺ (٢) بني الاسلام على خمس شهادة أن لااله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال ــ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ــ ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكاة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر أبوذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكي في أقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفيه و يوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبوذر انتهيت الى رسول الله ﷺ (٣) وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني

---

(١) حديث ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي ﷺ

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

(٢) حديث بني الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٣) حديث أبي ذر انتهيت الى النبي ﷺ

مجرد رسم وتخصصهم عائد الى مطلق اسم ومما حضرني فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء الى طريقهم والاشارة الى أحوالهم وقد ورد من كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل مافتح الله تعالى علي فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين * الباب الاول في منشأ علوم الصوفية * الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع * الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها * الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها * الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف * الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم * الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه * الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله * الباب التاسع

قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الاكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الاجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول (الفصل الأول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثانى) فى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه (الرابع) فى صدقة التطوع وفضلها

﴿ الفصل الاول ﴾ فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر ﴾

﴿ النوع الاول زكاة النعم ﴾

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الاعلى حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال * الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا فى الابل والبقر والغنم أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها * الثانى السوم فلا زكاة فى معلوفة واذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها * الثالث الحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الاصول ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول * الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لانه الذى حجر على نفسه فيه ولا تجب فى الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى مايفضل عن الحاجة * الخامس كمال النصاب ﴿ أما الابل ﴾ فلا شئ فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة وفى عشر شاتان وفى خمس عشرة ثلاث شياه وفى عشرين أربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية فان لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين ابنة لبون ثم اذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون ﴿ وأما البقر ﴾ فلا شئ فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع ﴿ وأما الغنم ﴾ فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شئ فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فاذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم رخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا

وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجاه م و خ (١) حديث لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث على باسناد جيد و ه من حديث عائشة باسناد ضعيف

معا

معا و يحلبا معا و يسرحا معا و يكون المرعى معا و يكون انزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ومهما نزل فى واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول ولكن تضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله ان يصعد فى السن مالم يجاوز الجذعة فى الصعود و يأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة و يؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

﴿ النوع الثانى زكاة المعشرات ﴾

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شئ فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب و يعتبر أن تكون ثمانمائة من تمرا أوزبيبا لا رطبا وعنبا و يخرج ذلك بعد التجفيف و يكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجيعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جيعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير و يكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص فى مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

﴿ النوع الثالث زكاة النقدين ﴾

فاذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر ومازاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر ومازاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب فى الحلى المباح وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الاجل

﴿ النوع الرابع زكاة التجارة ﴾

وهى كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذى به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد و به يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيأ ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس

﴿ النوع الخامس الركاز والمعدن ﴾

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الاسلام ملك فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب

وفى الحول قولان وفى قول يجب الخمس وعلى هذا لا يعتبر وفى النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

﴿ النوع السادس فى صدقة الفطر ﴾

وهى واجبة على لسان رسول الله ﷺ (١) على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله ﷺ وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الاموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والامهات والأولاد قال ﷺ (٢) أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله ﷺ (٣) نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

﴿ الفصل الثانى فى الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة ﴾

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور (الأول) النية وهو ان ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى أن يستأنف الزكاة واذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية (الثانية) البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل اليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامور وسلامة العاقبة (الثالث) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه فى القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم

---

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله ﷺ بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق اسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم د من حديث أبى هريرة باسناد صحيح وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى

هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا اذلاحظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذالعبودية تظهر بان تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لالمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال ﷺ (١) في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه * القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس * والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولاشك في أن على المكلف تعبا في تمييز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها ان الشرع أوجب في خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وان كانت الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه ﴿الرابع أن لا ينقل الصدقة الى بلد آخر﴾ فان أعين المساكين في كل بلدة تمتد الى أموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك أجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف الى الغرباء في تلك البلدة ﴿الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده﴾ فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى ـ انما الصدقات للفقراء والمساكين ـ الآية فانه يشبه قول المريض اعطوا ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعني أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة ان وجد ثم لو لم يجب الاصاع لفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا البزار والدارقطني في العلل من حديث أنس

فان ذلك لابد منه

﴿ بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة ﴾

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف ﴿الوظيفة الاولى﴾ فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مبانى الاسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان ﴿الاوّل﴾ ان التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لايبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لاتقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا و بسببها يأنسون بهذا العالم و ينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ــ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد ــ وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله عزوجل والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس الى ثلاثة أقسام قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولادرهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع (١) ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال ﷺ ما أبقيت لاهلك فقال مثله وقال لأبى بكر رضى الله عنه ما أبقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال ﷺ بينكما مابين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لايقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين الى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد أن قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عزوجل ــ وآتى المال على حبه ذوى القربى ــ الآية واستدلوا بقوله عزوجل ــ ومما رزقناهم ينفقون ــ و بقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت ازالتها فرض كفاية اذ لايجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر الا تسليم مايزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه و يحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولايجوز له الاقراض أى لايجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلايزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ــ ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ــ يحفكم ــ أى يستقصى عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة و بين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال ﷺ (٢) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ــ وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصى منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشئ لاينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى * المعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما مابين كلمتيكما (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم

فى المقامات على الترتيب * الباب الحادى والستون فى ذكر الاحوال وشرحها * الباب الثانى والستون فى شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة الى الاحوال * الباب الثالث والستون فى ذكر شئ من البدايات والنهايات وصحتها فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها انباء عن وجدان واعتزاء الى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر

البدنية

فاستعصت بكمها على الاشارة وطفحت على العبارة وتهادتها الارواح بدلالة القشام والائتلاف وكرعت حقائقها

البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله ﴿ الوظيفة الثانية ﴾ فى وقت الاداء ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة فى الامتثال بايصال السرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بان فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر و يأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من الاشهر الحرم أو رمضان فقد كان ﷺ (١) أجود الخلق وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيأ ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام ذى الحجة العشر الاول ﴿ الوظيفة الثالثة ﴾ الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ (٢) أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال بعض العلماء (٣) ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روى أيضا مسندا وقال ﷺ (٤) ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفى الحديث المشهور (٥) سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه وفى الخبر (٦) صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى ـ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ـ وفائدة الاخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ (٧) لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ فى فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى و بعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى و بعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم و بعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه و يوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف أولى اذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل

---

(١) حديث كان رسول الله ﷺ أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس (٢) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل (٣) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها اخفاء الصدقة أبو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث صدقة السر تطفئ غضب الرب طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب و هق فى الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ان الصدقة لتطفئ غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٧) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان لم أظفر به هكذا

من بحر الالطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الاول فى ذكر منشأ علوم الصوفية ﴾ حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى املاء من لفظه فى شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف

واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأي فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الأقوى وستأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات ﴿الوظيفة الرابعة﴾ أن يظهر حيث يعلم أن في اظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ـ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ـ وذلك حيث يقتضي الحال الابداء إما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهي عنه فامامن أظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال ﷺ (١) من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال الله تعالى ـ وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ـ ندب الى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ـ واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسئلة وقد قال ﷺ (٢) لا يقبل الله صدقة منان * وعندي أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله أن يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ (٣) ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل فليتحقق أنه مسلم الى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته الى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه أما هو فانما يقضي الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالذي قبله بحديث لم أجده (٣) حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق في

تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني قال أنبأنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفربري قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقومي اني رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به

ثمرات المنة ومعنى المنـة في الباطن ماذكرناه وأما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الـكلام وتقطيب الوجـه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران أحدهما كراهيته لرفع اليـد عن المـال وشدة ذلك على نفسـه فان ذلك يضـيق الخلق لامحالة والثاني رؤيته أنه خـير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة مايساوي ألفا فهو شـديد الحمق ومعلوم أنه يبـذل المال لطلب رضا الله عز وجـل والثواب في الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالـكراهة لاوجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لانه لو عرف فضـل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال ﷺ هم الاخسرون ورب الـكعبة فقال أبوذر من هم قال هم الا كثرون أموالا الحـديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعـله الله تعالى متجرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منـه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم الى الفقير قدر حاجتـه ويكف عنـه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسـة الفضلات الى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتفت الـكراهية وتبـدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهـذا منشأ المن والأذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا * فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليـه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك (فان قلت) فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه * فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليـه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالاعمـال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصـدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخـير من الـكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصـدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهيـة لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتـكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما اذا أرسلتا معروفا الى فقـير قالتا للرسول احفظ مايدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هـذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا فـكانوا لايتوقعون الدعاء لانه شـبه المـكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبـدالله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولادواء من حيث الظاهر الا هـذه الأعمـال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هـذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصـلاة وثبت ذلك بقوله ﷺ (١) ليس للمرء من صلاته الا ماعقل منها وهذا كقوله ﷺ لا يتقبل الله صـدقة منان وكقوله عز وجـل ـ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ـ وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هـذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا الى معناه في كتاب الصلاة ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن يستصغر العطية فانه ان استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمـال قال تعالى ـ ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنـكم شيأ ـ ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عزوجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عنـد الله عز وجل وقيل لايتم المعروف الا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره

الشعب بسند ضعيف (١) حديث ليس للمؤمن من صلاته الا ماعقل منها تقدم في الصلاة

من الحق (معنى اجتاحهم) استأصلهم ومن ذلك الجائحة التي تفسد الثمار * وقال ﷺ مثل مابعثـني الله به من الهدى والعلم كمثـل الغيث الـكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الـكثير وكانت منها طائفـة اخاذات أمسكت الماء فنفـع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقـه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلـم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . قال الشيخ أعد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله ﷺ أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصـفاء واختلاف التزكية في تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ماهو بمثابة الارض الطيبة التي أنبتت الـكلأ والعشب الـكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه

وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله عزوجل وله المنة عليه اذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين حق الله سبحانه وان كان مقامه يقتضى أن ينظر الى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عزوجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله عزوجل وبذل جميعه هو الاحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عزوجل ـ فيحفكم تبخلوا ـ ﴿الوظيفة السابعة﴾ ان ينتقى من ماله أجوده وأحبه اليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك [(١)] طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عزوجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه أردأ طعام فى بيته لاوغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله عزوجل وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى أو أكل فافنى والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ـ أى لا تأخذوه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفى الخبر [(٢)] سبق درهم مائة ألف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشئ مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ـ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا ـ وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بان يكون من عموم الأصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة ﴿الأولى﴾ أن يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال ﷺ [(٣)] لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك اياه وقال ﷺ [(٤)] أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفى لفظ آخر [(٥)] أضف بطعامك من تحبه فى الله تعالى وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عزوجل أحب الى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما

---

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عد والبزار (٢) حديث سبق درهم مائة ألف ن حب وصححه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى دت من حديث أبى سعيد بلفظ لا تصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأنا حويبر عن الضحاك مرسلا

الغدران جمع اخاذة وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا اخاذات قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم (أخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلى قال أنبأنا القاضى أبو سعيد محمد الفرخزاذى قال أنبأنا أبو اسحق أحمد بن محمد الثعالبى قال أنبأنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا ابراهيم بن عيسى

احسن

أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه ﴿ الصفة الثانية ﴾ أن يكون من أهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل ﴿ الصفة الثالثة ﴾ أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى ان النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى ان النعمة كلها منه وفى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك و بين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل و يسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الاكثر جدواه واعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع وأما الذى يمدح بالعطاء و يدعو بالخير فسيذم بالمنع و يدعو بالشر عند الايذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه ﷺ (١) بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعنى بفلان نفسه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسر وقال ﷺ علمت أنه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال ﷺ (٢) لرجل تب فقال أتوب الى الله وحده ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ عرف الحق لاهله (٣) ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال ﷺ دعها يا أبا بكر وفى لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك مع أن الوحى وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى

---

(١) حديث بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره الحديث لم أجد له أصلا الا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد رويناه من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شئ فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل ان هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جرءة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ الحديث د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحدكما ولكن أحمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله وللطبرانى فقلت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله ﷺ فقالت لا والله لا أدنو منه الحديث وفيه أنها قالت للنبى ﷺ بحمد الله لا بحمدك

قال حدثنا على بن على قال حدثنا أبو حمزة الثمالى قال حدثنى عبد الله بن الحسن قال حين نزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية قال رسول الله ﷺ لعلى سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى قال أبو بكر الواسطى آذان وعت عن الله تعالى أسراره وقال أيضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ما شهدته شئ فهى الخالية عما سواه فما اضطراب الطبائع الاضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لانهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى

ـ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ـ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه ﴿ الصفة الرابعة ﴾ أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى ـ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ـ أى لا يلحون فى السؤال لانهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغى أن يطلب بالتمحص عن أهل الدين فى كل محلة و يستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال ﴿ الصفة الخامسة ﴾ أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان ﷺ (١) يعطى العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال ﴿ الصفة السادسة ﴾ أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال على رضى الله عنه لأن أصل أخا من اخوانى بدرهم احب الى من أن أتصدق بعشرين درهما ولان أصله بعشرين درهما أحب الى من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب الى من أن أعتق رقبة والأصدقاء واخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجريه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاده فى طاعته وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوقه الى لقاء الله عز وجل والاجر الثانى ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار فى الحال والمآل فان أصاب حصل الاجران وان أخطأ حصل الاول دون الثانى فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد ههنا وفى سائر المواضع والله أعلم

﴿ الفصل الثالث فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه ﴾

﴿ بيان أسباب الاستحقاق ﴾

اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمى ولا الى مطلبى أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية ﴿ الصنف الاول الفقراء ﴾ والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه فى الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير و يجوز أن يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروأته

(١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولابى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ كان اذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

أصول من النصوص وحى الله بهم الدين وعرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب فى اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا فى ذلك الكتب فاتسع بطريقهم علوم القرآن على الامة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الاحكام والتفريع فى المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع الى الاصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والاحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه الى

ويحال

وبحال مثله فهوفقير وان كان متفقها و يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لان الكسب أولى من ذلك قال ﷺ (١) طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعى فى الاكتساب وقال عمر رضى الله عنه كسب فى شبهة خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة أبيه أومن تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير ﴿ الصنف الثانى المساكين ﴾ والمسكين هو الذى لايفى دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهومسكين وقد لايملك الافاسا وحبلا وهوغنى والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعنى مايحتاج اليه وذلك مايليق به وكذا كتب الفقه لاتخرجه عن المسكنة واذا لم يملك الا الكتب فلاتلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج اليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لاينفع فى الآخرة ولايجرى فى الدنيا الامجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر و يمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع فى الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أوكتاب وعظ ليطالع فيه و يتعظ به فان كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لايحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغى أن يضبط مدة الحاجة والاقرب أن يقال مالايحتاج اليه فى السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شئ لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغى أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والاثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احداهما فان قال احداهما أصح والاخرى أحسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح و بع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان نسختان من علم واحد احداهما بسيطة والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الاخرى وأمثال هذه الصور لاتنحصر ولم يتعرض له فى فن الفقه وانما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه و يقرب فى التحديدات بما يراه و يقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ فيه بالاحوط و يدع مايريبه الى مالا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها الا الاحتياط والله أعلم ﴿الصنف الثالث العاملون﴾ وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى و يدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شئ من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح ﴿ الصنف الرابع ﴾ المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الاشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم وفى اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم ﴿ الصنف الخامس المكاتبون﴾ فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولايدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه يعد عبدا له ﴿الصنف السادس الغارمون﴾ والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أومباح وهو فقير فان استقرض فى معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة أواطفاء

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

شئ من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة الى غيرذلك فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيفى وتفرع وتاصل الهدى النبوى المصطفوى فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء العلم والاودية القلوب (قال أبو بكر الواسطى) رضى الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء اليها * وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك اذا سال السيل فى الاودية لايبقى فى الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها كذلك اذا سال النور الذى قسمه الله تعالى للعبد فى نفسه لاتبقى فيه غفلة

فى الازل (فاما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لاتبقى فيها جفوة (وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فاخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء لزاهدين فى الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان فى باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد فى الدنيا اتسع وادى قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت اخاذات * قيل مالكا

فتنة ﴿الصنف السابع الغزلة﴾ الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء اعانة لهم على الغزو ﴿الصنف الثامن ابن السبيل﴾ وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب بينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله انى غاز فان لم يف به استرد وأما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار مايصرف الى كل واحد فسيأتى

﴿ بيان وظائف القابض وهى خمسة ﴾

﴿الاولى﴾ أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى ـ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ـ ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الاموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة و بلية فأقحمه فى الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر و يتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه و بيانه ان شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه ﴿الثانية﴾ أن يشكر المعطى و يدعو له و يثنى عليه و يكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال ﷺ [(١)] من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى ـ نعم العبد انه أواب ـ الى غير ذلك وليقل القابض فى دعائه طهر الله قلبك فى قلوب الابرار وزكى عملك فى عمل الاخيار وصلى على روحك فى أرواح الشهداء وقد قال ﷺ [(٢)] من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع و يفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير و يضره خلافه والاخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا ﴿الثالثة﴾ أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق الامر عليه وكان مايسلم اليه لا يعرف له

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع

مالك كامعينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام ﴿الرابعة﴾ أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وان أعطي زيادة أبى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان أخذ بالمسكنة فلينظر أولا الى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله ﷺ (١) ادخر لعياله قوت سنة فهذا أقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أنه ﷺ (٢) نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ﷺ غداؤه وعشاؤه وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله تعالى الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه ﷺ (٣) قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه ﷺ (٤) قال من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيء بضاعة ليتجر بها ويستغني بها طول عمره لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم الى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال (٥) ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال ﷺ اجعله في قرابتك فهو خير لك فأعطاه حسان

---

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر (٢) حديث سهل بن الحنظلية في النهي عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جر جهنم الحديث (٣) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لان الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٥) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة

للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد العلم والهدى رسول الله ﷺ أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من

وأباقتادة حائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما يحكى فيه فأما التقليل الى قوت اليوم أو الاوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب الى الاحتمال وهو أيضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع [١] استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك كما قاله صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض فى نفسه شيأ مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة ﴿ الخامسة ﴾ أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة إما الجهل و إما التساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها واعطائها ﴾

﴿ بيان فضيلة الصدقة ﴾

﴿ من الاخبار ﴾ قوله صلى الله عليه وسلم [٢] تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم [٣] اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم [٤] ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد وقال صلى الله عليه وسلم [٥] لأبى الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم [٦] ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم [٧] كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم [٨] الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم فى العلم (٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولابى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان واسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم (٤) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الحديث خ تعليقا و م ت ن فى الكبرى واللفظ له ه من حديث أبى هريرة (٥) حديث قال لابى الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبى ذر انه قال ذلك له وما ذكره المصنف انه قال لابى الدرداء وهم

(٦) حديث ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك فى الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه

(٧) حديث كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٨) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف ان الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

الانسان نفسه لربه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفرق فى الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة فى الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد فى النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب فى ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتم نضارة واستلار يابعثه

غضب الرب عز وجل وقال ﷺ (١) ما الذى أعطى من سعة بافضل أجرا من الذى يقبل من حاجة ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ (٢) أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد قال ﷺ (٣) يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال ان عندى آخر قال أنفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال ﷺ أنت أبصر به وقال ﷺ (٤) لا تحل الصدقة لآل محمد انما هى أوساخ الناس وقال (٥) ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال ﷺ (٦) لو صدق السائل ما أفلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا ﷺ (٧) لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال ﷺ (٨) ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال ﷺ (٩) مامن مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة (الآثار) قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ـ فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ـ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ والله يعلم أنى أحب السكر وقال النخعى اذا كان الشئ لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل

(١) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة حب فى الضعفاء وطب فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث قال يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير (٤) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة (٥) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة (٦) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لا يصح فى هذا الباب شئ وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (٧) حديث كان لا يكل خصلتين الى غيره الحديث الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا (٨) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٩) حديث مامن مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله الحديث ت وحسنه و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه فى الدين * روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال ماعبد الله عز وجل بشئ أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب املاء قال حدثنا سعيد ابن حفص قال حدثنا أبو طالب الزينبى قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربرى قال أخبرنا البخارى قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما

كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لافقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به و يسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص و يقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عزوجل رضي في الحور العين الفلس واللقمة

﴿ بيان اخفاء الصدقة واظهارها ﴾

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى أن الاخفاء أفضل ومال قوم الى أن الاظهار أفضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه ﴿ أما الاخفاء ففيه خمسة معان ﴾ * الاول انه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف * الثاني انه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه و يظنون انه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه الى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختياني انى لأترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخواني يقولون من أين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رؤى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت ان أهله علموا به ماقبلته * الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء أكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لايتم الا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي ودفع رجل الى بعض العلماء شيأ ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيأ في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيأ في الملا فرده فقال له لم ترد على الله عزوجل ما أعطاك فقال انك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عزوجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيأ كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية وأطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت أن أحدهم لايذكر صدقته ولايتحدث بها لقبلت صدقته * الرابع أن في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولايأخذ في العلانية و يقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيأ من الدنيا بوضع العلم واذلال أهله * الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم (١) من أهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها و بان يكون ورقا أو ذهبا لايخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم (٢) أفضل مايهدي الرجل الى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطي في الملأ مكروه الا برضا جميعهم ولايخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة ﴿ أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة ﴾ * الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمرآة * والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لاتخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي يريده أخوك

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لايصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل مايهدي الرجل الى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا اعد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقضي عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد و ت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أومنحة لبن أو هدى

من اتى ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابى حسبى حسبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل * وروى عبد الله بن عباس أفضل العبادة الفقه فى الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لايفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم لما قال مثل ما بعثنى الله به

لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت اذ كنت سبب مزيد ثوابه * الثالث هو أن العارف لا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية والالتفات الى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد * حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل اليه لانه لا يلتفت لغير الله عز وجل * الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى ـ وأما بنعمة ربك فحدث ـ والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى ـ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال ﷺ (١) اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه وأعطى رجل بعض الصالحين شيأ فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم اذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر فيه محثوث عليه قال ﷺ (٢) من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه (٣) ولما قال المهاجرون فى الشكر يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالاجر كله فقال ﷺ كل ما شكرتم لهم واثنيتم عليهم به فهو مكافأة * فالآن اذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه ان كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى انتهاك الستر أو اعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا وربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا رفاقا فهو كعتاق نسمة

(١) حديث اذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكره الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم الحديث ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة و ك وصححه ه

من الهدى والعلم أخبر انه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منهما وراثة مجعولة فيه من آدم أبى البشر ﷺ حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى علم الانسان مالم يعلم فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب والكياسة ثم اقتضاء استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء الى الله تعالى بالنور الذى وهب له فالنبى ﷺ بعث الى الامة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين نطق من الارض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الارض

داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة و يقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء و يورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ماذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه و بين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية و يرغبون في اخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم أن باعثه السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره و يظهر صدقته ولذلك قال ﷺ (١) للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح مع أنه ﷺ كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد (٢) انه سيد أهل الوبر وقال ﷺ (٣) في آخر اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ﷺ (٤) ان من البيان لسحرا وقال ﷺ (٥) اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال ﷺ (٦) اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال أيضا ليوسف بن أسباط اذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه فان أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر و بالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر الذي يتحدث به ولا يرى نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

﴿ بيان الافضل من أخذ الصدقة والزكاة ﴾

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل فان في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز وأما الصدقة فالامر فيها أوسع وقال قائلون يأخذ الزكاة دون الصدقة لانها اعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ولان الزكاة لا منة فيها وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولانه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين أدخل في الذل والمسكنة وأبعد من التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ما أفلح أبدا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث انه سيد الوبر العنبري و طب وابن قانع في معاجمهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري أن النبي ﷺ قال له ذلك (٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ه من حديث ابن عمر ورواه د في المراسيل من حديث الشعبي مرسلا بسند صحيح وقال روي متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصاري عن أبيه وصحح اسناده (٤) حديث ان من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة وقال لا يصح عن الزهري وروي عن ابن المسيب مرسلا (٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما أجاب من الارض ذرة المصطفى محمد ﷺ ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله ﷺ هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له والى هذا اشارة بقوله ﷺ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي أميا لان مكة أم القرى ودرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي ﷺ الى مايحاذي تربته بالمدينة وكان رسول الله ﷺ مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله ﷺ هو ما قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ذل الآخذ وحاجته والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص ومايغلب عليه ومايحضره من النية فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة و بين الصدقة فاذا كان صاحب الصدقة لايتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس واذلالها فى أغلب الاحوال والله أعلم

* كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه و يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والارضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب أسرار الصوم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنه بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد أمله وخيب ظنه اذ جعل للصوم حصنا لأوليائه وجنة وفتح لهم به أبواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنه والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله ﷺ (١) الصوم نصف الصبر و بمقتضى قوله ﷺ (٢) الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ (٣) كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به وقد قال الله تعالى ـ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله ﷺ (٤) والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلى فالصوم لى وأنا أجزى به وقال ﷺ (٥) للجنة باب يقال له الريان لايدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال ﷺ (٦) للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال ﷺ (٧) لكل شئ باب و باب العبادة الصوم وقال ﷺ (٨) نوم الصائم عبادة وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ (٩) قال اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث الصبر نصف الايمان أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم الحديث أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله (٥) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجاه من حديث سهل بن سعد (٦) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٧) حديث لكل شئ باب و باب العبادة الصوم ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث نوم العالم عبادة رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الاعنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين (٩) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت وقال غريب

وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل الى المسبب وقيل معنى القول بانه مسح أى أحصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد فى رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله ﷺ هى الجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له ومو هو با وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطئ الارض بقدميه فصار بعض

ونادى منادياباغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الأيام الخالية هى أيام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله ﷺ فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا و بين الصوم (١) فقال ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لاجلى المبذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى وقال ﷺ فى الصائم يقول الله عز وجل (٢) انظروا ياملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلى وقيل فى قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لانه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا و يجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين أحدهما ان الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لايراه إلا الله عز وجل فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد والثانى انه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال ﷺ (٣) ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال ﷺ لعائشة رضى الله عنها داومى (٤) قرع باب الجنة قالت بماذا قال ﷺ بالجوع وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله عز وجل ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم - فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عزوجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وانما التغيير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال ﷺ (٥) لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده ﴾

﴿ أما الواجبات الظاهرة فستة ﴾

(الأول) مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعنى بالرؤية العلم و يحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه واذا رؤى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب (الثانى) النية ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم

و ه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (١) حديث ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث يقول الله تعالى لملائكته ياملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى (٣) حديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٤) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث أحمد

الارض بين قدميه و بعض الارض بين موضع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت مأوى الشر و بعضها لم يصل اليه قدم إبليس فمن تلك التربة أصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله ﷺ موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة فى أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الأول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعلموا وعلموا كالاخاذ الذى يسقى منه و يزرع منه وجمعوا بين

شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند الى استصحاب حال كالشك فى الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند الى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان أصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الامساك عن ايصال شئ الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل فى الاذن والاحليل الا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق الى جوفه أو ما يسبق الى جوفه فى المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ فى المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذى أردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لا يفطر أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له انه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغى أن يأكل فى طرفى النهار الا بنظر واجتهاد (الرابع) الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا أو احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة (الخامس) الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المنى قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا أن يكون شيخا أو مالكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى واذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره (السادس) الامساك عن اخراج القئ فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القئ لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا أن يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك

﴿ وأما لوازم الافطار فاربعة ﴾

القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبيها بالصائمين ﴿ أما القضاء ﴾ فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا ﴿ وأما الكفارة ﴾ فلا تجب الا بالجماع وأما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا ﴿ وأما امساك بقية النهار ﴾ فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما ﴿ وأما الفدية ﴾ فتجب على الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا ﴿ وأما السنن فست ﴾ تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الاخير فهو عادة رسول الله ﷺ (١) كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش

(١) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه

التقوى فانجلى فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا فى الدنيا انصبت الى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كل حال شريف نعزوه الى الصوفية فى هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفى هو المقرب وليس فى القرآن اسم الصوفى واسم الصوفى ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك فى بابه ولا يعرف فى طرفى بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لاهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب و بلاد تركستان وماوراء النهر ولا يسمون صوفية لانهم لا يتزيون

وشد المئزر وأدأب أهله أى أداموا النصب فى العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها فى أوتار وأشبه الاوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم (١) لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه فى التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان صلى الله عليه وسلم (٢) يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغى أن يستأنف النية الا اذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

﴿ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة ﴾

اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل ـ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ـ وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور ﴿الاول﴾ غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم (٣) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) أنه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة ﴿الثانى﴾ حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر ابن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم (٥) انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم انى صائم وجاء فى الخبر ان (٦) امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم قل لهما قيآ فيه ما أكلتما

من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر (١) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الا مارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٢) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها (٣) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس الحديث ك وصحح اسناده من حديث حذيفة (٤) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الازدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب (٥) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بزى الصوفية ولامشاحة فى الالفاظ فيعلم انا نعنى بالصوفية المقربين فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم فى الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداهما ممن تميز بزى ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذى علم عليم

﴿ الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمر والهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود السجستانى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثنى عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن

فقالت

فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال ﷺ هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم ﴿الثالث﴾ كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى ـ سماعون للكذب أكالون للسحت ـ وقال عز وجل ـ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ـ فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى ـ انكم اذا مثلهم ـ ولذلك قال ﷺ (١) المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم ﴿الرابع﴾ كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال ﷺ (٢) كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام ﴿الخامس﴾ أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة من ضحوة نهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى ـ انا أنزلناه فى ليلة القدر ـ ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله عز وجل ﴿السادس﴾ أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسىء باساءته أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد

الحديث بسند فيه مجهول (١) حديث المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم غريب وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث أبى هريرة

عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير فى السماع أن يسمع العبد بفناء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى ورسائله الى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم بما تضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو اليه من العمل ورأوا كلام رسول الله ﷺ الذى

عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس أنه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى أضعف من هذه الادلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا مايتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الاخرة فيعنون بالصحة القبول و بالقبول الوصول الى المقصود و يفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم و يتشبه باخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فاى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاى معنى لقوله ﷺ كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لايعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام و يأكل و يشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع و يعطش و يطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الاكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد الا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال ﷺ (١) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (٢) ولما تلا قوله عز وجل ــ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ــ وضع يده على سمعه و بصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ فليقل انى صائم أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا و باطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة لان فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز الى غمار أرباب الالباب

﴿ الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه ﴾

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة و بعضها يوجد فى كل شهر و بعضها فى كل أسبوع * اما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة و يوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة وكان رسول الله ﷺ (٣) يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه فى رمضان (٤) وفى الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه و بصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان

المحرم

لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع اليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا أن الوساوس أدخنة ثائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا و يزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس أحطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيؤا مواردها بصفاء الفهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (قال الشبلى) رحمه الله

المحرم لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته وقال ﷺ (١) صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام (٢) وفي الحديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام (٣) وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة (٤) وفصل مرارا كثيرة (٥) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة الا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأفضلها ذو الحجة لان فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج (٦) وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل الا من عقر جواده واهريق دمه ﴿وأما ما يتكرر﴾ في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ﴿وأما في الأسبوع﴾ فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات * وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت أخبار تدل على كراهته (٧) والصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله والآخر أن يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقال ﷺ (٨) فيما رواه أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له

شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (١) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٢) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٣) حديث اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجيء رمضان وصححه ت (٤) حديث وصل شعبان برمضان مرة الاربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة (٥) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت ه من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ (٧) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر خ م من حديث عبد الله ابن عمرو في حديثه لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير (٨) حديث أبي موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد ن في الكبرى و حب

موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى اذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى اذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الافهام الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التي أقعدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من الاغراض والامراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه الا شهود الرب وأنشد

أنعى اليك قلوبا طالما هطلت * سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

* وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم * فذاب له وانقطع اليه عما سواه قال الواسطي أي لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له

فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما و يفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لان العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال ﷺ (١) عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقال ﷺ (٢) أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما و يفطر يوما ومن ذلك (٣) منازلته ﷺ لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول اني أطيق أكثر من ذلك فقال ﷺ صم يوما وأفطر يوما فقال اني أريد أفضل من ذلك فقال ﷺ لا أفضل من ذلك وقد روى أنه ﷺ (٤) ماصام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما و يفطر يومين واذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم واذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى انه ﷺ (٥) كان يصوم حتى يقال لا يفطر و يفطر حتى يقال لا يصوم و ينام حتى يقال لا يقوم و يقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ماينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء أن يوالي بين لافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسي القلب و يولد رديء العادات و يفتح أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب * تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ماعلمنا منها ومالم نعلم على جميع نعمه كلها ماعلمنا منها ومالم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لارب غيره وما توفيقي إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب أسرار الحج ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد و بين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله اليوم

وحسنه أبو علي الطوسي (١) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا وقال حسن (٢) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجاه من حديث عبدالله بن عمرو (٣) حديث منازلته لعبدالله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما الحديث أخرجاه من حديثه (٤) حديث ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث كان يصوم حتى يقال لايفطر الحديث أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لايصوم منه شيأ و يصوم حتى يظن أن لايفطر منه شيأ وكان لاتشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولانائما الا رأيته

﴿ كتاب أسرار الحج ﴾

الله تعالى اذا تجلى لشئ خضع له وخشع وهذا الذى قاله الواسطي صحيح في حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمكين لايغيب سمعه في بصره لتملكه ناصية الحال و يفهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام والسماع والالهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للمتمكن في مقام

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا - وفيه قال ﷺ (١) من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال و يساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب

﴿ الباب الأول ﴾ فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها

﴿ الباب الثانى ﴾ فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع

﴿ الباب الثالث ﴾ فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان

﴿ الفصل الأول ﴾ فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المساجد

﴿ فضيلة الحج ﴾

قال الله عز وجل - وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل ابراهيم ﷺ وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى يا أيها الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة فى الموسم والاجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عز وجل - لأقعدن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال ﷺ (٢) من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال أيضا ﷺ (٣) ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ يقال (٤) ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد الى رسول الله ﷺ وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن ابليس لعنه الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له ما الذى أبكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك قال فما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب الى قال فما الذى غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الى قال فما الذى قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول ياويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال ﷺ (٥) من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ﷺ (٦) حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة وقال ﷺ (٧) الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر الحديث مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة لم أجد له أصلا (٥) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة هق فى الشعب بالشطر الاول من حديث أبى هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف (٦) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ الحج المبرور وقال ان الحجة المبرورة وعند ابن عدى حجة مبرورة (٧) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث ه من حديث أبى هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث

الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء الى مقار البقاء * وقال ابن سمعون ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهى ثلاثة أشياء فالقلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الادب ومن افتقر الى ما لم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الادب والثالث امتلاء القلب بالذى بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الادب * قال ومحمد بن على الباقر موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوات نال من الحياة بقسطها فالسماع للاحياء لا للاموات قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى * قال سهل ابن عبد الله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فالقلب عمال

سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام (١) أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٢) أنه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٣) وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أجل شئ تجدونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة (٤) وفي الخبر من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه و يقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبده ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله ﷺ (٥) حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا - قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة و يوم جمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وقال ﷺ (٦) اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ويروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله ﷺ حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج و يقبلوا بين أعينهم و يسألوهم الدعاء و يبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدري كم قبل منهم قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمني أمري فقلت اذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن

ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (١) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٢) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٣) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب وك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين و يرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه (٥) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث أخرجاه من حديث عمر (٦) حديث اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ك من

سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفي حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذي يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا

لا يقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء والاسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه قبلته

﴿ فضيلة البيت ومكة المشرفة ﴾

قال ﷺ (١) ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها (٢) وفى الخبر ان الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق وكان ﷺ (٣) يقبله كثيرا وروى أنه ﷺ (٤) سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٥) وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر و ينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء و يشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه ان صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف و يقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة (٦) وفى الخبر الصحيح عمرة فى رمضان كحجة معى وقال ﷺ (٧) أنا أوّل من تنشق عنه الارض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين وفى الخبر (٨) ان آدم ﷺ لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وجاء فى الاثر ان الله عز وجل ينظر فى كل ليلة الى أهل الارض فأوّل من ينظر اليه أهل الحرم وأوّل من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفرله ومن رآه مصليا غفرله ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفرله وكوشف بعض الاولياء رضى الله عنهم قال انى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة و يقال لا تغرب الشمس من يوم إلا و يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس

حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة و يبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الاسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث انه ﷺ كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن انه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا (٤) حديث انه كان يسجد عليه البزار و ك من حديث عمر وصحح اسناده (٥) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين (٦) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أوحجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك (٧) حديث أنا أوّل من تنشق عنه الارض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى الحديث ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر (٨) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم الحديث رواه المفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من

والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن الى سواه فقلب الصوفى مجرد عن الاكوان أتى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهود ذات لتخلصه الى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع وقال ان الباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شئ على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شئ على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم تجد مساغا تنفذ

وقد رفعت الكعبة لايرى الناس لها أثرا وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال و ينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التي تتوقع ولادتها وفي الخبر (١) استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين و يرفع في الثالثة وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى (٢) اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره

﴿ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته ﴾

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة ﴿الأول﴾ خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا و يقول يا أهل اليمن يمنكم و يا أهل الشام شامكم و يا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت ﴿الثاني﴾ تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أي يثوبون و يعودون اليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به و يقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل ﴿الثالث﴾ الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور بالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله أشكو ثم اليك ياجبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لا نتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ـ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ـ أي انه على مجرد الارادة و يقال ان السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الى من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة و بعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به أفضل أي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال (٣) انك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

﴿ فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد ﴾

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم (٤) صلاة في مسجدي

حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الازرقي في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين و يرفع في الثالثة (٢) حديث قال الله اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل (٣) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت ت وصححه ون في الكبرى وه وحب من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء (٤) حديث صلاة في مسجدي

منه شئ على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماوقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة الى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوي أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذي هذا

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بألف و بعد مدينته الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها الا المسجد الحرام وكذلك سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي ﷺ (١) أنه قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وقال ﷺ (٢) من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة وقال ﷺ (٣) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال ﷺ (٤) لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لى أن الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ (٥) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال الى موضع فيه مسجد و ينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل ابراهيم وموسى و يحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب الى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له قال ﷺ (٦) البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى وفى الخبر (٧) من بورك له فى شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله قال الى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن و يحكى عنه أنه قال والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (١) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس إئتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى اسناده من ضعف وقال الذهبى انه منكر (٢) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة م من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد (٣) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٤) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٥) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٦) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٧) حديث من رزق فى شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له

وقع فى أرض طيبة مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه و يعمل به و يجانب هواه وهذا الذى جانب الهوى وانتهج سبيل الهدى هو الصوفى لان للهوى حلاوة والنفس اذا تشربت حلاوة الهوى فهى تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح الى الحضرة الالهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء لانها متأصلة فى الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة فى أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله ﷺ

فالشام قال يشار اليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الأول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الأول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

﴿ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته ﴾

﴿ أما الشرائط ﴾ فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى ﴿ وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة ﴾ الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاشاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت ﴿ وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ ﴾ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف ٧ ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه ﴿ وأما شروط لزوم الحج فخمسة ﴾ البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج ﴿ وأما الاستطاعة فنوعان ﴾ أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما في نفسه فبالصحة وأما في الطريق فبان تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه الى وطنه كان له أهل أو لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضي به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة ان استمسك على الزاملة ۞ وأما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال الحج ﴿ وأما الاركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة ﴾ الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب ﴿ وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة ﴾ الاول الافراد وهو الافضل وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فأحرم واعتمر وأفضل

٧ (قوله في حالة الوقوف) هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فان الرقيق اذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل اهـ مصححه

أظن لمياء جرت فيك اردانا فتعمه الكامة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول ان تأملتكم فكلي عيون * أو تذكرتكم فكلي قلوب قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي ﷺ وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذي في سائر المؤمنين أحد وعشرون سهما فسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزأ يتفاضلون فيها على مقادير حقائق ايمانهم قيل في هذه

الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا أن يتطوع * الثانى القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما و يكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا أنه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لان شرط الطواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا أن يكون مكيا فلا شئ عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة * الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة و يتحلل بمكة و يتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط * أحدها أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة * الثانى أن يقدم العمرة على الحج * الثالث أن تكون عمرته فى أشهر الحج * الرابع أن لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج * الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا و بدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران ﴿وأما محظورات الحج والعمرة فستة﴾ الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبين فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فان احرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها فى وجهها * الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة * الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر * الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه * الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا فى الاستمناء و يحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد * السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

﴿الباب الثانى فى ترتيب الاعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع وهى عشرة جمل﴾

﴿الجملة الاولى فى السير من أول الخروج الى الاحرام وهى ثمانية﴾

﴿الاولى فى المال﴾ فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع و يرد ما عنده من الودائع و يستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء و يتصدق بشئ قبل خروجه و يشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير و يحصل رضاه فيه ﴿الثانية فى الرفيق﴾ ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره و يودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه فيودعهم و يلتمس أدعيتهم فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا والسنة فى الوداع أن يقول(١) أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وكان ﷺ (٢) يقول لمن أراد السفر فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت ﴿الثالثة فى الخروج من الدار﴾ ينبغى اذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين أولا يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف

﴿الباب الثانى فى ترتيب الافعال الظاهرة﴾

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا اراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت

الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار فى الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع المقامات ألا تراه ﷺ يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الاول فى الفضل فى محل القدس وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم * قال الجنيد تنسموا روح ما دعاهم اليه فاسرعوا الى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة وأحسنوا الادب فيما توجهوا اليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا هممهم عن التفلت الى مذكور سوى وليهم فحيوا حياة الابد بالحى الذى لم يزل ولا يزال (وقال الواسطى) رحمه الله

ونية صادقة وقال اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك أن تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك ﴿الرابعة﴾ اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم أنت ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه ﴿الخامسة في الركوب﴾ فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت في جميع أمورى عليك أنت حسبى ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الامور ﴿السادسة في النزول﴾ والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ [(١)] عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ﴿السابعة في الحراسة﴾ ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم [(٢)] فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله ﷺ في سفره لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والاحب في الليل [(٣)] أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله

الطبرانى في الدعاء من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكنفه (١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما لا تطوى بالنهار وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا (٢) حديث كان اذا نام في أول الليل افترش ذراعه واذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه في كفه أحمد و ت في الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى م ولم أره فيه (٣) حديث تناوب الرفيقين في الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر في حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال بل اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث والحديث عند أبى

النفوس بمتابعة الرسول ﷺ وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه أولها إجابة التوحيد والثانى إجابة التحقيق والثالث إجابة التسليم والرابع إجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فلله تعالى في كل كلمة من القرآن كلمات التى ينفد البحر دون نفادها

كل معاول لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم فحياة تعالى حياتها تصفيتها عن

ماشاءالله لاقوة الابالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لايموت اللهم احرسنا بعينك التي لاتنام واكنفنا بركنك الذي لايرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين ﴿الثامنة﴾ مهما علا نشزا من الارض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

﴿ الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة ﴾

﴿الاول﴾ أن يغتسل و ينوى به غسل الاحرام أعنى اذا انتهى الى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه و يتم غسله بالتنظيف و يسرح لحيته ورأسه و يقلم أظفاره و يقص شاربه و يستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة ﴿الثانى﴾ أن يفارق الثياب المخيطة و يلبس ثوبى الاحرام فيرتدى و يتزر بثوبين أبيضين فالابيض هو أحب الثياب الى الله عز وجل و يتطيب فى ثيابه و بدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام (١) فقد رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام ﴿الثالث﴾ أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا أو يبدأ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿الرابع﴾ اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول اللهم انى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليجتنبها ﴿الخامس﴾ يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لايبح حلقه ولا ينبهر (٢) فانه لاينادى أصم ولا غائبا كما ورد فى الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك أعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان ﷺ (٣) اذا أعجبه شئ قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

﴿ الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف وهى ستة ﴾

الاول أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة ﴿الأول﴾ للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة

داود لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى (١) حديث رؤية و بيص المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى و بيص المسك الحديث (٢) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث كان اذا أعجبه شئ قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من

السهروردى قال أنبأنا الرئيس أبو على بن نبهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم ابن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه الى النبى ﷺ قال مانزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت ياأباسعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا انما ذهب الى قول عبد الله ابن مسعود قال أبو عبيد حدثنى حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال مامن حرف أو آية الا وقد عمل بها قوم أولها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد اليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح

ولطواف الوداع فتعود الى سبعة ﴿الثاني﴾ أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري و بشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك ﴿الثالث﴾ أن يدخل مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله ﷺ [1] من جادة الطريق اليها فالتأسي به أولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا ﴿الرابع﴾ اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا إله الا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعذني من الشيطان الرجيم ﴿الخامس﴾ اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله و بالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تتقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك ﴿السادس﴾ أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته و يقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف

﴿الجملة الرابعة في الطواف﴾

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم واما لغيره فينبغي أن يراعي أمورا ستة ﴿الاول﴾ أن يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى و يجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره و يقطع التلبية عند ابتداء الطواف و يشتغل بالادعية التي سنذكرها ﴿الثاني﴾ اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه و بين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض و يلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف ﴿الثالث﴾ أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ و يطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى و يحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني أعوذ بك من

حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة (١) حديث دخول رسول الله ﷺ من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله

الله تعالى عن كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه اياهم فظاهر ذلك اخبار عنهم و باطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ و يسمع من الامة وقيل ظاهره تنزيله الذي يجب الايمان به و باطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا و بطنه التدبر والتفكر فيه قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقيل قوله لكل حرف حد أي في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام وفي التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والاسباب التي نزلت

الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لاظل الاظلك اللهم اسقنى بكأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجامبرورا وسعيامشكورا وذنبامغفورا وتجارة لن تبور ياعزيز ياغفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم انى أعوذ بك من الكفر وأعوذبك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الاسود قال اللهم اغفرلى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعندذلك قدتم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الادعية فى كل شوط ﴿ الرابع ﴾ أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الاربعة الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهودون العدو وفوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوّة هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة [١] والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش أربعا وان أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الاحب وان منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الاركان وروى انه ﷺ [٢] كان يستلم الركن اليمانى ويقبله [٣] ويضع خده عليه [٤] ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى ﴿ الخامس ﴾ اذاتم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بمارزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذبك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمدالله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه * كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحواعنى حتى أقرلربى بذنوبى ﴿ السادس ﴾ اذافرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف

ﷺ اذادخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء الحديث (١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبى ﷺ ان يرملوا الاشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع فروى د ه ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقدأظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيأ كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ (٢) حديث استلامه ﷺ للركن اليمانى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة اذا استلم الركن الاسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله ﷺ يمس من الاركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن (٣) حديث تقبيله ﷺ له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا انى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ماقبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى ﷺ اذا استلم الركن اليمانى قبله (٤) حديث وضع الخد عليه قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺ قبل الركن اليمانى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبدالله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤوّل على ماذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى (قال أبو الدرداء) لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبدالله بن مسعود مامن آية الا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فالصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو الى العمل وعملهم

المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهرى (١) مضت السنة أن يصلى لكل سبع ركعتين وان قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز (٢) فعل ذلك رسول الله ﷺ وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الآخرة والاولى واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال ﷺ (٣) من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدئ بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر وأن يوالى بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

{ الجملة الخامسة فى السعى }

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله ﷺ (٤) حتى بدت له الكعبة وابتداء السعى من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون اللهم انى أسألك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ويصلى على محمد ﷺ ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعى وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الاعز الاكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هينة حتى ينتهى الى الميل الاخضر وهو أول ما يلقاه اذا

---

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى ﷺ أسبوعا الا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله ﷺ وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٢) حديث قرانه ﷺ بين أسابيع ابن أبى حاتم من حديث بن عمر أن النبى ﷺ قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى اسنادهما عبد السلام بن أبى الجنوب منكر الحديث (٣) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة ت وحسنه ون ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٤) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبى هريرة أتى الصفا فعلا عليه

يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه وهذا العمل آنفا انما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القالب وأعمال القلوب للطفها وصداقتها مشاكلة للعلوم لانها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأدبات قلبية ومسامرات سرية وكلما أتوا بعمل من هذه الاعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعوته فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مراء منبئة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه قال

نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه و بين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا و يرمل في موضع الرمل في كل مرة و يسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف و يكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان

﴿ الجملة السادسة في الوقوف وماقبله ﴾

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة و يأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها و بالغد ومنها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج الى منى ملبيا و يستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجته ان قدر عليه والمشي من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات و يقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله ﷺ (١) قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة و يتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبي تارة و يكب على الدعاء أخرى و ينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ (٢) وعن السلف في يوم

(١) حديث ضرب به ﷺ قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور في يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث ت من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي

لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقي عن حد الكلام الى شهود المتكلم * وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بأني أنا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه الى الله صار سمعه بصره و بصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره حتى نظر الى البيت أوله وأوله آخره ومعنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله ألست بربكم فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الاصلاب

عرفة أولى مايدعو به فليقل لااله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهوحي لايموت بيده الخير وهوعلى كل شئ قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسرلي أمري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني أعوذبك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني أعوذبك من شرمايلج في الليل ومن شرمايلج في النهار ومن شرماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم اني أعوذبك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفرلي في الآخرة والاولى ياخيرمقصود وأسنى منزول به وأكرم مسؤل مالديه أعطني العشية أفضل ما أعطيت احدامن خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ويافاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي اليك أن لاتنساني في دارالبلاء اذا نسيني أهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولايخفى عليك شئ من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لاتجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخيرالمسؤلين وأكرم المعطين الهي من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي الهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل ولاشفيع سوى الامل الهي اني أعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولاللاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين الهي ان لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شئ وأناشئ الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي ياكريم الهي أنت أنت وأنا أنا العواد الى الذنوب وأنت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري اليك وغناك عني الاغفرت لي ياخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفرلي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ماسألت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما أنت صانع العشية بعبد مقرلك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك أنخنا واياك أملنا وماعندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا واليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويامن ليس له وزير يؤتى ولاحاجب يرشى يامن لايزداد على كثرة السؤال

ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني أعوذبك من شر ماتجيء به الريح وقال ليس بالقوي اسناده وروى المستغفري في الدعوات من حديث ياعلي ان أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا اله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسرلي أمري اللهم اني أعوذبك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشرمايلج في الليل وشر مايلج في النهار وشرماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة اللهم انك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي

السجود من آبائك الانبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بان يصيره صوفيا صافيا لايزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة الى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ألست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار في لوامع الانوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألست بربكم اشارة منه الى هذا الحال فاذاتحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته

الاجودا وكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شئ لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وان أحسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان أذنبوا عفوت وغفرت واذا دعونا أجبت واذا نادينا سمعت واذا أقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام الهنا انك أحببت التقرب اليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا وانك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار * وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يامن لا يشغله شان عن شان ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يامن لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك ولتبدع بما بداله وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من أجلى وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم

﴿ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف ﴾

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وايضاع الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله ﷺ (١) نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جيلا لا تطؤا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب الى توقير الحرم ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا له بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها فى الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من

ولا يخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير فذكر الحديث الى قوله يا خير المسؤلين وياخير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ماهو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة

(١) حديث نهى النبى عن وجيف الخيل وايضاع الابل ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى ايضاع الابل وقال ك ليس البر بايجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر

سرمدًا وشهوده مؤبدًا وسماعه متواليًا متجددًا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع * قال سفيان بن عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر * وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت الى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه وقيل كان رسول الله ﷺ اذا نزل عليه جبريل عليه السلام وأوحى اليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك

التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها فى النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل و يتزوّد الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف و يدعو الى الاسفار و يقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا أسرع فى المشى ثم اذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة و يكبر أخرى فينتهى الى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات و يرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس و يرمى سبع حصيات رافعا يده و يبدل التلبية بالتكبير و يقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لاشريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك و بك واليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أوالبقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله ﷺ (١) خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء وقال أبو هريرة البيضاء أفضل فى الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع فى الانف والاذن القطع منهما والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التى لاتنقى أى لامخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة و يبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى و يقول اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحذورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة و يطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن فى الحج و يسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر الى أى وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى * وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن ومهما أتى باثنين من

ﷺ بمعنى السماع و يحتاج المطالع للعلوم والاخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والامثال التى فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون فى ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لانه نوع من ذلك وكما أن القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ماسمعه أحسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شئ أحسنه ومن الأدب فى المطالعة أن العبد اذا أراد أن يطالع شيأ من الحديث والعلم يعلم انه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه فى ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب الى حد هذه

ليس بالايضاح (١) حديث خير الاضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث

هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الاحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ ففى الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة (١) يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الاولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة و يرمى اليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى و يرمى كما رمى الاولى و يقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة و يرمى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله و يبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول و يصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى و بين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شئ عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى احدا وعشرين حجرا كما سبق وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك (٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى و يصلى العصر والمغرب والعشاء و يرقد رقدة فهو السنة (٣) رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شئ عليه

﴿ الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع ﴾

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل و يلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج و يحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية و ينوى العمرة و يلبى و يقصد مسجد عائشة رضى الله عنها و يصلى ركعتين و يدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراهما أهلا لان أطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا والى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده

أبى أمامة قال ت غريب وعفير يضعف فى الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله ه من حديث ابن عمر وقف النبى ﷺ يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله ﷺ كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حديث عائشة ان النبى ﷺ مكث بمنى ليالى أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبى ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث

يأخذ ذلك من وقته و يراعى الافراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لا يبادر اليه الا بعد التثبت والانابة والرجوع الى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يقتبس من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما أشار الى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشاء فاذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله فى ذلك و يتعلم علمه وأدبه فانه باب

من غير استنابة ان أمكنه وليرتومنه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال ﷺ (١) ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ماقصد به

﴿ الجملة التاسعة في طواف الوداع ﴾

مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من تمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم و يدعو و يتضرع و يقول اللهم ان البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك و بلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي ان أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

﴿ الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها ﴾

قال ﷺ (٢) من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال ﷺ (٣) من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال ﷺ (٤) من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ﷺ في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد و يدخله و يصلي بجنب المنبر ركعتين و يجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن و يستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الاول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة و يستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر و يجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف و يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طاهر السلام عليك

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له ٥ من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني فقد جفاني وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لا تهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

والمزيد من كل شئ ينفع سلوك الآخرة

﴿ الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شرار الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء أدلاء الامة وعمد الدين

يا أكرم ولد آدم السلام عليك ياسيد المرسلين السلام عليك ياخاتم النبيين السلام عليك يارسول رب العالمين السلام عليك ياقائد الخير السلام عليك يافاتح البر السلام عليك يانبي الرحمة السلام عليك ياهادى الامة السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على ابى بكر الصديق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليكما ياوزيرى رسول الله ﷺ والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم انك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله ﷺ (١) مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله ﷺ (٢) يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبى ﷺ ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله ﷺ (٣) قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء

(١) حديث مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبدالله بن زيد

(٢) حديث وضعه ﷺ يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما ﷺ بيديه الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان

(٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح

وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج العباد الى الزهد فى الدنيا لانهم يحتاجون اليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم الا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم فى الاسلام لايضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالابد للانسان

و يصلى فيه كان له عدل عمرة و يأتى بئر أريس يقال ان النبى ﷺ (١) تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها و يشرب من مائها و يأتى مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد و يقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ماقدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله ﷺ (٢) يتوضأ منها و يغتسل و يشرب منها وهى سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به ﷺ وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال ﷺ (٣) لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال ﷺ (٤) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر

---

(١) حديث ان النبى ﷺ تفل فى بئر أريس لم أقف له على أصل وانما ورد انه تفل فى بئر البصة و بئر غرس كما سيأتى عند ذكرها (٢) حديث الآبار التى كان النبى ﷺ يتوضأ منها و يغتسل و يشرب منها وهى سبعة آبار * قلت وهى بئر أريس و بئر حا و بئر رومة و بئر غرس و بئر بضاعة و بئر البصة و بئر السقيا أو العهن أو بئر جمل * فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها و بابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ الحديث * وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب الحديث * وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة و يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن وفى رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث * وحديث بئر غرس رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها و يتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبى ﷺ توضأ منها و بزق فيها وغسل منها حين توفى * وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قيل لرسول الله ﷺ أنتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد بصق النبى ﷺ فى بئر بضاعة ورويناه أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى ﷺ جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبى ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله ﷺ ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث * وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله ﷺ نحو بئر جمل الحديث وصله م وعلقه خ والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى ﷺ قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شتى (٣) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٤) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله

من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة فى النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة فى الدنيا والآخرة فالعلم الذى هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهانى قال أنا أبو سعيد ابن الاعرابى قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين . الشريف

الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله ﷺ ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ويسأل السلامة فى سفره ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته واصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى الى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله ﷺ بما قدر عليه وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا

﴿ فصل فى سنن الرجوع من السفر ﴾

كان رسول الله ﷺ (١) اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفى بعض الروايات وكل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه واذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا (٢) ثم ليرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا (٣) وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة ﴾

﴿ بيان دقائق الآداب وهى عشرة ﴾

﴿ الأول ﴾ أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت (٤) اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفى الخبر اشارة الى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك الا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس

(١) حديث كان النبى ﷺ اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الارض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٢) حديث ارسال المسافر الى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة (٣) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

(٤) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم

علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الاعمال لان الاخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصل العبد الى الفرض الا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لان الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل الا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل

من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى

أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله ﷺ (١) يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه ولست أقول لا تحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر (٢) مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله في أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الاجرة بل يأخذ الاجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم ﴿الثاني﴾ أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار ﴿الثالث﴾ التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد وأعني بالاسراف التنعم بأطايب الاطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال ﷺ (٣) الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام ﴿الرابع﴾ ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه ﴿الخامس﴾ أن يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك الافضل أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف

للرياء والسمعة (١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث مثل الذي يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن (٣) حديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا

بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين اليهم ويقويهم بطرو يقهم ويرشدهم بهم فهم ورثة علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه اذ هو جاهل فيا له وعليه في ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة

وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى المشي الاحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل ـ وأتموا الحج والعمرة لله ـ وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو أفضل فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق * وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكتري حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه ﴿السادس﴾ أن لا يركب الا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين حج رسول الله ﷺ (١) على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم (٢) وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله وقال ﷺ (٣) خذوا عني مناسككم وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج ﴿السابع﴾ أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر ﷺ (٤) بالشعث والاختفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد (٥) وفي الحديث (٦) إنما الحاج الشعث التفث (٧) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ـ ثم ليقضوا تفثهم ـ والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روى أنه ﷺ (٨) كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية

وقال صحيح الاسناد (١) حديث حج رسول الله ﷺ على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث طوافه ﷺ على راحلته تقدم (٣) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٤) حديث الامر بالشعث والاختفاء البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال قال رسول الله ﷺ تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٥) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التنعم والرفاهية وأن النبي ﷺ كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ إياك والتنعم الحديث (٦) حديث إنما الحاج الشعث التفث ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب (٧) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو (٨) حديث أنه ﷺ كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على

ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم اذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام ولا يحيك في صدره شئ فهو سالم فان حاك في صدره شئ أو توسوس بشئ يقدح في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجره الى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بني عليها الاسلام لأنها افترضت على المسلمين واذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل في ذلك لان أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لان ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة

حمر على الاقتاب فقال ﷺ أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ﴿الثامن﴾ أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لاينامون على الدواب الاغفوة عن قعود وكانوا لايقفون عليها الوقوف الطويل قال ﷺ (١) لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى (٢) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لاينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لافى ميزان المكارى وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت يا أيها البعير لاتخاصمنى الى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة فى كل كبد حراء أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لاوزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا ﴿التاسع﴾ أن يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل ان كان لايجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله (٣) وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أوقل وسئل رسول الله ﷺ (٤) ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (٥) قال ما عمل آدمى يوم النحر أحب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفى الخبر (٦) لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها

الاقتاب فقال أرى هذه الحمرة قدغلبت عليكم الحديث د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (١) حديث لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٢) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى ﷺ كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد (٣) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها أخرجه د وقال انحرها (٤) حديث سئل رسول الله ﷺ ما بر الحج فقال العج والثج ت واستغربه و ه و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقون أى الحج أفضل (٥) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب الى الله من اهراقه دما الحديث ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة (٦) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك. وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لايصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما انها تجاء بها يوم القيامة

الاسلام وحيث أخبر رسول الله ﷺ انه فريضة على كل مسلم يقتضى ان لايسع مسلما جهله وكل ماتقدم من الاقاويل أكثرها ما يسع المسلم جهله لانه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق الا ماشاء الله وميلى فى هذه الاقاويل الى قول الشيخ أبى طالب أكثر والى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذى قاله الشيخ أبو طالب وعندى فى ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم * فأقول العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الامر والنهى والمأمور

لتوضع فى الميزان فابشروا وقال عليه السلام استنجدوا هدايا كم فانها مطايا كم يوم القيامة ٧ ﴿العاشر﴾ أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن ان أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شئ عند الله عز وجل ويقال ان من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى وأن يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

﴿ بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من أول الحج الى آخره ﴾

اعلم ان أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج فى الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير فى البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفى كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها مايقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه ﴿أما الفهم﴾ فاعلم أنه لاوصول الى الله سبحانه وتعالى الابالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا عليه السلام لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها (١) فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال عليه السلام أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج وسئل عليه السلام (٢) عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لاتأنس بها النفوس ولاتهتدى الى معانيها العقول كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال

بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة (١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله انى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا

٧ (قوله استنجدوا الخ) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وهو ليس فى نسخة الشرح فلعله لم يكن فى نسخته اهـ مصححه

مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها مايتوجه الامر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام عليه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الامر والنهى فيه فعلمه عند تجدده فرض لايسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التى سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد فى طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله عليه السلام حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح

يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدوّالله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بافعال هى هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فاما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر و باعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال ﷺ فى الحج على الخصوص (١) لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بان تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان مالا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج ان شاء الله تعالى ﴿وأما الشوق﴾ فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان من قصد البيت فى الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل ﴿وأما العزم﴾ فليعلم أنه بعزمه قاصد الى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴿وأما قطع العلائق﴾ فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه و يقول له الى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أولا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب اليه أولا من جميع المعاصى واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود اليه وليكتب وصيته لاولاده وأهله فان المسافر وماله لعلى خطر الا من وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة

الله عليهم أبواب العلوم من المشاهدات القوية والانوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ فى وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الانس محمد ﷺ و بعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التى أمر بها * قيل لأبى حفص أى الأعمال أفضل قال الاستقامة لان النبى ﷺ يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق فى قوله تعالى فاستقم كما أمرت أى افتقر الى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ فى المنام قال قلت يارسول الله روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود

التى سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة الا من أيد

بهذا

بهذا السفر ﴿وأما الزاد﴾ فليطلبه من موضع حلال واذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ماعداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت و يخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده الى الآخرة لاتصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير ﴿وأما الراحلة﴾ اذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذى يركبه الى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها فان أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر الى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه ومايدريه لعل الموت قريب و يكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه و يستظهر فى زاده وراحلته و يهمل أمر السفر المستيقن ﴿وأما شراء ثوبى الاحرام﴾ فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدى و يتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لايتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لامحالة فكما لايلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا فى زى مخالف لزى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن ﴿وأما الخروج من البلد﴾ فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها الى الله عز وجل فى سفر لايضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى أن يرزقوا منتهى مناهم و يسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله فى الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه ان لم يصل اليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ـ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ـ ﴿وأما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات﴾ فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه ومافيه من الافاعى والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر ﴿وأما الاحرام والتلبية من الميقات﴾ فليعلم أن معناه اجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لالبيك ولاسعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقيل له لم لا تلبى فقال أخشى أن يقال لى لالبيك ولاسعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه * وقال أحمد بن أبى الحوارى كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة و يحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لالبيك ولاسعديك حتى ترد ما فى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات اجابته لنداء الله عز وجل اذ قال وأذن فى الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور

وأخواتها فقال نعم قال فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبى ﷺ بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال أبو على الجورجانى كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به

ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكشف بشئ من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الامر فيه فيعلم ان الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد فى الدنيا والخروج من دواعى الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق صرف اليقين بشئ من ذلك ما ازداد يقينا

وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين فى أول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم اتمام الحج وقبوله أم لا ﴿وأما دخول مكة﴾ فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه فى جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللائذ غير مضيع ﴿وأما وقوع البصر على البيت﴾ فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين فى الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شئ مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة ﴿وأما الطواف بالبيت﴾ فاعلم أنه صلاة فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان (١) من تشبه بقوم فهو منهم والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى ﴿وأما الاستلام﴾ فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه ﴿وأما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم﴾ فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل ﴿وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت﴾ فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران ﴿وأما الوقوف بعرفة﴾ فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الارض يصافح بها خلقه الحديث تقدم فى العلم من حديث عبد الله بن عمرو

أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الامم مع الأنبياء والائمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد ﴿ وأما رمى الجمار ﴾ فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل اليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى الى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه ﴿ وأما ذبح الهدى ﴾ فاعلم أنه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدى وارج (١) أن يعتق الله بكل جزء منه جزأ منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم ﴿ وأما زيارة المدينة ﴾ فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعل اليها هجرته وانها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه الى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره معذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وانك من رؤيته فى الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك و بينه قبوله إياك بسوء عملك كما قال ﷺ (٢) يرفع الله الى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك و بينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك و بينه بعد أن رزقك

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزأ من المضحى من النار لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك يقوله لفاطمة واسناده ضعيف (٢) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شئ من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة ثم اذا وقع فى طريقه شئ من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فلا يبالى ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لانه أصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا اسائر العلوم التى أشار اليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا انها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب

الايمان وأشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولاحظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى أن تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه ﷺ ولاوّل المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أوّل ما أقيمت فى تلك العرصة وانها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بان يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان انه قال حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبى ﷺ فغشى عليه فلما أفاق قال أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد ﷺ مدفون ﴿وأما زيارة رسول الله ﷺ﴾ فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه ﷺ (١) ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال ﷺ (٢) من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول ﷺ وتوهم صعود النبى ﷺ المنبر ومثل فى قلبك طلعته البهية كانها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو ﷺ يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك و بينه فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وانه ليس يدرى أقبل منه حجه واثبت فى زمرة المحبو بين أم ردّ حجه وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك * تم كتاب أسرار الحج يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى امتنّ على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حتى اتسع على أهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور و به النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره أضله

(١) حديث ان الله وكل بقبره ﷺ ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام (٢) حديث من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشرا م من حديث أبى هريرة وعبدالله بن عمرو

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

علوم القوم وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها وشرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وخلعا وأكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيآت هى حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الايمان و بين

الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لاتنقضي عجائبه ولاتتناهى غرائبه لايحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولايخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذى أرشد الاوّلين والآخرين ولماسمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى ـ إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ـ ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على مافيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعة ابواب ﴿ الباب الأوّل ﴾ فى فضل القرآن وأهله ﴿ الباب الثانى ﴾ فى آداب التلاوة فى الظاهر ﴿ الباب الثالث ﴾ فى الأعمال الباطنة عند التلاوة ﴿ الباب الرابع ﴾ فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره

﴿ الباب الأوّل فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته ﴾

﴿ فضيلة القرآن ﴾

قال ﷺ (١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظمه الله تعالى وقال ﷺ (٢) مامن شفيع أفضل منزلة عندالله تعالى من القرآن لانبى ولاملك ولاغيره وقال ﷺ (٣) لو كان القرآن فى اهاب مامسته النار وقال ﷺ (٤) أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال ﷺ أيضا (٥) ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا وقال ﷺ (٦) خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال ﷺ (٧) يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين وقال ﷺ (٨) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لايهولهم فزع ولاينالهم حساب حتى يفرغ مابين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عزوجل رجل أم به قوما وهم به راضون وقال ﷺ (٩) أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال ﷺ (١٠) ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وماجلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت

﴿ الباب الأوّل فى فضل القرآن وأهله ﴾

(١) حديث من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظمه الله طب من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث مامن شفيع أعظم منزلة عندالله من القرآن لانبى ولاملك ولاغيره رواه عبدالملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبى أمامة اقرؤا القرآن فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه (٣) حديث لو كان القرآن فى اهاب مامسته النار الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف (٤) حديث أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف (٥) حديث ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٦) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٧) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبى سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٨) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث تقدم فى الصلاة (٩) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن فى الكبرى و ه ك من حديث أنس باسناد حسن (١٠) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ماجلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقى فى الشعب من

وما لايقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخالصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهمم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستتار والتجلى

وقال ﷺ (١) لله أشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته ﴿الآثار﴾ قال أبو امامة الباهلى اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود اذا أردتم العلم فاثروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما انى لا أقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن و يعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ وقال عمرو بن العاص كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه وقال أبو هريرة ان البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامى يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم و بغير فهم وقال محمد بن كعب القرظى اذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له الى أحد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم فينبغى أن تكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثورى اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى (٢) ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله ﷺ وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه - ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمورق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا أحد تستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن

﴿ فى ذم تلاوة الغافلين ﴾

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال أبو سليمان الدارانى الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لانه بلغنى ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون و بنهاره اذا الناس يفرطون و بحزنه اذا الناس يفرحون و ببكائه اذا الناس يضحكون و بصمته اذا الناس يخوضون و بخشوعه اذا الناس يختالون و ينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا

حديث ابن عمر بسند ضعيف (١) حديث لله أشد أذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد (٢) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله ﷺ وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان و إيتاء ذى القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق

والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوداى والصحو والسكر الى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها فى مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به و يجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها

ولاحديدا وقال ﷺ (١) أكثر منافقي هذه الامة قرّاؤها وقال ﷺ (٢) اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه وقال ﷺ (٣) ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والالعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل و ينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما (٤) لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ومايبنغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب الى خاتمته لايدري ما آمره ولازاجره ولامايبنغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة ياعبدي أماتستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لايفوتك شئ منه وهذا كتابي أنزلته اليك أنظركم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدثك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك

﴿ الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة ﴾

﴿الاول في حال القارئ﴾ وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اماقائما واماجالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولاجالس على هيئة التكبر و يكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الاحوال أن يقرأ في الصلاة قائما وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ـ فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأها في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لانه أفرغ للقلب قال أبوذر الغفاري رضي الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل أفضل ﴿الثاني في مقدار القراءة﴾ وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة و بعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى مايرجع اليه في التقديرات قول رسول

في السيرة بنحوه (١) حديث أكثر منافقي أمتي قراؤها أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٢) حديث اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه طب من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (٣) حديث ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوي (٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث تقدما في العلم

﴿ الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة ﴾

الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لاتحصل مع محبة الدنيا ولاتنكشف الابمجانبة الهوى ولا تدرس الافي مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله و يعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب الالأولي الالباب وأولوا الالباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف الى الزهاد لانهم أعقل الخلق * قال سهل بن عبدالله التستري للعقل ألف اسم

ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا (حدثنا) الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد

الله ﷺ (١) من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ان هذا ماقرأ القرآن ولاسكت وأمر النبى ﷺ (٢) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم ففى الختم أربع درجات الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزأ وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما فى الاسبوع مرة والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث * والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل فى مقدار القراءة أنه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتأمل ﴿الثالث فى وجه القسمة﴾ أما من ختم فى الاسبوع مرة فيقسم القرآن (٣) سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الأحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الأربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق الى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله ﷺ وهذا قبل أن تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث ﴿الرابع فى الكتابة﴾ يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الاخماس والعواشر والاجزاء وروى عن الشعبى وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى الى احداث زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر أمر الامة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى اقامة الجماعات فى التراويح انها من محدثات عمر رضى الله عنه وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى الى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى وقال الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير كان القرآن مجردا فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد

---

(١) حديث من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت

(٢) حديث أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن فى كل أسبوع متفق عليه من حديثه

(٣) حديث تحزيب القرآن على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه طرأ على حزبى من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجزئ القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا واسناده حسن

قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس بن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبى عبد الرحمن حاتم الاصم الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الرى على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجىء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فقال سر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا الى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم

ذلك الخواتم والفواتح قال أبو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزأ والى أقسام أخر ﴿ الخامس الترتيل ﴾ هو المستحب فى هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله ﷺ (١) فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضى الله عنه لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال أيضا لأن أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب الى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا الا أن أحدهما اقرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما فى الاجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لان ذلك أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال ﴿ السادس البكاء ﴾ البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله ﷺ (٢) اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال ﷺ (٣) ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال ﷺ (٤) ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب ﴿ السابع أن يراعى حق الآيات ﴾ فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفى القرآن أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الارض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى ـ خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ـ فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك واذا قرأ قوله تعالى ـ ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ـ فيقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر فى السجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وماعدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان مأموما ﴿ الثامن أن يقول فى مبتدا قراءته ﴾ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبى ﷺ فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا د ن ت وقال حسن صحيح
(٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ه من حديث سعد بن أبى وقاص باسناد جيد
(٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبى هريرة (٤) حديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه فاذا بفرش وطيئة واذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى يسائله وحاتم قائم فاومأ اليه ابن مقاتل أن اقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سلنى قال فقم فاستو جالسا حتى أسألكها فأمر غلمانه فأسندوه فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به قال الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله ﷺ قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن قال عن رسول الله ﷺ قال ورسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عن الله وأداه الى رسول الله وأداه رسول الله الى أصحابه وأداه أصحابه الى الثقات وأداه الثقات

اليك هل سمعت فى العلم من كان فى داره أميرا ومنعما كثر كانت له المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف

رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به و بارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة (١) فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه (٢) عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين ﴿التاسع فى الجهر بالقراءة﴾ ولاشك فى أنه لابد أن يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابد من صوت فأقله مايسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر و يدل على استحباب الاسرار ماروى أنه ﷺ (٣) قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام (٤) يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله ﷺ (٥) خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى . وفى الخبر (٦) لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيأ فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر ماروى أن النبى ﷺ (٧) سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال ﷺ (٨) اذا قام

---

(١) حديث حذيفة كان لايمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله ﷺ يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء و بعدها وفيه الحرث الاعور وهو ضعيف (٧) حديث انه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله ﷺ رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا انما أعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٨) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته و يصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

سمعت قال من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن اقتديت بالنبى وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الرى ماجرى بينه و بين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا وأشاروا به الى الطنافسى قال فسار اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى أول مبتدإ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة

أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الاحوال (١) فمر على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي أناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال ﷺ كلكم قد أحسن وأصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لان العمل فيه أكثر ولان فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدي أفضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم في رفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الابرار وتتضاعف أجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل اذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرؤن في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح ﴿العاشر﴾ تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال ﷺ (٢) زينوا القرآن بأصواتكم وقال عليه السلام (٣) ما أذن الله لشئ اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الالحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى أن رسول الله ﷺ كان ليلة (٤) ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال ﷺ ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام ﷺ حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال ﷺ هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله (٥) واستمع ﷺ أيضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال ﷺ من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال ﷺ (٦) لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال

(١) حديث مروره ﷺ بأبي بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب (٣) حديث ما أذن الله لشئ أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد م لنبي حسن الصوت وفي رواية له كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن (٤) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام ﷺ حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله ه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات (٥) حديث استمع ذات ليلة الى عبد الله ابن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد أحمد ن في الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان أبا بكر وعمر بشراه ان رسول الله ﷺ قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قال ت حسن صحيح (٦) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال اني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن

ياغلام هات اناء فيه ماء فأتى باناء فيه ماء فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى اذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعا فقال له الطنافسي ياهذا أسرفت فقال له حاتم فبماذا قال غسلت ذراعيك أربعا قال حاتم ياسبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد الا وقطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي قالوا أي شئ هي قال أفرح اذا أصاب خصمي وأحزن اذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فجاء اليه وقال سبحان الله ما أعقله فلما دخلوا عليه قالوا

يا أباعبدالرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا أباعبدالله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال قال أى

ﷺ انى أحب أن أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان (١) واستمع ﷺ الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أباموسى فقال يارسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ رسول الله ﷺ فى المنام قال فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفى الخبر كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة اشارة الى قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال ﷺ (٢) من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الاجر الا أن يكون قصده الرياء والتصنع

﴿ الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة ﴾

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى ﴿فالأول﴾ فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه فى ايصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته الى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وان الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى ايصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك حكيم الى شريعة الانبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتى به الانبياء اذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا احملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا

مسعود (١) حديث استمع الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات أحمد من حديث أبي هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

﴿ الباب الثالث فى أعمال الباطن فى التلاوة ﴾

شئ هى يا أباعبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار الى المدينة * قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر بكلمة انما فينتفى العلم عمن لا يخشى الله كما اذا قال انما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول غير البغدادى الدار فلاح لعلماء الآخرة أن الطريق مسدود الى أنصبة المعارف ومقامات القرب الا بالزهد والتقوى (قال أبو يزيد) رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فنعتنى عن ذلك وأعجب ممن يذكر الله تعالى

والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه ﴿الثاني﴾ التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال ـ لا يمسه الا المطهرون ـ وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان أنعم فبفضله وان عاقب فبعدله وأنه الذي يقول هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام ﴿الثالث﴾ حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب الي من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي أهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره ﴿الرابع﴾ التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا أن يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك ان كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في الاسنة أحب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل واني كيف أنصرف فعد ذلك وسواسا وهو

وهو متصف بشيء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم (قال الواسطي) الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب في سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كالوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من أبي سعيد لا يعني به أن الراسخ في العلم ينبغي أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله تعالى ـ وفاكهة وأبا ـ وقال ما الاب ثم قال ان هذا الا التكلف ونقل ان هذا الوقوف في معنى الاب كان من

كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الأفضل ولماذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ويرى أنه ﷺ (١) قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها ﷺ لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال قام رسول الله ﷺ (٢) بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي أن تعذبهم فانهم عبادك وأن تغفرلهم الآية وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدلها ثوابا وحكي عن أبي سليمان الداراني انه قال اني لا أتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا اني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا يقول أقمت نفسي مقام الاجراء فانا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة ﴿الخامس التفهم﴾ وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار * أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى ـ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ـ وكقوله تعالى ـ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ـ فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه أشار علي رضي الله عنه بقوله (٣) ما أسر الي رسول الله ﷺ شيأ كتمه عن الناس الا أن يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته اذ لم يدرك أكثر الخلق منها الا أمورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شئ اذ كل شئ فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه عرفه ومن عرفه عرف ان كل شئ ما خلا الله باطل وان كل شئ هالك الا وجهه لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا أن يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله عز وجل ـ أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذي تشربون أفرأيتم النار التي تورون ـ فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من

(١) حديث انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله ﷺ فينا ليلة بآية يرددها وهي أن تعذبهم فانهم عبادك ن ه بسند صحيح (٣) حديث علي ما أسر الي رسول الله ﷺ شيأ كتمه عن الناس الا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه ن من رواية أبي جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله ﷺ شئ سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه الحديث وهو عند البخاري بلفظ هل عندكم من رسول الله ﷺ ما ليس في القرآن وفي رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبي داود والنسائي فقلنا هل عهد اليك رسول الله ﷺ شيأ لم يعهده الى الناس قال لا الا ما في كتابي هذا الحديث ولم

كلهم لان المتقي حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء في علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلي أن يراجع في الجزئي أهله الذين هم أوعيته فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئي واشتغلت به وانقطعت بالجزئي عن الكلي ونفوس العلماء الزاهدين بعد الاخذ مما لا بد لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت أرواحهم الى مقام القرب منه فأفاضت أرواحهم على قلوبهم

السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الاعاجيب فلايزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع ﴿وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام﴾ فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل اليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيأ واذا سمع نصرتهم فى آخر الامر فليفهم قدرة الله عز وجل وارادته لنصرة الحق ﴿وأما أحوال المكذبين﴾ كعاد وثمود وماجرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه ان غفل وأساء الادب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر مافى القرآن فلا يمكن استقصاء مايفهم منها لان ذلك لانهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولايابس الا فى كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلامطمع فيه ومن لم يكن له فهم مافى القرآن ولو فى أدنى الدرجات دخل فى قوله تعالى ـ ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ـ والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ﴿السادس﴾ التخلى عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لاسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال ﷺ (١) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى الملكوت ومعانى القرآن من جملة الملكوت وكل ماغاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة * أولها أن يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلايزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعانى وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس * ثانيا أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلايمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم فاما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ولو استقر فى نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد * ثالثها أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن

يذكر الفهم فى القرآن (١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى الملكوت تقدم

انوار اتهيأت بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الازلى وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتالفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها فى اللوح لاغير وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود انجذابها الى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتالف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الربانى راسخا فى العلم * أوحى الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة يابنى اسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولافى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تادبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى باخلاق الصديقين

يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب و به حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات أشد ترا كما كانت معانى الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوة مثل الصدا ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال ﷺ (١) اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى قال الفضيل يعنى حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى ـ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ وقال عز وجل ـ وما يتذكر الا من ينيب ـ وقال تعالى ـ انما يتذكر أولو الالباب ـ فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الالباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب * رابعها أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول على رضى الله عنه الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه ﴿السابع﴾ التخصيص وهو أن يقدر انه المقصود بكل خطاب فى القرآن فان سمع أمرا أو نهيا قدر انه المنهى والمأمور وان سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم أن السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة فى القرآن الا وسياقها لفائدة فى حق النبى ﷺ وأمته ولذلك قال تعالى ـ ما نثبت به فؤادك ـ فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى ـ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ـ وقال عز وجل ـ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ـ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ـ واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى ـ وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ـ ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتأمله و يعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى ـ هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ـ ﴿الثامن﴾ التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل وانى لغفار ثم أتبع ذلك بأربعة شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا

في الصلاة (١) حديث اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن

بصريح العلم فى كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وتطرق الى الحضور بين يدى الله تعالى فيتحفظ بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردى اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الاوزاعى عن حسان بن عطية بلغنى أن شداد ابن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت الا وأنا أخطمها وأزمها غير هذه فلا تحفظوها

من يتصفح القرآن من أوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته و بطالته * وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيأ أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله ﷺ (١) لابن مسعود اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات فى سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ولم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى ـ ألا لعنة الله على الظالمين ـ وفى قوله تعالى ـ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ـ وفى قوله عز وجل ـ وهم فى غفلة معرضون ـ وفى قوله ـ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ـ وفى قوله تعالى ـ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ـ الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل ـ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الأأمانى ـ يعنى التلاوة المجردة وقوله عز وجل ـ وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ـ لان القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى ان لم تتب الى ومثال العاصى اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط انى لأهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت مافيه خشيت المقت فأعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل ـ فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون ـ ولذلك قال رسول الله ﷺ (٢) اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى ـ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ـ وقال ﷺ (٣) ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى وقال ﷺ (٤) لايسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل

نبى الله ﷺ (١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم فى الباب قبله (٢) حديث اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم (٣) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ٥ بسند ضعيف (٤) حديث لايسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل

على مثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب فى الانجيل لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد فى خبر عن رسول الله ﷺ ان الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قلنا يارسول الله كيف يسوفنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلايزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وماعمل * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالى لايعبأ بذى علم ورواية انما يعبأ بذى فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثل علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ومثل علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية فى اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى وجعلنا

به والافالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال فمات رسول الله ﷺ (١) عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الاستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله عز وجل ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ قال يكفي هذا وانصرف فقال ﷺ انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ـ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ـ وبقوله عز وجل ـ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ـ أي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ ﴿السابع الترقي﴾ وأعني به أن يترقى الى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال * الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم * الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم

القرآن (١) حديث مات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الاستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والافقد روينا عن أبي زرعة الرازي انه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومتي وزاد ابن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الانباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الامة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٢) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي ﷺ انصرف الرجل وهو فقيه د ن في الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبد الله بن عمرو وقال أتى رجل رسول الله ﷺ فقال أقرئني يارسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله ﷺ اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولأحمد و ن في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالي ان لا أسمع غيرها

من الماء كل شئ حي وقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه أي كان ميتا بالكفر فأحييناه بالاسلام فالاحياء بالاسلام هو القوام الأول والاصل الأول وللاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة * وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم

عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين وماخرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عزوجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلو على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ـ ففروا الى الله ـ ولقوله تعالى ـ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ـ فمن لم يره في كل شئ فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيأ من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شئ إلا الله عز وجل ﴿ العاشر التبري ﴾ وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف الى أن يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم اني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عزوجل ـ ان الانسان لظلوم كفار ـ وقيل ليوسف بن أسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف الى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني انك تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت الى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمازلت أنظر اليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لان كلام الله عزوجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

﴿ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ﴾

﴿ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ﴾

فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان والى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين اذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمح يسير لاهله وهو من أعز مايوجد من أقسام العلم بالله لانه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ماذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذي هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانة الاعمال على قدر الحظ

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ (١) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوبين الى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم أن لامعنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حده ومحطه (٢) بل الاخبار والآثار تدل على ان فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم قال على رضى الله عنه الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال ﷺ (٣) ان للقرآن ظهرا و بطنا وحدا ومطلعا ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله ﷺ (٤) بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفى القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال ﷺ (٥) اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ﷺ (٦) فى حديث على كرم الله وجهه والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد الحديث وفى حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ (٧) بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث الاخبار والآثار الدالة على ان فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول على فى الباب قبله الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه (٣) حديث ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبى ﷺ البسملة عشرين مرة تقدم فى الباب قبله (٥) حديث اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف (٦) حديث على والذى بعثنى بالحق لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب واسناده مجهول (٧) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده

من العلم وقد ورد فى الخبر فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى والاشارة فى هذا العلم ليس الى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم * روى أن عبد الله بن عمر كان اذا سئل عن شئ يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس اليهم فى علم الفتوى والاحكام ويعلمونهم حقائق

يارسول الله فماذا تأمرني ان أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال ﷺ ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جمل العلم أشار به الى أن القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ـ يعني الفهم في القرآن وقال عز وجل ـ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ـ سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله ﷺ (١) من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه ﷺ وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن الا بما يسمعه لوجوه * أحدها انه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله ﷺ ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم * والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل ان الر هي حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا * والثالث انه ﷺ (٢) دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك * والرابع انه قال عز وجل ـ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ فأثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله وأما النهي فانه ينزل على أحد وجهين * أحدهما أن يكون له في الشئ رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما أريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله ﷺ (٣) تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عز وجل ـ اذهب الى فرعون انه طغى ـ ويشير الى قلبه ويومئ الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل

فقلت ما تأمرني ان أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (١) حديث النهي عن تفسير القرآن بالرأي غريب (٢) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثاني من العلم (٣) حديث تسحروا فان في السحور بركة

اليقين ودقائق المعرفة وذلك لانهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجمله ومفصله وطائفة مفصله دون مجمله والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه ﷺ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الابرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة

فيتزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى * والوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التى لاتفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم انه لايجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التّفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لايفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لابد منها للفهم وما لابد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن أن المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها أى أهل القرية وأهل العير فالاهل فيهما محذوف مضمر وقوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض معناه خفيت على أهل السموات والارض والشئ اذا خفى ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على وأضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم وقوله عز وجل آتنا ما وعدتنا على رسلك أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أراد القرآن وما سبق له ذكر وقال عز وجل حتى توارت بالحجاب أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين أى طور سيناء سلام على آل ياسين أى على الياس وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عز وجل قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسئلونك كأنك حفى عنها أى يسئلونك عنها كأنك حفى بها وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه الآية ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف أما الكلمة فكالشئ والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين

احدهما

بالحكمة أجاب بها المقرون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الاقوال اجابتهم نفسا ومتابعة الاعمال اجابتهم قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض * قال عمر رضى الله عنه رحم الله تعالى صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات أثرها فى القيام بحقائق الاستقامة

أحدهما أبكم لايقدر على شئ أى الامر بالعدل والاستقامة وقوله عزوجل - فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ - أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لايحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون - أى من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لايخلق شئ الا من شئ * وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار - أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به الشيطان وأما الامة فتطلق على ثمانية أوجه الامة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس يسقون - وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد ﷺ ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى - ان ابراهيم كان أمة قانتا لله - والامة الدين كقوله عز وجل - انا وجدنا آباءنا على أمة - والامة الحين والزمان كقوله عز وجل - الى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعد أمة - والامة القامة يقال فلان حسن الامة أى القامة وأمة رجل منفرد بدين لايشركه فيه أحد قال ﷺ (١) يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد أى أم زيد * والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام فى الحروف مثل قوله عزوجل - فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا - فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهى الموريات أى أثرن بالحوافر نقعا * والثانية كناية عن الاغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تعالى - فانزلنا به الماء - يعنى السحاب فأخرجنا به من كل الثمرات يعنى الماء وأمثال هذا فى القرآن لاينحصر ومنها التدريج فى البيان كقوله عزوجل - شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن - اذلم يظهر به انه ليل أو نهار و بان بقوله عزوجل - انا أنزلناه فى ليلة مباركة - ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى - انا أنزلناه فى ليلة القدر - وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لايغنى فيه الا النقل والسماع فالقرآن من أوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية و بادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه الى ماسمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا مايمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى و يدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عزوجل قال - ومارميت اذرميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم - فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لايغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة و يفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عزوجل - ومارميت اذرميت ولكن الله رمى - ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى ومايرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ومامن كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب و يكون لكل واحد حد فى الترقى الى درجة أعلى منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أقلاما فاسرار كلمات الله لانهاية لها فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عزوجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن فى الكبرى من حديث زيد تقدم فى الباب الثالث من العلم

شيأ واتقى اللغو والسيآت وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلفى والآية قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه و يلوح فى الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة فى العمل والعيش والانس وأمامن بخل بالاعمال واستغنى امتلاء بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن فى الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر فى الاعمال قال بعضهم اذا أراد الله بعبد سوأ سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا و باطنا كان حظهم من العلم أوفر

معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ (١) فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم * تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه

﴿ كتاب الاذكار والدعوات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكرونى أذكركم - ورغبهم فى السؤال والدعاء بامره فقال - ادعونى أستجب لكم - فاطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله - فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة ﴿الباب الاول﴾ فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا ﴿الباب الثانى﴾ فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ ﴿الباب الثالث﴾ فى أدعية مأثورة ومعزية الى أصحابها وأسبابها ﴿الباب الرابع﴾ فى أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة ﴿الباب الخامس﴾ فى الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

﴿ الباب الاول فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار ﴾

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة ﴿من الايات﴾ قوله سبحانه وتعالى فاذكرونى أذكركم قال ثابت البنانى رحمه الله انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر

ابن حارثة وأسماء بنت أبى بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله ﷺ فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة

﴿ كتاب الاذكار والدعوات ﴾

﴿ الباب الاول فى فضيلة الذكر ﴾

العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه عمله قال فأخبرنى عن رجل قليل العمل الا انه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقال ما رأيت الذى هو أفقه من هذا وفى وصية لقمان لابنه يابنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لانه أدعى الى العمل وما كان أدعى الى العمل كان أدعى الى العبودية وما كان أدعى الى العبودية كان أدعى الى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم من

من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ـ وقال تعالى ـ ولذكر الله أكبر ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان أحدهما ان ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات ﴿ وأما الأخبار ﴾ فقد قال رسول الله ﷺ (١) ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال ﷺ ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال ﷺ (٢) يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال ﷺ (٣) ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال ﷺ (٤) من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله ﷺ (٥) أى الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال ﷺ (٦) أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال ﷺ (٧) لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال ﷺ (٨) يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الىّ هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال ﷺ (٩) سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ (١٠) ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال ﷺ (١١) قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر الحديث (٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه هـ حب من حديث أبى هريرة و ك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الاسناد (٣) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن (٤) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٥) حديث سئل أى الاعمال أفضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ (٦) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٧) حديث لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد (٨) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٩) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضا (١٠) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح اسناده من حديث أبى الدرداء (١١) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين خ فى التاريخ

الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما فى نفسه من اعتقاده فى نفسه لجاهه وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر فى منشأ هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واظهاره ذلك الى الفعل تكبر فحيث القصر صار فعلا به تكبر

ما أعطى السائلين ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة و بعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك و بين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها والله تعالى أعلم

﴿ فضيلة مجالس الذكر ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال ﷺ (٢) ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضا ﷺ (٣) ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود ﷺ الهي اذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال ﷺ (٤) المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل و يقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ (٦) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال ان الله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيؤن فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شئ تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك و يمجدونك و يسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا

والبزار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضا (١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيآتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له اسنادا (٥) حديث أبي هريرة انه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع (٦) حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في

مخصوص بمميز ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة و ينغصر من تقدم غيره عليه و ترفعه يرى النفس وظهورها ويروى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء الى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه الى الله تعالى ويشكو اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله تعالى مستغيثا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فاى فرق بينه و بين غيره ممن لاعلم له

أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم

﴿ فضيلة التهليل ﴾

قال ﷺ (١) أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له وقال ﷺ (٢) من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال ﷺ (٣) مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقال ﷺ (٤) ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ﷺ (٥) أيضا لأبى هريرة يا أباهريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع ومافيهن كان لا اله الا الله أرجح من ذلك وقال ﷺ (٦) لوجاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال ﷺ (٧) يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء

الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (١) حديث أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٢) حديث من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٤) حديث ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٥) حديث يا أباهريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع ومافيهن كان لا اله الا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولوجعلت لا اله الا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لوأن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لا اله الا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب وك وصححه (٦) حديث لوجاء حامل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذى فى حديث لانس يقول الله يا ابن آدم انك لوأتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٧) حديث يا أباهريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا

فاظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك ابن أبى القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد ابن أحمد المحبوبى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم الانصارى قال حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يابنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى

قال ﷺ هي أهدم وأهدم وقال ﷺ (١) من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال ﷺ (٢) لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا اله الا الله. فأكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل - هل جزاء الاحسان إلا الاحسان - فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب انه ﷺ قال (٣) من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه قال قال رسول الله ﷺ (٤) من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده الا من عمل بأفضل من عمله وقال ﷺ من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت في الجنة (٥) ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ (٦) أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل ﷺ وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ (٧) أنه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

(١) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف (٢) حديث لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي هريرة كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخاري قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي وابي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولابي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسلا اذا قلت لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في اجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدي من حديث ابن عمر في اجابة المؤذن دعوة الحق وللطبراني في الدعاء عن عبدالله بن عمرو كلمة الاخلاص لا اله الا الله الحديث وللطبراني من حديث سلمة بن الاكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله وللطبراني في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ولابن عدي والمستغفري من حديث أنس ثمن الجنة لا اله الا الله ولا يصح شئ منها (٣) حديث البراء من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٤) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه ﷺ قال من قال في كل يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في المستدرك واسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الاحياء (٥) حديث ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث أبي أيوب من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسمعيل متفق عليه (٧) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا اله الا الله الحديث رواه خ

ﷺ في حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لاربابها وطلابها لان مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى نفسه

﴿ فضيلة التسبيح والتحميد و بقية الاذكار ﴾

قال ﷺ من سبح (١) دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال ﷺ (٢) من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى أن رجلا جاء الى رسول الله ﷺ (٣) فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال ﷺ (٤) اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله ﷺ (٥) فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله ﷺ ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ عن صلاته قال من المتكلم آنفا قال أنا يا رسول الله فقال ﷺ لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا وقال رسول الله ﷺ (٦) الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال ﷺ (٧) ما على الارض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه ﷺ أنه قال (٨) الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرون بصاحبهن أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به وروى أبو هريرة أنه ﷺ (٩) قال لأن أقول سبحان الله

---

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح (٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده (٥) حديث رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ (٦) حديث الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٧) حديث ما على الارض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٨) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه الحديث ه وك وصححه على شرط م (٩) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس

تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعنده هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من أصحابنا وقع لي ان معنى كنست بأرواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكأنها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القائل بقوله ذلك * قال الله تعالى في وصف أهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور

والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس وفي رواية أخرى زاد لاحول ولا قوة الا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها وقال ﷺ (١) أحب الكلام الى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ (٢) كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٣) كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله ﷺ (٤) أي الكلام أحب الى الله عز وجل قال ﷺ ما اصطفى الله سبحانه للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٥) ان الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله ﷺ (٦) من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ (٧) ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة في في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال ﷺ أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها أجر وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله ﷺ (٨) سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل اذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبي ﷺ (٩) انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات

وزاد في رواية ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول وللمستغفري في الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبي ﷺ قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام الى الله أربع الحديث رواه م (٢) حديث أبي مالك الاشعري الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٤) حديث أبي ذر أي الكلام أحب الى الله قال ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم (٥) حديث ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الا انهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه

(٧) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله ﷺ ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م

(٨) حديث أبي ذر قلت لرسول الله ﷺ سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق الحديث رواه ه الا أنه قال قال سفيان لا أدري أيتهن أربع ولا جد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف

(٩) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات د ت ك

صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شئ مع رسول الله ﷺ ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم اتبعوه في أعمالهم من الجد والاجتهاد في العبادة والتهجد .

يعنى بالشهادة فى القيامة وقال ابن عمر رأيته ﷺ [١] يعقد التسبيح وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى [٢] اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدى لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدى لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوّة الا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدى لا حول ولا قوّة الا بى ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ [٣] انه قال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال ﷺ يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة وقال ﷺ [٤] يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوّة الا بالله وفى رواية أخرى ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوّة الا بالله وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ [٥] ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوّة الا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم وقال ﷺ [٦] من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وفى رواية من قال ذلك رضى الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوّة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى لا سبيل لكم اليه ﴿فان قلت﴾ فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الاخبار ما يدل عليه أيضا [٧] وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر أوّل وآخر فأوّله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور ولا ينبغى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار

باسناد جيد (١) حديث ابن عمر رأيته ﷺ يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه وك (٢) حديث أبى هريرة وأبى سعيد اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدى الحديث ت وقال حسن ون فى اليوم والليلة وهـ ك وصححه (٣) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م الا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح (٤) حديث يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوّة الا بالله متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوّة الا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم ن فى اليوم والليلة وك من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال صحيح الاسناد (٦) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا الحديث د ن فى اليوم والليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبى ﷺ ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا (٧) حديث الدال على ان الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه

والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته بأقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله ﷺ دائم الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ا كلأنى كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول الله ﷺ هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا الوصف من

مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فمن أحب شيأ أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وان
كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف الى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير
الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا
يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير
التكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه
فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هي النفس ما عودتها تتعود *
أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله
عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل
فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن
ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن
الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه ولذلك قال ﷺ (١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فانك
مفارقه أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الانس يتلذذ به العبد
بعد موته الى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل
ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل
فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة
بقوله ﷺ (٢) القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وبقوله ﷺ (٣) أرواح الشهداء في
حواصل طيور خضر وبقوله ﷺ (٤) لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ هل
وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال يا رسول الله
كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا فقال ﷺ والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم
لا يقدرون أن يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال
ﷺ (٥) أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ اليه لا ينافي
ذكر الله عز وجل وقال تعالى _ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم _ الآية ولاجل شرف ذكر الله عز وجل
عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز
وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت

(١) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه تقدم في الكتاب السابع من العلم
(٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير
وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر
م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية _ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا _ الآية قال أما انا
قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي ﷺ وفي رواية ت أما انا سألنا عن ذلك
فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من
المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا م من
حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش هـ من حديث كعب بن
مالك ان أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت

صدق الافتقار الا عبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة وأشرق صدره بنور اليقين وخاص قلبه الى بساط
القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه الاشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعة الانفلات والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرفها الى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله ﷺ فهو دائم الاستغاثة الى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى
ساعة وربط معرفة الله تعالى فما ورد من عرف نفسه

على

على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبدالله بن عمرو الانصاري يوم أحد قال رسول الله ﷺ (١) لجابر ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه و بينه ستر فقال تعالى تمنّ عليّ يا عبدي ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردني الى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل و بقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه و يتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ماعاش عليه و يحشر على مامات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد (٢) نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله ﷺ (٣) قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال * فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ ﴾

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله تعالى ـ واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي ـ وقال تعالى ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ـ وقال تعالى ـ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ـ وقال عز وجل ـ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا

بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح (١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه و بينه ستر فقال تعالى تمنّ عليّ ـ الحديث ت وقال حسن و ه ك وصحح اسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبي موسى قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفضيل لا اله الا الله على سائر الاذكار ت وقال حسن ون في اليوم والليلة و ه من حديث جابر

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله ﴾

غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من التقوى بأوثق العرى ومن الذي يهتدي الى فائدة هذه الحال غير الصوفي فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجناب الحق ولياذبه وفي هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب الى محل الدعاء وفي انجذاب القلب الى محل الدعاء بلسان الحال والكون فيه نبوّ النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها اليها في مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفي ﴿ ويجمع جمل حال الصوفية شيآن هما وصف الصوفية ﴾

فلله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ (١) أنه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعونى أستجب لكم - الآية وقال ﷺ (٢) الدعاء مخ العبادة وروى أبو هريرة أنه ﷺ (٣) قال ليس شئ أكرم على الله عز وجل من الدعاء وقال ﷺ (٤) ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال أبو ذر رضى الله عنه يكفى من الدعاء مع البر ما يكفى الطعام من الملح وقال ﷺ (٥) سلوا الله تعالى من فضله فان الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج

﴿ آداب الدعاء وهى عشرة ﴾

﴿ الأول ﴾ أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر و يوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - و بالاسحار هم يستغفرون - وقال ﷺ (٦) ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقيل ان يعقوب ﷺ انما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء ﴿ الثانى ﴾ أن يغتنم الاحوال الشريفة قال أبو هريرة رضى الله عنه ان أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال ﷺ (٧) الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ﷺ (٨) أيضا الصائم لا ترد دعوته و بالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات أيضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات و يوم عرفة و يوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالاجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي ﷺ (٩) أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء وروى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ (١٠) أنه قال انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم ﴿ الثالث ﴾ أن يدعو مستقبل القبلة و يرفع يديه

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة أصحاب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبى هريرة ليس شئ أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له الديلمى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبى عياش وكلاهما ضعيف ولاحمد و خ فى الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى سعيد اما أن تعجل له دعوته واما ان يدخر له فى الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد د ن فى اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم والليلة باسناد آخر جيد و حب و ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن و ه من حديث أبى هريرة بزيادة فيه (٩) حديث أبى هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء رواه م (١٠) حديث ابن عباس انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م

الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده وفى هذا أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم و بادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فأقبلوا على الاعمال باللذاذة والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق رضى الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجؤا الى السجود بحيث

بحيث يرى بياض ابطيه وروى جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ (١) أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله ﷺ (٢) ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبيده اذا رفعوا أيديهم اليه ان يردها صفرا وروى أنس أنه ﷺ (٣) كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعه وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ (٤) مر على انسان يدعو و يشير باصبعيه السبابتين فقال ﷺ أحد أحد أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ارفعوا هذه الايدي قبل أن تغل بالاغلال ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ (٥) اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان ﷺ (٦) اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال ﷺ (٧) لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم ﴿الرابع﴾ خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ (٨) يا أيها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم و بين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل (٩) ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أي بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال ـ اذ نادى ربه نداء خفيا ـ وقال عز وجل ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴿الخامس﴾ أن لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال ﷺ (١٠) سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال عز وجل ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ـ قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه أن العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال ﷺ (١١) اياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير

أيضا (١) حديث جابر أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (٢) حديث سلمان ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا د ت وحسنه و ه ك وقال اسناد صحيح على شرطهما (٣) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعه م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٤) حديث أبي هريرة مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله ﷺ أحد أحد ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد (٥) حديث عمر كان رسول الله ﷺ اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك في المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٦) حديث ابن عباس كان ﷺ اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٧) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء في الصلاة (٨) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس ان الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود (٩) حديث عائشة في قوله تعالى ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أي بدعائك متفق عليه (١٠) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل (١١) حديث اياكم والسجع في الدعاء

شكرا وقالوا آمنا برب العالمين (أخبرنا) أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا الاسناد الى أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي ابن سعيد يقول سمعت أحمد بن الحسن الحمصي يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبي سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذي قاله الشيخ أبو سعيد هو الذي اشبه حقيقته على

الناس يدعون من كل ناحية ووراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك * واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففى الادعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ (١) أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل ﴿السادس﴾ التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى ـ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ـ وقال عز وجل ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ـ وقال ﷺ (٢) اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه ﴿السابع﴾ أن يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال ﷺ (٣) لا يقل أحدكم اذا دعا اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال ﷺ (٤) اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال ﷺ (٥) ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله اذ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين ﴿الثامن﴾ أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام (٦) اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغى أن لا يستبطئ الاجابة لقوله ﷺ (٧) يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك ما لا يعنينى وقال ﷺ (٨) اذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة

بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون الا ذلك وهـ ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره (١) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى سيئ الحفظ (٢) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فانى أحب أن أسمع صوته وللطبرانى من حديث أبى أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا الى عبدى فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فانى أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٣) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ حب من حديث أبى هريرة (٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبى هريرة وقال غريب و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف فى الحديث (٦) حديث ابن مسعود كان ﷺ اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٧) حديث يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شئ فليقل

حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلؤا بالحال فطرحوا نوافل الاعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذى أوضحناه أحد طريقى الصوفية فاما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى ويهدى اليه من ينيب فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر .

فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شئ من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال ﴿ التاسع ﴾ أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله ﷺ (١) يستفتح الدعاء الا استفتحه بقول سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما وروى فى الخبر عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال اذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدؤا بالصلاة علىّ فان الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى احداهما و يرد الاخرى رواه أبو طالب المكى ﴿ العاشر ﴾ وهو الأدب الباطن وهو الاصل فى الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة فيروى عن كعب الاحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ فخرج موسى ببنى اسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام انى لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل اليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى لبنى اسرائيل توبوا الى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبنى اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه وهو فى السماء فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون و يتضرعون فأوحى الله عز وجل الى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم الىّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فانى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الىّ بأبدان نجسة وترفعون الىّ أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الأوزاعى خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم انا قد سمعناك تقول ماعلى المحسنين من سبيل وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة الا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ماعلمت من شئ غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت اليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى

الحمد لله على كل حال البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (١) حديث سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب أحمد و ك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامى ضعفه الجمهور (٢) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علىّ فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى احداهما و يرد الاخرى

ووظمأ الهواجر تتأجج فيهم نيران الطلب وتتحجب دونهم لوامع الارب يتقلبون في رمضاء الارادة و ينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الانابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آنفا هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية العامة التى هى الهدى الى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا اليه بعدان اهتدوا له بالمكابدات تخلصوا من مضيق العسر الى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال ثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد

أؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغسانى أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثانى اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعتق أرقاءنا اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بأبوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى فقال يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى وسيدى ومولاى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم أجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم اذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما وألقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى فسمعته يقول الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليما ذا أناة يا من لا عرف عباده منه الا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك ﷺ وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

﴿ فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وفضله ﷺ ﴾

قال الله تعالى ـ ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ـ وروى انه ﷺ (١) جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال ﷺ انه جاءنى جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك صلاة واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقال ﷺ (٢) من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عند ذلك أو ليكثر وقال ﷺ

لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبى الدرداء (١) حديث انه ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا ن وحب من حديث أبى طلحة باسناد جيد (٢) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر هـ من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن

الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شئ دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقى على جذبته ما رد الى الاجتهاد بعد الكشف * والثانى مجهد متعبد ما خلص الى ان

(١) ان أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة وقال ﷺ (٢) بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي علي وقال ﷺ (٣) أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وقال ﷺ (٤) من صلى علي من أمتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت وقال ﷺ (٥) من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال رسول الله ﷺ (٦) من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب وقال ﷺ (٧) ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام وقال ﷺ (٨) ليس أحد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام (٩) وقيل له يارسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول بابي أنت وأمي يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (١٠) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل

---

(١) حديث ان أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٢) حديث بحسب امرئ من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي علي قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٣) حديث أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٤) حديث من صلى علي من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله في السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيآت ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٥) حديث من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله ﷺ اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي ثم سلوا الله لي الوسيلة وفيه فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة (٦) حديث من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٧) حديث ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام تقدم في آخر الحج (٨) حديث ليس أحد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٩) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١٠) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالابطح وكلام الشاة المسمومة وانه دمي وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر

الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية في طريقهما باب من بدههم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر ابن أبي نصر يقول سمعت قسما غلام الزقاق يقول سمعت أبا سعيد السكري يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة * حكي أن أبا يزيد البسطامي رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان

أن يخبرك بالذنب فقال تعالى ـ عفا الله عنك لم أذنت لهم ـ بابي انت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل ـ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم ـ الآية بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بابي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلني فاني مسمومة بابي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بابي أنت وأمي يارسول الله لولم تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولولم تنكح الا كفؤا لك ما نكحت الينا ولولم تؤا كل الا كفؤا لك ماوا كلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا ووا كلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي ﷺ فيه ولا أسلم فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي أماتتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الاصليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يارسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال ﷺ جوزي عني انه لايوقف للحساب

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عزوجل ـ والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ـ وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل الاغفر الله تعالى له ـ والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ـ الآية وقوله عزوجل ـ ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ـ وقال عزوجل ـ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ـ

القومي فانهم لايعلمون وانه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالابطح وحديث كلام الشاة المسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث انه دمي وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود انه ﷺ حكاه عن نبي من الانبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وارادفه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالارض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونا على مايدعيه من مقامات الأولياء والصديقين (وسئل) خادم الشبلي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار الى أن وضئني للصلاة فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فدع مفتون كذاب (الباب الخامس في ماهية التصوف) أخبرنا الشيخ أبو زرعة

وقال تعالى ـ والمستغفرين بالاسحار ـ وكان ﷺ (١) يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم وقال ﷺ (٢) من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال ﷺ (٣) انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة هذا مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال ﷺ (٤) انه ليغان على قلبى حتى انى لأستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة وقال ﷺ (٥) من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا وقال ﷺ (٦) فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة (٧) كنت ذرب اللسان على أهلى فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبى ﷺ فأين أنت من الاستغفار فانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله ﷺ (٨) ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان ﷺ (٩) يقول فى الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وقال على رضى الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه واذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ (١٠) يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله

---

(١) حديث كان النبى ﷺ يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله انك أنت التواب الرحيم (٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب د ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان (٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٤) حديث انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الاغر (٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى * قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات (٦) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبى ﷺ وقال غريب * قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٩) حديث كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (١٠) حديث على عن أبى بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله

السلمى قال أنا ابراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادى قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عمر بن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة فالفقر كائن فى ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة (وقال) معروف الكرخى التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق فمن لم يتحقق

الحسين النوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغنى يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (و بالاسناد الذى سبق الى أبي عبد الرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازى يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول الفقير الذى لا يكون له الى الله حاجة قال وسمعته يقول سألت أبا بكر المصرى عن الفقير فقال الذى لا يملك ولا يملك ﴿ قوله لا يكون له الى الله حاجة ﴾ معناه انه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة به عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه الى رفع الحاجة .

عزوجل الا غفرله ثم تلا قوله عزوجل ـ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ (١) أنه قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ـ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ـ وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ (٢) قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ (٣) قال اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا وقال ﷺ (٤) اذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال ﷺ (٥) ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وقال ﷺ (٦) ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب فاغفرلى فقال الله عزوجل قد غفرت لك وقال ﷺ (٧) من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفرله وان لم يستغفر وقال ﷺ (٨) يقول الله تعالى ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذوقدرة على أن أغفرله غفرت له ولا أبالى وقال ﷺ (٩) من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب النمل وروى (١٠) ان أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فانه لا يغفر الذنوب جميعها الا أنت ﴿ الآثار ﴾ قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادى الى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم

الا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت (١) حديث أبى هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث ت وصححه ون فى اليوم والليلة وه حب ك

(٢) حديث أبى هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد باسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا • وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٤) حديث اذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة دت من حديث أبى بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوى (٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل (٧) حديث من أذنب فعلم ان الله قد اطلع عليه غفرله وان لم يستغفر الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على ان أغفرله غفرت له ولا أبالى ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه وان كانت كدب النمل البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله ﷺ قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا إله إلا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا

ودوائكم أماداؤكم فالذنوب وأمادواؤكم فالاستغفار وقال على كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب على وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عزوجل وهو لا يعلم وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملا أوخلاء وسر وعلانية ياحليم ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية الى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة ﴾

﴿فمنها﴾ دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس الى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح (١) قال اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أعطنى ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم انى أنزل بك حاجتى وان ضعف رأيى وقلت حيلتى وقصر عملى وافتقرت الى رحمتك فأسألك ياكافى الامور وياشافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ﴾

(١) حديث ابن عباس اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى الحديث ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى

لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال فى البين زيادة وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لانهم اشاروا فيها الى أحوال فى أوقات دون أوقات ونحتاج فى تفصيل بعضها من البعض الى الضوابط فقد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلابد من بيان فاصل فقد تشتبه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض * فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وان كان زاهدا وفقيرا * قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب

والكرم سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا

﴿ دعاء عائشة رضى الله عنها ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) لعائشة رضى الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذبك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ماسألك عبدك ورسولك محمد ﷺ واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ماقضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين

﴿ دعاء فاطمة رضى الله عنها ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) يافاطمة مايمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله

﴿ دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

علم رسول الله ﷺ (٣) أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك و بتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين و بكل وحى أوحيته أوقضاء قضيته أوسائل أعطيته أوغنى أفقرته أوفقير أغنيته أوضال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى ﷺ وأسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم و بعظمتك وكبريائك و بنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى و بصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولاقوة إلا بك يا أرحم الراحمين

﴿ دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه ﴾

روى انه قال له رسول الله ﷺ (٤) يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال فقلت بلى يارسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فاعزنى وانى فقير فأغننى يا أرحم الراحمين

﴿ دعاء قبيصة بن المخارق ﴾

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم الحديث ه و ك وصححه من حديثها (٢) حديث يافاطمة مايمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ن فى اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث علم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك الحديث فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبابكر أتى النبى ﷺ فقال انى أتعلم القرآن و يتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر (٤) حديث يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه الحديث

حسن أدب الباطن لان النبى ﷺ قال لوخشع قلبه لخشعت جوارحه (أخبرنا) الشيخ رضى الدين أحمد ابن اسمعيل اجازة قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم قال أخبرنى والدى أبو القاسم القشيرى قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبدالله ابن على يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم ان التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لايفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال

اذ قال لرسول الله ﷺ (١) علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فانك اذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج وأما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركاتك ثم قال ﷺ اما انه اذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

﴿ دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه ﴾

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه (٢) قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب قال اني سمعت رسول الله ﷺ قال من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شئ وقد قلتهن وهي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

﴿ دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

كان يقول اذا أصبح اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه

﴿ دعاء عيسى ﷺ ﴾

كان يقول اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني يا حي يا قيوم

﴿ دعاء الخضر عليه السلام ﴾

يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات اذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق ان شاء الله تعالى

﴿ دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه ﴾

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس رحمه الله حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي

ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (١) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله ﷺ علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٢) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت

الله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع الى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله ﷺ يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقي أمسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشي زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفية لانه تطلع الى الاعواض وترك لأجلها والصوفي يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما في

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عزوجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

﴿ دعاء عتبة الغلام ﴾

وقد روئى فى المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم ياهادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين

﴿ دعاء آدم عليه الصلاة والسلام ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم ﷺ طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس ببنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والاكرام فأوحى الله عزوجل اليه انى قد غفرت لك ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها

﴿ دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴾

رواه عن النبى ﷺ (١) أنه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول انى أنا الله رب العالمين انى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم انى أنا الله لا إله إلا أنا العلى العظيم انى أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد انى أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور انى أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شئ والى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه فى الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿ دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه ﴾

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عزوجل بمكان وهى هذه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد ما خلق وعدد ماهو خالق وزنة ما خلق وزنة ماهو خالق وملء ما خلق وملء ماهو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره

﴿ دعاء ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ﴾

روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة اذا أصبح واذا أمسى مرحبا بيوم المزيد

دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ضعيف (١) حديث على ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول انى أنا الله رب العالمين انى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم الحديث بطوله لم

الاشياء بارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوفقه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشئ وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح فى السعة والدخول فيها للصادقين الا بعد إحكامهم علم الاذن وفى هذا مزلة للاقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول الى مرتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود

والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله فى الآلهة جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما وان الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذى شر اللهم انى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لأحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك واليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضلنى وان كنت ظالما سبحانك يا على يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شئ من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك ياحى ياقيوم ياعليم ياحليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى ﷺ وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله ﴾

يستحب للمريد اذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك (١) اعقاب صلواتك (٢) سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقل (٣) رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ثلاث مرات وقل (٤) اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وقل اللهم (٥) انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل عثراتى واحفظنى

أجد له أصلا

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبى ﷺ ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا الحديث تقدم فى الباب الاول من الاذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه د ت وصححه وحب وك وصححه من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى

الفقر ﴿قال﴾ الجنيد رحمة الله عليه التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذى ذكرناه من كونه قائما فى الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكونان فى الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمهما والصوفى متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن الى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذوالنون المصرى رحمة الله عليه الصوفى من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شئ فآثرهم الله على كل شئ فكان من ايثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وارادة الله على ارادة نفوسهم ﴿قيل لبعضهم﴾ من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك

من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي اللهم[1] لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم[2] أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثلاث مرات وقل اللهم[3] عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات وقل اللهم اني أسألك[4] الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو اعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لا تغفره اللهم اني أسألك[5] الثبات في الامر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم اغفر لي[6] ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني أسألك[7] ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد اللهم اني أسألك[8] الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم[9] بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك

ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك ان أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (١) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك واسناده ضعيف (٢) حديث اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٣) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٤) حديث اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث الى قوله أو ذنبا لا يغفر أحد وك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٥) حديث اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد الحديث الى قوله ـ وأنت علام الغيوب ـ ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٦) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث الى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٧) حديث اللهم اني أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد الحديث ن في اليوم والليلة وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع (٨) حديث اللهم اني أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث الى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم اني أسألك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

(٩) حديث اللهم اني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث الى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله ﷺ يدعو به

ويستقبح الاخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم * وقال بعضهم الصوفي من اذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الاحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الاخلاق أيضا ما هو أدعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حاكمان في ذلك بعلمهما والصوفي هو المستبين الاحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن انابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه الى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوّله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل

التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة (قال) ذوالنون المصري رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فأنشأت قوم همومهم بالله قد علقت *

والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم (١) اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة اللهم (٢) املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بنا منك فرقا وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم (٣) اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة (٤) الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم (٥) صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد اللهم (٦) صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين اللهم (٧) اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٨) نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم (٩) بقدرتك علي تب علي إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت الملك الجبار (١٠) سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب

---

(١) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بذلك (٢) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك ممن سواك لم أقف له على أصل (٣) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا واسناده ضعيف (٤) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٥) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٦) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبي سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك و حب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمي و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند خ بلفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط اسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق في المعرفة اسناده صحيح (٧) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقفه على أصل (٨) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٩) حديث اللهم بقدرتك علي تب علي إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك علي اعف عني الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (١٠) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت هق في الدعوات من حديث علي دون

إلاأنت اللهم (١) ألهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم (٢) ارزقني حلالا لاتعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٣) أسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة (٤) يامن لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطني مالاينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان الى قوله عز وجل انك لاتخلف الميعاد ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطأنا ربنا إلى آخر السورة (٥) رب اغفرلى ولوالدى وارحمهما كماربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات (٦) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنالله وإنا إليه راجعون ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ﴿ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبى ﷺ ﴾ اللهم (٧) انى أعوذ بك من البخل وأعوذبك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى

قوله ذنبي انك أنت ربى وقد تقدم فى الباب الثانى (١) حديث اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسى ت من حديث عمران بن حصين أن النبى ﷺ علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه ن فى اليوم والليلة و ك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث اللهم ارزقني حلالا لاتعاقبني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني ك من حديث ابن عباس كان النبى ﷺ يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٣) حديث اللهم انى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة ن من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية للبيهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ماأوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفى رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (٤) حديث يامن لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالايضرك وأعطني مالاينقصك أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٥) حديث رب اغفرلى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات د ه باسناد حسن من حديث أبى أسيد الساعدى قال رجل من بنى سلمة هل بقى على من بر أبوى شئ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبى الشيخ حب فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أوهو كائن إلى يوم القامة وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث أبى سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليتل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة (٦) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الاعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث ابن مسعود انه ﷺ كان يقول اذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الاكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٧) حديث اللهم انى أعوذبك من البخل وأعوذبك من الجبن وأعوذبك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذبك من فتنة الدنيا وأعوذبك من عذاب القبر خ من حديث سعد بن

فالهم همم تسمو الى أحد فطلب القوم مولاهم وسيدهم * ياحسن مطلبهم للواحد الصمد ما ان تنازعهم دنيا ولاشرف * من المطاعم واللذات والولد ولا للبس ثياب فائق أنق * ولا لروح سرور حل فى بلد الا مسارعة فى إثر منزلة * قد قارب الخطو فيها باعد الأبد فهم رهائن غدران وأودية * وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد (وقال الجنيد) الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولايخرج منها إلا كل مليح وقال أيضا هو كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالقطر يسقى كل شئ وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى فنقول الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لايزال يصفى الأوقات

أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عـذاب القبر اللهم [١] إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم إنى أعوذ بك [٢] من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إنا نسألك قلوبا أوّاهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم إنى أعوذ بك [٣] من التردّى وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت فى تطلب الدنيا اللهم إنى أعوذ بك [٤] من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم [٥] جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والادواء والأهواء اللهم إنى أعوذ بك [٦] من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم إنى أعوذ بك [٧] من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال اللهم إنى أعوذ بك من [٨] شر سمعى و بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى اللهم إنى أعوذ بك من [٩] جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحوّل اللهم إنى أعوذ بك [١٠] من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام

أبى وقاص (١) حـديث اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع وطمع فى غـير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع أحد ك من حـديث معاذ وقال مستقيم الاسناد (٢) حديث اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيـدة الاسانيد (٣) حـديث اللهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا د ن ك وصحح إسناده من حـديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا وتقـدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا (٤) حـديث اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا فى غـير نسخة علمت و إنما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حـديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حـديث مرسل فى الاستعاذة وفيـه وشر ما لم أعمل وشر ما لم أعلم (٥) حـديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء ت وحسنه و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك (٦) حـديث اللهم إنى أعوذ بك من جهـد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء متفق عليـه من حديث أبى هريرة (٧) حـديث اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاسناد من حـديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه كان يتعوذ من عـذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٨) حديث اللهـم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منيى د ن ت وحسنه ك وصحح اسناده من حديث سهل بن حميد (٩) حـديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول ن ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١٠) حديث اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفرّ منها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط وهذه القوّامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوّف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الالهية يعنى أن روح الصوفى متطلعة منجذبة إلى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس ومن وقف على هـذا المعنى يجـد فى معنى الصوفى

اللهم إنى أعوذ بك من(١) زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم إنى أعوذ بك(٢) من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم انى أعوذ بك(٣) من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم انى أعوذ بك(٤) من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين

﴿ الباب الخامس فى الادعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث ﴾

اذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة فاذا خرجت إلى المسجد فقل اللهم(٥) اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وأمامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم أعطنى نورا وقل أيضا اللهم إنى أسألك(٦) بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل(٧) بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على(٨) بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله التكلان على الله فاذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل اللهم(٩) صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد(١٠) من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك وإذا رأيت من

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى باسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم انى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

﴿ الباب الخامس فى الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك الحديث من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله التكلان على الله هـ من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره الا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ت هـ من حديث فاطمة ابنة رسول الله ﷺ قال ت حسن وليس اسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبى حميد أو أبى أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك وزاد د فى أوله فليسلم على النبى ﷺ (١٠) حديث القول اذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لا أربح الله تجارتك ت وقال حسن غريب و ن فى اليوم

طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى والدى قال أنا أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد ابن ابراهيم قال أنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم قال أنا أبو عبد الله المخزومى قال ثنا سفيان عن مسلم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف

(١) ينشد ضالة في المسجد فقل لاردها الله عليك أمر به رسول الله ﷺ (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح فقل بسم الله اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٣) فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت و بك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمعي و بصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان أحببت فقل (٤) سبحان ربي العظيم ثلاث مرات (٥) أوسبوح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم (٧) لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه و بصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت أو تقول (٨) سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم (٩) أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل (١٠) سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فاذا دخلت السوق فقل (١١) لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير (١٢) بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم (١٣) اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك

والليلة من حديث أبي هريرة (١) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لاردها الله عليك م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٣) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث علي (٤) حديث القول فيه سبحان ربي العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٥) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٦) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهي في اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند خ من حديث أبي هريرة (٧) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث علي اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٨) حديث سبحان ربي الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (٩) حديث القول اذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام م من حديث ثوبان (١٠) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١١) حديث القول عند دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (١٢) حديث بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة * قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدي مختلف فيه (١٣) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك ت وقال حسن

والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى (وقال) الحسن البصري رضي الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم أبو هريرة وفضالة ابن عبيد فقالا كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن اذا أصابه الغيث وقال بعضهم انه ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله ﷺ بذلك فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم الى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم و يناسب من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير

عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم(١) كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له(٢) واذا رأيت شيأ من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فقل اللهم(٣) أهله علينا بالامن والايمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي وربك الله و يقول هلال(٤) رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني أسألك(٥) خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله أولا ثلاثا واذا هبت الريح فقل اللهم اني أسألك(٦) خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به واذا بلغك وفاة أحد فقل(٧) إنا لله و إنا إليه راجعون و إنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل(٨) سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فان رأيت الصواعق فقل اللهم(٩) لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك

غريب و ك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (١) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ المصنف (٢) حديث القول إذا رأى شيأ من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم والليلة وهق في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة بن عامر فجعله مسندا (٣) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر الا انه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٤) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الافراد والطبراني في الاوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح (٥) حديث اللهم اني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لا أتهم (٦) حديث القول اذا هبت الريح اللهم اني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم والليلة من حديث أبي بن كعب (٧) حديث القول اذا بلغه وفاة أحد إنا لله و إنا إليه راجعون و إنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله و إنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (٨) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٩) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا

وعافنا

لتقلبهم في الاحوال وارتقائهم من عال إلى أعلى منه لايقيدهم وصف ولايحبسهم نعت وأبواب المزيد عليها وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين في الاشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وأيضا لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى القرب وعظم الاشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة إليه وقعت الاشارة إلى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة إليه وتتداوله الالسنة فكان هذا أقرب إلى الادب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن

وعافنا قبل ذلك قاله كعب فاذا أمطرت السماء فقل اللهم[١] سقيا هنيأ وصيبا نافعا اللهم اجعله[٢] صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم[٣] اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم[٤] انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم فاذا غزوت فقل اللهم[٥] أنت عضدى ونصيرى و بك أقاتل[٦] واذا طنت أذنك فصل على محمد ﷺ وقل ذكر الله من ذكرنى بخير[٧] فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال[٨] واذا سمعت أذان المغرب فقل اللهم هذا إقبال ليلك و إدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى[٩] و إذا أصابك هم فقل اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى قال ﷺ ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك الا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها فقال ﷺ بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها واذا وجدت وجعا فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله ﷺ كان اذا اشتكى الانسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال[١٠] بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا[١١] واذا وجدت وجعا فى جسدك فضع يدك على الذى يتألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر[١٢] فاذا أصابك كرب فقل لا إله إلا الله العلى الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم

بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ن فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى باسناد حسن (١) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيأ وصيبا نافعا خ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا و ه سيبا بالسين أوله ون فى اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيأ واسنادهما صحيح (٢) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ن فى اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من الشيطان الرجيم ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٤) حديث القول إذا خاف قوما اللهم انى أجعلك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم دن فى اليوم والليلة من حديث أبى موسى بسند صحيح (٥) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أقاتل دت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٦) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرنى الطبرانى وابن عدى وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أبى رافع بسند ضعيف (٧) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات تقدم فى الدعاء (٨) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى ت د وقال غريب وك من حديث ام سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطى فى مكارم الاخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة (٩) حديث القول إذا أصابه هم اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك الحديث أحمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فانه مختلف فى سماعه من أبيه (١٠) حديث رقية رسول الله ﷺ بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (١١) حديث وضع يده على الذى يألم من جسده و يقول بسم الله ثلاثا و يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبى العاص (١٢) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العلى الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول فى أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل و يعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل فى طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة إلى شئ من حالهم فى تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بانهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى

(١) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل (٢) اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم انى لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك اللهم (٣) باسمك أحيا وأموت اللهم (٤) رب السموات ورب الارض ورب كل شئ ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم (٥) انك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (٦) باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى اللهم (٧) قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم (٨) أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك وليقل قبل ذلك اللهم (٩) أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الاعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى (١٠) فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (١١) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله

(١) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث على (٢) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع (٣) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (٤) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شئ ومليكه فالق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبى هريرة (٥) حديث اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها الحديث إلى قوله إنى أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٦) حديث باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى ن فى اليوم والليلة من حديث عبدالله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنبى و بك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (٧) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك ت فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه (٨) حديث اللهم إنى أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٩) حديث اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى فى أحب الاعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا فى أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء (١٠) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء (١١) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والارض وكل شئ لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله واسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

أصبحنا

التواضع و يقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفى نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفى نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه قال أنا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال أنا أبو الحسن محمد بن محمد قال ثنا أبو على اسمعيل ابن محمد قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد ابن الاعرج عن عبدالله بن الحرث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه

همهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم فى الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة الى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض الآية وهذا وان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم

(١) أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم (٢) بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم (٣) انى أسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم (٤) فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٥) بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله (٦) رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير * (٧) واذا أمسى قال ذلك الا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ أو برأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى كعب مرفوعا (٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير أصحاب السنن وحب وحسنه ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولابن السنى واليك المصير (٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث لم أجد أوله وت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوأ أو نجره الى مسلم رواه د من حديث أبى مالك الاشعرى باسناد جيد (٤) حديث اللهم فالق الأصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الافراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده ود من حديث أبى مالك الاشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمر فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م فى المساء خير ما فى هذه الليلة الحديث ثم قال واذا أصبح قال ذلك أيضا (٥) حديث بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه الا مرفوعا الى النبى ﷺ قال يلتقى الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير الا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٦) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا تقدم فى الباب الاول (٧) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ أو برأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن ابن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ

دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم(١) واذا نظر في المرآة قال الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين(٢) واذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه(٣) واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له(٤) بارك الله لك في أهلك ومالك اذ قال ﷺ انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة * فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له * فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وأن لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر وان لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال ﷺ(٥) الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتي في مواضعها ان شاء الله تعالى وعلى الله التكلان تم كتاب الاذكار والدعوات بكماله * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

اعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وان قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولاحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث ان جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث واسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (١) حديث القول اذا نظر في المرآة الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين الطبراني في الاوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث القول اذا اشترى خادما أو دابة اللهم اني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٣) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٤) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء ن من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي ﷺ أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الي قال فذكره واسناده حسن (٥) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الاول

كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله ﷺ يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وكان من أهل الصفة فعوتب النبي ﷺ لاجله وكان رسول الله ﷺ اذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان

وصحبه وسلم

﴿ كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل ﴾

وهو الكتاب العاشر من احياء علوم الدين و به اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لايغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا ﴿أما بعد﴾ فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لاليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم في سفرهم الى أوطانهم و يكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها و يتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضى في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعى الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الاوقات و يتضح هذا المهم بذكر بابين ﴿الباب الاول﴾ في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار ﴿الباب الثانى﴾ في كيفية احياء الليل وفضيلته ومايتعلق به ﴿الباب الاول﴾ في فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

﴿ فضيلة الاوراد و بيان أن المواظبة عليها هي الطريق الى الله تعالى ﴾

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لاسبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والانس لاتحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لاتحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لايتم الا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لاتصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لايمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الاوقات أو أكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر أوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا و يصفو في طلبها القلب و يتجرد وأما الرد الى العبادات فتكلف ولا يسلم اخلاص القلب فيه وحضوره الا في بعض الاوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن

﴿ كتاب الاوراد وفضل احياء الليل ﴾

﴿ الباب الاول في فضيلة الاوراد ﴾

سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لايبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته ﴿وقال﴾ بعض أهل الصفة جئنا جماعة الى رسول الله ﷺ وقلنا يارسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال مابال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذى نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله ﷺ دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان الماء والتمر ﴿أخبرنا﴾ الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر بن زكريا الطريثيثي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا

ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من أهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تعالى لاقرب عباده اليه وأرفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال عز وجل وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ثم نظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال ﷺ (١) أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

﴿ بيان أعداد الاوراد وترتيبها ﴾

اعلم ان أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى أربعة أوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به ﴿ فالورد الاول ﴾ ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴿ فأما ترتيبه ﴾ فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور الى

(١) حديث أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاهلة لذكر الله الطبراني وك وقال

آخر

محمد بن محمد بن سعيد الانماطي قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام قال حدثنا محمد بن علي الترمذي قال حدثني سعيد بن حاتم البلخي قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وقف رسول الله ﷺ يوما على أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة ﴿وقيل﴾ كان منهم طائفة بخراسان يأوون الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لان شكفت اسم الغار ينسبونهم الى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن

آخر الأدعيـة والايات التى ذكرناها فى دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى بهستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غـير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجـه إلى بيت الماء ان كان به حاجة إلى بيت المـاء و يدخل أولا رجله اليسرى و يدعو بالادعية التى ذكرناها فيه فى كـتاب الطهارة عنـد الدخول والخروج ثم يستاك على السـنة كما سبق و يتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعيـة التى ذكرناها فى الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكى نذكر فى هذا الـكتاب وجـه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء (١) صـلى ركعتى الفجر أعنى السـنة فى منزله كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ ويقرأ بعـد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسـجد الدعاء الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما و يقول اللهم (٢) انى أسألك رحمة من عنـدك تهدى بها قلبى إلى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيا (٣) بل يمشى وعليـه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه و يدخل المسجد و يقدم رجله اليمنى و يدعو (٤) بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ثم يصـلى ركعتى الفجر ان لم يكن صلاهما فى البيت و يشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان ﷺ (٥) يغلس بالصبح ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقـد روى أنس بن مالك رضى الله عنـه عن رسول الله ﷺ (٦) أنه قال فى صـلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلى فيه الصـلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عنـد طلوع الشمس كـتب له بكل شعرة فى جسـده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كـتب له بكل ركعة ألفا ألف حسـنة ومن صلى العتمة فله مثـل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبـل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقنى فقال لى يا ابن أخى لاى شئ خرجت من منزلك فى هـذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر (٧) فانا كـنا نعـد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هـذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى أو قال مع رسول الله ﷺ وعن على رضى الله عنـه أن النبى ﷺ (٨) طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال على فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيـد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف ﷺ فسمعته وهو منصرف يضرب فخـذه و يقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصـلاة فيقول

صحيح الاسـناد من حـديث ابن أبى أوفى بلفظ خيار عباد الله (١) حـديث صلاة ركعتى الصبح فى المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حـديث الدعاء بعـد ركعتى الصبح اللهم انى أسألك رحمة من عنـدك الحديث تقدم (٣) حديث المشى إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حـديث أبى هريرة (٤) حـديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم فى الباب الخامس من الاذكار (٥) حـديث التغليس فى الصبح متفق عليـه من حـديث عائشة (٦) حـديث أنس فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها واذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كـتب له بكل شعرة فى جسده حسـنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كـتب له بكل ركعة ألفا ألف حسـنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الايمان للبيهقى من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة (٧) حـديث أبى هريرة كنا نعـد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حـديث على أن رسـول الله ﷺ طرقه وفاطمة وهمـا نائمان فقال ألا تصـلون قال على فقلت يا رسول الله انما أنفسنـا

والمحبون واسم الصوفى مشتمل على جميع المتفرق فى هذه الاسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن فى زمن رسول الله ﷺ وقيل كان فى زمن التابعين (ونقل) عن الحسن البصرى رحمة الله عليه انه قال رأيت صوفيا فى الطـواف فأعطيته شيأ فلم يأخذ وقال معى أربع دوانيـق يكفينى ما معـى و يشيد هـذا ما روى عن سفيان انه قال لولا أبو هاشم الصـوفى ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على أن هـذا الاسم كان يعرف قـديما وقيـل لم يعرف هـذا الاسم إلى المائتيـن مـن الهجرة العربية لأن فى زمـن رسول الله صلى الله عليـه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم يسمون الرجـل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وكون الاشارة إليها أولى من كل اشارة

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فإذا فرغ منها قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال ﷺ (١) لأن أقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب وروى أنه ﷺ (٢) كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن أن رسول الله ﷺ (٣) كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ (٤) وهو قوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب (٥) لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر أكثر والاوسط الاقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بان يدوم عليه وخير الامور أدومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة ﴿الأولى﴾ قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ﴿الثانية﴾ قوله (٦) سبحان الله

بيد الله الحديث متفق عليه (١) حديث لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن ان رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشرا دون قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فانها في اليوم والليلة للنسائي من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمرو وتكرارها ألف مرة واسناده ضعيف (٦) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث

و بعد انقراض عهد رسول الله ﷺ من أخذ منهم العلم سمي تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة و بعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتواري النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الانحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهد في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الارباب فأثمر لهم صالح الاعمال سني الاحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿الثالثة﴾ قوله (١) سبوح قدوس رب الملائكة والروح ﴿الرابعة﴾ قوله (٢) سبحان الله العظيم وبحمده ﴿الخامسة﴾ قوله (٣) أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ﴿السادسة﴾ قوله اللهم (٤) لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴿السابعة﴾ قوله (٥) لا إله إلا الله الملك الحق المبين ﴿الثامنة﴾ قوله (٦) بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ﴿التاسعة﴾ اللهم (٧) صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ﴿العاشرة﴾ قوله (٨) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له

كوشف برتبة في الايمان غير ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها حرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع القبائل وأصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا

أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (١) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند م من حديث عائشة انه ﷺ كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٢) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (٣) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة المستغفري في الدعوات من حديث معاذ ان من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وللبخاري من حديث أبي هريرة اني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الاعرابي لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الاحاديث في الباب الثاني من الاذكار (٤) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٥) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفري في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيهما حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٦) حديث تكرار بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان و ك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال ت حسن صحيح غريب (٧) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع (٨) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح

في زمرتهم وارزقنا حالاتهم والله أعلم ﴿الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه به﴾ (أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام

أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ أبو منصور بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا محمد ابن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيي بن محمد ابن صاعد الاصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال انا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يارسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل الا أني أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت

قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد(١) وآية الكرسي(٢) وخاتمة البقرة(٣) من قوله آمن الرسول(٤) وشهد الله(٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى(٦) لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله تعالى(٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها وقوله سبحانه(٨) الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية(٩) وخمس آيات من أول الحديد(١٠) وثلاثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام الى

الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك ياخالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون والحديث عند أبي داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (١) حديث فضل سورة الحمد خ من حديث أبي سعيد بن المعلى انها أعظم السور في القرآن و م من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الارض وقال للنبي ﷺ أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما الا أعطيته (٢) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي ابن كعب يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان اليه وقوله اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله ﷺ أما انه قد صدقك وهو كذوب (٣) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٤) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله الى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد إلي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وفيه عمر بن المختار روى الاباطيل قاله ابن عدي وسيأتي حديث علي بعده (٥) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفري في الدعوات من حديث علي أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن و بين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كنّ أحد من عبادي دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروي عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا (٦) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله ﷺ ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفي آخره فقل حسبي الله الى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله ﷺ قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (٧) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجد فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٨) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها واسناده ضعيف (٩) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (١٠) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل

ابراهيم التيمى رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روى عن (١) كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الابدال قال أتانى أخ لى من أهل الشام فاهدى لى هدية وقال يا كرز اقبل منى هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمى قلت أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه اياها قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت فى أى شئ جئتنى فقال جئتك للسلام عليك وحبالك فى الله وعندى هدية أريد أن أهديها لك فقلت ماهى قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلى على النبى ﷺ سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد ﷺ فقلت أخبرنى بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا ﷺ فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمى انه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر انه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتانى النبى ﷺ ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على واخذ بيدى فقلت يا رسول الله الخضر أخبرنى انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى فى الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيأ مما أعطيته فقال والذى بعثنى بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيآت الى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان أضاف اليها شيأ مما انتهى اليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة * وأما الافكار فليكن ذلك احدى وظائفه وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين * أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين * الفن الثانى فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر ومهما

هذا بورقة وللبيهقى فى الشعب من حديث أبى امامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (١) حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمى ان الخضر علمه المسبعات العشرة وقال فى آخرها أعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل ولم يصح

الا لمحبته اياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع ارادته ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذى رويناه فى المعنى روى عبادة بن الصامت عن أبى ذر الغفارى قال قلت يارسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت ياأباذر مع من أحببت قال قلت فانى أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فاعادها أبوذر فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحبة المتشبه اياهم لا تكون الا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لان محبة أمر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غيران المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفى تخلص من ذلك والمتصوف متطلع

تيسر الفكر فهو أشرف العبادات اذفيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة اذلايحب القلب الامن اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الانس وهونوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف الى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى الاأمور جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لان أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر مارفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التى استحقت ان تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها انه قدتم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال ﷺ (١) ان لله سبعين حجابا من نورلوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ماأدرك بصره وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الاول أصغرها ثم مايليه وعليه أوّل بعض الصوفية درجات ماكان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال فلما جن عليه الليل أى أظلم عليه الامر رأى كوكبا أى وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لايخفى عليهم ان الربوبية لاتليق بالاجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لايضلل العوام لايضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ماأريدبها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ماأريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعانى فانها خارجة عن علم المعاملة ولايوصل الى حقائقها الاالكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مماتغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هوالجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالاذكار (٢) وهو الاولى الاأن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الابالصلاة فلوصلى لذلك فلا بأس به ﴿الورد الثانى﴾ مابين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف مابين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار اذافرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احداهما صلاة الضحى وقدذكرناها فى كتاب الصلاة وان الاولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعا أوستا أوثمانيا اذارمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هوالذى أراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها تمنع اشراقها

فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته (١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم فى قواعد العقائد (٢) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح الى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م فى جلوسه صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع

فالمتشبه صاحب ايمان والايمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الايمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا باحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لانهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم واشاراتهم الى عظيم أمر الله والقرب منه والايمان بذلك ايمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الاولياء والايمان بذلك ايمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم الامن خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب ايمان والمتصوف صاحب علم لانه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفى صاحب

التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل إذا سجى وخرج رسول الله ﷺ (١) على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته ألا ان صلاة الاوّابين إذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو مابين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ماقبل الزوال فى ساعة الاستوء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الاشراق تقع فى مبتدا وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذقال ﷺ (٢) ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب ﴿ الوظيفة الثانية فى هذا الوقت ﴾ الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على برّ وتقوى وحضور مجالس علم ومايجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شئ من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لاسبب لها و بعد الصبح الاحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر ﴿ الورد الثالث ﴾ من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا أن الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم ﴿ الوظيفة الرابعة ﴾ فى هذا الوقت الاقسام الاربعة وزيد أمران

* أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله و يقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لايوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابدله منها وقل من يعرف القدر فيما لابد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدّ انه لابد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر و يأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه و يجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه

* الامر الثانى القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لايقوم بالليل لكن لولم ينم لم يشتغل بخير ور بما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة إذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثورى رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن ينبغى أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله عزوجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب

الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وانما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (١) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته ألا ان صلاة الأوّابين اذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٢) حديث ان الشمس تطلع

المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لابد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون فى الحال الأوّل صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم و بحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لايزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى (ان الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون) وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفا فالصوفى شراب صرف وللمتوصف من ذلك مزج فى شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتوصف فالصوفى سبق الى مقار الروح من بساط

المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى و يصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أى يخلف أحدهما الآخر فى الفضل والثانى انه يخلفه فيتدارك فيه مافات فى أحدهما ﴿الورد الرابع﴾ مابين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى احياء مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى أراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون(١) وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضى الله عنه انه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل و يفصل بتسليمة وهو الذى صحت به الاخبار(٢) وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المثين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل و يستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت ﴿الورد الخامس﴾ مابعد ذلك الى العصر و يستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير و يكون فى انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار و إن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله عزوجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات ﴿الورد السادس﴾ اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنيى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا أربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض و يشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى أن ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك بين

ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة (١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه انها فيها تفتح أبواب السماء وانها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لى فيها عمل صالح د ه من حديث أبى أيوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د و حب

عليه من وصفه فهو مجتهد فى طريقه سائر الى ربه قال رسول الله ﷺ سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين وأصل فى سيره الى مقار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لاتلوين له لان التلوين لارباب الاحوال والمتشبه مجتهد

الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الاقسام الثلاثة ﴿الورد السابع﴾ اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض و يرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى فسبح وأطراف النهار قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشي منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل أن يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم و بحمده مأخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله انه كان غفارا أستغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين و يستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن و يشتغل بصلاة المغرب و بالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله و يحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال ﷺ (١) لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت وليشكر الله تعالى على صحة جسمه و بقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا أياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

﴿بيان أوراد الليل وهي خمسة﴾

﴿الاول﴾ اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والصلاة فيه هي ناشئة الليل لانه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد الى رسول الله ﷺ أنه سئل (٢) عن هذه الآية فقال ﷺ الصلاة بين العشاءين ثم قال ﷺ عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني * وترتيب هذا الورد أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد و يصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته

من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد ابن عاصم الانطاكي رحمه الله الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء ﴿أخبرنا﴾

---

(١) حديث لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الاول الا انه قال علما بدل خيرا من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد ٧ الى رسول الله ﷺ قلت انما هو اسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال

٧ قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا في النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتأمل اهـ مصححه

ان لم يكن عزمه العكوف فى المسجد وان عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء ﴿الورد الثانى﴾ يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به اذقال والليل وما وسق أى وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته * وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور * الاول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا و يقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها * والثانى أن يصلى (١) ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ماروى أن النبى ﷺ صلى بها من الليل والاكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لايستيقظ أو يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى ﷺ يكثر قراءتها مثل يس (٢) وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلايدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ (٣) فى كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر (٤) والواقعة وفى رواية الزمر و بنى اسرائيل وفى اخرى انه كان يقرأ (٥) المسبحات فى كل ليلة و يقول فيها آية أفضل من ألف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذفى الخبر انه ﷺ (٦) كان يحب سبح اسم ربك الاعلى (٧) وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل ياأيها الكافرون والاخلاص فاذافرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات

رسول الله ﷺ عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس انها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة (١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ماصلى به النبى ﷺ من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بانقص من سبع ولابأكثر من ثلاث عشرة ركعة و خ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة (٢) حديث اكثاره ﷺ من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه و حب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لاينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وقال غريب ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل و يس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرآن من حديث على ياعلى أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن أبى اسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا و ت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك ت وتقدم فى الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر و بنى اسرائيل ت وتقدم أيضا (٥) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة و يقول فيهن آية أفضل من الف آية د ت وقال حسن و ن فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية (٦) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف (٧) حديث كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل ياأيها الكافرون والاخلاص د ن

الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبى العباس قال أنا القاضى محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أخبرنى الحسين بن محمد ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين ابن نمير عن أبى ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم فى الجنة قال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبى والسابق هو الذى أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفى فالمتشبه تعرض لشىء من أمر القوم و يوجب له ذلك القرب منهم

* الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه أوصانى رسول الله ﷺ (١) أن لا أنام الا على وتر وان كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال ﷺ (٢) صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقالت عائشة رضى الله عنها أوتر رسول الله ﷺ (٣) أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى أنه يصير وترا بما مضى وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الاول والثالث لا بأس به (٤) وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض وروى مطلقا انه ﷺ (٥) قال لا وتران فى ليلة ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله ﷺ (٦) يزحف الى فراشه و يصليهما و يقرأ فيهما اذا زلزلت وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قاما مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة فى آخر صلاة الليل وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكى وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وأبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله ﷺ ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى أنه ﷺ (٧) ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال (٨) للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما (الورد الثالث) النوم ولا بأس أن يعد ذلك فى الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل (٩) ان العبد اذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ و يدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله وفى الخبر (١٠) اذا نام على طهارة رفع روحه الى العرش هذا فى العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية

---

* من حديث أبى بن كعب باسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس (١) حديث أبى هريرة أوصانى رسول الله ﷺ أن لا أنام الا على وتر متفق عليه بلفظ ان أوتر قبل أن أنام (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٣) حديث عائشة أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر متفق عليه (٤) حديث النهى عن نقض الوتر قال المصنف صح فيه نهى قلت وانما صح من قول عائذ بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه انما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٥) حديث لا وتران فى ليلة د ت وحسنه و ن من حديث طلق بن على (٦) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم فى الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٧) حديث ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبى ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالسا (٨) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين (٩) حديث قيل انه اذا نام على طهارة ذاكرا لله تعالى يكتب مصليا و يدخل فى شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (١٠) حديث اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء و هق فى الشعب موقوفا على عبدالله بن عمرو بن العاص وروى طب فى الأوسط من حديث على ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ الا عند العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ

يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير الى حتى يكلمك فى معنى الخرقة ثم احضر حتى ألبسك الخرقة قال فجاء الى فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن ان يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولى له فاستحضرنى وعاتبنى على قولى له ذلك وقال بعثته اليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته فى الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذى ذكرته كله صحيح وهو الذى يجب من حقوق الخرقة ولكن اذا ألزمنا المبتدى بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم و يتزيى بزيهم فيقرب بذلك من مجالسهم ومحافلهم و ببركة مخالطته معهم ونظره الى أحوال القوم وسيرهم

فانهم يكاشفون بالاسرار فى النوم ولذلك قال ﷺ (١) نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح (٢) وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال معاذ أفقه منك ﴿وآداب النوم عشرة * الاول الطهارة والسواك﴾ قال ﷺ (٣) اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجاب الغيب * الثانى أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره و ينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله ﷺ (٤) أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ (٥) من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى * الثالث أن لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم * الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال ﷺ (٦) من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم * الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد * السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر (٧) لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله ﷺ (٨) ان فلانة تصلى

دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب هو ضعيف (١) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم (٢) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى ﷺ ولا قوله معاذ أفقه منك وانما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه (٣) حديث اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٤) حديث انه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة (٥) حديث من أتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه ن ه من حديث أبى الدرداء بسند صحيح (٦) حديث من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف (٧) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل (٨) حديث قيل له ان فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاهن عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس

تحب أن يسلك مسلكهم و يصل بذلك الى شى من أحوالهم و يوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالى ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد ابن على بن خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول اذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه و برفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب ﴿حكى﴾ عن بعضهم انه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك الا نظر المبتدى اليه والتأدب بأدبه والاقتداء به فى عمله وهذا هو الرفق الذى ما دخل فى شئ

بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ماتيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم (١) تكلفوا من العمل ماتطيقون فان الله لن يمل حتى تملوا وقال ﷺ (٢) خير هذا الدين أيسره وقيل له ﷺ (٣) ان فلانا يصلى فلاينام و يصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى وقال ﷺ (٤) لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله * السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقى على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه الى القبلة والثانى استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على شقه الايمن * الثامن (٥) الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربى وضعت جنبى و باسمك أرفعه الى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات و يستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه و يقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام الى قوله قريب من المحسنين وآخر بنى اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له و يقرأ المعوذتين و ينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة * التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقال وهو الذى يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما ان المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى مالم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يابنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ (٧) آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ماهو

(١) حديث تكلفوا من العمل ماتطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفو (٢) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم (٣) حديث قيل له ان فلانا يصلى ولا ينام و يصوم ولا يفطر فقال لكنى اصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى ن من حديث عبدالله بن عمرو دون قوله هذه سنتى الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهى متفق عليها من حديث أنس (٤) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله خ من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقى من حديث جابر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يصح اسناده (٥) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبى الحديث الى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك و بقية الدعوات (٦) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٧) حديث عائشة كان آخر مايقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث

الا زانه فالمتشبه الحقيق له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ماذكرناه انه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فامامن لم يتطلع الى حال التصوف والصوفى بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة فى الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لانه غير محاك لهم بالدخول فى بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يعتزى الى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح

الغالب عليه و يحشر على مايتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب * العاشر الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ (١) لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول مايرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولايلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ماهو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما ستحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور الى آخر ماأوردناه من أدعية التيقظ ﴿الورد الرابع﴾ يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل و يشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار و به أقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى أى اذا سكن وسكونه هدوه فى هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا أظلم وسئل رسول الله ﷺ (٢) أى الليل أسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهى انى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى اليه ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك وسئل رسول الله ﷺ (٣) أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الاخبار (٤) باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوأ كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه الى مصلاه و يقوم مستقبلا القبلة و يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا و يهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله ﷺ (٥) فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت و بك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت و بك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا

تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة (١) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة (٢) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل دت وصححه من حديث عمرو بن عنبسة (٣) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عنبسة

﴿(٤) الاخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار الى سماء الدنيا﴾ أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ماأدرى غير أن العرش يهتز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال اذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا ان الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن الحديث وهو مثله (٥) حديث القول فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والارض

محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال أنا عبد الله بن محمد ابن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد ابن أبى عاصم قال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعى قال ثنا على بن أحمد قال ثنا على بن على المقدسى قال ثنا محمد بن عبد الله ابن عامر قال ثنا ابراهيم بن الاشعث قال ثنا فضيل بن عياض عن سليمان الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق ويتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى

أنت اللهم[١] آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم[٢] اهدني لأحسن الاعمال لايهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت[٣] أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين وأكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ [٤] اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما أختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي[٥] ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ماتيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله ﷺ بالليل انه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ [٦] يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر وقال ﷺ [٧] صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقال صلاة [٨] المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل وأكثر ماصح عن رسول الله ﷺ [٩] في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ماخف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الاخير من الليل ﴿الورد الخامس﴾ السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره[١٠] في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لاينام الليل قال فاتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع

ولك الحمد أنت زين السموات والارض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (١) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد باسناد جيد من حديث عائشة انها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب اعط نفسي تقواها الحديث (٢) حديث اللهم اهدني لأحسن الاعمال لايهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لايصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٣) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس انه كان من دعاء النبي ﷺ عشية عرفة تقدم في الحج (٤) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٥) حديث انه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد ابن خالد الجهني (٦) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ن هـ باسناد صحيح (٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٨) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٩) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانها أكثر ماصح عنه تقدم (١٠) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام الحديث وفي

عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى

الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففي الخبر[1] من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله ﷺ[2] الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس ولقوله ﷺ[3] اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت مالكم أن فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ[4] ذلك ما سأله أحد شيأ فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت وفي الخبر[5] يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله

﴿ بيان اختلاف الأراد باختلاف الأحوال ﴾

إعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ﴿الأول﴾ العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بان يستغرق أكثر أوقاته اما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة و إلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ * فان قلت فما الاولى أن يصرف إليه أكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع

آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبي جحيفة (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة م من حديث أبي هريرة ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم في الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيأ فقال لا ان لم يقدر عليه سكت م من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م

جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم

(الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله)

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل المقدسي اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي ابن ابراهيم وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد

تسبيحه مثلاوأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجدلها وقعاوقدروى عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتاعاليابالتسبيح ولم يرأحدافقال من أنت أسمع صوتك ولاأرى شخصك فقال أناملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذخلقت قلت فمااسمك قال مهلهيائيل قلت فماثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هوقوله سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل و يأتى بالنهار سبحان من لايشغله شأن عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان فهذا وأمثاله اذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه وأيما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه ﴿الثانى﴾ العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أوتدريس أوتصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابدفانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة و يحتاج الى مدة لها لامحالة فان أمكنه استغراق الاوقات فيه فهو أفضل مايشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها و يدل على ذلك جميع ماذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ماقال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة و يزهدهم فى الدنيا أوالعلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذاتعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الاوقات فى ترتيب العلم لايحتمله الطبع فينبغى أن يخصص مابعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كماذكرناه فى الورد الاول و بعد الطلوع الى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر و يتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لايتركها الافى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير أوحديث أوعلم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرابالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلايخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع وأما الليل فاحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه اذكان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربمالايحتمل ذلك الااذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا مانستحبه من ترتيب أوراد العلم ﴿الثالث﴾ المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة و بالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف و يرتب أوقاته كماذكرنا وكل ماذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق و يحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالاوراد التى ذكرناها بعد الصبح و بعد الطلوع وفى سائر الاوقات ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه(١) ان حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض وقال ﷺ (٢) اذارأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها

من حديث أبى ذر (١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث اذارأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم

ابن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبايعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن على الجهمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سالت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت رسول الله ﷺ عن الاخلاص ماهو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببت

فقيل يارسول الله ومارياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عزوجل لم يخلق على وجه الارض تربة أكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدي مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يامسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا ﴿الرابع﴾ المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال و يستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لاينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع الى العمل وانما لايتيسر مع العمل الصلاة الا أن يكون ناظورا فانه لايعجز عن اقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين و يتضاعف به الاجر ﴿الخامس﴾ الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي لينظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الاوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا و يقتصر على المكتوبة و يقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال مالي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه ﴿السادس﴾ الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله تعالى ولايخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولاينظر في شئ الا و يرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولايقرع سمعهم قارع ولايلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله عزوجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذا اعتزلتموهم ومايعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه و يفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لايهجس في قلبه وسواس ولايخطر في قلبه معصية ولاتزعجه هواجم الاهوال ولاتستفزه عظائم الاشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق الى الله تعالى قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فكلهم مهتدون و بعضهم أهدى من بعض وفي الخبر (١) الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل

(١) حديث الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين

فكل

من عبادي فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الاحوال والاعمال و يتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته فالملامتي عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفي غاب في اخلاصه عن اخلاصه (قال) أبو يعقوب السوسي متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص * وقال ذوالنون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من العامة ونسيان رؤية الاعمال في الاعمال وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخرة ﴿أخبرنا﴾ أبو

فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وانما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله وأقربهم الى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره * والأصل فى الأوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لايحس بآثارها وانما يترتب الأثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد ان يكون فقيه النفس فانه لايصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد و بالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو زرع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله ﷺ (١) أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ (٢) فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته لذلك قال ﷺ (٣) من عوّده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين (٤) شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لافى المسجد كيلا يقتدى به رواته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع أن الوقت وقت كراهية * فاعلم ان المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لايتحقق فى حقه فلايقاس عليه فى ذلك غيره و يشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لايقتدى به ﷺ

﴿ الباب الثانى فى أسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل ومابين العشاءين وكيفية قسمة الليل ﴾

﴿ فضيلة إحياء مابين العشاءين ﴾

قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضى الله عنها (٥) ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولاعن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين فى الجنة قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وروت أم سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ (٦) أنه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال

زرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد ابن على بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عثمان المغربى يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام ولخلاص الخواص مايجرى عليهم لابهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولايقع لهم عليها رؤية ولابها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى لان الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص * قال أبو بكر

واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الايمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى اسناده جهالة (١) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته رواه م

(٣) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة (٤) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر فى منزله متفق عليه من حديث أم سلمة انه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ماتركهما حتى لقى الله وكان النبى ﷺ يصليهما ولا يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته والله الموفق للصواب

﴿ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل ﴾

(٥) حديث عائشة ان أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولاعن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرا واسناده ضعيف (٦) حديث أبى سلمة عن أبى هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ

رسول الله ﷺ (١) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أوقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام و يغرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لوسعهم وقال ﷺ (٢) من ركع عشر ركعات مابين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه اذا نكثر قصورنا يارسول الله فقال الله أكثر وأفضل أوقال أطيب وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٣) من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشئ فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض الى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع و يسجد فاذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها الى قوله ـ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله مافى السموات ومافى الأرض الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وصف من ثوابه فى الحديث مايخرج عن الحصر (٤) وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيأ أعمله فى كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ياإله الأولين والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب ياالله ياالله ياالله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحى اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضرمنى فتعلمته ممن علمه إياه و يقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه وعلى الجملة ماورد فى فضل إحياء مابين العشاءين كثير حتى قيل

اثنتى عشرة سنة وضعفه ت وأماقوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل ان يكلم أحدا وضعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى وسنده ضعيف (١) حديث سعيد ابن جبير عن ثوبان من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أوقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر (٢) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا فى الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا يارسول الله الحديث ابن المبارك فى الزهد من حديث عبدالكريم بن الحرث مرسلا (٣) حديث أنس من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشئ فيما بين ذلك من أمر الدنيا و يقرأ فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها و إلهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف (٤) حديث كرز بن وبرة ان الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه ان كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال انى حضرت محمدا ﷺ حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لا أصل له

الزقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لامخلصا * قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذى يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيأ من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد أومعاناة خلق من أخلاق النفس فى اظهار الحال والعمل وللعارفين فى ذلك علم دقيق لايعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم

(١) لعبيدالله مولى رسول الله ﷺ هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء وقال ﷺ (٢) من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ماأتيت ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الوقت إلا ورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول هى ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى مابينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل مابينهما

﴿فضيلة قيام الليل﴾

أمامن الآيات فقوله تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل الآية وقوله تعالى إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ﴿ومن الاخبار﴾ قوله ﷺ (٣) يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر (٤) إنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه وفى الخبر (٥) إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال ﷺ (٦) ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم وفى الصحيح عن جابر أن النبى ﷺ قال ان من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وفى رواية يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ (٧) حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال ﷺ (٨) ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال ﷺ (٩) عليكم بقيام الليل فانه دأب

لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه ﴿قال رويم﴾ الاخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا فى الدارين ولا حظا من الملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفى ولهذا قال الزقاق لابد لكل مخلص من رؤية إخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتى به على التمام قال جعفر الخلدى سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أبين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الاول

---

(١) حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ وقيل له هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال مابين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من صلى مابين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين تقدم فى الصلاة (٣) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس ان للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٦) حديث ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم آدم بن أبى اياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولايصح (٧) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه الحديث متفق عليه (٨) حديث ياأباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لا أصل له (٩) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولايصح ورواه طب وهق من حديث أبى أمامة بسند حسن وقال ت

الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال ﷺ (١) مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال ﷺ (٢) لابى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى أنه كان على عهد النبي ﷺ (٣) رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى و يقرأ القرآن و يقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال إذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يافلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا ان الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة و يروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى ﷺ (٤) نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فاخبره النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله ﷺ (٥) إن فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه مايعمل وقال ﷺ (٦) رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال ﷺ (٧) من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال ﷺ (٨) أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ﷺ (٩) من نام عن حزبه أو عن

والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون إلا بعد الدخول فى العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص ومخالصة كائنة فى المخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتى ومخالصة الاخلاص حال الصوفى والخالصة الكائنة من المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفى والملامتى مقيم فى أوطان اخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتى والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طائفة ولهم

انه أصح (١) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن فى رواية الاسود بن يزيد لكن فى طريقه ابن جعفر الرازى قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبى الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم فى الباب قبله (٢) حديث أنه قال لابى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الازدى (٣) حديث انه كان على عهد رسول الله ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى و يقرأ القرآن و يقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال إذا كان ذلك فآذنونى الحديث لم أقف له على أصل (٤) حديث أن جبريل قال للنبى ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٥) حديث قيل له ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه مايقول ابن حبان من حديث أبى هريرة (٦) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبى هريرة (٧) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح (٨) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبى هريرة (٩) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من

شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه من الليل ﴿الآثار﴾ روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح و يقال ان سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب و يصلى الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبى رواد اذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه و يقول انك للين ووالله ان فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله وقال الفضيل انى لاستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتى وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله فاذا كان فى السحر قال الهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء انى لاضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة قالوا نعم فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون الا المكتوبة ردنى فردها وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الارض وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله فقال انى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله و يروى أنه ما كان له فراش بالليل و يقال ان مالك ابن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاى الرجلين مالك وأى الدار بن دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فاذا أنا فى المنام بجارية كاحسن ما يكون وفى يدها رقعة فقالت لى أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها

أألهتك اللذائذ والامانى * عن البيض الاوانس فى الجنان * تعيش مخلد الاموت فيها
وتلهو فى الجنان مع الحسان * تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا و يروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجينى نفسك فقالت اخطبنى الى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغنى ان تحت العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل ان وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب الى من أن أرى فى بيتى وسادة لانها تدعو الى النوم وكانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى لاكرمن مثوى سليمان التيمى فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة و يقال كان مذهبه أن النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروى فى بعض الكتب

مشايخ يهدون أسامهم و يعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم (حكى) أن بعض الملامتية استدعى الى سماع فامتنع فقيل له فى ذلك فقال لانى ان حضرت يظهر على وجد ولا أوثر أن يعلم أحد حالى (وقيل) ان أحمد ابن أبى الحوارى قال لأبى سليمان الدارانى انى اذا كنت فى الخلوة أجد لمعاملتى لذة لا أجدها بين الناس فقال له

القديمة عن الله تعالى أنه قال ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

﴿ بيان الاسباب التى بها يتيسر قيام الليل ﴾

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا و باطنا ﴿فاما الظاهرة﴾ فار بعة أمور ﴿الاول﴾ أن لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم و يثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة و يقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام ﴿الثانى﴾ ان لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح و تضعف بها الاعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم ﴿الثالث﴾ أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة (١) للاستعانة على قيام الليل ﴿الرابع﴾ أن لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسى القلب و يحول بينه و بين أسباب الرحمة قال رجل للحسن يا أبا سعيد انى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن و برة وهو يبكى فقلت أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وما ذاك الا بذنب أحدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لا تفوت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شئ تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها و يعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر

﴿ وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور ﴾

﴿الاول﴾ سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته ولا يجول الا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يخبرنى البواب انك نائم * وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

﴿الثانى﴾ خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصرى رحمه الله

منع القران بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

وأنشدوا أيضا

ياطويل الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات
ان فى القبر ان نزلت اليه * لرقادا يطول بعد الممات * ومهادا ممهدا لك فيه

انك اذا الضعيف فالملامتى وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط الصدق ولكن بقى عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق والصوفى صفا من هذه البقية فى طرفى العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سرقوله كل شئ هالك الا وجهه كما قال بعضهم فى بعض غلباته ليس فى الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملامتى الحال على وجهين أحد الوجهين لتحقيق الاخلاص

---

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

الليل رواه م

بذنوب

بذنوب عملت أو حسنات * أأمنت البيات من ملك المو * ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك   اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

﴿الثالث﴾ أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله انى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا اليها ﴿الرابع﴾ وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو الملك بسبب انعامه وأمواله انه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله * فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى * فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك أيضا معلوما عنده * فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى * فاعلم انه كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى الى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحى به قط وقال على بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزننى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وقال أيضا لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال لبعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى الجماعة وقال بعض العارفين ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت

والصدق والوجه الآخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا ففى طريق الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف ويتأخر عن الصوفى وقيل ان من أصول الملامتية أن الذكر على أربعة أقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان

السموات السبع والارضون السبع ومافيهما في موازينهم لاستقلالتهالهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدما أريد أن أعطيه وقال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عزوجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق سيأتي الاشارة اليه في كتاب المحبة * وفي الاخبار عن الله عزوجل أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يابني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال ياسيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار * واعلم ان هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ (١) انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفي رواية أخرى يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم ﴿ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل ﴾

*اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب ﴿الاولى﴾ احياء كل الليل وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء * حكى أبو طالب المكي ان ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبيد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم ﴿المرتبة الثانية﴾ أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل ﴿المرتبة الثالثة﴾ أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ (٢) اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت أيضا رضي الله عنها (٣) ماألفيته بعد السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو

عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه

---

(١) حديث جابر ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة رواه م (٢) حديث كان رسول الله ﷺ اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيي آخره ثم ان كان له حاجة الى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ولأبي داود كان اذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثني وان كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج الى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان اذا صلى فان كنت مستيقظة حدثني والا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م اذا صلى ركعتي الفجر (٣) حديث عائشة ماألفيته السحر الأعلى الا نائما متفق عليه بلفظ ماألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي أو عندي الا نائما لم يقل خ الأعلى وقال هـ ما كنت ألفى أو ألفي

هريرة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ونوم السدس الأخير قيام داود ﷺ ﴿ المرتبة الرابعة ﴾ أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه ﴿ المرتبة الخامسة ﴾ أن لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ (١) وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم (٢) نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ (٣) يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله ﷺ (٤) في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة ﴿ المرتبة السادسة ﴾ وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر (٥) صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول

النبي ﷺ من آخر الليل الا وهو نائم عندي (١) حديث قيامه أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان د ت وصححه و ه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه الحديث (٢) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء الحديث ولأبي داود قام حتى اذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل (٣) حديث عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ متفق عليه (٤) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله ﷺ في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبن رسول الله ﷺ فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل انه أيضا كان في سفر (٥) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق

أو طلب ثوابه أو ظن أنه يصل الى شئ من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الأصل الذي بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر آثار الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فعني قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة

الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

﴿ بيان الليالى والأيام الفاضلة ﴾

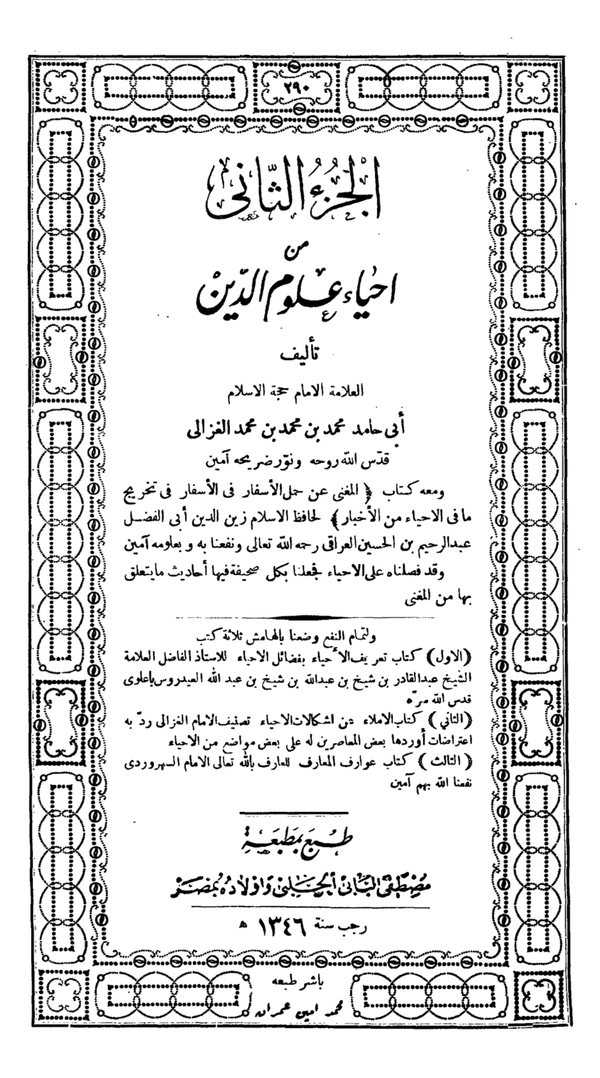
اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى في شهر رمضان خمس في أوتار العشر الأخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة (١) فقد قال ﷺ للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى في هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال ﷺ (٢) من أحيا ليالى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب * وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ (٣) قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والأيام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والأيام المعدودات وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ (٤) أنه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من أخذ مهناة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء * ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله أعلم وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين

حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المدينى في كتاب فضائل الأيام والليالى ان أبا محمد الحبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من أحيا ليالى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب هـ باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة (٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد ﷺ رواه أبو موسى المدينى في كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس اذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف

﴿ تم الجزء الربع الأول من كتاب إحياء علوم الدين ويتلوه الربع الثانى مفتتحا بآداب الأكل بحمد الله تعالى وعونه ﴾

ووجود الهيبة يستدعى وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله أعلم



الجزء الثاني

من

احياء علوم الدين

تأليف

العلامة الامام حجة الاسلام

أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى

قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

ومعه كتاب ﴿ المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار ﴾ لحافظ الاسلام زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث مايتعلق بها من المغنى

ولتمام النفع وضعنا بالهامش ثلاثة كتب

(الاول) كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للاستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى قدس الله سره

(الثاني) كتاب الاملاء عن اشكالات الاحياء تصنيف الامام الغزالى رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحياء

(الثالث) كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردى نفعنا الله بهم آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

رجب سنة ١٣٤٦ هـ

باشر طبعه

محمد امين عمران

(الباب التاسع في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم) فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية أخرى وقد ذكرنا حال الملامتي وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالاخلاص والصدق وليس عما يزعم المفتونون بشيء فاما القلندرية فهو اشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد بآداب المجالسات والمخالطات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة



بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب آداب الأكل وهو الاوّل من ربع العادات من كتاب احياء العلوم)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات * فخلق الارض والسموات * وأنزل الماء الفرات من المعصرات * فأخرج به الحب والنبات * وقدر الارزاق والاقوات * وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات * وأعان على الطاعات والاعمال الصالحات بأكل الطيبات * والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات * وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الاوقات * وتتضاعف بتعاقب الساعات * وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله تعالى في دار الثواب * ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ولا تمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالاطعمة والاقوات * والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات * فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين * وعليه نبه رب العالمين * بقوله وهو أصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى * فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملا سدى * يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى * فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة اليه * ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وانما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها * حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها واحجامها * فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها أوفى حظ للنفس قال ﷺ (1) ان الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه والى في امرأته وانما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه * وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها (الباب الاوّل) فيما لابد للآكل من مراعاته وان انفرد بالاكل (الباب الثاني) فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل (الباب الثالث) فيما يخص تقديم الطعام إلى الاخوان الزائرين (الباب الرابع) فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها

(كتاب آداب الاكل)

(1) حديث ان الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته خ من حديث لسعد بن أبي وقاص وانك مهما أنفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك

(الباب

﴿الباب الاول﴾ فيما لابد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه

﴿ القسم الاول فى الآداب التى تتقدم على الاكل وهى سبعة ﴾

﴿الاول﴾ أن يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين على ماسيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى على الاكل بالباطل عن القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى قوله ولاتقتلوا أنفسكم الآية فالاصل فى الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين ﴿الثانى غسل اليد﴾ قال ﷺ (١) الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر و بعده ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام و بعده ولان اليد لاتخلو عن لوث فى تعاطى الاعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه مايجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة ﴿الثالث﴾ أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة كان رسول الله ﷺ (٢) إذا أتى بطعام وضعه على الارض فهذا أقرب إلى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانها تذكر السفر و يتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله ماأكل رسول الله ﷺ (٣) على خوان ولافى سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ الموائد والمناخل والاشنان والشبع * واعلم أنا وان قلنا الاكل على السفرة أولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى ومايقال انه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ماأبدع منهيا بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب فى بعض الاحوال إذا تغيرت الاسباب وليس فى المائدة الارفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وأمثال ذلك مما لاكراهة فيه والاربع التى جمعت فى أنها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان أتم فى التنظيف وكانوا لايستعملونه لانه ربما كان لايعتاد عندهم أولا يتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة فى النظافة فقد كانوا لايغسلون اليد أيضا وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لايمنع كون الغسل مستحبا وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته إلى التنعم المفرط وأما المائدة فتيسير للاكل وهو أيضا مباح مالم ينته إلى الكبر والتعاظم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فانه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الادواء فى البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات ﴿الرابع﴾ أن يحسن الجلسة على السفرة فى أول جلوسه و يستديمها كذلك كان رسول الله ﷺ (٤) ربما جثا

﴿ الباب الاول ﴾

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر و بعده ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام و بعده القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الاول وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام و بعده مما ينفى الفقر ولابى داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الارض أحمد فى كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلا ورواه البزار من حديث أبى هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعفه الدارقطنى (٣) حديث أنس ماأكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة الحديث رواه خ (٤) حديث ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشير فى أثناء حديث أتوا تلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه كان

الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ماهم عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتى والقلندرى أن الملامتى يعمل فى كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات والملامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير و يرى الفضل فيه ولكن يخفى الأعمال والأحوال و يوقف نفسه موقف العوام

للا كل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول (١) لا آكل متكئا (٢) انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا مايتنقل به من الحبوب وروى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله ﴿ الخامس ﴾ أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل قال أبراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيأ لشهوتى ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا أكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال ﷺ (٣) ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد الى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد مالابد من تقديمه على الاكل ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتى فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج فى التقليل منه فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات ﴿ السادس ﴾ أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز (٤) فكل مايديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغى أن يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة ان حضر وقتها اذا كان فى الوقت متسع قال ﷺ (٥) اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضى الله عنهما ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لاتتوق الى الطعام ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلاة فأما اذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان فى التأخير مايبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت تاقت النفس أولم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا ﴿ السابع ﴾ أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده قال ﷺ (٦) اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ (٧) لا يأكل وحده وقال ﷺ خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى ٧

﴿ القسم الثانى فى آداب حالة الاكل ﴾

وهو أن يبدأ ببسم الله فى أوله وبالحمد لله فى آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة فى الاكل وان لا يذم مأكولا كان ﷺ (٨) لا يعيب مأكولا كان اذا أعجبه أكله والا تركه وأن يأكل مما يليه الا الفاكهة فان له أن يجيل يده فيها قال ﷺ (٩) كل مما يليك ثم كان ﷺ

اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد واسناده ضعيف (١) حديث كان يقول لا آكل متكئا خ من حديث أبى جحيفة (٢) حديث انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفعل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٣) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت وقال حسن ن ه من حديث المقداد بن معديكرب (٤) حديث أكرموا الخبز البزار والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام باسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٥) حديث اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء تقدم فى الصلاة والمعروف وأقيمت الصلاة (٦) حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه د ه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن (٧) حديث أنس كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف (٨) حديث أنس كان لا يعيب مأكولا ان أعجبه أكله والا تركه متفق عليه من حديث أبى هريرة (٩) حديث

٧ قوله وقال ﷺ خير الطعام الخ لم يتكلم عليه العراقى لسقوطه من نسخته كما لم يذكره الشارح فليتأمل اهـ مصححه

مايتقرب به العبيد والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفى يضع الاشياء مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الحق مقامهم ويستر ماينبغى ان يستر ويظهر ماينبغى ان يظهر ويأتى بالامور فى موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها الى الصوفية وماهم من الصوفية بشئ بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة

ويزعمون ان ضمائرهم خلصت الى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام المنحصرين فى مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهى زندقة وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حتى العبودية والحقيقة هى حقيقة العبودية ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالبا بامور وزيادات لايطالب بها من لم يصل الى ذلك لا أنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبى داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعنى الزهرى أخبرنى حميد بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عتبة بن مسعود

(١) يدور على الفاكهة فقيل له فى ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وأن لايأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع (٢) بالسكين ولا يقطع اللحم أيضا (٣) فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا مايؤكل به قال ﷺ أكرموا الخبز ٧ فان الله تعالى أنزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال ﷺ (٤) اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدرى فى أى طعامه البركة (٥) ولا ينفخ فى الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر الى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو احدى عشرة أو احدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمع فى كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ماله عجم وثفل وأن لايترك مااسترذله من الطعام و يطرحه فى القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لايلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب فى أثناء الطعام الا اذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل ان ذلك مستحب فى الطب وأنه دباغ المعدة ﴿وأما الشرب﴾ فادبه أن يأخذ الكوز بيمنه و يقول بسم الله و يشربه مصا لاعبا قال ﷺ (٦) مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه ﷺ (٧) نهى عن الشرب قائما وروى أنه ﷺ (٨) شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعى أسفل الكوز حتى لايقطر عليه و ينظر فى الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس فى الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال ﷺ (٩) بعد الشرب الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا والكوز وكل مايدار على القوم يدار يمنة وقد شرب رسول الله ﷺ لبنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله واعرابى عن يمينه وعمر تجاهه فقال عمر رضى الله عنه أعط أبا بكر فناول الاعرابى وقال الايمن فالايمن و يشرب فى ثلاثة أنفاس يحمد الله فى أواخرها و يسمى الله فى أوائلها و يقول فى آخر النفس الاول الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين وفى الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الاكل والشرب دلت عليها الاخبار والآثار ﴿القسم الثالث مايستحب بعد الطعام﴾

كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة (١) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا ت من حديث عكراش بن ذويب وفيه وجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق فقال ياعكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب فى الضعفاء (٢) حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين رواه حب فى الضعفاء من حديث أبى هريرة وفيه نوح بن أبى مريم وهو كذاب ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٣) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر وت ه من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٤) حديث اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدرى فى أى طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٥) حديث النهى عن النفخ فى الطعام والشراب أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبى داود وت وصححه ابن ماجه الا انهم قالوا فى الاناء وت وصححه من حديث أبى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب (٦) حديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الاول ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء بن أبى رباح اذا شربتم فاشربوا مصا (٧) حديث النهى عن الشرب قائما م من حديث أنس وأبى سعيد وأبى هريرة (٨) حديث انه ﷺ شرب قائما متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٩) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذى جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية ابى جعفر محمد بن على بن الحسين

---

٧ (قوله أكرموا الخبز الخ) لم يخرجه العراقى وقد خرجه الشارح عن الحكيم الترمذى وغيره فانظره اهـ مصححه

وهو أن يمسك قبل الشبع و يلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها و يلتقط فتات الطعام قال ﷺ (١) من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده و يتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال الا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلعق القصعة و يشرب ماءها و يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك و يقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فان أكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره و بارك له فيما رزقته و يسر له أن يفعل فيه خيرا وقنعه بما أعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله ﷺ (٢) كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وليس من يأكل و يبكي كمن يأكل و يلهو (٣) وليقل اذا أكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه فان أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه و يستحب عقيب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شئ ولا يكفي منه شئ أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك وأما غسل اليدين بالاشنان فكيفيته أن يجعل الاشنان في كفه اليسرى و يغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا و يضرب أصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفته ثم ينعم غسل الفم باصبعه و يدلك ظاهر أسنانه و باطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان اليابس أصابعه ظهرا و بطنا و يستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

﴿الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة﴾

﴿الاول﴾ أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل الا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له ﴿الثاني﴾ أن لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف و يتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها ﴿الثالث﴾ أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فان

---

(١) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووقي في ولده وكلاهما منكر جدا (٢) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عند ت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به (٣) حديث القول عند أكل اللبن اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه دت وحسنه ه من حديث ابن عباس اذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه

﴿الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل﴾

حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول ﷺ وان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس الينا من سريرته شئ الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وان قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضي الله عنه قال من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن فاذا رأينا متهاونا بحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في المداخل المكروهة المحرمة نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه ان له سريرة صالحة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة عن عمر ابن أحمد عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا بكر

قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل وقال له كل ولا يزيد فى قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط * كان رسول الله ﷺ (١) اذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان ﷺ (٢) يكرر الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن ابن على رضى الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه ﴿الرابع﴾ أن لا يحوج رفيقه الى أن يقول له كل قال بعض الادباء أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه الى أن يتفقده فى الاكل وحمل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغى أن يدع شيأ مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا ينقص من عادته شيأ فى الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الادب فى الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من أكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد فى الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الاكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط * وقال جعفر ابن محمد رضى الله عنهما أحب اخوانى الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجنى الى تعهده فى الاكل وكل هذا اشارة الى الجرى على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضا تتبين جودة محبة الرجل لاخيه بجودة أكله فى منزله ﴿الخامس﴾ أن غسل اليد فى الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه ان أكل وحده وان أكل مع غيره فلا ينبغى أن يفعل ذلك فاذا قدم الطست اليه غيره اكراما له فليقبله * اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى رضى الله عنهما على طعام فقدم أنس الطست اليه فامتنع ثابت فقال أنس اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فاجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله * ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة فهو أقرب الى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء فى الطست قال ﷺ (٣) اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل أن المراد بهذا * وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع الطست من بين يدى قوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لانه أقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب عليه فقيل له لم قمت فقال أحدنا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لانه أيسر للصب والغسل وأقرب الى تواضع الذى يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففى الطست اذا سبعة آداب أن لا يبزق فيه وأن يقدمه به المتبوع وأن يقبل الاكرام بالتقديم وأن يدار يمنة وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما فى أول نزوله عليه وقال لا يروعك ما رأيت منى فخدمة الضيف فرض ﴿السادس﴾ أن لا ينظر الى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى أن يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف فى الابتداء وقلل

---

(١) حديث كان اذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر فى حديث طويل ومن حديث أبى حدرد أيضا واسناده حسن (٢) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا خ من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا (٣) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة باسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال انه معضل وفيه نظر

الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوى الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بى دونها وانها لآكد فى معرفتى وأقوى لحالى * ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيها ويسبق لافهامهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت * ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويتخايل له ان من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمر الشئ مما زعموه مثل قول الحلاج

الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم فان امتنع لسبب فليتعذر اليهم دفعا للخجلة عنهم ﴿السابع﴾ أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه واذا أخرج شيأ من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات

﴿الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين﴾

تقديم الطعام الى الاخوان فيه فضل كثير * قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم * وقال الحسن رحمه الله كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي أن يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال ﷺ (١) لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه اليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر (٣) لا يحاسب العبد على ما يأكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا أكل وحده وفي الخبر (٤) ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لأن أجمع اخواني على صاع من طعام أحب الي من أن أعتق رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر (٥) يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني وقال ﷺ (٦) اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال ﷺ (٧) ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها

﴿الباب الثالث في تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين﴾

(١) حديث لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله هو مع اخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الاخوان الازدي في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يسئلون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلفظ استطعمتك فلم تطعمني (٦) حديث اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه

أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحاني حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي أن يعتقد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمر الشيء من الحلول رددناه كما نردهم وقد أتانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه أن يحل به شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكالمة الله تعالى اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا رجل اما جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة وأما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم أنه ظفر

من ظاهرها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال ﷺ (١) خيركم من أطعم الطعام وقال ﷺ (٢) من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ﴿وأما آدابه﴾ فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فان ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر (٣) من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل أما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به * قصد رسول الله ﷺ (٤) وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان اخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صديقكم - ودخل رسول الله ﷺ (٥) دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه انه كان قائما يأكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يالكع اتل علي آية الأكل فتلا الى قوله تعالى - أو صديقكم - فقال فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب ومشى قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله

---

(١) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاسناد (٢) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله ﷺ وقال الذهبي غريب منكر (٣) حديث من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما هق من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا اسناده ضعيف (٤) حديث قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري لأجل طعام يأكلونه أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عند م لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وانما قال رجل من الانصار وأما حديث قصدهم منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٥) حديث دخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال

بشئ وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرئه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة فنزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم إياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه الى نفوسهم والى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بان ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الاصحاء في ذلك الفرار

فقدمه الى أصحابه وقال كلوا لجاء رب المنزل فلم ير شيأ فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا فعد فهذه آداب الدخول ﴿ وأما آداب التقديم ﴾ فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر فان لم يحضره شئ ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوّش على نفسه وان حضره ماهو محتاج اليه لقوّته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغى أن يقدم * دخل بعضهم على زاهد وهو يا كل فقال لولا انى أخذته بدين لأطعمتك منه * وقال بعض السلف فى تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تأ كله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما أبالى بمن أتانى من اخوانى فانى لا أتكلف له انما أقرب ماعندى ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لى فيتكلف لى فقلت له إنك لا تأ كل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا اذا اجتمعنا أ كلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجىء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده فيجحف بعياله و يؤذى قلوبهم * روى أن رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال على أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيأ ولا تدخر مافى البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلا يترك نوعا إلا و يحضر شيأ منه وقال بعضهم [1] دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وان استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله ﷺ [2] أن لا نتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم اليه ماحضرنا وفى حديث يونس النبى ﷺ أنه زاره إخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر و يقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر مايقدم اليه أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه ﴿ الأدب الثانى ﴾ وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشئ بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه كذلك السنة ففى الخبر [3] أنه ماخير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أ كلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فان علم انه يسر باقتراحه و يتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعى رضى الله عنه ذلك مع الزعفرانى إذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان و يسلمها الى الجارية فأخذ الشافعى الرقعة فى بعض الأيام وألحق بها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون

النبى ﷺ هو لها صدقة ولنا هدية وأما قوله بلغت محلها فقاله فى الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية (١) حديث دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه أحمد دون قوله لولا انا نهينا وهى من حديث سلمان الفارسى وسيأتى بعده وكلاهما ضعيف وللبخارى عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم اليه ماحضرنا الخرائطى فى مكارم الأخلاق ولأحمد لولا ان رسول الله ﷺ نهانا أو لولا انا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك وللطبرانى نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ماليس عندنا (٣) حديث ماخير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد مالم يكن اثما ولم يذكرها م فى بعض طرقه

تعالى نسبة الحادث الى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم لينصانوا عن الزيغ والتحريف * ومن أولئك قوم يزعمون انهم يغرقون فى بحار التوحيد ولا يثبتون و يسقطون لنفوسهم حركة وفعلا يزعمون انهم مجبورون على الأشياء وان لا فعل لهم مع فعل الله و يسترسلون فى المعاصى وكل ما تدعو النفس اليه و يركنون الى البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام (وقد سئل) سهل عن رجل يقول أنا كالباب لا أتحرك الا اذا حركت قال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لان الصديق يقول هذا القول

أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه * وقال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له أي شئ تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالادب ﴿الأدب الثالث﴾ أن يشتهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال رسول الله ﷺ (١) من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى وقال ﷺ (٢) فيما رواه جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد ﴿الأدب الرابع﴾ أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما بل ينبغي أن يقدم ان كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل أو أقدم إليك ولكن قدم فان أكل والا فارفع وان كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة فاذا دخل القراء فدلوهم على المحراب

﴿الباب الرابع في آداب الضيافة﴾

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة أولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف (ولنقدم على شرحها ان شاء الله تعالى فضيلة الضيافة) * قال ﷺ (٣) لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال ﷺ (٤) لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله ﷺ (٥) برجل له ابل و بقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ انظروا إليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ (٦) ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيأ من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال والله اني لامين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وأرهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل البزار وللطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فانما سر الله الحديث قال العقيلي باطل لا أصل له (٢) حديث جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد ابن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب

﴿الباب الرابع في آداب الضيافة﴾

(٣) حديث لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث مر رسول الله ﷺ برجل له ابل و بقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له الحديث الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية أبي المنهال مرسلا (٦) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيأ من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحق بن راهويه في مسنده والخرائطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير باسناد ضعيف

ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك أحالة للاشياء على الله واسقاطا للائمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فاما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية إذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى الاسفار والتردد في البلاد متوصلا إلى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب ما هو فيه والله الموفق

﴿الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة﴾ ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم ان أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون على الارض بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى

اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أوميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تقضى ليلة الا و يأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول الله ﷺ (١) ما الايمان فقال اطعام الطعام و بذل السلام وقال ﷺ (٢) فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام (٣) وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها * أما الدعوة فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال ﷺ (٤) أكل طعامك الابرار فى دعائه لبعض من دعاله وقال ﷺ (٥) لا تأكل الاطعام تقى ولا يأكل طعامك الاتقى و يقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال ﷺ (٦) شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الاغنياء دون الفقراء وينبغى أن لا يهمل أقاربه فى ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين و ينبغى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله ﷺ فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين و ينبغى ان لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب و ينبغى أن لا يدعو الا من يحب اجابته قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله واطعام التقى اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فن الظلمة نفسهم وأما الاجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع قال ﷺ (٧) لو دعيت إلى كراع لاجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت ﴿ وللاجابة خمسة آداب ﴾ الاوّل أن لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان ﷺ (٨) يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيبونى قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم وأما قول القائل ان من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له رقبتى

(١) حديث سئل رسول الله ﷺ ما الايمان قال اطعام الطعام و بذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله ابن عمرو بلفظ أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٢) حديث قال ﷺ فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه فى الباب الرابع من الاذكار وهو حديث اللهم انى أسألك فعل الخيرات (٣) حديث سئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام تقدم فى الحج (٤) حديث أكل طعامكم الأبرار د من حديث أنس باسناد صحيح (٥) حديث لا تأكل الاطعام تقى ولا يأكل طعامك الاتقى تقدم فى الزكاة (٦) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت خ من حديث أبى هريرة (٨) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ت ه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه ت وصححه ك

طريق الصوفية ونيابة النبوّة فى الدعاء الى الله فأما وجه كون الشيخ يحبب الله الى عباده فلان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ووجه كونه يحبب عباد الله تعالى اليه انه يسلك بالمريد طريق التزكية واذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة الى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلى فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وفلاحها بالظفر بمعرفة

فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه ان الداعي له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا (١) فليس من السنة اجابته بل الأولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو أنه لا منة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فعلمت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك تمر اليه فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني ﴿الثاني﴾ أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لاجل ذلك يقال في التوراة أو بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت وقال ﷺ (٢) لو دعيت الى كراع بالغميم لاجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله ﷺ (٣) في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره (٤) ﴿الثالث﴾ أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر أخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية ادخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق أنه متكلف فليتعلل وقد قال ﷺ (٥) لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين ﴿الرابع﴾ أن يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو اناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من المزامير والملاهي أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذلك اذا كان الداعي ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر ﴿الخامس﴾ أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في

(١) حديث ليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا د من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللعقيلي في الضعفاء نهى النبي ﷺ عن طعام المتباهيين والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء قاله أبو موسى المديني (٢) حديث لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لو دعيت الى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدي الي كراع لقبلت (٣) حديث افطاره ﷺ في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه م من حديث جابر في عام الفتح (٤) حديث قصره ﷺ في سفره عند كراع الغميم لم أقف له على أصل وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالعقيق يريد اذا بلغه وهذا يرد الاول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم (٥) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول اني صائم هق من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله ﷺ طعاما وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم

الله تعالى وأيضا مرآة القلب اذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل عبد الواحد بن علي بن همذان قال أنا أبو بكر محمد ابن علي بن أحمد الطوسي قال ثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب قال ثنا أبو عتبة قال ثنا بقية قال ثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الأزهر بن عبد الله قال قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله ﷺ قال كان يقال اذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب لله عز وجل فقد خطر الامر فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريدون ظاهرا

قوله لودعيت إلى كراع لاجبت و ينوى الحذر من معصية الله لقوله ﷺ (١) من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله و ينوى اكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله ﷺ (٢) من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله و ينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله ﷺ (٣) من سر مؤمنا فقد سر الله و ينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله اذ شرط رسول الله ﷺ (٤) فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضا و ينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه و يطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر أوسوء خلق أواستحقار أخ مسلم أومايجرى مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أناأحب أن يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب وفى مثل هذا قال ﷺ (٥) انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أوامرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر اليه والنية انما تؤثر فى المباحات والطاعات أما المنهيات فلا فانه لو نوى أن يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أوحرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية فى هذين القسمين لافى القسم الثالث وأما الحضور فادبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الاماكن بل يتواضع ولا يطوّل الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة فانه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال ﷺ (٦) ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره و يخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس و إذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة و بيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا أنكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال أوانى الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله اذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغى أن يخرج ولم يأذن فى الجلوس الا فى ضبة وقال اذا رأى كلة فينبغى أن يخرج فان ذلك تكلف لافائدة فيه ولاتدفع حرا ولابردا ولا تستر شيأ وكذلك قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة أودخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها فان لم يقدر خرج وكل ماذكره صحيح وانما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لاينتهى الى التحريم اذ الحرير

انى صائم فقال رسول الله ﷺ دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث وللدار قطنى نحوه من حديث جابر
(١) حديث من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر واسنادهما ضعيف (٣) حديث من سر مؤمنا فقد سر الله تقدم فى الباب قبله (٤) حديث وجبت محبتى للتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ م من حديث أبى هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وانما أشار اليه (٥) حديث الاعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب (٦) حديث ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخرائطى فى مكارم الاخلاق وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد

و باطنا قال الله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى فاذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى و بينه لا يسهو اذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين اذا أردت بأهل الارض عقوبة أوعذابا ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم والسر فى وصول السالك الى الرتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسالك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التى استصحبتها من أصل خلقتها وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية فاذا

يحرم على الرجال قال رسول الله ﷺ (١) هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثها وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته لموجب قوله تعالى ـ قل من حرم زينة الله ـ لاسيما فى وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان فى معنى النساء اذ لسن موصوفات بالذكورة ﴿وأما احضار الطعام فله آداب خمسة * الاول﴾ تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال ﷺ (٢) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير الا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس فى التأخير وأحد المعنيين فى قوله تعالى ـ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ـ انهم أكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى ـ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ـ وقوله ـ فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ـ والروغان الذهاب بسرعة وقيل فى خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمى عجلا لانه عجله ولم يلبث قال (٣) حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا فى خمسة فانها من سنة رسول الله ﷺ اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل فى الوليمة قيل الوليمة فى أول يوم سنة وفى الثانى معروف وفى الثالث رياء ﴿الثانى﴾ ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولا ان كانت فذلك أوفق فى الطب فانها أسرع استحالة فينبغى ان تقع فى أسفل المعدة وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى ـ وفاكهة مما يتخيرون ـ ثم قال ـ ولحم طير مما يشتهون ـ ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ٧ فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف ابراهيم اذ أحضر العجل الحنيذ أى المحنوذ وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الاكرام أعنى تقديم اللحم وقال تعالى فى وصف الطيبات ـ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ـ المن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال ﷺ سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى ـ كلوا من طيبات ما رزقناكم ـ فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية .وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملائكة

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي د ن ه من حديث على وفيه أبو أفلح الهمدانى جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبى موسى بنحو قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبى هند وأبى موسى فأدخل أحد بينهما رجالا لم يسم (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبى سريح (٣) حديث حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا فى خمسة فانها من سنة رسول الله ﷺ اطعام الطعام وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ت من حديث سهل بن سعد الاناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبى وقاص التؤدة فى كل شئ الا فى عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم الا أنه رفعه وروى المزى فى التهذيب فى ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه ان النبى ﷺ قال الاناة فى كل شئ الا فى ثلاث اذا صيح فى خيل الله واذا نودى بالصلاة واذا كانت الجنازة الحديث وهذا مرسل وت من حديث على ثلاثة لا تؤخرها الصلاة اذا أتت والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت كفوا وسنده حسن

٧ حديث فضل عائشة لم يخرجه العراقى وخرجه الشارح عن الترمذى فى الشمائل وغيره اهـ مصححه

وقلوبهم الى ذكر الله تعالى تجيب الى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحد وجهيه الى النفس والوجه الآخر الى الروح يستمد من الروح بوجهه الذى يليه ويمد النفس بوجهه الذى يليها حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت الى أمر الله ثم القلب يشرئب الى السياسة لما فيه من التوجه الى النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية فى عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والمريد من وجه بالتألف الالهى قال الله تعالى ـ لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف

تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك أيضا مستحب ولمافيه من التزين بالخضرة وفي الخبر ان المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة ﴿الثالث﴾ أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة و يصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الالوان واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه * و يحكى عن بعض أصحاب المروآت انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان و يعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا ألوان من الرؤس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا أو حملا فجاء بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤسا بلا أبدان قال و بتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا الى السحور فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده ﴿الرابع﴾ أن لا يبادر الى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة الى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال انها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال و يحتمل أن يكون أراد به سعة المكان * حكى عن الستوري وكان صوفيا مزاحا حضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال ياغلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف الحمل فقيل له الى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان و يتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ﴿الخامس﴾ أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراآة لاسيما اذا كانت نفسه لا تسمح بان يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث لا يحاسب عليه أحضر ابراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان يا أبا اسحق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع و ينبغي أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم و يكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء ﴿فاما﴾ الانصراف فله ثلاثة آداب ﴿الاول﴾ أن يخرج مع الضيف الى باب الدار وهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

تعالى من معنى قول الله تعالى ألا طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لأشد شوقا و بما هيأ الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين فبالولادة الاولى يصير له ارتباط بعالم الملك و بهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة و بهذه الولادة يستحق ميراث الانبياء ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وان كان على كمال من الفطنة والذكاء

فليكرم ضيفه وقال عليه السلام ان من سنة الضيف أن يشيع الى باب الدار قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يارسول الله فقال كلا انهم كانوا لاصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم ٧ وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي رضي الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا ﴿الثاني﴾ أن ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال ﷺ ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدر أمسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق * وحكى ان أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة أبيه أربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الاب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجري من العباد من الاذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا أجيب الدعوة الا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه ﴿الثالث﴾ أن لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال ﷺ (١) الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله ﷺ (٢) فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان

﴿ فصل يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة ﴾

﴿الاول﴾ حكي عن ابراهيم النخعي أنه قال (٣) الأكل في السوق دناءة وأسنده الى رسول الله ﷺ واسناده قريب وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال (٤) كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورؤي بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للاكل فيه ووجه الجمع أن الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا ﴿الثاني﴾ قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الاكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ت وصححه و ه

٧ حديث من السنة وكذا حديث اكرام وفد النجاشي وحديث ان الرجل ليدرك لم يخرجهم العراقي

ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لانه تصرف في الملك ولم يرتق الى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبعث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ماينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كل ماعند من يترجم عنه يبرز الى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى عند الانبياء واتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن في الولادة

والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء ٧ وليلبس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين ﴿الثالث﴾ قال الحجاج لبعض الاطباء صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكلن طعاما الا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيأ ولا تحبس الغائط والبول واذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه ﴿الرابع﴾ في الخبر[1] قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية وقال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فما هي قال من أكل لباب البر وصغار المعز وأدهن بخام بنفسج وألبس الكتان ﴿الخامس﴾ الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة ورأى رسول الله ﷺ [2] صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمداء فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله انما آكل بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ ﴿السادس﴾ أنه يستحب أن يحمل طعام الى أهل الميت [3] ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم ﴿السابع﴾ لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فان أكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الأطيب * رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما أن آكل وأخلى التزكية أو أزكي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه * وحكي أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أياما في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت اليه طعاما من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع ﴿الثامن﴾ حكي عن فتح الموصلي رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما فدفعه لاحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي ﷺ [4] لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر أتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أتدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أتدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل * وحكى

حب (١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول و ت من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله ﷺ صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله ﷺ ه من حديث صهيب باسناد جيد (٣) حديث لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال ﷺ ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون د ت ه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس (٤) حديث اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب

٧ قوله وليكرر العشاء الى قوله السمن ليس موجودا بنسخة الشارح ولعلها الاظهر فليتأمل اهـ مصححه

نعمان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآباء من تنفد الذرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شئ فينقطع نسله وهكذا المشايخ فمنهم من تكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والاحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من تقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أبتر لا نسل له قال الله تعالى ان شانئك هو الابتر والا فنسل رسول الله

أبو علي الروذ باري رحمه الله عزوجل أنه اتخذ ضيافة فاوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع * واشترى أبو علي الروذباري احمالا من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها ﴿التاسع﴾ قال الشافعي رضي الله عنه الاكل على أربعة انحاء الاكل باصبع من المقت و باصبعين من الكبر (١) و بثلاث أصابع من السنة و بأربع وخمس من الشره وأربعة أشياء تقوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوي البصر الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس وأربعة توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل الاكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير والنوم على أربعة انحاء فنوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء وأربعة هن من العبادة لايخطو خطوة الاعلى وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد أن يخرج كيف لايموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لايموت وقال لم أر شيأ أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به و يشرب والله أعلم بالصواب

﴿كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولاترجع العقول عن أوائل بدائعها الا والهة حيرى ولاتزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم أمر الانساب وجعل لها قدرا لحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضي الارحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا و يسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لايستطيع لها الحساب عدا ولاحصرا وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بان تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وأبوابه والقدر المهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب ﴿الباب الاول﴾ في الترغيب فيه وعنه ﴿الباب الثاني﴾ في الآداب المرعية في العقد والعاقدين ﴿الباب الثالث﴾ في آداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق

﴿الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه﴾

الأكل (١) حديث الأكل بثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع * وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل بثلاث أصابع فانه من السنة

﴿كتاب آداب النكاح﴾

﴿الباب الأول في الترغيب في النكاح﴾

الرحمن الماليني قال أنا أبو الحسن الداودي قال أنا أبو محمد الحموي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد الدارمي قال أنا نصر بن علي قال حدثنا عبد الله ابن داود عن عاصم عن رجاء ابن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فاتاه رجل فقال ياأبا الدرداء اني أتيتك من المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني عنك انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما جاء بك تجارة قال لاقال ولاجاء بك غيره قال لاقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان طالب العلم يستغفر له من في السماء والارض حتى الحيتان

فى الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم وان العلماء هم ورثة الأنبياء ان الأنبياء

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال و يدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم أولا ما ورد من الاخبار والآثار فى الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها

﴿الترغيب فى النكاح﴾

﴿أما من الآيات﴾ فقد قال الله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وهذا أمر وقال تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن وهذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فذكر ذلك فى معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية و يقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الأنبياء الا المتأهلين فقالوا ان يحيى ﷺ قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الارض و يولد له ﴿وأما الأخبار﴾ فقوله ﷺ النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى وقال ﷺ (١) النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى وقال أيضا ﷺ (٢) تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط وقال أيضا عليه السلام (٣) من رغب عن سنتى فليس منى وان من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى وقال ﷺ (٤) من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال ﷺ (٥) من كان ذا طول فليتزوج وقال (٦) من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم وقال ﷺ (٧) اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد وقال ﷺ (٨) من نكح لله وأنكح لله

---

(١) حديث النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى أبو يعلى فى مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط واسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة عن الشافعى أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنتى فليس منى وان من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنتى فليس منى و باقيه تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف وللدارمى فى مسنده والبغوى فى معجمه وأبى داود فى المراسيل من حديث أبى نجيح من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيح اختلف فى صحبته (٥) حديث من كان ذا طول فليتزوج ه من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٧) حديث اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ت من حديث أبى هريرة ونقل عن خ انه لم يعده محفوظا وقال د انه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبى حاتم المزنى وحسنه ورواه د فى المراسيل وأعله ابن القطان بارساله وضعف رواته (٨) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل

لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه أو بحظ وافر فاول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبى البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو اليه النفس والشيطان كما ورد أن الله تعالى أمر جبرائيل حتى أخذ قبضة من أجزاء الارض والله تعالى نظر الى الاجزاء الارضية التى كونها من الجوهرة التى خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله اليها فيها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والارضين بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فحملت أجزاء الارض بهذا الخطاب خاصية ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب

استحق ولاية الله وقال ﷺ (١) من تزوّج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى وهذا أيضا اشارة الى أن فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكأن المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه و بطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما وقال ﷺ (٢) كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاث ولد صالح يدعوله الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح ﴿ وأما الآثار ﴾ فقال عمر رضى الله عنه لايمنع من النكاح الا عجز أو فجور فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع فى أمرين مذمومين وقال ابن عباس رضى الله عنهما لايتم نسك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لايسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولايتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما و يقول ان أردتم النكاح أنكحتكم فان العبد إذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول لولم يبق من عمرى الا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوّجونى فانى أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رأيا فى النكاح فضلا لامن حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح و يقول ماأتزوّج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله ﷺ (٣) يخدمه و يبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله ﷺ ألا تتزوج فقال يارسول الله انى فقير لاشئ لى وأنقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابى وقال والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى ومايقربنى الى الله منى ولئن قال لى الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تتزوّج قال فقلت يارسول الله زوجنى قال اذهب إلى بنى فلان فقل ان رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوّجونى فتاتكم قال فقلت يارسول الله لاشئ لى فقال لأصحابه اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال له أولم وجمعوا له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح و يحتمل أنه توسم فيه الحاجة الى النكاح ﴿وحكى﴾ ان بعض العباد فى الامم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشئ من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبى عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكنى فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبى عليه السلام ابنته وقال بشر بن الحرث فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولانه نصب اماما للعامة و يقال ان أحمد رحمه الله تزوّج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده عبد الله وقال أكره أن أبيت عزبا وأما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح و يقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال مايمنعنى من التزويج إلا قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال رفعت منازلى فى الجنة وأشرف بى على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وفى رواية قال لى ما كنت أحب أن تلقانى عزبا قال فقلنا له مافعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول

ايمانه (١) حديث من تزوّج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى فى الاوسط بلفظ فقد استكمل نصف الايمان وفى المستدرك وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث (٢) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعوله م من حديث أبى هريرة بنحوه (٣) حديث كان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله ﷺ و يبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله ﷺ ألا تتزوج الحديث أحمد من حديث

جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الارض تركب فيه الهوى حتى مديده الى شجرة الفناء وهى شجرة الحنطة فى أكثر الاقاويل فتطرق لقالبه الفناء وباكرام الله إياه بنفخ الروح الذى أخبر عنه بقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى نال العلم والحكمة فبالتسوية صار ذا نفس منفوسة و بنفخ الروح صار ذا روح روحانى وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقالبه معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه فى ولده فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطبائع التى هى محتد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة العلم فالولادة الظاهرة تطرق إليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لانها وجدت من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لاشجرة الحنطة التى سماها ابليس شجرة الخلد فابليس يرى الشئ بضده فتبين أن الشيخ

الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الانبياء وقال رجل لابراهيم بن أدهم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب

﴿ وأما ماجاء في الترهيب عن النكاح ﴾ فقد قال ﷺ (١) خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد وقال ﷺ (٢) يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك * وفي الخبر (٣) قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين * وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب مالا يجد المتأهل وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال أيضا ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث * وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال * وقال ابن أبي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة إلى قول أبي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

﴿ آفات النكاح وفوائده ﴾ وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن ﴿ الفائدة الاولى الولد ﴾ وهو الاصل له وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل الى الولد قربة من أربعة أوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله ﴿ أما الوجه الاول ﴾ فهو أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه أن السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى

ربيعة الاسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة باسناد حسن (١) حديث خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٢) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٣) حديث قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشطر الاول بسندين ضعيفين

من سلك طريق واهتدى بهدي فالشيخ الذي يكتسب بطريقه الاحوال قد يكون مأخوذا في ابتدائه في طريق المحبين وقد يكون مأخوذا في طريق المحبوبين وذلك أن أمر الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام سالك مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب متدارك بالسلوك فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقي الى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيأ من الحجاب ولا يؤخذ في طريق المعاملة وللمعاملة أثر تام سوف نشرحه في موضعه ان شاء الله تعالى وهذا أيضا لا يؤهل

فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ لها فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الالباب بتعريف ما أعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله ﷺ بالمراد حيث قال تناكحوا تناسلوا فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الشرع الأمر فى القتل للاولاد وفى الوأد لانه منع لتمام الوجود واليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع فى إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴿فان قلت﴾ قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم * فاعلم ان هذه الكلمة حق أريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافى اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصى مكروهة وهى مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر والشر فلا نقول انه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى ـ ولا يرضى لعباده الكفر ـ فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء فانه تعالى يقول (١) ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له من الموت فقوله لابد له من الموت إشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى ـ نحن قدرنا بينكم الموت ـ وفى قوله تعالى ـ الذى خلق الموت والحياة ـ ولامناقضة بين قوله تعالى ـ نحن قدرنا بينكم الموت ـ وبين قوله وأنا أكره مساءته ولكن إيضاح الحق فى هذا يستدعى تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان السابق الى الافهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذى منع من افشائه فلنقصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان أحدهما مضيع نسلا أدامه الله وجوده من آدم ﷺ عقبا بعد عقب الى أن انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ فى الطاعون زوجونى لا ألقى الله عزبا ﴿فان قلت﴾ فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه ﴿فأقول﴾ الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك أمر لا يدخل فى الاختيار انما المعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع فى كل حال فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما اليه والباقى خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للاصلع امرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد

(١) حديث انه تعالى يقول ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدى المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له

للمشيخة ويقف عند حظه من الله محجوبا بحاله غير مأخوذ فى طريق أعماله ماعدا الفريضة والسالك الذى تدوركه بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا للشيخة لانه أخذ فى طريق المحبين ومنح حالا من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له اتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد

للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب فى حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لايخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة ﴿ الوجه الثانى ﴾ السعى فى محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير مابه مباهاته إذقد صرح رسول الله ﷺ بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول انما أنكح للولد وماروى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم اذقال عليه السلام (١) لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد وقال (٢) خير نسائكم الولود الودود وقال (٣) سوداء ولود خير من حسناء لاتلد وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة ﴿ الوجه الثالث ﴾ أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفى الخبر (٤) ان الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لايؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان أوفاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لاتزر وازرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى ـ ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ ـ أى ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا فى احسانهم ﴿ الوجه الرابع ﴾ أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (٥) ان الطفل يجرّ بأبويه الى الجنة وفى بعض الأخبار (٦) يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك وقال أيضا ﷺ (٧) ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة وفى خبر آخر (٨) ان الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند

منه خ من حديث أبى هريرة انفرد به خالد بن مخلد القطوانى وهو متكلم فيه (١) حديث لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلد أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا (٢) حديث خير نسائكم الولود الودود البيهقى من حديث ابن أبى أدية الصدفى قال البيهقى وروى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (٣) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ٧ (٤) حديث ان الادعية تعرض على الموتى على أطباق من نور رويناه فى الأربعين المشهورة من رواية أبى هدبة عن أنس فى الصدقة عن الميت وأبو هدبة كذاب (٥) حديث ان الطفل يجرّ أبويه الى الجنة ه من حديث علىّ وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل ليجر أمه بسرره الى الجنة اذا هى احتسبته وكلاهما ضعيف (٦) حديث انه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك م من حديث أبى هريرة (٧) حديث ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا أدخل إلا وأبواى معى الحديث حب فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولايصح ون من حديث أبى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم واسناده جيد (٨) حديث ان الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لاحساب

---

٧ وجد بهامش العراقى بأحد النسخ المعول عليها مانصه قلت ولأبى يعلى بسند ضعيف ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود فانى مكاثر بكم الأمم رواه عبدالله وله من حديث أبى موسى ان رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال ان امرأة قد أعجبتنى لاتلد أفأتزوجها قال لا فأعرض عنها ثم تتبعتها نفسه فقال يارسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونحرها أعجبنى دلها ونحرها أفأتزوّجها قال لا امرأة سوداء ولود أحب الىّ منها أماشعرت أنى مكاثر بكم الأمم سنده ضعيف

والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقام الا كمل فى المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسخ قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الاغلال والاعلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجرى عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كاجابة قلبه

فزيده الله تعالى ارادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل

عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري
المسلمين أدخلوا لاحساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم
انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها و يطالبون قال فيتضاغون و يضجون على أبواب الجنة
ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لاندخل الجنة
الامع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فادخلوهم الجنة وقال ﷺ (١) من مات له اثنان
من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال ﷺ (٢) من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة
بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان ﴿ وحكي ﴾ أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج
فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوّجوني زوّجوني فزوّجوه فسئل عن ذلك فقال لعل
الله يرزقني ولدا و يقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قدقامت وكأني في جملة
الخلائق في الموقف و بي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن
كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور و بأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون
الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع و يتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي الى أحدهم وقلت اسقني فقد أجهدني
العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد
المعاني المذكورة في قوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد
ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان أكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد ﴿ الفائدة الثانية ﴾ التحصن
عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه
السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم
يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء وأكثر مانقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا
المعنى دون الاوّل لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجنده وصارف لشر سطوته
وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد
مقداران و بينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل
وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة
أخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات
الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لاينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك
والسلطنة لم ينفع الترغيب واحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر
الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة
فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الاخروية فان هذه
اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة اليها
فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على مايوصله الى نعيم الجنان ومامن ذرة من ذرات بدن الانسان

عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجد له أصلا يعتمد عليه (١) حديث من مات له اثنان من
الولد احتظر بحظار من النار البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الانصار الى رسول
الله ﷺ فقالت يارسول الله انه مات لي ابنان سوى هذا فقال لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد
ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظار شديد من النار (٢) حديث من
مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث
أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ

قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أخبر ان الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا الا حال المحبوب المراد وقد ورد في الخبر ان ابليس سأل السبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك في مجاري العروق المشتبكة بالنفس الى حد القلب فاذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب في مجرى واحد و يصل بذلك سلطانك الى القلب ومن جعلته نبيا أو ولياقلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تصل الى المشتبكة

باطنا وظاهرا بل ذرات ملكوت السموات والارض الاوتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها و بقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه أشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر و يحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى أكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع مالو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ورأس الامور للمريد فى سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق الا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة فى معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن شر غاسق إذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهى مع أنها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم و إليه أشار عليه السلام بقوله ما رأيت (١) من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال ﷺ فى دعائه اللهم (٢) انى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى وقلبي وشر مني وقال أسألك (٣) أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أووقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت لكنى ما خطر على قلبي خاطر يشغلنى عن حالى الا نفذته فاستريح وارجع إلى شغلى ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما الذى تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون * وكان الجنيد يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله ﷺ (٤) كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ (٥) رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال

أيما امرأة بنحو منه (١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى وشر مني تقدم فى الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجي هق فى الدعوات من حديث أم سلمة باسناد فيه لين (٤) حديث أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله أحمد من حديث أبى كبشة الانمارى حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فانه من أماثل أفعالكم اتيان الحلال و إسناده جيد (٥) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذى واللفظ له

فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أمارة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس و يستتبع النفس القالب فامتزجت الاعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر الى الباطن والباطن الى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة الى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة الى الدنيا و يصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه و يصير حرا من كل وجه

صلى الله عليه وسلم ان المرأة اذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فاعجبته فليأت أهله فان معها مثل الذى معها وقال عليه السلام (١) لاتدخلوا على المغيبات وهى التى غاب زوجها عنها فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعاننى عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم معناه فاسلم أنا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة وقال ابن عباس (٢) خير هذه الامة أكثرها نساء ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولاجل فراغ القلب أبيح نكاح الامة عند خوف العنت مع أن فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد أهون من اهلاك الدين وليس فيه الاتنغيص الحياة على الولد مدة وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التى تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسئلة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما كنت أفضيت به الى أبيك فافض الى به فقال انى شاب لازوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال أف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد وأشد منه الاستمناء باليد وأفحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة فى شئ منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لايعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أوغيره فينعدم هذا الباعث فى حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ماتغلب عليها الشهوة بحيث لاتحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والافيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال ان الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد وربما طلق أربعا فى وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن (٣) أشبهت خلقى وخلقى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) حسن منى وحسين من على فقيل ان كثرة نكاحه أحد ماأشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة ابن شعبة بثمانين امرأة وكان فى الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لايحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه فى الكثرة والقلة ﴿الفائدة الثالثة﴾

وقال حسن صحيح (١) حديث لاتدخلوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو لايدخل بعد يومى هذا على مغيبة الا ومعه رجل أواثنان (٢) حديث ابن عباس خير هذه الامة أكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه خ (٣) حديث انه قال للحسن بن على أشبهت خلقى وخلقى قلت المعروف انه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبى طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضا كان يشبه النبى صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبى جحيفة وللترمذى وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٤) حديث حسن منى وحسين من على أحمد من حديث المقداد بن معديكرب بسند جيد

رق القلب كما هو حر من رق النفس وذلك أن النفس حجاب ظلمانى أرضى أعتق منه الاول والقلب حجاب نورانى سماوى أعتق منه الآخر فصار لربه لا لقلبه ولموقته لا لوقته فعبد الله حقا وآمن به صدقا ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به فؤاده ويقر به لسانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فالقوالب هى الظلال الساجدة ظلال الأرواح المقربة فى عالم الشهادة الاصل كثيف والظل لطيف وفى عالم الغيب الاصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه وليس هذا لمن أخذ فى طريق المحبين لانه

ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى ليسكن اليها وقال على رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فانها اذا أكرهت عميت وفي الخبر (١) على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر (٢) لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وقال عليه الصلاة والسلام (٣) لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله ﷺ (٤) أنه قال شكوت الى جبريل عليه السلام ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال عليه الصلاة والسلام (٥) حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الأعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وأمثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والأشخاص فليتنبه له ﴿الفائدة الرابعة﴾ تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام (٦) ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطي العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة وان منهن

---

(١) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجي ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل ان ذلك في صحف ابراهيم (٢) حديث لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل ان ذلك في صحف ابراهيم (٣) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبد الله ابن عمرو وللترمذي نحوه من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٤) حديث شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والازدي في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدي موضوع وقال العقيلي باطل (٥) حديث حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة ن ك من حديث أنس باسناد جيد وضعفه العقيلي (٦) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة

يستتبع صور الأعمال ويمتلئ بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الاعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد أي أن لا غنى عن الاعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فما دامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا بي ينطق وبي يبصر الحديث فالشيخ يعطي بالله ويمنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الاشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة

غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى أى لا يعتاض عنه بعطاء وقال عليه الصلاة والسلام [1] فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التى يقصدها الصالحون الا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو الى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فان ذلك مما يحتاج اليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشر ورسلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل ﴿ الفائدة الخامسة ﴾ مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال عليه الصلاة والسلام [2] يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر فضل على أحمد بن حنبل بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام [3] ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها الى فى امرأته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال ﷺ [4] من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين وفى حديث آخر [5] ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفى الحديث [6] اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه أثر عن رسول الله ﷺ [7] أنه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم

تعينه على آخرته ت وحسنه و ه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (١) حديث فضلت على آدم ﷺ بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير رواه الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسى قال ابن عدى كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا و إياك يارسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ولا يأمرنى إلا بخير (٢) حديث يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته طب وهق من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون ما بعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر (٣) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته خ م من حديث ابن مسعود اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك (٤) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى بسند ضعيف (٥) حديث ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٦) حديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها أحمد من حديث عائشة الا أنه قال بالحزن فيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه (٧) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم

دخل فيها المراد الله تعالى لا تكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى ﴿ الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به ﴾ أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام وقال ياداود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما الخادم يدخل فى الخدمة راغبا فى الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لايصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله لله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشئ لله تعالى والشيخ يفعل الشئ لله فالشيخ فى مقام المقربين والخادم فى مقام الأبرار فيختار الخادم البذل والايثار والارتفاق من الأغيار للاغيار ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله وقد يقيم من لا يعرف الخادم من الشيخ الخادم مقام الشيخ وربما جهل

بطلب المعيشة وقال ﷺ (١) من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الىّ وقال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك الى أن مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من هذا المشؤم الذي تومئون اليه فقال أنت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين فما ندري ما أحدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام إن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما أنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لاهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لانه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة ﴿ أما آفات النكاح فثلاث * الاولى ﴾ وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب في أمن من ذلك وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفي الخبر (٢) ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال ان أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض

بطلب المعيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (١) حديث من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبته الا أن يعمل عملا لا يغفر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سنده اختلاف (٢) حديث ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال

الخادم أيضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم في هذا الزمان وقناعة كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان أكثر اطعاما هو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم وليس بشيخ والخادم في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى * وقد ورد ما يدل على فضل الخادم فيما أخبرنا الشيخ أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو الفضل محمد ابن عبد الله المقري قال حدثنا أبو الحسن محمد ابن الحسين بن داود العلوي قال حدثنا أبو حامد الحافظ قال حدثنا العباس بن محمد الدوري وأبو الأزهر قالا حدثنا أبو داود قال ثنا سفيان عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أتى بطعام وهو بمر الظهران فقال لأبي بكر وعمر

السلف اذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه الصلاة والسلام (١) لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يفي به و بأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فان ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين و يقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى ﴿الآفة الثانية﴾ القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا أيسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لانه راع ومسؤل عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام (٢) كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول * وروي أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت الى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء ان كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف اليها نفسا أخرى كما قيل

لن يسع الفارة جحرها * علقت المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن أي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤي سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال أفلح وكان سفيان يقول

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن و يداري بعقله أخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له ﴿الآفة الثالثة﴾ وهي دون الاولى والثانية أن يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ولست أعني بهذا أن يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل أن يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شئ وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن الى الدنيا أي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الافضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا و يعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت

و يسأل عن رعاية عياله والقيام بهن الحديث لم أقف له على أصل (١) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يخرجه ولده أبو منصور في مسنده (٢) حديث كفى

كلا فقالا انا صائمان فقال ارحلا لصاحبيكما اعملا لصاحبيكما ادنوا فكلا يعني انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة فاحتجتما الى من يخدمكما فكلا واخدما أنفسكما فالخادم يحرص على حيازة الفضل فيتوصل بالكسب تارة و بالاسترزاق والدروزة تارة اخرى وباستجلاب الوقف الى نفسه تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لا يصاله الى الموقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة و يرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم أن الانفاق يحتاج الى علم تام ومعاناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نيته مارغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد واقامة مراد الحق ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة اجازة قال أنا ابو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب

الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجدّ فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع مافيه من السعى فى تحصيل الولد فان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يفى بنقصان هذين الامرين أمر الولد فان النكاح للولد سعى فى طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان فى الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى فى الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفى فساد الدين بطلان الحياة الاخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين وأما اذا انضاف الى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى فى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لانه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين وان كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو أقرب من أكل الحرام الا أن يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لان عمل القلب الى العفو أقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله واطعامه فهكذا ينبغى أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شئ مما نقلناه عن السلف من ترغيب فى النكاح مرة ورغبة عنه أخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح * فان قلت فمن أمن الآفات فالأفضل له التخلى لعبادة الله أو النكاح * فأقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلى لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل لان الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلى فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجرى مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له أفضل لان فى كسب الحلال والقيام بالأهل والسعى فى تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل * فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلى لعبادة الله فلم استكثر رسولنا ﷺ من الأزواج * فاعلم ان الافضل الجمع بينهما فى حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع (١) تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله ﷺ لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور

بالمرء اثما ان يضيع من يعول د ن بلفظ من يقوت وهو عند م بلفظ آخر (١) حديث جمعه ﷺ بين تسع نسوة خ من حديث أنس وله من حديثه أيضا وهن احدى عشرة

يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا الى الجنة فقلت له ماهو قال لا تسأل من أحد شيأ ولا تأخذ من أحد شيأ ولا يكن معك شئ تعطى منه أحدا شيأ والخادم يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التى يأتى بها العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود نقد قبل وعد (ومما يدل) على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرنى والدى الحافظ المقدسى قال أنا ابو بكر محمد بن احمد السمسار باصفهان قال انا ابراهيم بن عبد الله بن خرشيد قال حدثنا الحسين ابن اسمعيل المحاملى قال ثنا ابو السائب قال ثنا ابو معاوية قال ثنا عاصم عن مورق

القلب مع الله تعالى (١) فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقى ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغى أن يقاس عليه غيره * وأما عيسى ﷺ فانه أخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر معها طلب الحلال أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم فى طيب المكاسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وماله فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل وتركه فى بعضها أفضل فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال والله أعلم

﴿ الباب الثانى فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد ﴾

﴿ أما العقد ﴾ فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة * الأول اذن الولى فان لم يكن فالسلطان * الثانى رضا المرأة ان كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن يزوجها غير الأب والجد * الثالث حضور شاهدين ظاهرى العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة * الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما * وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولى لا فى حال عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا فى حال سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة (٢) ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب * ومن آدابه أن يلقى أمر الزوج الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك أحرى وأولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه أحرى أن يؤدم بينهما * ومن الآداب احضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنها أن ينوى بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التى ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد فى المسجد وفى شهر شوال قالت عائشة رضى الله عنها (٣) تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال ﴿ وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان ﴾ أحدهما للحل والثانى لطيب المعيشة وحصول المقاصد ﴿ النوع الاول ما يعتبر فيها للحل ﴾ وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر ﴿ الاول ﴾ أن تكون منكوحة للغير ﴿ الثانى ﴾ أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت فى استبراء وطء عن ملك يمين ﴿ الثالث ﴾ أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر ﴿ الرابع ﴾ أن تكون مجوسية ﴿ الخامس ﴾ أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب الى نبى وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده ﴿ السادس ﴾ أن تكون كتابية قد دانت

---

(١) حديث كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته خ من حديث أنس يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها

﴿ الباب الثانى فيما يراعى حالة العقد ﴾

(٢) حديث النهى عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له (٣) حديث عائشة تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال رواه م

عن أنس قال كنا مع رسول الله ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا فى يوم حار شديد الحر فمنا من يتقى الشمس بيده وأكثرنا ظلا صاحب الكساء يستظل به فنام الصائمون وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر وهذا حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة والخادم له مقام عزيز يرغب فيه فأما من لم يعرف تخليص النية من شوائب النفس ويتشبه بالخادم ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل فى مداخل الخدام بحسن الارادة بطلب التأسى بالخدام فتكون خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع ايمانه وحسن ارادته فى خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشئ فى غير موضعه وقد يخدم بهواه فى

بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله ﷺ ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل فاذا عدمت كلتا
الخصلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف ﴿ السابع ﴾ أن تكون رقيقة والناكح حرا
قادرا على طول الحرة أو غير خائف من العنت ﴿ الثامن ﴾ أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك
يمين ﴿ التاسع ﴾ أن تكون قريبة للزوج بان تكون من أصوله أوفصوله أوفصول أول أصوله أومن أول
فصل من كل أصل بعده أصل وأعنى بالاصول الامهات والجدات و بفصوله الأولاد والأحفاد و بفصول أول
أصوله الاخوة وأولادهم و بأوّل فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن ﴿ العاشر ﴾
أن تكون محرمة بالرضاع و يحرم من الرضاع مايحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم
خمس رضعات ومادون ذلك لايحرم ﴿ الحادى عشر ﴾ المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها
أوجدتها ٧ أوملك بعقد أوشبهة عقد من قبل أو وطئهنّ بالشبهة فى عقد أو وطئ أمها أواحدى جداتها بعقد
أوشبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولايحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أوابنه قبل
﴿ الثانى عشر ﴾ أن تكون المنكوحة خامسة أى يكون تحت الناكح أربع سواها اما فى نفس النكاح
أوفى عدة الرجعة فان كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة ﴿ الثالث عشر ﴾ أن يكون تحت الناكح أختها
أوعمتها أوخالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى
لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما ﴿ الرابع عشر ﴾ أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا فهى
لا تحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح ﴿ الخامس عشر ﴾ أن يكون الناكح قد لاعنها فانها تحرم
عليه أبدا بعد اللعان ﴿ السادس عشر ﴾ أن تكون محرمة بحج أوعمرة أوكان الزوج كذلك فلا ينعقد
النكاح إلا بعد تمام التحلل ﴿ السابع عشر ﴾ أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ
﴿ الثامن عشر ﴾ أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ ﴿ التاسع عشر ﴾ أن تكون من
أزواج رسول الله ﷺ ممن توفى عنها أودخل بها فانهنّ أمهات المؤمنين وذلك لايوجد فى زماننا فهذه
هى الموانع المحرمة ﴿ أما الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده
ثمانية ﴾ الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لاتكون قرابة قريبة
* الاولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل و به ينبغى أن يقع الاعتناء فانها إن كانت ضعيفة الدين فى
صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوّشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه
فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا
الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر
عنها ولا يصبر عليها و يكون كالذى جاء الى رسول الله ﷺ (١) وقال يارسول الله ان لى امرأة لا تردّ يد لامس
قال طلقها فقال إنى أحبها قال أمسكها وانما أمره بامساكها خوفا عليه بانه اذا طلقها أتبعها نفسه وفسد
هو أيضا معها فرأى مافى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك
ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى
ـ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ـ وان أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله ﷺ فى التحريض على
ذات الدين فقال (٢) تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفى حديث

(١) حديث جاء رجل الى النبى ﷺ فقال إنّ لى امرأة لا تردّ يد لامس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات
(٢) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث أبى هريرة

٧ قوله أوملك بعقد أوشبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لان الملك ليس من المحرمات اهـ مصححه

بعض تصاريفه فهو يخدم من لايستحق الخدمة فى بعض أوقاته و يحب المحمدة والثناء من الخلق مع مايحب من الثواب و رضا الله تعالى و ربما خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامره فى حق من يلقاه بمكروه ولا يراعى واجب الخدمة فى طرفى الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لايتبع الهوى فى الخدمة فى الرضا والغضب ولا يأخذه فى الله لومة لائم و يضع الشئ موضعه فأذن الشخص الذى وصفناه آنفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخادم والمتخادم الا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والمتخادم النجيب يبلغ ثواب الخادم فى كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف اليه أوتوفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيبه

آخر

آخر (١) من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ﷺ (٢) لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها وإنما بالغ فى الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له * الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة أما الأنانة فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التى تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا والحنانة التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه والحداقة التى ترمى إلى كل شئ بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شئ وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبى الطعام إذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام (٣) إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين * وحكى أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام فى سياحته فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز فأما المختلعة فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن وهى التى قال الله تعالى ولا متخذات أخدان والناشز التى تعلو على زوجها بالفعال والمقال والنشز العالى من الأرض وكان على رضى الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة فى النكاح * الثالثة حسن الوجه فذلك أيضا مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبا كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين فإن الجمال وحده فى غالب الأمر يرغب فى النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال (٤) إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما أى يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهى الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف وقال عليه

---

(١) حديث من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب فى الضعفاء (٢) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين ت وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمر وإن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها (٤) حديث إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فإنه أحرى وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب

أوحظ عاجل يدركه فهو فى الخدمة لنفسه لا لغيره فلو انقطع رفقه ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه فى المحافل يتكثر به ويقيم به جاه نفسه بكثرة الاتباع والأشياع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله فى تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع فى الدنيا ويتزيا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه بطلب الحظوظ ويستولى عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقه كثرت مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلى التملق المفرط له تطلبا لرضاه وتوقيا لضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبانتمائه إليهم وقد أوردنا الخبر المسند الذى فى سياقه هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم

السلام (١) ان في أعين الانصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوّج منهن فلينظر إليهن قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح وروى أن رجلا تزوّج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما من أنتما فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فان تزوّجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوّجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات إلى الافراط والتفريط وقلّ من يصدق فيه و يقتصد بل الخداع والاغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوّف إلى غير زوجته * فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوّج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوّج يتيمة فيؤجر فيها ان أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير و يتزوّج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال زوّجوني اياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع * فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان أراد بالخيرات حسنات الاخلاق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا أترابا العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع و به تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين وقال عليه السلام (٢) خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته و إذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج * الرابعة أن تكون خفيفة المهر قال رسول الله ﷺ (٣) خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا (٤) وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوّج رسول الله ﷺ (٥) بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف

امرأة فقال النبي ﷺ انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما (١) حديث ان في أعين الانصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوّج منهن فلينظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وان أمرها أطاعته و إذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النسائي من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخالفه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٣) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الاهلين ان أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٤) حديث النهي عن المغالاة في المهر أصحاب السنن الاربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذي (٥) حديث تزوّج رسول الله

والله الموفق والمعين

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ و بين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يتقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده و يهديه و يعرفه طريق المواجيد و يبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدوّ فيسلم نفسه إليه و يستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة اظهارا للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله واحياء سنة المبايعة مع رسول الله ﷺ (أخبرنا) أبو زرعة قال أخبرني والدي الحافظ المقدسي

وأولم

(١) وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى (٢) بمدين من تمر ومدين من سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول ماتزوّج رسول الله ﷺ (٣) ولازوّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولوكانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله ﷺ وقد تزوّج بعض أصحاب رسول الله ﷺ (٤) على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوّج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضي الله عنه على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوّج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر (٥) من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أي الولادة ويسر مهرها وقال أيضا (٦) أبركهن أقلهن مهرا وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوّج وقال أي شئ للمرأة فاعلم أنه لص واذا أهدى اليهم فلا ينبغي أن يهدي ليضطرهم الى المقابلة بأكثر منه وكذلك اذا أهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام (٧) تهادوا تحابوا وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي تعطي لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح * الخامسة أن تكون المرأة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوّجها قال عليه السلام (٨) عليكم بالولود الودود فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين * السادسة أن تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا (٩) هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلاث فوائد احداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال ﷺ عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس بأول مألوف وأما التي اختبرت الرجال

ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبزار من حديث أنس تزوّج رسول الله ﷺ أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البزار ورأيته في موضع آخر تزوّجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث علي لما زوّجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا (١) حديث أولم على بعض نسائه بمدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٢) حديث وأولم على أخرى بمدي تمر ومدي سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس في شئ من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين (٣) حديث كان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ماتزوّج رسول الله ﷺ ولازوّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الاربعة من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث تزوّج بعض أصحاب النبي ﷺ على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوّج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٥) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أي الولادة وتيسير مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة واسناده جيد (٦) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقاني في معاشرة الأهلين من حديث عائشة ان أعظم النساء بركة صبحهن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا واسناده جيد (٧) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٨) حديث عليكم بالودود الولود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوّجوا الودود الولود واسناده صحيح (٩) حديث قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر

قال أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزار قال أنا أحمد بن محمد أخي ميمي قال ثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا عمرو بن علي بن حفظة قال سمعت عبد الوهاب الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ففي الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير (وروى) عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان (وحكى) الاستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق أنه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز أنها تثمر كالاشجار التي في الاودية والجبال

ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم فى الكلب المعلم وأحل ما يقتله بخلاف غير المعلم (وسمعت) كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل

ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التى تخالف ما ألفته فتقلى الزوج * الثانية أن ذلك أكمل فى مودتها فان الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا * الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا * السابعة أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فانها ستربى بناتها وبنيها فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام (١) اياكم وخضراء الدمن فقيل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقال عليه السلام (٢) تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع * الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال ﷺ (٣) لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا أى نحيفا وذلك لتأثيره فى تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فأما المعهود الذى دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها فى نسبها قال عليه السلام (٤) النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته والاحتياط فى حقها أهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج بنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها قال ممن يتقى الله فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام (٥) من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

﴿الباب الثالث﴾ فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة ﴿أما الزوج﴾ فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا فى الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب فى النشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق ﴿الادب الاول﴾ الوليمة وهى مستحبة قال أنس رضى الله عنه رأى رسول الله ﷺ (٦) على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة وأولم رسول الله ﷺ (٧) على صفية بتمر وسويق وقال ﷺ (٨) طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام

---

(١) حديث اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدارقطنى فى الافراد والرامهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى قال الدارقطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف (٢) حديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فان العرق وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والايام من حديث ابن عمر وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف (٣) حديث لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا * قلت انما يعرف من قول عمر انه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا فى النوابغ رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا (٤) حديث النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته رواه أبو عمر التوقانى فى معاشرة الاهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر * قال البيهقى وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٥) حديث من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ورواه فى الثقات من قول الشعبى باسناد صحيح ﴿الباب الثالث فى آداب المعاشرة﴾ (٦) حديث أنس رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٧) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الاربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٨) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث

الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك (١) و يستحب اظهار النكاح قال عليه السلام (٢) فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله ﷺ (٣) أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله ﷺ (٤) فدخل على غداة بنى بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن و يندبن من قتل من آبائي الى أن قالت إحداهن * وفينا نبي يعلم ما في غد * فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها ﴿الأدب الثاني﴾ حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى ـ وعاشروهن بالمعروف ـ وقال في تعظيم حقهن ـ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ـ وقال ـ والصاحب بالجنب ـ قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ (٥) ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني اسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام (٦) من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون * واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ (٧) فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل (٨) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني يالكعاء فقالت ان أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة وروى انه دفعت احداهن في صدر رسول الله ﷺ (٩) فزبرتها

سمعة ومن سمع سمع الله به قال المصنف لم يرفعه الا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد ان أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (١) حديث أبي هريرة في تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٢) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٣) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٤) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بنى بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفوفهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الاحياء يوم بعاث وهو وهم (٥) حديث آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ وهو في الموت جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف ان ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم في حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٦) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٧) حديث كان أزواجه ﷺ يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى ـ فان تظاهرا عليه ـ (٨) حديث وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أتراجعيني يالكعاء قالت ان أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله يالكعاء ولا قولها هو خير منك (٩) حديث دفعت احداهن في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها فقال ﷺ دعيها فانهن

من ارادة نفسه وفني في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك * ووجه لبس الخرقة من السنة ما أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب النيسابوري قال أنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أنا أبو محمد بن اسحق قال أنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله المصري قال ثنا أبو الوليد قال ثنا اسحق بن سعيد

أمها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك (١) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال يا عدية نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبى ﷺ لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٢) وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده أنت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها (٣) انى لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا وإله محمد واذا غضبت قلت لا وإله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك (٤) ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها (٥) وكان يقول لها كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك وكان يقول لنسائه (٦) لا تؤذونى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ (٧) أرحم الناس بالنساء والصبيان ﴿ الثالث ﴾ أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق حتى روى أنه ﷺ (٨) كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك وفى الخبر أنه كان ﷺ (٩) من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضى الله عنها (١٠) سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﷺ أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول

يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (١) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذى تزعم انك نبى فتبسم رسول الله ﷺ أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الامثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحق وقد عنعنه (٣) حديث كان يقول لعائشة انى لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه فى حديثها (٤) حديث أول حب وقع فى الاسلام حب النبى ﷺ عائشة الشيخان من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر ان ابن الزبير أول مولود ولد فى الاسلام يريد بالمدينة والا فمحبة النبى ﷺ لخديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٥) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٦) حديث لا تؤذونى فى عائشة فانه والله ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها البخارى من حديث عائشة (٧) حديث أنس كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ زاد على بن عبد العزيز والبغوى والصبيان (٨) حديث مسابقته ﷺ لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائى من الكبرى وابن ماجه فى حديث عائشة بسند صحيح (٩) حديث كان من أفكه الناس مع نسائه الحسن بن سفيان فى مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط فقالا مع صبى وفى اسناده ابن لهيعة (١٠) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﷺ أتحبين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وانما قال يوم عيد ودون قولها أسكت وفى

قال ثنا أبى قال حدثتنى أم خالد بنت خالد قالت أتى النبى عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بأم خالد قالت فأتى بى فألبسنيها بيده فقال ابلى وأخلقى يقولها مرتين وجعل ينظر الى علم فى الخميصة أصفر وأحمر ويقول يا أم خالد هذا سناه والسناه هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء ان لبس الخرقة على الهيئة التى تعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث ما رويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذى ذكرناه وأى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم وآكد من الاقتداء به فى دعاء الخلق الى الحق وقد ذكر الله تعالى فى كلامه القديم تحكيم الأمة

الله

الله ﷺ (١) أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال عليه السلام (٢) خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي (٣) ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام لجابر (٤) هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد (الرابع) أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروأة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام (٥) تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها * قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج وكانت المرأة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة وقال عليه السلام (٦) مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك

رواية للنسائي في الكبرى قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا جبراء وسنده صحيح (١) حديث أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين (٢) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم (٣) حديث ان الله يبغض الجعظري الجواظ أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث حارثة ابن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٤) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٥) حديث تعس عبد الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٦) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب في هذه الغربان واسناده صحيح وهو في السنن

رسول الله ﷺ وتحكيم المريد شيخه احياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * وسبب نزول هذه الآية ان الزبير بن العوام رضي الله عنه اختصم هو وآخر الى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه السلام للزبير اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه

قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلام (١) استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفى لفظ آخر ان دخلت عليها سبتك وان غبت عنها خانتك وقد قال عليه السلام فى خيرات النساء (٢) انكن صواحبات يوسف يعنى ان صرفكن أبا بكر عن التقدم فى الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ (٣) ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه وقال عليه السلام (٤) لا يفلح قوم تملكهم امرأة وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته وقال ما أنت الالعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما أنت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا الى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها ﴿الخامس﴾ الاعتدال فى الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله ﷺ (٥) ان تتبع عورات النساء وفى لفظ آخر أن تبغت النساء ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال (٦) قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا نخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد فى منزله ما يكره وفى الخبر المشهور (٧) المرأة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال ﷺ (٨) ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة لان ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال على رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك وأما الغيرة فى محلها فلا بد منها وهى محمودة وقال رسول الله ﷺ (٩) ان الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه وقال عليه السلام (١٠) أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى ولاجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله ولاجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله ﷺ (١١) رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا

الكبرى للنسائى (١) حديث أستعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفى لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر وذكر منها وامرأة ان حضرت آذتك وان غبت عنها خانتك وسنده حسن (٢) حديث انكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخارى من حديث أبى بكرة نحوه (٥) حديث نهى رسول الله ﷺ ان تتبع عورات النساء الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر نهى ان تتطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى ان يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا (٦) حديث انه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا نخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المراة كالضلع ان أردت تقيمه كسرته الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك (٩) حديث الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتى الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى والمؤمن يغار (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير منى الحديث متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (١١) حديث رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر

ويذكر المريد فى كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب فى ذلك فهكذا ينبغى للمريد أن يعلم ان كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ فى لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله قال الله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد من وراء هذه

القصر فقيل لعمر فاردت أن أنظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج فى الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلام (١) ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل وقال عليه السلام (٢) انى لغيور ومامن امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهى لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله ﷺ (٣) لابنته فاطمة عليها السلام أى شئ خير للمرأة قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب فى الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها وقال عمر رضى الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا وكان قد أذن رسول الله ﷺ (٤) للنساء فى حضور المسجد والصواب الآن المنع الا العجائز بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبى ﷺ (٥) ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ (٦) لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعنى أقول قال رسول الله ﷺ لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله ﷺ (٧) قد أذن لهن فى الاعياد خاصة أن يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغى أن لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التى ليست مهمة تقدح فى المروءة وربما تفضى الى الفساد فاذا خرجت فينبغى أن تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة فى حقه بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج الا لضرورة

﴿السادس﴾ الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الانفاق

الجارية وذكر الجارية فى حديث آخر متفق عليه من حديث أبى هريرة بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة الحديث (١) حديث ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذى تقدم قبله بأربعة أحاديث (٢) حديث انى لغيور ومامن امرئ لا يغار الا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٣) حديث قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة أى شئ خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث ٧ البزار والدارقطنى فى الافراد من حديث على بسند ضعيف (٤) حديث الاذن للنساء فى حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد (٥) حديث قالت عائشة لو علم النبى ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج متفق عليه قال البخارى لمنعهن من المساجد (٦) حديث ابن عمر لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه (٧) حديث الاذن لهن

---

٧ بهامش النسخة الصحيحة قلت * وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس أن النبى ﷺ قال ما خير للنساء فلم ندر ما نقول فصار على الى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فهلا قلت له خير لهن ان لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال انها بضعة منى

الصورة المطالبات الالهية والمراضى النبوية ويعتقد المريد ان الشيخ باب فتحه الله تعالى الى جناب كرمه منه يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع فى ذلك الى الله للمريد كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث الى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فارسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك والكلام من وراء حجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين فى العلم (واعلم) ان للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع أوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فاوان الارتضاع

ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وقد قال رسول الله ﷺ (١) خيركم خيركم لأهله وقال ﷺ (٢) دينار أنفقته في سبيل
الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته
على أهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم
وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل
أن يعمل لأهله في كل جمعة فالوذجة وكأن الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة
وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم
الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك
مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله
ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان
رضي الله عنه بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق
ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد أوردنا الاخبار الواردة
في ذلك عند ذكر آفات النكاح ﴿السابع﴾ ان يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب
ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا أنفسكم
وأهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها في الله ان
تساهلت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لابد
من ارشاد النساء اليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة
فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه
النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في
السؤال فاخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى
الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه
ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج الرجل معها وشاركها في الاثم
﴿الثامن﴾ اذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر وأراد استصحاب
واحدة أقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ (٣) فان ظلم امرأة بليلتها قضى لها فان القضاء
واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله ﷺ (٤) من
كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وانما
عليه العدل في العطاء والمبيت واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا أن
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول
الله ﷺ (٥) يعدل بينهن في العطاء والبيوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما

في الخروج في الاعياد متفق عليه من حديث أم عطية (١) حديث خيركم خيركم لاهله الترمذي من حديث عائشة
وصححه وقد تقدم (٢) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين
ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث
القرعة بين أزواجه اذا أراد سفرا متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث من كان له امرأتان فمال الى
احداهما دون الاخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل أصحاب السنن وابن حبان من
حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان فمال مع احداهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٥) حديث كان يعدل

أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم (٤٤) وقت ذلك فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى تأديبا للامة انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة الابعد علمه بأن آن له أوان الفطام وانه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المريد رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه ومتى فارق
قبل أوان الفطام يناله من الاعلال في الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما يناله

تملك ولا أملك يعنى الحب وقد كانت عائشة رضى الله عنها [1] أحب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك [2] وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن و يقول أين انا غدا ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يارسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولونى الى بيت عائشة ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله ﷺ [3] يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء فى غير نوبتها فجامعها طاف فى يومه أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ [4] طاف على نسائه فى ليلة واحدة وعن أنس أنه عليه السلام [5] طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار ﴿التاسع﴾ فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فان كان من جانبهما جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلابد من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما و يصلحا أمرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها و يحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغى ان يتدرج فى تأديبها وهو ان يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمى لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه وقد قيل لرسول الله ﷺ [6] ماحق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم و يكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا فى المبيت

بينهن و يقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (١) حديث كانت عائشة أحب نسائه اليه متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة وقد تقدم (٢) حديث كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة و يقول أين أنا غدا الحديث ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى ﷺ كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل قال أين أنا غدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له (٣) حديث كان يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يارسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فأراد أن يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت أريد أن أحشر فى أزواجك الحديث (٤) حديث عائشة طاف على نسائه فى ليلة واحدة متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا (٥) حديث أنس انه طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار ابن عدى فى الكامل وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة (٦) حديث قيل له ماحق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم و يكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا فى البيت أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه

المفطوم لغير أوانه فى الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقى والمريد الحقيقى يلبس خرقة الارادة واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرك والأصل الذى قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقى وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة ان الطالب الصادق اذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين وله فى تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن فى نفسه ليرى بعين الزهادة فأشد ما عليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار فى هيئة مخصوصة من الملبوس فى قصر الكم والذيل وطوله وخشونته

وله أن يغضب عليها و يهجرها فى أمر من أمور الدين الى عشر والى عشرين والى شهر (١) فعل ذلك رسول الله ﷺ اذ أرسل الى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التى هو فى بيتها لقد أقمأتك اذردت عليك هديتك أى أذلتك واستصغرتك فقال ﷺ أنتن أهون على الله أن تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن ﴿ العاشر ﴾ فى آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى و يقرأ قل هو الله أحد أولا و يكبر ويهلل و يقول بسم الله العلى العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال عليه السلام (٢) لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب كان رسول الله ﷺ (٣) يغطى رأسه و يغض صوته و يقول للمرأة عليك بالسكينة وفى الخبر (٤) اذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين أى الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال ﷺ (٥) لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يارسول الله قال القبلة والكلام وقال ﷺ (٦) ثلاث من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثانى ان يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل ان يحدثها و يؤانسها و يضاجعها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه و يكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر الاول والآخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى و يقال ان الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضى الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلتها تحقيقا لاحد التأويلين من قوله ﷺ (٧) رحم الله من غسل واغتسل الحديث ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف فى طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق فى وقت الانزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحى و ينبغى ان يأتيها فى كل أربع ليال مرة فهو أعدل اذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها فى المحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام فى الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها فى غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الأذى والأذى فى غير المأتى دائم فهو أشد تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم أى أى وقت شئتم وله ان يستمنى بيديها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهى سوى الوقاع

من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح وفى رواية لأبى داود ولا تقبح الوجه ولا تضرب (١) حديث هجره ﷺ نساءه شهرا لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التى فى بيتها لقد أقمأتك الحديث ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير اسناد وفى الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفى رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (٢) حديث لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٣) حديث كان يغطى رأسه و يغض صوته و يقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٤) حديث اذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف (٥) حديث لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٦) حديث ثلاث من العجز فى الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمى من حديث أخصر منه وهو بعض الحديث الذى قبله (٧) حديث رحم الله من غسل واغتسل

وغرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة فى الملبوس تشرئب النفس الى تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ مايخرج النفس من عادتها وهواها فتصرف الشيخ فى الملبوس كتصرفه فى المطعوم وكتصرفه فى صوم المريد وافطاره وكتصرفه فى أمر دينه الى مايرى له من المصلحة من دوام الذكر ودوام التنفل فى الصلاة ودوام التلاوة ودوام الخدمة وكتصرفه فيه برده الى الكسب أو الفتوح أو غير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فى أمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

ويبنغي ان تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض
ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وان أراد أن يجامع ثانيا بعد أخرى فليغسل فرجه أولا وان
احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم أو الاكل
فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر قلت للنبي ﷺ (١) أينام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ
ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ (٢) ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى
فراشه فليمسح وجه فراشه أو لينفضه فانه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحد
أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزأ وهو جنب اذ ترد اليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه
بجنابتها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يسرح الا الى محل الحرث وهو الرحم (٣) فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي
كائنة هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مبيح
مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الايذاء
دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق
لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد
في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقيما بها أن لا يحج كل سنة والمراد
بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي ﷺ
(٤) ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له
مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد
فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن
بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو
ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد
يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال بعد الجماع ثم الوقوف
لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا
الثالث كالثاني والثاني كالاول وليس هذا كالاجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب
وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وافساد ذلك جناية فان
صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى
التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث
الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها أو من مائه
ودم الحيض قال بعض أهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرائب
وان النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرائب وكيفما كان فماء
المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماآن مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع
قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا

تقدم في الباب الخامس من الصلاة (١) حديث ابن عمر قلت للنبي ﷺ أينام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ
متفق عليه من حديثه أن عمر سال لا أن عبد الله هو السائل (٢) حديث عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء أبو داود
والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون انه وهم ونقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية
(٣) حديث ما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد (٤) حديث ان الرجل
ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل في سبيل الله لم أجد له أصلا

وجادلهم بالتي هي أحسن فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الابرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخشن أو في التنعم فيخلع المريد من عادته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويداوى بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقربه الى رضا مولاه فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الارادة في بدء أمره وحدة ارادته كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فاذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب وتشام الارواح

وفسخا وقطعا وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلى * فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شئ من شوائب الشرك الخفى * فأقول النيات الباعثة على العزل خمس * الأولى فى السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه * الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منهيا عنه * الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب فى الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منهى عنه فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل فى التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهى عنه * الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد فى تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب فى قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا فى العزل والفساد فى اعتقاد المعرة فى سنة رسول الله ﷺ أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح * الخامسة أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها فى النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضى الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة * فان قلت فقد قال النبى ﷺ (١) من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا * قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أى ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل * فان قلت فقد قال ﷺ (٢) فى العزل ذاك الوأد الخفى وقرأ واذا الموؤدة سئلت وهذا فى الصحيح قلنا وفى الصحيح أيضا أخبار صحيحة (٣) فى الاباحة وقوله الوأد الخفى كقوله الشرك الخفى وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الاصغر فان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى * قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه على رضى الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع أى بعد الاخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة فى أطوار الخلقة وهى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى فى الآية واذا الموؤدة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه فى طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضى الله عنهما فى الغوص على المعانى ودرك العلوم كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين عن جابر أنه (٤) قال كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل وفى لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا وفيه أيضا عن جابر أنه قال ان رجلا أتى رسول الله ﷺ (٥) فقال ان لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا

---

(١) حديث من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا تقدم فى أوائل النكاح (٢) حديث قال ﷺ فى العزل ذلك الوأد الخفى مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) أحاديث اباحة العزل مسلم من حديث أبى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائى من حديث أبى صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا وللنسائى من حديث أبى هريرة سئل عن العزل فقيل ان اليهود تزعم انها الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود قال البيهقى رواة الاباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر المتفق عليه فى الصحيحين كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فلم ينهنا هو كذا ذكر متفق عليه الا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر ان رجلا أتى النبى

وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله وفى الله وبالله فيكون القميص الذى يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام (وقد نقل) ان ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص فى تعويذ وجعله فى عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى فى البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه اياه (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبى العباس قال أنا القاضى

أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين ﴿ الحادي عشر ﴾ في آداب الولادة وهي خمسة * الاول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو يتمنى أن يكون بنتا بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال ﷺ (١) من كان له ابنة فادبها فأحسن تاديبها وغذاها فاحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ (٢) ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا أدخلتاه الجنة وقال انس قال رسول الله ﷺ (٣) من كانت له ابنتان أو أختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقال أنس قال رسول الله ﷺ (٤) من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيأ فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ (٥) من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار وقال أبو هريرة قال ﷺ (٦) من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله قال وثنتان فقال رجل أو واحدة فقال وواحدة * الأدب الثاني أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال رأيت النبي ﷺ (٧) قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروى عن النبي ﷺ (٨) انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان و يستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله الا الله ليكون ذلك أول حديثه (٩) والختان في اليوم السابع ورد به خبر * الادب الثالث أن تسميه اسما حسنا فذلك من حق الولد وقال ﷺ (١٠) اذا سميتم فعبدوا وقال عليه الصلاة والسلام (١١) أحب الاسماء الى

ﷺ فقال ان لي جارية وهي خادمنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها ان شئت الحديث ذكر المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وانما انفرد به مسلم (١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها الحديث الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا أدخلتاه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيأ فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة الخرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن الحديث الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الاسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطان (٨) حديث من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام واسناده ضعيف واختلف في اسناده فقيل عبد الملك بن ابراهيم بن زهير عن أبيه عن جده (١٠) حديث اذا سميتم فعبدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصحح اسناده والبيهقي من حديث عائشة (١١) حديث أحب الاسماء

ابن علويه قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن لا يعلم ان قيصه لا يرد على يعقوب بصره ولكن ذاك كان قميص ابراهيم وذكرما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم الا صح وعوفي فتكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة اليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة ثم يرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله فاما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع

الله عبد الله وعبد الرحمن وقال ﷺ (١) سموا باسمي ولاتكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره ﷺ اذ كان ينادي ياأبا القاسم والآن فلابأس نعم لايجمع بين اسمه وكنيته وقد قال ﷺ (٢) لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أباعيسى فقال عليه السلام (٣) ان عيسى لاأب له فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وتركتني لااسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لايدري انه غلام أوجارية فقال عبد الرحمن من الاسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال ﷺ (٤) انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله ﷺ (٥) اسم العاص بعبد الله وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام (٦) تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد النهي في تسمية (٧) أفلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال أثم بركة فيقال لا * الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ (٨) أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروى (٩) انه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال ﷺ (١٠) مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الاذى ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة فقد ورد فيه خبر انه عليه السلام (١١) أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة رضي الله عنها لايكسر للعقيقة عظم * الخامس أن يحنكه بتمرة أوحلاوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت (١٢) ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ثم دعاله وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد

الى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (١) حديث سموا باسمي ولاتكنوا بكنيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا (٢) حديث لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلايتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلايتسمى باسمي (٣) حديث ان عيسى لاأب له ابو عمر التوقاني في كتاب معاشرة الاهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود ان عمر ضرب ابناله تكنى أباعيسى وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى فقال رسول الله ﷺ كناني واسناده صحيح (٤) حديث انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل (٥) حديث بدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله ابن الحرث بن جزء الزبيدي بسند صحيح (٦) حديث قال ﷺ لزينب وكان اسمها برة تزكي نفسها فسماها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي ﷺ أن ينهى أن يسمى بيعلى وبركة الحديث (٨) حديث عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (٩) حديث عق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم الا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا (١٠) حديث مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي (١١) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس اسناده بمتصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع (١٢) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في

ومخالطة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم فسوف يرقيه ذلك الى الاهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب ولبس الازرق من استحسان الشيوخ في الخرقة فان رأى شيخ أن يلبس مريدا غير الازرق فليس لأحد أن يعترض عليه لان المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم الوقت (وكان) شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصير الاكمام ليكون أعون على الخدمة ويجوز للشيخ أن يلبس المريد خرقا في دفعات على قدر مايتلمح من المصلحة للمريد في ذلك على ما أسلفناه من تداوي هواه في الملبوس والملون فيختار الازرق لانه أرفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولايحوج الى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب وماعدا هذا من الوجوه التي يذكرها

سحرتكم

سحرتكم فلايولدلكم ﴿الثانى عشر﴾ فى الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحا اذالم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير الا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى ـ فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ـ أى لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضى الله عنهما (١) كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها و يأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله ﷺ فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها و بذت على أهله فهى جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود فى قوله تعالى ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به فى العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الأذى من الزوج فلها ان تفتدى ببذل مال و يكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى ـ لاجناح عليهما فيما افتدت به ـ فرد ما أخذته فمادونه لائق بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة قال ﷺ (٢) أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفى لفظ آخر انه عليه السلام (٣) قال المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور * الاول أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها (٤) طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال ﷺ لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء أمسكها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء وانما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط * الثانى أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى أن يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه ويكون هو الساعى فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه أعنى زوجة المحلل بعد ان زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفى الواحدة كفاية فى المقصود من غير محذور ولست أقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعانى وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه * الثالث ان يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح كان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا و منكاحا و وجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا قال أما احداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير و به ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب الى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن فى بيته فعظمه

حجره ثم دعا بتمرة فضغها ثم تفل فى فيه الحديث متفق عليه (١) حديث ابن عمر كانت تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها فأمرنى بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٢) أيما امرأة سالت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام أبوداود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٣) حديث المختلعات هن المنافقات النسائى من حديث أبى هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبى هريرة قال ومع هذا لم أسمعه الامن حديث أبى هريرة قلت رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٤) حديث طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله ﷺ لعمر مره فليراجعها

الدين أبا الفخر الهمدانى رحمه الله قال كنت ببغداد عند أبى بكر الشروطى فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء لم لا تغسل ثوبك فقال يا أخى ما أتفرغ فقال الشيخ أبو الفخر لا أزال أتذكر حلاوة قول الفقير ما أتفرغ لانه كان صادقا فى ذلك فأجد لذة لقوله و بركة بتذكارى ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم فى شغل شاغل والا فأى ثوب ألبس الشيخ المريد من أبيض وغير ذلك فللشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه وقد رأينا من المشايخ من لا يلبس الخرقة و يسلك بأقوام من غير لدس الخرقة و يؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها

عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت الي فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الارض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها و يسرني ما سرها وأنت مطلاق فأخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره ان يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله ﷺ فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي و يقول ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر و يقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان أحب أمسك وان شاء ترك فسر ذلك عليا وقال

لو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من أهل و ولد بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دائه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد (١) في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم * و يروى عن بعض الصالحين انه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال مالي ولامرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج

﴿ القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها ﴾

والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ (٢) أيما امرأة ماتت و زوجها عنها راض دخلت الجنة (٣) وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول الى أبيها فقال ﷺ أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ اليها يخبرها ان الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها * وقال ﷺ (٤) اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها وأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله ﷺ (٥) النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال ﷺ (٦) اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يارسول الله قال يكثرن اللعن و يكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر (٧) اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء

الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (١) حديث الوعيد في افشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها (٢) حديث أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة (٣) حديث كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في السفل فمرض الحديث الطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف الا أنه قال غفر لأبيها (٤) حديث اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٥) حديث ذكر النساء فقال حاملات والدات مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي امامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٦) حديث اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٧) حديث اطلعت في الجنة فاذا

فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فلهرأيه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم و بآثارهم ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط ﴾

قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل ان هذه البيوت هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلاة والسلام (وقيل) لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضي الله عنه وقال يارسول الله هذه البيوت منها بيت علي وفاطمة قال نعم أفضلها ﴿وقال﴾ الحسن بقاع الارض كلها جعلت مسجدا لرسول الله

قال

قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب * وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي ﷺ (١) فقالت يارسول الله انى فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ماأدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فانه خير قال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله ﷺ (٢) فقالت انى امرأة أيم وأريد ان أتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بعير لاتمنعه ومن حقه ان لاتعطى شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه أن لاتصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال ﷺ (٣) لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال ﷺ (٤) أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام (٥) المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا (٦) للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق * وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين

أقل أهلها النساء فقلت ابن النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الاشجعية ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف (١) حديث عائشة أتت فتاة الى النبي ﷺ فقالت يانبي الله انى فتاة أخطب وانى أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصحح اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلى فتزوجي فانه خير ولم أره من حديث عائشة (٢) حديث ابن عمر أتت امرأة من خثعم الى رسول الله ﷺ فقالت انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصرا على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٣) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى (٤) حديث أقرب ماتكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها فان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر صحن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد واسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٥) حديث المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٦) حديث للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضعيف وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج

عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لا بصور البقاع وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع * روى أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال مامن صباح ولا رواح الا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم ومن قائلة لا فاذا قالت نعم علمت ان لها عليها بذلك فضلا ومامن عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الارض أو صلى لله عليها الا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت (وقيل) في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لان الارض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن الى الدنيا واتبع الهوى فكان الرباط هم الرجال لانهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا الى الله فاقام الله لهم الدنيا خادمة {روى} عمران بن الحصين قال

فيكون لى طريقا الى الله عزوجل فقال حتى أستأذن أستاذى فرجع الى أبى سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزويج ويقول ماتزوّج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوّج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوّجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوّجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله ﷺ (١) لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزوّج انك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لن تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا ﴿وقال رجل لزوجته﴾

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول تحفظ بعلها فى غيبته وتطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها فى حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها أو تعرفه همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنظفة فى نفسها مستعدة فى الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال ﷺ (٢) انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أوماتوا وقال ﷺ (٣) حرم الله على كل آدمى الجنة يدخلها قبلى غير انى أنظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول مالهذه تبادرنى

والقبر (١) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسى والبيهقى من حديث ابن عمر فى حديث فيه ولا تعطى من بيته شيأ الا باذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبى داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن أبى وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب (٢) حديث أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أبى مالك الأشجعى بسند ضعيف (٣) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبلى غير أنى أنظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة الخ أبو يعلى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

وكله الله اليها وأصل الرباط مايربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم فى الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلى قال أخبرنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزاذى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا الحسين بن محمد قال ثنا أبو بكر بن خرجة قال حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبو حميد الحمى قال حدثنا يحيى ابن سعيد (٣) القطار

(٣) قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفى أخرى العطار ولعله القطان بالنون وليحرر

فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك * ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روى ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لعله أحسن فيما بينه و بين خالقه فجعلني ثوابه أو لعلي أسأت فيما بيني و بين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة و بيدها سبحة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له * ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله ﷺ (١) لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا * ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الا على زوج أربعة أشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة * ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت (٣) تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل الي أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكانما أعتقني ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسي فقال ﷺ أخ أخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ماجرى فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه * تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

نحمد الله حمد موحد انمحق في توحيده ماسوى الواحد الحق وتلاشى * ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شئ ماسوى الله باطل ولا يتحاشى * وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا

(١) حديث معاذ لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه الحديث الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه (٢) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٣) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه

﴿كتاب آداب الكسب﴾

﴿الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه﴾

قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء ﴿وروى﴾ عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم رض رضا ﴿وروى﴾ جابر ابن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وروى داود ابن صالح قال قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شئ نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى

الأكبر على ماروى فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر ﴿ وقيل ﴾ ان بعض الصالحين كتب الى أخ له يستدعيه الى الغزو فكتب اليه ياأخى كل الثغور مجتمعة لى فى بيت واحد والباب على مردود فكتب اليه أخوه لوكان الناس كلهم لزموا مالزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلابد من الغزو والجهاد فكتب اليه ياأخى لو لزم الناس ماأنا عليه وقالوا فى زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية ﴿ وقال بعض الحكماء ﴾ ارتفاع الاصوات فى بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ماعقدته الافلاك الدائرات فاجتماع أهل

* ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطالهم وفراشا * وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا * لينتشروا فى ابتغاء فضله و ينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا * ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعدورودهم عليه عطاشا * وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا * وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فان رب الأرباب ومسبب الأسباب * جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا در التمحل والاضطراب * والتشمر والاكتساب * وليس التشمر فى الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها * والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين * ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة مالم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها فى خمسة أبواب ﴿ الباب الاول ﴾ فى فضل الكسب والحث عليه ﴿ الباب الثانى ﴾ فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات ﴿ الباب الثالث ﴾ فى بيان العدل فى المعاملة ﴿ الباب الرابع ﴾ فى بيان الاحسان فيها ﴿ الباب الخامس ﴾ فى شفقة التاجر على نفسه ودينه

﴿ الباب الاول فى فضل الكسب والحث عليه ﴾

﴿ أما من الكتاب ﴾ فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره فى معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ﴿ وأما الاخبار ﴾ فقد قال ﷺ (١) من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلاالهم فى طلب المعيشة وقال عليه السلام (٢) التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال ﷺ (٣) من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان ﷺ (٤) جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لوكان شبابه وجلده فى سبيل الله فقال ﷺ لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة و يغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أوذرية ضعاف ليغنيهم و يكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان وقال ﷺ (٥) ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس و يبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفى الخبر (٦) ان الله تعالى يحب المؤمن

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة تقدم فى النكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم انه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان ﷺ جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لوكان جلده فى سبيل الله الحديث الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على ان الله يحب أن يرى عبده تعبا فى طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدار قطنى يضع الحديث (٦) حديث ان الله يحب المؤمن المحترف الطبرانى وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر

المحترف وقال ﷺ (١) أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر (٢) أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح وقال عليه السلام (٣) عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع قال أتعبد قال من يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك وقال نبينا ﷺ (٤) انى لاأعلم شيأ يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا أمرتكم به وانى لاأعلم شيأ يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الانهيتكم عنه وان الروح الأمين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أمر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شئ من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله لاينال ماعنده بمعصيته وقال ﷺ (٥) الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها وقال عليه السلام (٦) لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال (٧) من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال لقمان الحكيم لابنه يابني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ماافتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لاتمطر ذهبا ولافضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة

فلن أزال على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه انى لا كره أن أرى الرجل فارغا لافي أمر دنياه ولافي أمر آخرته وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب الى لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه مامن موضع يأتيني الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شئ أحب الى من سؤال الناس

(١) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أى الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين ان عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاه عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم (٢) حديث أحل ما أكل العبد كسب الصانع اذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن (٣) حديث عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق ابراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان انه تابعي فالحديث مرسل (٤) حديث انى لاأعلم شيأ يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الانهيتكم عنه فان الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدا لحديث أبي حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال انه منقطع (٥) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها رويناه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعا (٦) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ولافتح عبد باب مسئلة الافتح الله

واعتماد مايصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد (وقال سرى السقطى) في قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس اللوامة واتقوا مايعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا في دار أعدائي واتقوا محبة من سوائي لعلكم تفلحون غدا بلقائي * وهذه شرائط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضا بها عن

وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها أماترى هذه الشدة فقال ماهذه الشدة انما الشدة الحاجة الى الناس * وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس * وقيل لأحمد ماتقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لاأعمل شيأ حتى يأتيني رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أماسمع قول النبي ﷺ (١) ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال (٢) تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب الي من أن أراك في زاوية المسجد * وروى ان الأوزاعي لقي ابراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب فقال له ياأبااسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا ياأباعمرو فانه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد * وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي مناد يوم القيامة أين بغضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة * فان قلت فقد قال ﷺ (٣) ماأوحي الي أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحي الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أوغازيا أوعامرا لمسجد ربه فليفعل ولايموتن تاجرا ولاخائنا * فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شئ ولكن التجارة اماأن تطلب بها الكفاية أوالثروة أوالزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لاليصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ماأراده سلمان بقوله لاتمت تاجرا ولاخائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما اذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل وان كان لايحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابد بالعبادات البدنية أورجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات أوعالم مشتغل بتربية علم الظاهر ممايتنفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أورجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح أوالأوقاف المسبلة على الفقراء أوالعلماء فاقبالهم على ماهم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحي الى رسول الله ﷺ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه أن كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة الى زيادات لايحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لماولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان احداهما أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدي الناس ومايتصدق به عليهم من زكاة أوصدقة من غير حاجة الى سؤال فترك

عليه باب فقر أوكلمة نحوها وقال حسن صحيح (١) حديث ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ماأوحي الي أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحي الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين

شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا ابن نبهان محمد الكاتب قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم ابن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباغ الوضوء في المكاره واعمال الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا * وفي رواية ألا أخبركم بمايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء في المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط

الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم
* الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا فى محل النظر والتشديدات التى رويناها فى السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وان أفتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الامور فان أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا الاربعة أمور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد فى كل واحد بابا ونبتدئ بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى

﴿ الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع ﴾

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى أن يسأل فانه اذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جلى فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكنى أصبر الى أن تقع لى الواقعة فعندها أتعلم واستفتى فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع فى سوقنا الا من يفقه والا أكل الربا شاء أم أبى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهى البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

﴿ العقد الاول البيع ﴾

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمعقود عليه واللفظ ﴿ الركن الاول ﴾ العاقد ينبغى للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصبى والمجنون والعبد والاعمى لان الصبى غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبى وان أذن له فيه الولى عند الشافعى وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه فى المعاملة اليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا العبيد ما لم تأذن لهم السادة فى معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده وفى البيع له فيعول على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما تسلمه ان ضاع فى يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة اذا عتق وأما الاعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بان يوكل وكيلا بصيرا يشترى

المطهرين هذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا نتبع الماء الحجر وهذا وأشباه هذا من الآداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه ويتعاهدونه والرباط بيتهم ومضربهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة فى ذلك على ما أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أحمد بن محمد البزازى قال أنا عيسى بن على الوزير قال حدثنا عبد الله البغوى قال حدثنا وهبان ابن بقية قال حدثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبى هند عن أبى الحرث حرب بن أبى الاسود عن طلحة رضى الله عنه قال كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فان لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت

له أو يبيع فيصح توكيله و يصح بيع وكيله فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما أخذ منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه أيضا مضمون له بقيمته وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغى أن يتملك مما فى أيديهم شيأ لأجل أنها حرام الا اذا عرف شيأ بعينه أنه حلال وسيأتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام ﴿الركن الثانى فى المعقود عليه﴾ وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين الى الآخر ثمنا كان أو مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط * الاول أن لا يكون نجسا فى عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والاوانى المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لا تؤكل وان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر فى عينه الذى نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فانه يجوز الانتفاع به فى غير الاكل وهو فى عينه ليس بنجس وكذلك لا أرى بأسا ببيع بزر القز فانه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث و يجوز بيع فارة المسك و يقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية فى حالة الحياة * الثانى أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا التفات الى انتفاع المشعبذ بالحية وكذا لا التفات الى انتفاع أصحاب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس و يجوز بيع الهرة والنحل و بيع الفهد والاسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده و يجوز بيع الفيل لاجل الحمل و يجوز بيع الطوطى وهى الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج بأصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى اعجابا بصورته لنهى رسول الله ﷺ عنه [1] ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار متسامح بها وأما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها [2] اتخذى منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة و يجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه * الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشترى من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجرى فى الاسواق فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه * الرابع أن يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك فى الماء والجنين فى البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع * الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك أو ذراعا من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الارض وخذه من أى طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين الا أن يبيع شائعا

المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والمقابلة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لاخيه غلا فليس بمقابله وان كان وجهه اليه فاهل الصفة هكذا كانوا لان مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع فزالت الاحقاد والغل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون بظواهرهم و بواطنهم مجتمعون على الالفة والمودة يجتمعون للكلام و يجتمعون للطعام و يتعرفون بركة الاجتماع

(١) حديث النهى عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية أو ضار ينقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث اتخذى منه نمارق يقوله لعائشة متفق عليه من حديثها

مثل أن يبيع نصف الشئ أو عشره فان ذلك جائز وأما العلم بالقدر فانما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لايدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الاعيان ولا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لايغلب التغير فيها والوصف لايقوم مقام العيان هذا أحد المذهبين ولا يجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة فى سنبلها ويجوز بيع الارز فى قشرته التى يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ولا يجوز فى القشرتين ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشريه للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن نجعله اباحة بعوض فان اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستترا استتار خلقة ولا يبعدان يتسامح به اذفى اخراجه افساده كالرمان ومايستر بستر خلق معه * السادس أن يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله ﷺ (١) عن بيع مالم يقبض ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لايتم الا بان يكتاله وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض ﴿الركن الثالث﴾ لفظ العقد فلابد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصدا به البيع لانه قد يحتمل الاعارة اذا كان فى ثوبين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره ولا ينبغى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيأ آخر أو أن يحمل المبيع الى داره أو اشترى الحطب بشرط النقل الى داره كل ذلك فاسد الا اذا أفرد استئجاره على النقل باجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعى أصلا وانعقد عند أبى حنيفة ان كان فى المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز يأخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشترى ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها الى البزاز فيأخذها ويتصرف فيها ومشترى الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول أصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة * اما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيما فى الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر منى الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع * الاحتمال الثانى أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعى رحمه الله من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك فى المحقرات معتادا فى زمن الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار فى مثل هذا تتفاوت والثانى أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشترى الانسان شيأ من الاطعمة وغيرها الا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس

﴿وروى﴾ أنس بن مالك رضى الله عنه قال ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق فقيل فعلى أى شئ كانوا يأكلون قال على السفر فالعباد والزهاد طلبوا الانفراد لدخول الآفات عليهم بالاجتماع وكون نفوسهم تفتلق للاهوية والخوض فيما لايعنى فرأوا السلامة فى الوحدة والصوفية لقوة علمهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فرأوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاويته وهم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ولهم فى اتخاذ السجادة وجه من السنة ﴿روى﴾ أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت اجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا من الليف يصلى عليه من الليل وروت

فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك * الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات و يشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا و يستبعد تكليفه لذلك و يستثقل و ينسب الى أنه يقيم الوزن لامر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها و بينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون اذ الملك لابد من نقله في الهبة أيضا الا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لاجل ان البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وايجاب فان كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشئ محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن *فان قلت فان أمكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة في البيع والشراء أو سمع منهم ذلك أو رآه أيجب عليه الامتناع من الاكل * فاقول يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشئ الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات وأما الاكل فلا يجب الامتناع منه فاني أقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الاباحة فان أمر الاباحة أوسع وأمر نقل الملك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الاكل و يلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك ماظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها الى دينه فعليه المراجعة وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما سلم اليه فيأخذه بحقه لكن على كل الاحوال جانب البائع أغمض لان ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك الا اذا أتلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الأكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته ان الضيف يضمن ما أتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما أخذه من المشتري

يصلي عليها والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا أليق نظرا الى ما تدعو اليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق الى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا الا اذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الاوقات وضبط الانفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله ﷺ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي

المشترى فيسقط فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه فهذا ماتراه فى قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الاعلى هذه الظنون وأما الورع فانه ينبغى أن يستفتى قلبه ويتقى مواضع الشبه

﴿ العقد الثانى عقد الربا ﴾

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذلا ربا الافى نقد أوفى طعام وعلى الصيرفى أن يحترز من النسيئة والفضل أما النسيئة فان لا يبيع شيأ من جواهر النقدين بشئ من جواهر النقدين الايدابيد وهو أن يجرى التقابض فى المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب أن يجرى فيه تفاضل اذلا يرد المضروب بمثل وزنه * وأما الفضل فيحترز منه فى ثلاثة أمور فى بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الامع المماثلة وفى بيع الجيد بالردىء فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن أو يبيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن أعنى اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج فى الفضل والثالث فى المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد فانا نرخص فى المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهى مجهولة وان كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغى أن يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفى أن يشترى قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة يدا بيد ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها وأما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض فى المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد فى هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشترى بها اللحم نقدا أونسيئة فهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشترى بها الخبز نسيئة أونقدا فهو حرام ومعاملة العصار بان يسلم اليه البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الادهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشئ المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلا ولا متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتماثلا فهذه جمل مقنعة فى تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتى فيها اذا تشكك والتبس عليه شئ منها واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدرى

﴿ العقد الثالث السلم ﴾

وليراع التاجر فيه عشرة شروط ﴿الاول﴾ أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع الى قيمة رأس المال فان أسلم كفا من الدراهم جزافا فى كرحنطة لم يصح فى أحد القولين ﴿الثانى﴾ أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم ﴿الثالث﴾ أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان

الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعى الهوى والخوض فيما لا يعنى ويكون الشيخ فى بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو واما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم العلم ولم يتنبه لنفائس الاحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله اليه فتشمله بركة ذلك ويعين الاخوان المشتغلين بالعبادة (قال) رسول الله صلى الله عليه المؤمنون اخوة يطلب بعضهم الى بعض الحوائج فيقضى بعضهم الى بعض الحوائج يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيتحفظ بالخدمة

والـلحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وماتختلف أجزاؤه كالقسى المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم فى الخبز ومايتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه ﴿الرابع﴾ أن يستقصى وصف هـذه الامور القابلة للوصف حتى لايبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لايتغابن بمثله الناس الاذكره فان ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية فى البيع ﴿الخامس﴾ أن يجعل الاجـل معلوما ان كان مؤجـلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والأيام فان الادراك قد يتقـدم وقد يتأخر ﴿السادس﴾ أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغى أن يسلم فى العنب الى أجل لايدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله ان شاء أو يفسخ ويرجع فى رأس المال ان شاء ﴿السابع﴾ أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كى لايثير ذلك نزاعا ﴿الثامن﴾ أن لايعلقه بمعين فيقول من حنطة هـذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو أضاف الى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك ﴿التاسع﴾ أن لايسلم فى شئ نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لايقدر عليه غالبا ﴿العاشر﴾ أن لايسلم فى طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم فى نقد اذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا فى الربا

﴿ العقد الرابع الاجارة ﴾

وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيـه ماذكرناه فى البيع والاجرة كالثمن فينبـغى أن يكون معلوما وموصوفا بكل ماشرطناه فى المبيع ان كان عينا فان كان دينا فينبغى أن يكون معلوما الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكترى أن يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله فى الصرف الى العمارة مجهول ✽ ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل مايتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز أن يجعل أجرة ✽ ومنها أن يقدر فى اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة ﴿الركن الثانى﴾ المنفعة المقصودة بالاجارة وهى العمل وحده ان كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغيـر فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هـذه الرابطة ولكنا لانطول بشرحها فقد طولنا القول فيها فى الفقهيات وانما نشير الى ماتعم به البلوى فليراع فى العمل المستأجر عليه خمسة أمور ✽ الاول أن يكون متقوما بان يكون فيـه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجارا ليجفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هـذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لايجوز بيعه وهى كالنظر فى مرآة الغيـر والشرب من بئره والاستظلال بجداره والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز ومايأخذه البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم فى ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لاتعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم ذلك اذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام فى تأليف أمر المعاملة ثم لايستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق ✽ الثانى أن لاتتضمن الاجارة استيفاء عـين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاقه ولا اجارة المواشى للبنها ولا اجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لايقصدان على حيالهما ✽ الثالث أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار

عن البطالة التى تميت القلب والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهى طريق من طرق المواجيد تكسبهم الاوصاف الجليلة والاحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا الى الاهتـداء بهديهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضـل حيد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان بن أحمـد قال ثنا على بن عبـد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبـد الرحمن ابن مهدى عن شريك عن أبى هلال الطائى عن وثيق بن الرومى قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضى الله عنـه فكان يقول لى أسـلم فانك ان أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمـين فانه لاينبـغى أن أسـتعين عـلى أماناتهم بمن ليس منهم قال فابيت فقال عمـر لا اكراه فى الدين فلما حضرته الوفاة أعتقنى فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الاغيار و يأبون

الاخرس على التعليم ونحوه ومايحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أوقطع عضو لايرخص الشرع فى قطعه أواستئجار الحائض على كنس المسجد أوالمعلم على تعليم السحر أوالفحش أو استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها أواستئجار المصوّر على تصوير الحيوانات أواستئجار الصائغ على صيغة الاوانى من الذهب والفضة فكل ذلك باطل * الرابع أن لايكون العمل واجبا على الاجير أولا يكون بحيث لاتجرى النيابة فيه عن المستأجر فلايجوز أخذ الاجرة على الجهاد ولاعلى سائر العبادات التى لانيابة فيها اذلايقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفى أخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدى للتدريس واقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسئلة بعينها أوتعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح * الخامس أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل مايثير خصومة فى العادة فلايجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل فان الاستقصاء شأن المفتى لاشأن العوام

﴿العقد الخامس القراض﴾

وليراع فيه ثلاثة أركان ﴿الركن الاول رأس المال﴾ وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولاعلى العروض فان التجارة تضيق فيه ولايجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لايتبين فيه ولوشرط المالك اليد لنفسه لم يجز لان فيه تضييق طريق التجارة ﴿الركن الثانى الربح﴾ وليكن معلوما بالجزئية بان يشرط له الثلث أوالنصف أوماشاء فلوقال على ان لك من الربح مائة والباقى لى لم يجز اذربما لايكون الربح أكثر من مائة فلايجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع ﴿الثالث العمل﴾ الذى على العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلوشرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أوحنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه فى التجارة وهو البيع والشراء ومايقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعنى الخبز ورعاية المواشى ولوضيق عليه وشرط أن لايشترى الامن فلان أولايتجر الافى الخز الاحمر أوشرط مايضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عروضا ولاربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيأ وان قال العامل أبيعه وأبى المالك فالمتبوع رأى المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لابنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكاة فاذا كان قد ظهر من الربح شئ فالاقيس ان زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه اذا فعل ضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى ثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل لذى لايعتاد التاجر مثله على رأس المال فامانشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد فى السفر لمال القراض فنفقته فى السفر على مال القراض فاذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما

﴿العقد السادس الشركة﴾

وهى أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة ﴿الاول شركة المفاوضة﴾ وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل مالنا وعلينا

طبع البشر وينكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم فيكون إباؤهم لموضع الشفقة على الخلق لامن طريق التعزز والترفع على أحد من المسلمين والشاب الطالب اذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم فى الثواب وحيث لم يؤهل لاحوالهم السنية يخدم من أهل لها فخدمته لاهل القرب علامة حب الله تعالى (أخبرنا) الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا أبو بكر بن خلاد قال ثنا الحرث بن أبى اسامة قال ثنا معاوية بن عمرو قال ثنا أبو اسحق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك قال حين دنا من المدينة ان بالمدينة أقواما ماسرتم

ومالاهما ممتازان فهى باطلة ﴿الثانى شركة الابدان﴾ وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل فهى باطلة ﴿الثالث شركة الوجوه﴾ وهو أن يكون لاحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ﴿وانما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان﴾ وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما الا بقسمه و يأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول و بالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها من ثلاثة وجوه من اهمال شروط البيع أو اهمال شروط السلم أو الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة فى كل مدة ثم التقويم بحسب مايقع عليه التراضى وذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الاتلاف فتجتمع فى الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضى على مقدار ما فينبغى أن يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم فهذا ما تجب القناعة به فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر واذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله الموفق

﴿الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة﴾

اعلم ان المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى اذ ليس كل نهى يقتضى فساد الظلم العقد وهذا يعنى به ما استضر به الغير وهو منقسم الى مايعم ضرره والى مايخص المعامل

﴿القسم الأول فيما يعم ضرره * وهو نواع﴾

﴿النوع الاول﴾ الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم فى الشرع قال رسول الله ﷺ (١) من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر عنه ﷺ (٢) أنه قال من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه وقيل فكأنما قتل الناس جميعا وعن على رضى الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه وعنه أيضا انه أحرق طعام محتكر بالنار وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه ﷺ (٣) من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفى لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة وقيل فى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته فى الوعيد وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة فى السعر فقال له التجار لو أخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام

﴿الباب الثالث فى بيان العدل﴾

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين فقد برئ من الله و برئ الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدى ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفى لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف مامن جالب يجاب

تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الاهلية فخادم حول الحمى باذلا مجهوده فى الخدمة يتعلل بالاثر حيث منع النظر فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأناله من جزيل العطاء وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن

﴿الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الربط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به﴾

اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ومايرى من التقصير فى حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن

ياهذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شئ من الدين فقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتنى أنجو من اثم الاحتكار كفافا لاعلىّ ولا لى * واعلم ان النهى مطلق و يتعلق النظر به فى الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهى فى أجناس الاقوات أما ماليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهى اليه وان كان مطعوما وأما مايعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا فى محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد النهى فى جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التى ذكرناها فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة فى السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون فى تأخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس فى هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان فى ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها اضرار فينبغى ان يقضى بتحريمه و يعول فى نفى التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية فانه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادئ الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة فى الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات أصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لاضرورة للخلق اليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة ﴿النوع الثانى﴾ ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد فى الايدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه هو الذى فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيئا وقال بعضهم انفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة أو مائتى سنة الى أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسئل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم أى نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ماقدموه وفى مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وانما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم أن فى الزيف خمسة أمور * الاول انه اذا رد عليه شئ منه فينبغى أن يطرحه فى بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه أن يروجه فى بيع آخر وان أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز * الثانى انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدرى فيكون آثما بتقصيره فى تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم * الثالث أنه ان سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس يأخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب

طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة ان الجالب الى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله وهو مرسل (١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شئ مسلم من حديث جرير بن

الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من آثار منح الحق فى حقهم وصورة الاجتماع فى الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف فى مناهج السلف فهم فى الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا فى غيرهم من الطوائف قال الله تعالى فى وصف المؤمنين كأنهم بنيان مرصوص وبعكس ذلك وصف الأعداء فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴿روى﴾ النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما المؤمنون كجسد رجل واحد اذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع واذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون فالصوفيه وظيفتهم اللازمة من

فى أخذه أصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذى يخص معامله فقط * الرابع أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله ﷺ (١) رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل فى بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه فى بئر وان كان عازما على أن يروّجه فى معاملة فهذا شر روّجه الشيطان عليه فى معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل فى الاقتضاء * الخامس أن الزيف نعنى به مالا نقرة فيه أصلا بل هو مموه أو مالا ذهب فيه أعنى فى الدنانير أما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله وأن لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فأما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرا وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثال هذا فى التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون فى مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة فى سبيل الله أنه قال حملت على فرسى لأقتل علجا فقصر بى فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت ثانية فقصر فرسى فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر منى فرسى وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس فوضعت رأسى على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى و يقول لى بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله

﴿ القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل ﴾

فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلى فيه أن لا يحب لاخيه الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغى أن لا يعامل غيره به بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع أخاه شيأ بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه قد ترك النصح المأمور به فى المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففى أربعة امور أن لا يثنى على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيأ أصلا وأن لا يكتم فى وزنها ومقدارها شيأ وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه ﴿أما الاول﴾ فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروأة اذ الكذب الذى يروج قد لا يقدح فى ظاهر المروأة وان أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشترى ما لم يذكره كما يصفه من خفى أخلاق العبيد والجوارى والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته ولا ينبغى أن يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه وقد أساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفى الخبر (٢) ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد و بعد غد وفى الخبر (٣) اليمين الكاذبة

---

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخارى من حديث جابر (٢) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد و بعد غد لم أقف له على أصل وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير اسناد نحوه (٣) حديث اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقى بلفظ المصنف

اتفقوا بمشاهدة القلوب تواطؤا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب فى الرباط رابطوا فلابد لهم من التألف والتودد والنصح (روى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن يألف و يؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبى الفضل المقدسى عن أبيه قال ثنا أبو القاسم الفضل ابن أبى حرب قال أنا أحمد بن الحسين الحيرى قال أنا أبو سهل ابن زياد القطان قال ثنا الحسين ابن مكرم قال ثنا يزيد بن هرون الواسطى قال ثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع

منفقة للسلعة ممحقة للبركة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (١) أنه قال ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا ﴿الثاني﴾ أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيأ فذلك واجب فان أخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ماروى أنه مر عليه السلام (٢) برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ماروى أن النبي ﷺ (٣) لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به ياهذا اشتريتها للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت على بيعي فقال انا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله ﷺ (٤) يقول لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا ان يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا أنه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بان يعتقد أمرين * أحدهما أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض أولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد قال ﷺ (٥) البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الحديث (٦) يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن

---

(١) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه مسلم من حديثه الا أنه لم يذكر فيها العائل مستكبر وهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر المنان والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب

(٢) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم متفق عليه (٤) حديث واثلة لا يحل لاحد يبيع بيعا إلا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه الحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي (٥) حديث البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم بن حزام (٦) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد

بواطنهم وتقيد نفوسهم لان بعضهم عين على البعض على ماورد المؤمن مرآة المؤمن فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة نافروه لان التفرقة تظهر بظهور النفس وظهور النفس من تضييع حق الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالمنافرة الى دائرة الجمعية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا وهذه اشارة من رويم الى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض

عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدنيا والدين والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها و يراه أصلح له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لابد من اعتقاده ليتم له النصح و يتيسر عليه أن يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ [(١)] لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر مالم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر [(٢)] من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصه قال أن يحجزه عما حرم الله وقال أيضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الامور قادحة في ايمانه وأن ايمانه رأس ماله في تجارته في الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة وعن بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي من خير هؤلاء لقلت من أنصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة و يحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيأ واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم أنه يظهره أو أنه لا يريده للبيع * فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان أن يذكر عيوب المبيع * فأقول ليس كذلك اذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته * باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها و باع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة ﴿ الثالث ﴾ أن لا يكتم في المقدار شيأ وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى ـ و يل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ـ ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا أعطى و ينقص اذا أخذ اذ العدل الحقيق قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول لا أشتري الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم و يؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله ﷺ شيأ [(٣)] قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وأرجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه و يزيل

---

(١) حديث لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على أخراهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى اذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا (٢) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبراني من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط باسناد حسن (٣) حديث قال للوزان زن وأرجح اصحاب

والمراآة ومسامحة البعض البعض في اهمال دقيق آدابهم و بذلك تظهر النفوس وتستولي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوي قال حدثنا مصعب ابن عبد الله الزبيري قال حدثني ابراهيم ابن سعد عن صالح عن ابن شهاب ان محمد نعمان أخبر بان عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرأيتم لو ترخصت في بعض الامور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرأيتم لو ترخصت في بعض الامور ماذا

اشفاقا من ظهور النفوس يقول اذا اصطلحوا أو رفعوا المنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة

تكحيله

تكحيله ويلقيه حتى لا يزدونه بسبب ذلك فقال يا بنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام لابنه يا بنى كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به الى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه أبعد والتشديد فى أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان أى لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآيات فان تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه أمرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار فى جميع الاعمال فصاحب الميزان فى خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم فى النار الى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فانه أدق من الشعرة وأحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته انه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين فى الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده فى الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل ﴿الرابع﴾ أن يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيأ فقد نهى رسول الله ﷺ (١) عن تلقى الركبان (٢) ونهى عن النجش أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب فى سعر البلد فقد قال ﷺ لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففى الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى أيضا (٣) أن يبيع حاضر لباد وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع الى بيعه فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا فى القوت محرم وفى سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهى ولانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق ونهى رسول الله ﷺ عن النجش وهو أن يتقدم الى البائع بين يدى الراغب المشترى ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد تحريك رغبة المشترى فيها فهذا ان لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطأة ففى ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المصراة وتلقى الركبان فهذه المناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ويكتم منه أمرا ولو علمه لما أقدم على العقد ففعل هذا

السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم

(١) حديث النهى عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة (٢) حديث النهى عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة (٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادى متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة وأنس

بغضب وخصومة مع بعض الاخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس اذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر واذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا ثم الشيخ أو الخادم اذا شكا اليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمتعدى لم تعديت وللمتعدى عليه ما الذى أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا باخيك واعطاء للفتوة والصحبة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد الى الدائرة بالنقار فيعود الى استغفار ولا يسلك طريق الاصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت كان يقول رسول الله

من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب فقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال مانصحته فلعله استحياني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو أطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الاسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي أو بما اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى الى أجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على أمانته

﴿ الباب الرابع في الاحسان في المعاملة ﴾

وقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الاحسان وقد قال الله وأحسن كما أحسن الله اليك وقال عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال سبحانه ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة أمور ﴿الاول﴾ في المغابنة فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل المغابنة فمأذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال اليه فينبغي أن يمتنع من قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان أن يحط ذلك الغبن * يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابي بكم اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث (١) غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء سعر الوقت وانما

(١) حديث غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند

مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في استغفارهم فلهذا المعنى يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وسمعت شيخنا يقول للفقير اذا جرى بينه وبين بعض اخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطني صافيا ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منطوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شئ من أمورهم الا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة

الاحسان المحض مانقل عن السرى السقطى انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السرى قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه الا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بينى و بين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال روى عن محمد بن المنكدر انه كان له شقق بعضها بخمسة و بعضها بعشرة فباع فى غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابى المشترى طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك واما أن نرد عليك خمسة واما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطنى خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الاعرابى يسأل و يقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذى نستسقى به فى البوادى اذا قحطنا فهذا احسان فى أن لا يربح على العشرة الا نصفا أو واحدا على ما جرت به العادة فى مثل ذلك المتاع فى ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا و به تظهر البركة * كان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة و يقول معاشر التجار خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره قيل لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة و يقال انه باع ألف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربح من نفقته عليها يومه ألفا (الثانى) فى احتمال الغبن والمشترى ان اشترى طعاما من ضعيف أو شيأ من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن و يتساهل و يكون به محسنا وداخلا فى قوله عليه السلام رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء فأما اذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت (١) المغبون فى الشراء لا محمود ولا مأجور وكان اياس بن معاوية بن قرة قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن و يغبن أبى يعنى معاوية بن قرة والكمال فى أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضى الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى فقال ان الواهب يعطى فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما أغبن عقلى و بصرى فلا أمكن الغابن منه واذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيا (الثالث) فى استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتأخير ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال النبى ﷺ (٢) رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء الرسول ﷺ وقال ﷺ (٣) اسمح يسمح لك وقال ﷺ (٤) من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفى لفظ آخر أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر رسول الله ﷺ (٥) رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة

جيد وقال ربا بدل حرام (١) حديث من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيدالله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه قال الذهبى هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم فى الباب قبله (٣) حديث اسمح يسمح لك الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفى لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله مسلم باللفظ الثانى من حديث أبى اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر

والشعث فاذا اقام الفقير للاستغفار لايجوز رد استغفاره بحال (روى) عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم (وللصوفية) فى تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة (روى) عبدالله بن عمر قال كنت فى سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف و بؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا المدينة فتبنا فيها ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لنا توبة والا ذهبنا فاتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرارون قال لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم أنا فئة المسلمين يقال عكر الرجل اذا ولى ثم كر راجعا والعكار العطاف والرجاع قال فاتيناه حتى قبلنا يده وروى ان أبا عبيد

اليه وقبلت يده فهذا رخصة فى جواز تقبيل اليد ولكن أدب الصوفى أنه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يمتنع من ذلك فان سلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم الى الالفة بعد الوحشية وقدومهم من سفر الهجرة بالتفرقة الى أوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا و بعدوا و بغيبة النفس والاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر الى أخيه ولم يقبله فقد أخطأ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وعيد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعتذر اليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس (وروى) جابر أيضا عن

فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفى لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له وقال ﷺ (١) من أقرض دينارا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه فى كل يوم وقال ﷺ (٢) رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة فقيل فى معناه ان الصدقة تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر النبى ﷺ الى رجل يلازم رجلا بدين (٣) فأومأ الى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه وكل من باع شيأ وترك ثمنه فى الحال ولم يرهق الى طلبه فهو فى معنى المقرض وروى أن الحسن البصرى باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشترى اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتى درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفى الخبر (٤) خذ حقك فى كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا (الرابع) فى توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشى الى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى اليه يتقاضاه فقد قال ﷺ (٥) خيركم أحسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال ﷺ (٦) من ادّان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه و يدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله ﷺ اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهمّ به أصحابه فقال (٧) دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان أن يكون الميل الاكثر للمتوسطين الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغى أن تكون الاعانة للمشترى أكثر فان البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها والمشترى محتاج اليها هذا هو الاحسن الا أن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته فى منعه عن تعديه واعانة صاحبه اذ قال ﷺ (٨) انصر أخاك

رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى سامحوا الموسر الحديث مسلم من حديث أبى مسعود الانصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (١) حديث من أقرض دينا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر معسرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله فى كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانى عشرة ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف (٣) حديث أومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٤) حديث خذ حقك فى عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبى هريرة باسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٥) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه و يدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفى رواية لم يزل معه من الله حارس وفى رواية للطبرانى فى الأوسط الا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٧) حديث دعوه فان لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبى هريرة (٨) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس

أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك إياه من الظلم نصرة له ﴿ الخامس ﴾ أن يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال ﷺ (١) من أقال نادما صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة أو كما قال ﴿ السادس ﴾ أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول أحتاج الى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان يسر لك فاقض والا فأنت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محي لهذه السنة و بالجملة التجارة محك الرجال و بها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * أو ازار فوق كعب الساق منه رفعه

أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه * ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه

ولذلك قيل اذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا و يرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك

﴿ الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه و يعم آخرته ﴾

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه اليه في العاجل وأحوج شئ اليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته انه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور ﴿ الأوّل ﴾ حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة ﴿ الثاني ﴾ أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ

(١) حديث من أقال نادما صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

﴿ الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه ﴾

روي ان كعب بن مالك قال للنبي ﷺ ان من توبتي أن أنخلع من مالي كله وأهجر دار قومي التي فيها أتيت الذنب فقال له النبي عليه الصلاة والسلام يجزيك من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمناقرة وكل قصدهم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كما أن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق اذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو مما يطلب لسكانه بالدروزة أن يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب والا اذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعنيه عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجد والاجتهاد فلا ينبغي له أن يأكل من مال الرباط بل يكتسب و يأكل من كسبه

(١) اختلاف أمتي رحمة أي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ماهي مهمة ومنها مايستغنى عنها لرجوعها الى طلب النعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ماتزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فأما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وان كنا لانوجب الزكاة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لايلحقها بالحلي المباح مالم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره أن يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لايتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر الى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لامحالة وحاوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الرباعسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لايقصد أعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير (٢) الا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهي عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويصوغ واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب مامن تجارة أحب الى من البز مالم يكن فيها أيمان وقد روى (٣) خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر (٤) لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ماصنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لاتكتب الامواسطة واستبق الحواشي وظهور الأجزاء وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الاجرة على كل ماهو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وان حكم بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة وأخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك (الثالث)

بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدي بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ الا بصحة بصيرة ومن جملة مايكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء فيكون ماياً كله في مقابلة خدمته (روى) عن أبي عمرو الزجاجي قال أقمت عند الجنيد مدة فما رآني قط الا وأنا مشتغل بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يوم من الأيام خلا الموضع من الجماعة فقمت ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ ورأى على أثر الغبار فدعالي ورحب بي وقال أحسنت عليك بها ثلاث مرات ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة تقدم في العلم (٢) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الامن بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان (٣) حديث خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز لم أقف له على اسناد وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٤) حديث لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف وروى أبو يعلى والعقيلي في

أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى ـ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ـ وقال الله تعالى ـ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ـ فينبغى أن يجعل أوّل النهار الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أوّل نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون أوّل النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان وأهل الذمة لانهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر (١) ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفيها فى أوّل النهار وفى آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وفى الخبر (٢) تلتقى ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان فى وسط النهار للاولى والعصر فينبغى أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الاولى مع الامام فى أوّل الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت فى أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء فى تفسير قوله تعالى ـ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ـ انهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة ﴿الرابعة﴾ أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه فى السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح فذكر الله فى السوق بين الغافلين أفضل قال ﷺ ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحى بين الأموات وفى لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال ﷺ (٣) من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وكان ابن عمر وسالم ابن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله فى السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضى الله عنه اذا دخل السوق قال اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم انى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغانى كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون فى المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو فى السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه وانى لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق الى وهمى أنه يعنى نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم فى الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال ﷺ (٤) اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الاحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والاحمق يغدو و

الضعف الشطر الاوّل من حديث أبى بكر الصديق (١) حديث ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفى أوّل النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث يلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الغداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث تقدم فى الأذكار (٤) حديث اتق الله حيثما كنت الترمذى من حديث أبى ذر وصححه

وحظ من الخدمة (روى) أبو محذورة قال جعل رسول الله ﷺ لنا الاذان والسقاية لبنى هاشم والحجابة لبنى عبد الدار وبهذا يقتدى مشايخ الصوفية فى تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر فى ترك نوع من الخدمة الا كامل الشغل بوقته ولا نعنى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعنى به دوام الرعاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتا وبالقلب دون القالب وقتا وتفقد الزيادة من النقصان فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدى شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفى البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر اجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت على بن عبد الحميد الغضائرى يقول سمعت

ويروح فى لاش والعاقل عن عيوب نفسه فتاش ﴿الخامس﴾ أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج و بأن يركب البحر فى التجارة فهما مكروهان يقال ان من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق وفى الخبر (١) لا يركب البحر الا لحج أو عمرة أو غزو وكان عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن أول داخل فى السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ روى عن معاذ بن جبل وعبدالله بن عمر أن ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفى الخبر (٢) شر البقاع الاسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز فى سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن أدهم رحمه الله أمر اليوم أعمل فى الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لى دانقا عند البقال فقال عز على بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل فى الأسبوع الا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به ﴿السادس﴾ أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتى قلبه فاذا وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف والا أكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله ﷺ (٣) لبن فقال من أين لكم هذا فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى (٤) أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل النبى ﷺ عن أصل الشئ وأصل أصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فانه كان عليه السلام (٥) لا يسأل عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب أن ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لانه معين بذلك على الظلم * وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور قال فوقع فى نفسى من ذلك شئ وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الامير الذى تولى فى محلته من الظلمة قال فسألت سفيان رضى الله عنه فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور فى سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصى الله وقد جاء فى الخبر (٦) من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وفى الحديث

(١) حديث لا تركب البحر الا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبدالله بن عمرو وقيل انه منقطع (٢) حديث شر البقاع الاسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث فى الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم فى كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع الى الله الاسواق وأبغض أهلها الى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٣) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الانبياء أمرنا أن لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبرانى من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف (٤) حديث ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٥) حديث كان لا يسأل عن كل ما يحمل اليه أحمد من حديث جابر ان رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن أهلها الحديث وله من حديث أبى هريرة كان اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث واسنادهما جيد وفى هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٦) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله

الرباط ولا يعذر الشاب هذا فى شرط طريق القوم على الاطلاق فأما من حيث فتوى الشرع فان كان شرط الوقف على المتصوفة وعلى من تزيا بزى المتصوفة ولبس خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى وفى ذلك القناعة بالرخصة دون العزيمة التى هى شغل أهل الارادة وان كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا وحالا فلا يجوز أكله لاهل البطالات والراكنين الى تضييع الاوقات وطرق أهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الفريابى قال حدثنا محمد بن الحسين البلخى ان

(١) ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفى حديث آخر (٢) من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام ودخل سفيان على المهدى وبيده درج أبيض فقال ياسفيان أعطنى الدواة حتى أكتب فقال أخبرنى أى شئ تكتب فان كان حقا أعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولنى الكتاب أولا حتى أنظر مافيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغى أن يجتنبها ذوو الدين ماوجدوا اليه سبيلا وبالجملة فينبغى أن ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لايعامل وليكن من يعامله أقل ممن لايعامله فى هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لاتعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا أيضا وكانه قد كان الذى كان يحذر أن يكون انا لله وانا اليه راجعون ﴿السابع﴾ ينبغى أن يراقب جميع مجارى معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعلة وقولة انه لم أقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيأ وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار فى النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته فى الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من أول معاملته الى آخرها فهذا ما على المكتسب فى عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان أضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر فى الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب * تم كتاب آداب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنه

﴿كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى خلق الانسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته فى أحسن تقويم وأتم اعتدال ثم غذاه فى أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لايبذرقه الى أعماق العروق الا الشهوة المائلة الى الغلبة والاسترسال فبقى لما لازمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فقد قال ﷺ (٣) طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضى الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية

فى أرضه لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب فى آفات اللسان (١) حديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت وابن عدى فى الكامل وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن بسر باسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى كلها موضوعة

﴿كتاب الحلال والحرام﴾

﴿الباب الأول فى فضيلة طلب الحلال﴾

(٣) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم فى الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبرانى فى

بسمرقند قال حدثنا عبدالله بن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبى أيوب الخزاعى قال حدثنا عبدالله بن الوليد عن أبى سليمان الليثى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ انه قال مثل المؤمن كمثل الفرس فى آخيته يجول ويرجع الى آخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين

﴿الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والمقام﴾

اختلاف أحوال مشايخ الصوفية فنهم من سافر فى بدايته وأقام فى نهايته ومنهم من أقام فى بدايته وسافر فى نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الاقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذى سافر فى بدايته وأقام فى نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شئ من العلم قال رسول الله ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لوسافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة

علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول اليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت فى الموات وماعداه فقد أخبثته الأيدى العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين و بينهما أمور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم فى الدين ضررها واستطار فى الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك فى سبعة أبواب ﴿ الباب الأول ﴾ فى فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام ﴿ الباب الثانى ﴾ فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ﴿ الباب الثالث ﴾ فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها فى الحلال والحرام ﴿ الباب الرابع ﴾ فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية ﴿ الباب الخامس ﴾ فى ادرارات السلاطين وصلاتهم ومايحل منها ومايحرم ﴿ الباب السادس ﴾ فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم ﴿ الباب السابع ﴾ فى مسائل متفرقة

﴿ الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام و بيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه ﴾

﴿ فضيلة الحلال ومذمة الحرام ﴾

قال الله تعالى ـ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ـ أمر بالا كل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى ـ ولا تأ كلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ وقال تعالى ـ إن الذين يأ كلون أموال اليتامى ظلما ـ الآية وقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين ـ ثم قال ـ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ـ ثم قال ـ وان تبتم فلكم رؤس أموالكم ـ ثم قال ـ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ جعل آ كل الربا أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله وفى آخره متعرضا للنار والآيات الواردة فى الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال ﷺ [(١)] طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال ﷺ [(٢)] من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء وقال ﷺ [(٣)] من أ كل الحلال أر بعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفى رواية زهده الله فى الدنيا وروى أن سعدا سأل رسول الله ﷺ [(٤)] أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر ﷺ الحريص على الدنيا قال [(٥)] رب أشعث أغبر مشرد فى الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع

الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم واسناده ضعيف (١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم فى العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا فى عفاف كان فى درجة الشهداء الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هر يرة من سعى على عياله ففى سبيل الله ولأبى منصور فى مسند الفردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين واسنادهما ضعيف (٣) حديث من أ كل الحلال أر بعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب من أخلص الله أر بعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى وقال حديث منكر (٤) حديث ان سعدا سأل النبى ﷺ ان يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث مشرد فى الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام

يحدث به عن رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع (وقيل) فى تفسير قوله تعالى السائحون انهم طلاب العلم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروى قال أنا أبو نصر التر ياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس المحبو بى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبى هرون قال كنا نأتى أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ ان النبى عليه السلام قال ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوابهم خيرا وقال عليه السلام طلب

يديه فيقول يارب يارب فأنى يستجاب لذلك وفى حديث ابن عباس عن النبي ﷺ (١) ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال ﷺ (٢) من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شئ وقال ﷺ (٣) كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وقال ﷺ (٤) من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار وقال ﷺ (٥) العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال روى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة أيضا وقال ﷺ (٦) من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض وقال ﷺ (٧) من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار وقال عليه السلام (٨) خير دينكم الورع وقال ﷺ (٩) من لقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال فى بعض كتبه وأما الورعون فأنا أستحى أن أحاسبهم وقال ﷺ (١٠) درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الاسلام وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه (١١) المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوى استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع * وقال الله عز وجل أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله الآية وفى الحديث (١٢) من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار فى كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال

الحديث مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (١) حديث ابن عباس ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٢) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شئ أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٣) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذى من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم (٤) حديث من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربى فى عارضة الاحوذى شرح الترمذى انه باطل لم يصح ولا يصح (٥) حديث العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها فى طلب الحلال أبو منصور الديلمى من حديث أنس الا انه قال تسعة منها فى الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٦) حديث من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له وفيه ضعف (٧) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار أبو داود فى المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلا (٨) حديث خير دينكم الورع تقدم فى العلم (٩) حديث من لقى الله ورعا أعطاه ثواب الاسلام كله لم أقف له على أصل (١٠) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية فى الاسلام أحمد والدارقطنى من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعا وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (١١) حديث أبى هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة الحديث الطبرانى فى الأوسط والعقيلى فى الضعفاء وقال باطل لا أصل له (١٢) حديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبى هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه

أنه من سلك مسلكا فى طلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة * ومن جملة مقاصدهم فى البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين فالمريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال (وقد قيل) من لاينفعك لحظه لاينفعك لفظه وهذا القول فيه وجهان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة

نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع في قلبه محبة الصادق من المريدين و ينظر اليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثارا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا نظر الى انسان يهلكه بنظره أن يجعل في نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر الى طالب صادق يكسبه حالا وحياة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف في مسجد الخيف بمنى و يتصفح وجوه الناس فقيل له في ذلك فقال لله عبادا اذا نظروا الى شخص أكسبوه سعادة

﴿وأما الآثار﴾ فقد ورد أن الصديق رضي الله عنه (١) شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الأخبار أنه ﷺ أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه الاطيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطا فأدخل أصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما أدرك من أدرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله الا أن مفتاحها الدعاء وأسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه أربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى ـ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ـ وقال ابن المبارك ردّ درهم من شبهة أحب الي من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ الى ستمائة ألف وقال بعض السلف ان العبد يأكل أكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود الى حاله أبدا وقال سهل رضي الله عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر * وروي في آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق فان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار المشهورة عن علي عليه السلام وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب * وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لا نأكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا و يدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدل هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب الي من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره أحمد اذ سمعه يقول اني لا أسأل أحدا شيأ ولو أعطاني الشيطان شيأ لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت ان الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله وعن علي رضي الله عنه أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع الفضيل ابن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام الي الا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال له ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال

(١) حديث ان أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه

ابن المبارك ما أردت الا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله علي أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن قال فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين فقيل له من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات

﴿ أصناف الحلال ومداخله ﴾

اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه و يستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها فاما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلنا في كتب الفقه ونحن الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال انما يحرم اما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه

﴿ القسم الأول ﴾

الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الأعيان المأكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة أقسام فانها اما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما أو من النبات أو من الحيوانات أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله الا من حيث انه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم أكله والطين الذي يعتاد أكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انه لا يحرم مع انه لا يؤكل انه لو وقع شئ منها في مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرما وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة وأما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والخل والجبن فان الاحتراز منهما غير ممكن فاما اذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره فان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح أنها لا تنجس بالموت اذ أمر رسول الله ﷺ (١) بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة أو ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر هو جرمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح أن الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان أكله محرم احتراما لا استقذارا وأما الحيوانات المأكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضي بنجاسته منها

وجعل يتقيء وفي بعض الاخبار أنه ﷺ لما أخبر بذلك قال أوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا البخاري من حديث عائشة كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشئ فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فذكره دون المرفوع منه فلم أجده (١) حديث الامر بأن يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة

والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الألاف والخلان والاهل والاوطان فمن صبر على تلك المألوفات محتسبا عند الله أجرا فقد حاز فضلا عظيما أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ المقدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد ابن أحمد الفقيه الاصفهاني قال أنا أبو اسحق ابراهيم ابن عبدالله بن خرشيد قوله قال حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس ابن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثني يحيى بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده الى منقطع أثره من الجنة

بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شئ محرم نجس الامن الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون مايزيل العقل ولايسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة أوجزء من نجاسة جامدة في مرقة أوطعام أودهن حرم أكل جميعه ولايحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع مايحرم لصفة في ذاته

﴿ القسم الثاني مايحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه ﴾

وفيه يتسع النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره كالارث والذي يكون باختياره إما أن لايكون من مالك كنيل المعادن أو يكون من مالك والذي أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا والمأخوذ قهرا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أولاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيا إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام ﴿ الأوّل ﴾ مايؤخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لايكون المأخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات ﴿ الثاني ﴾ المأخوذ قهرا ممن لاحرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية ﴿ الثالث ﴾ مايؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أوسلطان أومستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا ﴿ الرابع ﴾ مايؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين أعني الايجاب والقبول مع ماتعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة و بيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات ﴿ الخامس ﴾ مايؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث أوغيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات ﴿ السادس ﴾ مايحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا الى جملتها ليعلم المريد أنه ان كانت طعمته متفرقة لامن جهة معينة فلايستغنى عن علم هذه الامور فكل مايأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستفتى فيه أهل العلم ولايقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

﴿ درجات الحلال والحرام ﴾

اعلم ان الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر و بعضها حار في الثانية كالفانيذ و بعضها حار في الثالثة كالدبس و بعضها حار في الرابعة كالعسل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى و بعضه في الثانية أوالثالثة أوالرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجات صفائه وطيبه

حقائق ذلك بغير السفر وسمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق واذا وقف على دائه يتشمر لدوائه وقد يكون أثر السفر في نفس المبتدي كأثر النوافل من الصلاة والصوم والتهجد وغير ذلك وذلك ان المتنفل سائح سائر الى الله تعالى من أوطان الغفلات الى محل القربات والمسافر يقطع المسافات و يتقلب في المفاوز والفلوات بحسن النية لله تعالى سائرا الى الله تعالى بمراغمة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا * أخبرنا شيخنا اجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك

فلنقتد بأهل الطب فى الاصطلاح على أربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فان من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات * ورع العدول وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء * الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو فى الدرجة الثانية * الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ولكن يخاف منه أداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم (١) لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس * الرابعة ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى الى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق الى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى أن نفصلها بالامثلة والشواهد * وأما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الاولى وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة واطراح سمة الفسق فهو أيضا على درجات فى الخبث فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب أغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب وايذاء الغير وليس فى المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده فى بعض المناهى على ما سيأتى فى كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لا ينبغى ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره فى ثلاث درجات أو أربعة فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهى وهو طلب حصر فيما لا حاصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ما سيأتى فى تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذا على بعض

﴿ أمثلة الدرجات الاربع فى الورع وشواهدها ﴾

﴿ أما الدرجة الاولى ﴾ وهى ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل فى المداخل الستة التى ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذى نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج الى أمثلة وشواهد ﴿ وأما الدرجة الثانية ﴾ فامثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى فى باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من انسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب احتنابها ولا يجب وهو الذى ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (٢) دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (٣) كل ما أصميت ودع ما أنميت والانماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذى نختاره كما سيأتى ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريبك أمر تنزيه اذ ورد فى بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم (٢) حديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على (٣) حديث كل ما أصميت ودع ما أنميت الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس والبيهقى موقوفا عليه وقال ان المرفوع ضعيف

يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية كالجلد يعود من هيئة الجلود الى هيئة الثياب فتعود النفس من طبيعة الطغيان الى طبيعة الايمان * ومن جملة المقاصد فى السفر رؤية الآثار والعبر وتسريح النظر فى مسارح الفكر ومطالعة أجزاء الارض والجبال ومواطئ أقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق

وقد كان السرى يقول للصوفية اذا خرج الشتاء ودخل آذار وأورقت الاشجار طاب الانتشار * ومن جملة المقاصد

صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم فى الكلب المعلم وان أكل فلا تأكل فانى أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لا لاجل الخوف اذ قال لابى ثعلبة الخشنى (١) كل منه فقال وان أكل منه فقال وان أكل وذلك لان حال أبى ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدى كان يحتمله * يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لانه حاك فى قلبه شئ مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة ذكرها فى التعرض لدرجات الشبهة فكل ماهو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة ﴿ أما الدرجة الثالثة﴾ وهى ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس وقال عمر رضى الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة ان نقع فى الحرام وقيل ان هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال أبو الدرداء ان من تمام التقوى أن يتقى العبد فى مثقال ذرة حتى يترك بعض مايرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه و بين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل مايستوفيه يأخذه بنقصان حبة ومايعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فان ذلك حلال فى الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر الى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع فمن ذلك ماروى عن على بن معبد أنه قال كنت ساكنا فى بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لاتربه وأجففه ثم قلت الحائط ليس لى فقالت لى نفسى وماقدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتى فلما نمت فاذا أنا بشخص واقف يقول ياعلى بن معبد سيعلم غدا الذى يقول وماقدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فان للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به ان يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ماروى أن عمر رضى الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع منه الا بريحه لما استبعد ذلك منه وأخذ الحسن رضى الله عنه (٢) تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم كخ كخ أى ألقها ومن ذلك ماروى بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال أطفؤا السراج فقد حدث للورثة حق فى الدهن وروى سليمان التيمى عن نعيمة العطارة قالت كان عمر رضى الله عنه يدفع الى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتبيعه فباعتنى طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شئ منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضى الله عنه فقال ماهذه الرائحة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه فى التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه فى التراب و يشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شئ بأصبعها فأدخلت أصبعها فى فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضى الله عنه ورع التقوى لخوف أداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الامر الى غيره ومن ذلك ماسئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون فى المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين و يبخر المسجد بالعود فقال ينبغى أن يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برائحته وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذى يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدرى أنه يتسامح به أم لا وسئل أحمد بن

---

(١) حديث قال لأبى ثعلبة كل منه فقال وان أكل قال وان أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبى ثعلبة أيضا مختصرا واسنادهما جيد والبيهقى موقوفا عليه وقال ان المرفوع ضعيف (٢) حديث أخذ الحسن بن على تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ ألقها البخارى من حديث أبى هريرة

بالسفر ايثار الخمول واطراح حظ القبول فصدق الصادق يتم على أحسن الحال و يرزق من الخلق حسن الاقبال وقلما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص ذو قلب عامر الا و يرزق اقبال الخلق حتى سمعت بعض المشايخ يحكى عن بعضهم أنه قال أريد اقبال الخلق على لا لانى أبلغ نفسى حظها من الهوى فانى لا أبالى أقبلوا أو أدبروا ولكن لكون اقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المريد بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون الى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول فى الاسباب المحمودة وتريه فيه وجه المصلحة والفضيلة فى خدمة عباد الله وبذل الموجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه الى السكون الى الاسباب واستحلاء قبول الخلق و ربما قويا عليه

حنبل

حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان تدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن ان كان للطين فارجو وأما من أراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها و يطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يفضي إليه وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر يدعو الى النظر والنظر يدعو الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص و يدعو الى طلب مثله و يلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الارض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي ﷺ أنه سئل (١) أن يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شئ مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله ﷺ فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه الى معصية البتة

﴿أما الدرجة الرابعة﴾ وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه أو يستعان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى ابن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو تمشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الاقدام عليها وعن سرى رحمه الله أنه قال انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي ان كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي أوصلتك الى هذا الموضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذي النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فبعثت اليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي أوصلت الطعام الى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رحمه الله كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد أعطوا الاجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه أفسدته اذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظالم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق الحج لم يشرب من

(١) حديث انه سئل أن يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى الدارقطني في الافراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب

جزاء الى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع * وسمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت الى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق اذا ابتلى بشئ من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر فيفارق المعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الاسفار للصادقين فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس * وقد نقل أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا الى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا الى المدينة من الغد * ثم اذا من الله على الصادق بأحكام أمور بداية قلبه في الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه

المصانع التى عملتها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقى محفوظا بالمصنع الذى عمل به بمال حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكنه وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط فى المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد وسئل عن المغازلى يجلس فى قبة فى المقابر فى وقت يخاف من المطر فقال انما هى من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه جمر من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله فى مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل اليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه و بينهما درجات فى الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن تترجح كفة سيآته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيار فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام

﴿ الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) الحلال بين والحرام بين و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فهذا الحديث نص فى اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول ﴿ الحلال المطلق ﴾ هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه وانحل عن أسبابه ما تطرق اليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذى يأخذه الانسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء فى ملك نفسه أو فى أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة فى الخمر والنجاسة فى البول أو حصل بسبب منهى عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران و يلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه فى يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه فى معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى تلتحق به أمثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة فى أذن السمكة أو كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط و يحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم فى نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج و يقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب

﴿ الباب الثانى فى مراتب الشبهات ﴾

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير

من العلم قدر حاجته باستنشاق عرف معارف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دفائن أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه و يمده بجزيل إنعامه و يجعله اماما للمتقين به يقتدى وعلما للمؤمنين به يهتدى * وأما الذى أقام فى بدايته وسافر فى نهايته يكون ذلك شخصا يسر الله له فى بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق و يدرجه الى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته و يلتزم بصحبة من يرده

لهلايثبت عقده فى النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكا ولهذانقول من شك أنه صلى ثلاثا أوأربعا أخذبالثلاث اذالاصل عدم الزيادة ولوسئل انسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بعشرسنين كانت ثلاثا أوأربعا لم يتحقق قطعا أنها أربعة واذالم يقطع جوزأن تكون ثلاثة وهذا التجويز لايكون شكا اذلم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثا فلتفهم حقيقة الشك حتى لايشتبه الوهم والتجويز بغيرسبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق و يلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وان أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن فى يده طعام لمورثه الذى لاوارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقدانتقل الملك الى فأكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لامستندله فلاينبغى أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وانما الشبهة نعنى بها مااشتبه علينا أمره بأن تعارض لنافيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين * ومثارات الشبهة خمسة

﴿ المثار الأول الشك فى السبب المحلل والمحرم ﴾

وذلك لايخلو اما أن يكون متعادلا أوغلب أحد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولايترك بالشك وان غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالامثال والشواهد فلنقسمه الى أقسام أربعة ﴿ القسم الأول ﴾ أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها و يحرم الاقدام عليها ﴿ مثاله ﴾ أن يرمى الى صيد فيجرحه و يقع فى الماء فيصادفه ميتا ولايدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الااذامات بطريق معين وقدوقع الشك فى الطريق فلايترك اليقين بالشك كما فى الاحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله ﷺ (١) لعدى بن حاتم لاتأكله فلعله قتله غير كلبك فلذلك كان ﷺ (٢) اذا أتى بشئ اشتبه عليه انه صدقة أوهدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو وروى أنه ﷺ (٣) أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة وفى رواية فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة ومن ذلك ماروى عن بعضهم أنه قال (٤) كنا فى سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثيرا لضباب فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسول الله ﷺ أمة مسخت من بنى اسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه (٥) لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه أولا لان الأصل عدم الحل وشك فى كون الذبح محللا ﴿ القسم الثانى ﴾ أن يعرف الحل و يشك فى المحرم فالأصل الحل وله الحكم كما اذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما ان كان هذا غرابا فامرأتى طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلايقضى بالتحريم فى واحدة منهما ولايلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الازواج وقد أمر مكحول بالاجتناب فى هذه المسئلة وأفتى الشعبى بالاجتناب فى رجلين كانا قدتنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسدنا زوجته طالق ثلاثا فقال الآخر نعم وأشكل الامر وهذا ان أرادبه اجتناب الورع فصحيح وان أراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت فى المياه والنجاسات والاحداث والصلوات أن اليقين لايجب تركه بالشك وهذا

---

(١) حديث لاتأكله فلعله قتله غير كلبك قاله لعدى بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان اذا أتى بشئ اشتبه عليه انه صدقة أوهبة يسأل عنه البخارى من حديث أبى هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت تمرة فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن (٤) حديث كنا فى سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلى بها اذ قال رسول الله ﷺ أمة من بنى اسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقى من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخارى وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسخ الله خلقا

عن عادته وقدكان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة غير الله فحرام عليك ان تحضرنى فمن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها * أخبرنا رضى الدين أبوالخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى عن والده الاستاذ أبى القاسم قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عياش بن أبى الصخر يقول سمعت أبا بكر الزقاق يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ عشرين سنة فمن رزق صحبة من يندبه الى مثل هذه الاحوال السنية والعزائم القوية يحرم عليه المفارقة واختيار السفر ثم اذا أحكم أمره فى الابتداء بلزوم الصحبة وحسن

في معناه * فان قلت وأي مناسبة بين هذا و بين ذلك فاعلم أنه لايحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جازله أن يتوضأ به فكيف لايجوزله أن يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لايزال بالشك الا أن ههنا دقيقة وهو أن وزان الماء أن يشك في انه طلق زوجته أم لا فيقال الاصل أنه ماطلق ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الاناءين و يشتبه عينه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف أصحاب الشافعي في الاناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولايغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلاجرم لايجوزله غشيانهما بالاستصحاب ولايجوز الاجتهاد اذ لاعلامة ونحرمهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احداهما وقال أقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه * فان قيل فلو كان الاناآن لشخصين فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد و يتوضأ كل واحد باناءه لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لاتستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه فلايتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فانه لايحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولسنا نقصد الآن الا التنبيه على قواعدها { القسم الثالث } أن يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه أنه يحل واجتنابه من الورع (مثاله) أن يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أوجراحة أخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار أنه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلايدفع اليقين بالشك * فان قيل فقد قال ابن عباس كل ما أصميت ودع ما أنميت وروت عائشة رضي الله عنها ان رجلا أتى النبي ﷺ (١) بأرنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال أصميت أو أنميت فقال بل أنميت قال ان الليل خلق من خلق الله لايقدر قدره الا الذي خلقه فلعله أعان على قتله شئ وكذلك قال ﷺ (٢) لعدي ابن حاتم في كلبه المعلم وان أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه والغالب أن الكلب المعلم لايسيء خلقه ولايمسك الاعلى صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه

فجعل له نسلا مسلم من حديث ابن مسعود (١) حديث عائشة ان رجلا أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال أصميت أو أنميت قال بل أنميت قال ان الليل خلق من خلق الله لايقدر قدره الا الذي خلقه لعله أعان على قتله شئ ليس هذا من حديث عائشة وانما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل الى النبي ﷺ بصيد فقال اني رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله أعانك عليها شئ رواه أبو داود في المراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٢) حديث قال لعدي في كلبه المعلم وان أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون

الاقتداء وارتوى من الاحوال و بلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين من الاخوان في أقطار الارض وشاسع البلدان يشرئب الى التلاق و ينبعث الى الطواف في الآفاق يسيره الله تعالى في البلاد لفائدة العباد و يستخرج بمغناطيس حاله خبء أهل الصدق والمتطلعين الى من يخبر عن الحق و يبذر في أراضي القلوب بذر الفلاح و يكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الامة الهادية في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه تعود بركة البعض على البعض وتسري الاحوال من البعض الى البعض و يكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا { أخبرنا } شيخنا قال أنا الامام عبدالجبار البيهقي في كتابه قال ان

ان موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما طرأ عليه فالجواب أن نهي ابن عباس ونهي رسول الله ﷺ محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال (١) كل منه وان غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد أثرا آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن وان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها وأما قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله ﷺ أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على انه نازل منزلة آلته وانه يسعى في وكالته ونيابته ودل أكله آخرا على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا أن بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين انه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث ﴿القسم الرابع﴾ أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن (ومثاله) أن يؤدي اجتهاده الى نجاسة أحد الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتا حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في الغدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ماذكرناه وهذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشئ فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشئ فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في ان أصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني المشركين ومدمن الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع أعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه اذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فاذا ما أخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أختاره أن الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو ظن وحكم حرام شك في

انما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه (١) حديث كل منه وان غاب عنك مالم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق

أنا أبو بكر البيهقي قال أنا أبو علي الروذباري قال ثنا أبو بكر بن داسه قال ثنا أبو داود قال أنا يحيى بن أيوب قال ثنا اسمعيل بن جعفر قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ فامامن أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا رباه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بعنايته ﴿وقد ورد﴾ جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته الى من ينتفع به ساق اليه بعض الصديقين حتى أيده بلطفه ولفظه وتداركه بلحظه ولقحه بقوة حاله وكفاه يسير الصحبة لكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب واجراء

طريان محلل عليه أوظن و بان الفرق بين ظن يستند الى علامة فى عين الشئ و بين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا فى هذه الاقسام الأربعة بحله فهو حلال فى الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما ألحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا

﴿ المثار الثانى للشبهة شك منشؤه الاختلاط ﴾

وذلك بان يختلط الحرام بالحلال و يشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات أو يكون اختلاط استبهام مع التميز للاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذى يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام ﴿ القسم الاول ﴾ أن تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بمذكاة أو بعشر مذكيات أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة أو يتزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات فى هذا واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشئ الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق فى هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على احدى زوجتين فى مسئلة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل فى طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر أغلب فى نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى ﴿ القسم الثانى ﴾ حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه أن يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الاسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما فى الدين من حرج و يعلم هذا بأنه لما سرق فى زمان رسول الله ﷺ مجن (١) وغل (٢) واحد فى الغنيمة عباءة لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء فى الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف (٣) ان فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية و بالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى وهو محال واذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط أيضا فى بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الاعصار (فان قلت) فكل عدد محصور فى علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا ان تمكن منه * فاعلم ان تحديد أمثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب (فنقول) كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور و بين الطرفين أوساط

عليه من حديث عدى بن حاتم (١) حديث سرقة المجن فى زمان رسول الله ﷺ متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الغنائم عباءة للبخارى من حديث عبد الله بن عمرو واسم الغال كركرة (٣) حديث ان فى الناس من كان يربى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم بالكلية هذا معروف وسيأتى حديث

اليسير من الصحبة عن اللحظ الكثير و يكتفى بوافر حظ الاستبصار عن الاسفار و يتعوض باشعة الانوار عن مطالعة الغبر والآثار كما قال بعضهم الناس يقولون افتحوا أعينكم وأبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم وأبصروا ﴿ وسمعت ﴾ بعض الصالحين يقول لله عباد طور سيناهم ركبهم تكون رؤسهم على ركبهم وهم فى محال القرب فمن نبع له معين الحياة فى ظلمة خلوته فماذا يصنع بدخول الظلمات ومن اندرجت له أطباق السموات فى طى شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه فى السموات ومن جمعت احداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طى الفلوات ومن خلص بخاصية فطرته الى مجمع الارواح ماذا تفيده زيارة الاشباح

متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وماوقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله ﷺ لوابصة (١) استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وكذا الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي أن يستفتي قلبه فان حاك في صدره شئ فهو الآثم بينه و بين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر (القسم الثالث) أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شئ بعينه احتمل أنه حرام وانه حلال الا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها و يدل عليه الاثر والقياس فاما الاثر فاعلم في زمن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى ﷺ عن الربا اذ قال أول ربا (٢) أضعه ربا العباس ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روى أن بعض أصحاب النبي ﷺ باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال ﷺ (٣) ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها (٤) وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها وكذلك أدرك أصحاب رسول الله ﷺ الامراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالأم في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم * وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس و يتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود و يؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم أنه ﷺ امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل هذا معلوم في زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا فأقول ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن

جابر بعده بحديثين وهو يدل على ذلك (١) حديث استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك قاله لوابصة تقدم (٢) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٣) حديث ان فلانا في النار يجر عباءة قد غلها البخاري من حديث عبدالله بن عمرو تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٤) حديث قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني

(قيل) أرسل ذوالنون المصري الى أبي يزيد رجلا وقال قل له الى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذوالنون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا (وكان) بشر يقول يامعشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مكثه في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر بحرا حتى لا تتغير فاذا أدام المريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمّارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتها و بدل أخلاقها المذمومة بالمحمودة وعانق الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد في حضره أكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل يتجدد الضعف عن سياستها بالعلم للضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه الا الاقوياء

الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ماليس بنادر فهو الأكثر و يتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر (ومثاله) ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا أضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لان مستند هذا القائل اما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الايدى التى تكررت من أول الاسلام الى زماننا هذا على أصول الاموال الموجودة اليوم * أما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا أضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك اقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم فى المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول فى السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل * وأما المستند الثانى وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى أيضا كثيرة وليست بالاكثر اذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذى يعامل بالربا أوغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا أن يطلب الانسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة * وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهى تلد فى كل سنة فيكون عدد أصولها الى زمان رسول الله ﷺ قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق الى أصل من تلك الاصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا الى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك الى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهى أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهى فى أيدى الظلمة مثل المعادن فى أيديهم يمنعون الناس منها و يلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق اليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب فى دار الضرب ولا بعده فى معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر الى أن يشترى به الحبوب والحيوانات التى لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذى نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل فى هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضى عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهى هذا محل القولين للشافعى رضى الله عنه فى حكم النجاسات والصحيح عندنا انه

الاخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه فاذا حفظ الله عبده فى بداية أمره من تشويش السفر ومتعه بجمع الهم وحسن الاقبال فى الحضر وساق اليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد أحسن اليه ﴿قيل﴾ فى تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب هو الرجل المنقطع الى الله يشكل عليه شئ من أمر الدين فيبعث الله اليه من يحل اشكاله فاذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو فى المقام من غير سفر ثمرات النهاية فيستقر فى الحضر انتهاء وابتداء وأقيم فى هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذى أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله فى ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد

أنه تجو ز الصلاة في الشوارع اذا لم يجد فيها نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من أواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله ﷺ من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعلم انهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ولا ينبغي أن نظن ان الاعصار او الامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين فأما الظن الغالب الذي يستثار من رد الدراهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع اذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة * فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها * قلنا ان أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لان أمر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه * وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه على أنا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من أن الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى أصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالاضافة الى غيره أقل ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال أن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فانها مخلاة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين

ولا تموت الابين منزلين * وكان من هذه الطبقة ابراهيم الخوّاص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى ان أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله فكان علم الناس ومعرفتهم اياه يراه سببا ومعلوما (وحكى) عنه أنه قال مكثت في البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسي ان آكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه ثم التفت فاذا هو رجع عني فقيل لم هربت منه قال تشوفت نفسي أن يغيثني فهؤلاء الفرارون بدينهم (أخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله بن يوسف بن نامويه قال ثنا أبو محمد الزهري القاضي قال ثنا محمد بن عبد الله ابن أسباط قال ثنا أبو نعيم قال ثنا محمد يعني ابن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله ﷺ

معدنا فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة فى اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل فى ملك المستقى له واستحق الأجرة فكذلك النيل فاذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب الا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة فى ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك أو النقد الردىء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه اليهم الا شيأ قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار أقل لا محالة نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بان يأخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الاكثر فهذه أغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذى نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها بل أزيد (وأقول) لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق فى الدنيا لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فهما حرم الكل حل الكل وبرهانه أنه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة * أحدها أن يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم * الثانى أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياما الى الموت * الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة * الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة * الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثانى فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفى خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الايدى بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا أيضا محتاجون وان كان الذى أخذته فى حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى نراعى وكيف يضبط وهذا يؤدى الى بطلان سياسة الشرع واغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضى فللتراضى أيضا منهاج فى الشرع تتعلق به المصالح فان لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضى وتعطل تفصيله * وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدى فهو الذى نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة ولا لادخاله فى فتوى العامة لان أيدى الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة فى أيدى الناس وكذا أيدى السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له الا فى قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى الا أن يجب على

كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الأحوال فمن سافر ينبغى أن يتفقد حاله ويصحح نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوائب النفس الا كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد فى الدنيا ومن انطوى على هوى كامن ولم يستقص فى الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعوه الى السفر نشاط جبلى نفسانى وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص فى علم صحة النية الى العلم بمعرفة الخواطر وشرح الخواطر وعلمها يحتاج الى باب مفرد لنفسه ونومئ الآن الى ذلك برمز يدركه من

على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك و يستوعب بها أهل الحاجة و يدر على الكل الاموال يوما فيوما أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال * أما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا أصبح الناس لا يملكون الاقدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الامر و يمهد تفصيل أسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق و يفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق وأعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة اليه فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم و يضلون في دينهم فانه يضل من يشاء و يهدي من يشاء و يميت من يشاء و يحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا ﷺ على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والاموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الاموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا ﷺ عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه انه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنيئة والصناعات الخسيسات لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم و يشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الاقل أو الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فأقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله ﷺ والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول أيضا فبرهانه ثلاثة أمور ﴿الاول﴾ التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا أجري فيما اذا كان الكل حراما كان

للفقير في كثير من الأمور فقد يجد الفقير الروح بالخروج الى بعض الصحاري والبساتين ويكون ذلك الروح مضرا به في ثاني الحال وان كان يتراءى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت أن النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسير يسير هواها بالخروج الى الصحراء والتنزه واذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه مقشوفة الى متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه قرين يستثقله ثم اذا عاد الفقير الى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب

أحرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر أو الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيل من تخيله فى أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك فى أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك فى ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة أو الحاجة أو الى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى أصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الاشخاص ﴿البرهان الثانى﴾ ان يعلل بقياس محرر مردود الى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالاقيسة الجزئية عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ماذكرناه من الامر الكلى الذى هو ضرورة النبى لو بعث فى زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزئى هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التى ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية وأوانى المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احترازعن الاوانى التى يتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احترازعن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية * فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم أن الاصل فى الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم * فنقول الامور التى لا تحرم لصفة فى عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضى كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك فى بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضى بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الامرين * والجواب الثانى ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل ان الشرع ألحقه به اذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك فى يده فالقول أيضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد فى يد انسان فالاصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة ﴿البرهان الثالث﴾ هو ان كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وان كان قطعا فبأن لا يعتبر اذا دل بطريق الظن أولى و بيانه ان ماعلم انه ملك زيد فقد يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا فى العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا فى عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذى يشك فى أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذى يتيقن قطعا أن له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه فى الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه فى ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بأن المصلحة تقتضى ان ينتقل الملك اليه و يحل له فقضينا بموجب المصلحة * فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان * فنقول والسلطان لم يجوّز له التصرف فى ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه الى مهم والصرف الى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد و يترك على أرباب الايدى اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدى الى الضرر الذى ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى ان المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء و يدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى فى مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين فى أعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة فى ملك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك و بين عين الاملاك فى هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر فى امتزاج المائعات والدراهم والعروض فى يد مالك واحد وسيأتى بيانه فى باب تفصيل طريق الخروج

ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذو بانا وخفت واطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستثقلها وعلى هذا يقاس الترويح بالاسفار فللنفس وثبات الى توهم الترويحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر بالترويحات المستعارة التى لا تحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها و يتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيأ ظنه بالنفس وتسويلاتها ومن هذا القبيل والله أعلم قول رسول الله ﷺ ان الشمس تطلع من بين قرنى الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك الوثبات والنهضات من النفس الى المزاج والطبائع و يطول شرح ذلك و يعمق

من

من المظالم

﴿ المثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية ﴾

أما فى قرائنه واما فى لواحقه واما فى سوابقه أو فى عوضه وكانت من المعاصى التى لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل ﴿مثال المعصية فى القرائن﴾ البيع فى وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الأسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة فى غالب الأمر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغى أن يسمى هذا كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة فى الاسامى فعادة الفقهاء التسامح فى الاطلاقات * ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهى الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين و بينهما أوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة فى صيد كلب مغصوب أشد منها فى الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف فى أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد و يليه شبهة البذر المزروع فى الارض المغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الارض فى الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة فى منفعتها بالصيد و يليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب أحد الى تحريم الذبيحة و يليه البيع فى وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو فى ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء و ينجر ذلك الى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من فى ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد فى يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق الى الافهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم * وقد حكى عن بعضهم انه اشترى شيأ من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم فى تقدير المناهى أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن الى حد معلوم فقد قال ﷺ (١) هلك المتنطعون فليحذر من أمثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس فى زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس فى الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين فى الحلال سبق الى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا فتركوا التمييز وهو عين الضلال ﴿وأما مثال اللواحق﴾ فهو كل تصرف يفضى فى سياقه الى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار و بيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان و بيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك وفى حل الثمن المأخوذ منه والاقيس ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصى عصيان الاعانة على المعصية اذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام و يليه فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا أو بيع السيف ممن يغزو و يظلم أيضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف فى وقت الفتنة خيفة ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم فى قواعد العقائد

ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات فيتشكل اهتزاز النفس بنهضات القلب و يدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة يدخل فى مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض قلبه وربما يتراءى له انه بالله يصول و بالله يقول و بالله يتحرك فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها ولا يقع هذا الاشتباه الا لارباب القلوب وأرباب الاحوال وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك فانه عزيز علمه وأقل مراتب الفقراء فى مبادى الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخارة لا تهمل وان تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه المصلحة فى السفر ببيان أوضح من الخاطر فللقوم مراتب فى التبيان من العلم بصحة الخاطر و بما فوق ذلك فى ذلك كله لا تهمل صلاة الاستخارة

والكراهية فيه أخف و يليه ما هو مبالغة و يكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة و يبيعون الطعام من الظلمة ولا يباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى أن لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك و ينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شئ على قصد خير لابد وأن يسرف ان لم يذمه العلم المحقق ور بما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال ﷺ (١) فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و بالجملة لا ينبغي للانسان أن يشتغل بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له و تصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا أعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات

﴿وأما المقدمات﴾ فللطرق المعصية اليها ثلاث درجات * الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي أثره في المتناول كالاكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها ور بما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء و يرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها * فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعتها ابلهما حتى سمنت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتماها في الحمى فقالا نعم فشاطرهما فهذا يدل على انه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما * قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الابل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر أبا هريرة رضي الله عنه اذ رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا ﴿الرتبة الوسطى﴾ ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احتفره الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر ﴿الرتبة الثالثة﴾ وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام و ينجر هذا الى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون و بشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لان صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لان الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تتداعى اليه هذه الامور * واعلم ان كل هذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم

اتباع السنة ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله ﷺ على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو القاسم ابن عبد الرحمن في كتابه ان أبا سعيد الكنجروذي أخبرهم قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال اذا هم أحدكم بالامر أو أراد الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر و يسميه بعينه خيرلي

خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه تختص بالدرجة الاولى التى يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ماعداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى فى هذا ماقاله ﷺ لوابصة اذقال استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وعرف ذلك اذقال (١) الاثم حزاز القلوب وكل ماحاك فى صدر المريد من هذه الاسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التى يجدها بل لو أقدم على حرام فى علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك فى قساوة قلبه ولو أقدم على ماهو حلال فى فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة فى قلبه فذلك يضره وانما الذى ذكرناه فى النهى عن المبالغة أردنا به ان القلب الصافى المعتدل هو الذى لا يجد حزازة فى مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع مايجد فى قلبه فذلك يضره لانه مأخوذ فى حق نفسه بينه و بين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الموسوس فى الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما فى حقه وان كان مخطئا فى نفسه أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا فى السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ماينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التى رددناها نفيا واثباتا فان من لايطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل فى درك مقاصده * وأما المعصية فى العوض فله أيضا درجات ﴿الدرجة العليا﴾ التى تشتد الكراهة فيها أن يشترى شيأ فى الذمة و يقضى ثمنه من غصب أومال حرام فينظر فان سلم اليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع أعنى قبل قضاء الثمن ولاهو أيضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان أبرأه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبرئه مما أخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء هذا حكم المشترى والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لان الذى تومئ الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشترى وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء أو الاستيفاء ولم يجر شئ منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا أكله بغير اذن المرتهن و بينه و بين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام أولا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه و بقى له الثمن فى ذمته اذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكل المرهون الى أن يبرئه أو يوفى من حلال أو يرضى هو بالحرام و يبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه و بيان الحكم فى الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشئ تشتد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه اليه فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لاتنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا أو أرضا فى الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك فى أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف اذ وقع الشك فى تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك السلطان ومايغلب على الظن فيه و بعضه أشد من بعض والرجوع فيه الى ماينقدح فى القلب * الرتبة

(١) حديث الاثم حزاز القلوب تقدم فى العلم

فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلمه شرا لى مثل ذلك فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان

﴿الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل﴾

فأما من الفقه وان كان هذا يذكر فى كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الايجاز تيمنا بذكر الأحكام الشرعية التى هى الأساس الذى يبنى عليه لابد للصوفى المسافر من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع فى الصلاة ﴿أما التيمم﴾ فجائز للمريض والمسافر فى الجنابة والحدث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلفا فى النفس أو المال أو زيادة فى المرض على القول الصحيح من المذهب أو عند حاجته الى الماء الموجود لعطشه أو عطش دابته أو رفيقه ففى هذه الاحوال كلها يصلى بالتيمم ولا اعادة

الوسطى أن لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتهيأ لمعصية كالوسلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي (١) النهي عن كسب الحجام وكراهته اذ نهى عنه عليه السلام (٢) مرات ثم أمر بان يعلف الناضح وماسبق الى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فان الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب ان في الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان واخراج الدم وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد صبي وعبد ومعتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام (٣) أجرة الحجام ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن المقرونة بالسبب فانه أقرب اليه * الرتبة السفلى وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف انسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المغيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم (٤) قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمور فباعوها وأكلوا أثمانها وهذا غلط لان بيع الخمور باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لاحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم * فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم (٥) من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ثم أدخل ابن عمر أصبعيه في أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعته منه * قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره

﴿المثار الرابع الاختلاف في الادلة﴾

فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهو اما ان

---

(١) حديث النهي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الانصاري والنسائي من حديث أبي هريرة باسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخاري من حديث أبي جحيفة نهى عن ثمن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محيصة انه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في اجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد انه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لي قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها لم أجده هكذا والمعروف ان ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه (٥) حديث من اشترى ثوبا

عليه والخائف من البرد يصلى بالتيمم ويعيد الصلاة على الأصح ولا يجوز التيمم الا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب ومواضع الطلب مواضع تردد المسافر في منزله للاحتطاب والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير في ذلك كالطويل وان صلى بالتيمم مع تيقن الماء في آخر الوقت جاز على الأصح ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وان كان الوقت باقيا ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه كما اذا طلع ركب أو غير ذلك وان رأى الماء في أثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الاعادة ويستحب له الخروج منها واستئنافها بالوضوء على الأصح ولا يتيمم للفرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلي مهما شاء من النوافل بتيمم واحد ولا يجوز أداء الفرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا ترابا يصلي ويعيد عند وجود أحدهما

يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه ﴿القسم الاول﴾ أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك و يرجع فيه الى الاستصحاب أو الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر فى جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد وان كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذى يظن انه أفضل علماء بلده و يعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وان كان لايحسن الطب وليس للمستفتى أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا نعم ان أفتى له امامه بشئ ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لايقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب ﴿الرتبة الاولى﴾ ما يتأكد الاستحباب فى التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا أكل منها وان أفتى المفتى بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولى الشافعى رحمه الله ومهما وجد للشافعى قول جديد موافق لمذهب أبى حنيفة رحمه الله أو غيره من الائمة كان الورع فيه مهما وان أفتى المفتى بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعى رحمه الله لأن الآية ظاهرة فى ايجابها والاخبار متواترة فيه فانه ﷺ قال لكل من سأله عن الصيد [١] اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح [٢] بالبسملة وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله ﷺ [٣] المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الاخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخصص هذا بالناسى و يترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيد العذره فى ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتاويل الآية ممكنا امكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع فى الدرجة الاولى ﴿الثانية﴾ وهى مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذى يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح فى الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان [٤] ذكاته ذكاة أمه صحة لايتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك صح [٥] أنه أكل الضب

بعشرة دراهم الحديث تقدم فى الباب قبله (١) حديث اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى (٢) حديث التسمية على الذبح متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر (٣) حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال المصنف انه صح * قلت لايعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولابى داود فى المراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبرانى فى الأوسط والدارقطنى وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة قال رجل يارسول الله الرجل منا يذبح و ينسى ان يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر وللدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عباس المسلم يكفيه اسمه فان نسى أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٤) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال المصنف انه صح لايتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وأخذ هذا من امام الحرمين فانه كذا قال فى الاساليب والحديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى سعيد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لايحتج باسانيدها كلها (٥) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ قال المصنف هو فى الصحيحين

ولكن ان كان محدثا لايمس المصحف وان كان جنبا لايقرأ القرآن فى الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولايتيمم الابتراب طاهر غير مخالط للرمل والجص ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوى استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح جميع الوجه فلو بقى شئ من محل الفرض غير ممسوح لايصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوط الاصابع ويعم بالتراب محل الفرض وان لم يقدر الابضربتين فصاعدا كيف أمكنه لابد أن يعم التراب محل الفرض ويمسح اذا فرغ احدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير ايصال التراب الى المنابت (وأما المسح) فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن فى السفر والمقيم يوما وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف لا من حين لبس

على مائدة رسول الله ﷺ وقد نقل ذلك في الصحيحين وأظن أن أبا حنيفة لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان أنصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لايعتد به ولايورث شبهة كما لولم يخالف وعلم الشئ بخبر الواحد ﴿الرتبة الثالثة﴾ أن لايشتهر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فنهم من لايقبله فانا أتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لان العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف مايقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه وأما اذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في أصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن باجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى أن يترك ماعلم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى أن العمومات لاصيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذا الاطرف من أطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع مايريبه الى مالايريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لايحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولايخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام (١) كل أحد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله ﴿القسم الثاني﴾ تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال ﴿القسم الثالث﴾ تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله أن يوصي بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لايدخل فيه وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لاحيلة له فيه اذ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لايظهر له ميله الى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لاشئ له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لايمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت اذا كان من الصفر لامن الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم ومايحتاج اليه كل سنة من آلات الشتاء ومالايحتاج اليه الا في سنين وشئ من ذلك لاحد له والوجه في هذا ماقاله عليه السلام (٢) دع مايريبك الى مالايريبك وكل ذلك في محل الريب وان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان أفتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو

وهو كما ذكر من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد (١) حديث لم يرد كل أحد الى فتوى قلبه وانما قال ذلك لوابصة وتقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث واثلة انه قال ذلك لواثلة أيضا وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول (٢) حديث دع مايريبك الى مالايريبك تقدم في الباب قبله

الخف ولاحاجة الى النية عند لبس الخف بل يحتاج الى كمال الطهارة حتى لو لبس احد الخفين قبل غسل الرجل الاخرى لايصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف امكان متابعة المشي عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والاولى مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة أو ظهور شئ من محل الفرض وان كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الاصح والماسح في السفر اذا أقام يمسح كالمقيم وهكذا المقيم اذا سافر يمسح كالمسافر واللبد اذا ركب جوربا ونعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرج اذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة * فأما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والعصر في وقت احدهما

أهم مواقع الورع وكذلك مايجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان أحدهما قاصر وان الآخر زائد و بينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فمادون الرطل المكى فى اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم ومافوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية ومابينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع مايريبه الى مالايريبه وهذا جار فى كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب اذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لايحتمل مادونها ومافوقها من الاعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الا و يتطرق الشك الى أوساط فى مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة الى هذا الفن فى الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف فى الالفاظ والافلا مطمع فى استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله ﷺ دع مايريبك الى ما لا يريبك و بموجب سائر الادلة التى سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات و بعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شئ واحد كان الامر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدى ترادف الشبهات الى أن يشتد الامر فى اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس فى قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتى اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لايعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شئ ورب شره متساهل يطمئن الى كل شئ ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال وهو المحك الذى يمتحن به خفايا الامور وما أعز هذا القلب فى القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وجاء فى الزبور ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام قل لبنى اسرائيل انى لا أنظر الى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر الى من شك فى شئ فتركه لاجلى فذاك الذى أنظر اليه وأؤيده بنصرى وأباهى به ملائكتى

﴿ الباب الثالث فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما ﴾

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشترى منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل مالا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافى فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال

﴿ المثار الاول أحوال المالك ﴾

وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة أحوال اما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة

﴿ الحالة الأولى ﴾ أن يكون مجهولا والمجهول هو الذى ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزى الاجناد ولا مايدل على صلاحه كثياب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيأ ولا عليه علامة تنسبه الى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا أو خائنا ولا مايدل على نفيه

ويتيمم لكل واحدة ولايفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولاقصر فى المغرب والصبح بل يصليهما كهيئتهما من غير قصر وجمع والسنن الرواتب يصليها بالجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والعصر و بعد الفراغ من الفريضتين يصلى ما يصلى بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعا و بعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدى السنن الراتبة لهما ويوتر بعدهما * ولايجوز أداء الفرض على الدابة بحال الا عند التحام القتال للغازى ويجوز ذلك فى السنن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفى الركوع والسجود الايماء ويكون ايماء السجود أخفض من الركوع الا أن يكون قادرا على التمكن مثل أن يكون فى محارة وغير ذلك ويقوم توجهه الى الطريق مقام استقبال

فهو مجهول ولايدري حاله ولا أقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لايدركون الفرق بين مالايدري و بين مايشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك مالايدري * قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ماحاك في قلبي شئ الا تركته وتكلم جماعة في أشق الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن أبي سنان ماشئ عندي أسهل من الورع اذا حاك في صدري شئ تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما أو حمل اليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيأ فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك أن لا تسيء الظن به فان أسأت الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان ﷺ لايسأل عن كل مايحمل اليه بل سأل في أول قدومه الى المدينة (١) عما يحمل اليه أصدقة أم هدية لان قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن مايحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لايدلان على أنه ليس بصدقة (٢) وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولايسأل أصدقة أم لا اذ العادة ماجرت بالتصدق بالضيافة ولذلك (٣) دعته أم سليم (٤) ودعاه الخياط كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم اليه طعاما فيه قرع (٥) ودعاه الرجل الفارسي فقال عليه السلام أنا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شئ من ذلك وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن ابل الصدقة اذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ماكان يألفه كل مرة وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الامايدري من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لابد له من أكله فليأكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك * فان قلت لعله لايتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم بأقل من الاثم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك أكثر وان سأل من حيث لايدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وان لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة

(١) حديث سؤاله في أول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان ان النبي ﷺ لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين حديث أبي مسعود الانصاري في صنيع أبي شعيب طعاما لرسول الله ﷺ ودعاه خامس خمسة (٣) حديث دعته أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس ان خياطا دعا رسول الله ﷺ فقدم اليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعاه

القبلة ولا يوجهها الى غير الطريق الا القبلة حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه اليه لا الى نحو القبلة بطلت صلاته * والماشي يتنفل في السفر و يقنعه استقبال القبلة عند الاحرام ولا يجزئه في الاحرام الا الاستقبال و يقنعه الايماء للركوع والسجود وراكب الدابة لا يحتاج الى استقبال القبلة للاحرام أيضا * واذا أصبح المسافر مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا ان أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الاتمام * فهذا القدر كاف للصوفي أن يعلمه من حكم الشرع في مهام سفره (فأما المندوب والمستحب) فينبغي أن يطلب لنفسه رفيقا في الطريق يعينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده

بأكل

بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله مالا يدرى وهو غيره ؤاخذ بما لا يدرى اذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما فى الارض جميعا كيف وقد أكل رسول الله ﷺ (١) طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل على المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع ﴿الحالة الثانية﴾ أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها * أما صورة الريبة فهو أن تدله على تحريم ما فى يده دلالة اما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله أما الخلقة فبأن يكون على خلقة الاتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل الفساد وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الاقدام على مالا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل أيضا فى المال ويأخذ مالا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا أراد أن يشترى من مثل هذا شيأ او يأخذ منه هدية أو يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذى نختاره ونفتى به لقوله ﷺ (٢) دع ما يريبك الى مالا يريبك فظاهره أمر وان كان يحتمل الاستحباب لقوله ﷺ (٣) الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع فى القلب لا ينكر ولان النبى ﷺ سأل أصدقة هو أو هدية وسأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر رضى الله عنه وكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس حكمى والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فان رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المخالفان للشرع ان تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا فأما اذا رآه قد شتم غيره فى غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل ذلك قلبه * وأقول ان هذا ان رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذا تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال لا يتحرج فى غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى هذه المواقع ما يميل اليه القلب فان هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفى لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغى أن تكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حرام بأن يكون جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية فان دل على ان فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع ﴿الحالة الثالثة﴾ أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث

---

(١) حديث أكله طعام بريرة فقيل انها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريبك تقدم فى البابين قبله (٣) حديث الاثم حزاز القلوب تقدم فى العلم

الا أن يكون صوفيا عالما بآفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغى أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم والذى يسميه الصوفية بشر وهو الامير وينبغى أن يكون الامير أزهد الجماعة فى الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة روى عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه * نقل عن عبدالله المروزى أن أبا على الرباطى صحبه فقال على أن أكون أنا الامير أو أنت فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره وأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول ألست الامير وعليك الانقياد والطاعة فاما ان كان الامير

يوجب ذلك ظنا فى حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول فالاولى الاقدام والاقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال ﷺ (١) لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى فأما اذا علم بالخبرة انه جندى أو مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما فى موضع الريبة بل أولى

﴿ المثار الثانى ما يستند الشك فيه الى سبب فى المال لا فى حال المالك ﴾

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما اذا طرح فى سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه الا أن يظهر أن أكثر ما فى أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة رضى الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون فى كل عقد وانما السؤال نقل عن آحادهم نادرا فى بعض الاحوال وهى محال الريبة فى حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل ان يكون فى تلك الغنائم شئ مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا * وكتب عمر رضى الله عنه الى أذربيجان انكم فى بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته أذن فى السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التى هى أثمانها لان أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وان كانت هى أيضا تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه انكم فى بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات فلنفرضها ﴿مسئلة﴾ شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له ادرار على سلطان ظالم له أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى أيضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته الا بعد التفتيش فان ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا بأنه لو اشتبه مذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها فى الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودا فى الحال وان كان المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود فى الحال فهو مسئلة اختلاط الميتة واحد وان كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود فى الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الاسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك فى أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر فى كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل أيضا غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام على الأكل كأكل أبى هريرة رضى الله عنه طعام معاوية مثلا ان قدر فى جملة ما فى يده حرام فذلك أيضا يحتمل أن يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما يأكله من وجه مباح فالأفعال فى هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطانى السلطان شيأ لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان

(١) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى تقدم فى الزكاة

يصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرئاسة والتعزز ليتسلط على الخدام فى الربط و يبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فليتخذ لنفسه رفقاء مائلين الى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل الى تحصيل مآرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض فى الغيبة والدخول فى المداخل المكروهة والنقل فى الربط والاستمتاع والنزهة وكلما كثر المعلوم فى الرباط أطالوا المقام وان تعذرت أسباب الدين وكلما قل المعلوم رحلوا وان تيسرت أسباب الدين وليس هذا طريق الصوفية * ومن المستحب ان يودع اخوانه اذا أراد السفر ويدعو لهم بدعاء رسول الله ﷺ (قال) بعضهم صحبت

الأكثر أيضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتي في باب بيان أموال السلاطين وأما اذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الذكية بالميتة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من المشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولو سئلت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه اذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الأقل ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها * فان قيل فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل ان لي جارا لا أعلمه الا خبيثا يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فأجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنأ وعليه المأثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الاشارة بأن عليه المأثم لانه يعرفه ولك المهنأ أي أنت لا تعرفه * وروي أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه ان لي جارا يأكل الربا فيدعونا الى طعامه أفنأتيه فقال نعم * وروي في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام * قلنا أما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست أنكر ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وانما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقيل انه انما نقله خوات التيمي وانه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فانها الاثم * فان قيل فلم قلتم اذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور اذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله ﷺ دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فان ذلك توجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم فالجواب ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وانما يؤثر اذا سلمت عن معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا ان الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل عليه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي

عبدالله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت مفارقته شيعني وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لقمان لابنه يابني ان الله تعالى اذا استودع شيأ حفظه واني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك (وروى) زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (وروى) عنه عليه السلام أيضا انه كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت وينبغي ان يعتقد اخوانه اذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين اني أردت ان أخرج الى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه

موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا تجتهد في الأواني الا اذا كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ أي آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجرى ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه ولا نطرده أيضا في ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام المباح على أنه مهلك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشئ يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه ان الاختلاط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وان كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تسير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال الى الميل الى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا ﴿مسئلة﴾ اذا حضر طعام انسان علم أنه دخل في يده حرام من ادرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدرى أنه بقى الى الآن أم لا فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقى منه شئ ولكن لم يدر أنه الاقل أو الأكثر فله أن يأخذ بانه الأقل وقد سبق أن أمر الاقل مشكل وهذا يقرب منه ﴿مسئلة﴾ اذا كان في يد المتولى للخيرات أو الاوقاف أو الوصايا مال ان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف نظر فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى وكان المتولى ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لان الظن بالمتولى أنه لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذى يستحقه وان كانت الصفة خفية وان كان المتولى ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله ﷺ عن الصدقة والهدية عن تردده فيهما لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجى منه الا السؤال فان السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحما من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام الا اذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغى أن تلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد ﴿مسئلة﴾ له أن يشترى في البلد دارا وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في سكة عشر دور مثلا احداها مغصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات والمدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة ﴿مسئلة﴾ حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال اذا لم يأمن غضبه وانما أوجبنا السؤال اذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالى بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا تغضب من السؤال نعم ان كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسأل مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة وسأل أباهريرة رضى الله عنه أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفق في صيغة السؤال

فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا واذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها فقال عمر لهو أشبه بك من الغراب بالغراب * وينبغى أن يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين ويقول اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت (وروى) أنس بن مالك قال كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين فينبغى أن يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين واذا ركب الدابة فليقل سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

وكذلك قال على رضى الله عنه ليس شئ أحب الى الله تعالى من عدل امام ورفقه ولا شئ أبغض اليه من جوره وخرقه ﴿مسئلة﴾ قال الحرث المحاسبى رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغى أن يسأله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدى ذلك الى البغضاء وما ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع فى مثل هذه الامور الاحتراز عن هتك الستر واثارة البغضاء أهم وزاد على هذا فقال وان رابه منه شئ أيضا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان كان لا يطمئن قلبه اليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لانى لم أر أحدا من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال ﴿مسئلة﴾ ربما يقول القائل أى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وثق بأمانته فليثق بديانته فى الحلال فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال انسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغى أن يسأل من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب فى البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة فى السؤال منه وانما يسأل من غيره وانما يسأل من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسأل المتولى على المال الذى يسلمه انه من أى جهة وكما سأل رسول الله ﷺ عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذى ولا يتهم القائل فيه وكذلك اذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يتهم فى قوله اذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فاذا أخبره عدل واحد قبله وان أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل فى بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصى ثم اذا أخبرك بشئ وثقت به وكذلك اذا أخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما اذا أخبر به مجهول لا يدرى من حاله شئ أصلا فهذا ممن جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما فى النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا الا ان أثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر الى حد تأثيره فى القلب فان المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روى عن عقبة بن الحرث أنه جاء الى رسول الله ﷺ [1] فقال انى تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفى لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر امارة غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة فلذلك يتأكد الامر بالاحتراز فان اطمأن اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا ﴿مسئلة﴾ حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يترجح فى قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره ﴿مسئلة﴾ لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد انسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيأ فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشترى

(١) حديث عقبة انى تزوجت امرأة فجاءتنا أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة البخارى من حديث عقبة

على الامور والسنة أن يرحل من المنازل بكرة ويبتدئ بيوم الخميس. روى كعب بن مالك قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى السفر الا يوم الخميس وكان اذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله واذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغى للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان ابراهيم الخواص لا يفارقه أربعة أشياء فى الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة وخيوطها والمقراض وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ

وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم الا أن أرده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه ﴿مسئلة﴾ لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ (١) عن ابن قدم اليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال أفيجب السؤال عن أصل المال أم لا وان وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا أو ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك مما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله انه من شاتي ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فان أسنده الى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان أكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر في هذه المعاني ﴿مسئلة﴾ سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم اليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة فقلت ان هذا يلتفت الى سبعة أصول ﴿الأصل الاول﴾ ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لاسيما في الاطعمة والمستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف ﴿الأصل الثاني﴾ أن ينظر ان الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام ﴿الأصل الثالث﴾ انه ممن أين يشتريه فان اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وان كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال ﴿الأصل الرابع﴾ أن يشتريه لنفسه أو للقوم فان المتولي والخادم كالنائب وله أن يشتري له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ واذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم ﴿الأصل الخامس﴾ ان الخادم يقدم الطعام اليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا اقراض لانه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا طمع الخادم في أن يأخذ ثوابا فيما قدمه الاحقهم من الوقف ليقضي به دينه من الخباز والقصاب والبقال فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب ﴿الأصل السادس﴾ أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف

---

(١) حديث سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم اليه الحديث تقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش

كان اذا سافر حمل معه لا تفارقهم العصا وهي أيضا من السنة روى معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذ ابراهيم وان أتخذ العصا فقد اتخذها ابراهيم وموسى وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا وأخذ الركوة أيضا من السنة روى جابر ابن عبد الله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة اذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه والأصل فيه البكاء كالصبي يتسلازم بالام ويسرع اليها عند البكاء قال فقال رسول الله ﷺ مالكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء نشرب ولا نتوضأ به

ابن الحارث

فقيل انه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل مايرضى به الواهب حتى له أن لايرضى باضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قدرضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وان كان ناقصا ورضى به الخادم صح أيضا وان علم ان الخادم لايرضى لولا ان فى يده الوقف الآخر الذى يأخذه بتوقه هؤلاء السكان فكأنه رضى فى الثواب بمقدار بعضه حلال و بعضه حرام والحرام لم يدخل فى أيدى السكان فهذا كالخلل المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لايقتضى تحريما على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدى بسبب الهدية الى حرام

(الأصل السابع) أنه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الواقفين فان وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر وان قصر عنه فرضى القصاب والخباز بأى ثمن كان حراما أو حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام أيضا فليلتفت الى ما قدمناه من الشراء فى الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا اذا علم أنه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا ان أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى فى النفس كما أن الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهى من الفتاوى وانما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين

(الباب الرابع فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية)

اعلم ان من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما

(النظر الاول فى كيفية التمييز والاخراج)

اعلم أن كل من تاب وفى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما أن يكون فى مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان واما أن يكون فى أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب فان كان فى المتماثلات أو كان شائعا فى المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم انه قد كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه أو فعل ذلك فى الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك اما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا فان كان معلوم القدر مثل أن يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان أشكل فله طريقان أحدهما الاخذ باليقين والآخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة ونحن لانجوز فى الصلاة الا الأخذ باليقين فان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس فى أعداد الركعات علامات يوثق بها وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الاصل أن ما فى يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع فى الاخذ باليقين فان أراد الورع فطريق التحرى والاجتهاد أن لايستبقى الا القدر الذى يتيقن انه حلال وان أراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون فى يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحرى فى كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم أخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع آكد لانه صار مشكوكا فيه وجاز امساكه اعتمادا على أنه فى يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الاصل التحريم ولا يأخذ الا ما يغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لى فى الحال ترجيح وهو من المشكلات * فان قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذى يخرجه ليس يدرى أنه عين

كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة فى غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة روى أبو سعيد قال حج رسول الله ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة الى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بازركم فربطنا ومشينا خلفه الهرولة * ومن ظاهر آداب الصوفية عند خروجهم من الربط أن يصلى ركعتين فى أول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم يأخذ المايند الذى يشد به وسطه ويأخذ خريطة المداس وينفضها ويأتى الموضع الذى يريد أن يلبس الخف فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل أحد المداسين بالآخر ويأخذ المداس باليسار والخريطة باليمين

الحرام فلعل الحرام ما بقى فى يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهى العشر فله أن يطرح واحدة أى واحدة كانت و يأخذ الباقى و يستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال انها الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل اليه المرتهن آنيتين وقال لا أدرى أيتهما آنيتك فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذى لك وانما كنت أختبرك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض المسئلة فى درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لانه لا يخلو اما أن يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وان كان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا فى جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال فى الجانب الآخر انه لم يدخل فى ملكه فنقول لانه أيضا ان كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضا درهم فى يد الآخر فليس يمكن الوصول اليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله ان كان الامر كذلك و يقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل فى عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد ما فى يده فى البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص فكذا اذا لم يتلف فان القول بهذا أولى من المصير الى أن من يأخذ درهما حراما و يطرحه فى ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدى اليه فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعلها بيعا فحيث يتطرق اليها احتمال اذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض * فان قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا * قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا أخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال فان لم يساعده وأضر به وقال لا آخذ درهما أصلا الا عين ملكى فان استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك فأقول على القاضى أن ينوب عنه فى القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فان عجز عن القاضى ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه و يفرد على نية الصرف اليه درهما و يتعين ذلك له و يطيب له الباقى وهذا فى خلط المائعات أظهر وألزم * فان قيل فينبغى أن يحل له الاخذ و ينتقل الحق الى ذمته فأى حاجة الى الاخراج أولا ثم التصرف فى الباقى * قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال آخرون يجوز للآخذ فى التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فان أعطى عصى هو دون الآخذ منه وما جوز أحد أخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الى يقع عين حقى و بالتعيين واخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب الى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز هذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن

يأخذ

و يضع المداس فى الخريطة أعقابه الى أسفل و يشد رأس الخريطة و يدخل المداس بيده اليسرى من كمه الأيسر ويضعه خلف ظهره ثم يقعد على السجادة و يقدم الخف بيساره و ينفضه و يبتدئ باليمنى فيلبس ولا يدع شيأ من الران أو المنطقة يقع على الارض ثم يغسل يديه و يجعل وجهه الى الموضع الذى يخرج منه و يودع الحاضرين فان أخذ بعض الاخوان راويته الى خارج الرباط لا يمنعه وهكذا العصا والابريق و يودع من شيعه ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى و يخرج اليسرى من تحت ابطه الايمن و يشد الراوية على الجانب الايسر و يكون كتفه الايمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فاذا وصل فى طريقه الى موضع شريف أو استقبله جمع من الاخوان أو شيخ من الطائفة يحل الراوية و يحطها و يستقبلهم و يسلم عليهم ثم اذا جاوزوه يشد الراوية

يأخذالدرهمين و يتصرف فيهما و يقول على قضاه حقك من موضع آخراذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدرفائتا بأولى من الآخرالاأن ينظرالى الاقل فيقدرأنه فات فيه أو ينظرالى الذى خلط فيجعل بفعله ملتفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح فى ذوات الامثال فانها تقع عوضا فى الاتلافات من غير عقد فاما اذا اشتبه دار بدور أوعبد بعبيد فلاسبيل الى المصالحة والتراضى فان أبى أن يأخذ الاعين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور و يوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وان كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل و يوقف قدر التفاوت الى البيان أو الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هى المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لانختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا فى الحنطة ظاهر وفى النقود دونه وفى العروض أغمض اذلايقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل ﴿مسئلة﴾ اذاورث مع جماعة وكان السلطان قدغصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة ولورد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهمه الورثة فان النصف الذى له لايتميز حتى يقال هو المردود والباقى هو المغصوب ولايصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب فى نصيب الآخرين ﴿مسئلة﴾ اذاوقع فى يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغى أن يحسب أجرمثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة أوحصل منه زيادة فلاتصح توبته مالم يخرج أجرة المغصوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والاوانى وأمثال ذلك مما لايعتاد اجارتها مما يعسر ولايدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى ومار بحه على المال المغصوب فى عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقدقيل تنفذ باجارة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به والقياس ان تلك العقود تفسخ و تسترد الثمن وترد الاعواض فان عجزعنه لكثرته فهى أموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به ولايحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده ﴿مسئلة﴾ من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك فى قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرى فان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن يأخذ فى عمله شيأ أوكان قد أخذ ولم يبق فى يده منه شئ لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولايجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لايلزمه والاثم على المورث واستدل بما روى ان رجلا ممن ولى عمل السلطان مات فقال صحابى الآن طاب ماله أى لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابى ولعله صدر من متساهل فقد كان فى الصحابة من يتساهل ولكن لانذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم اذالم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لايدرى فيطيب لوارث لايدرى أن فيه حراما يقينا

﴿ النظر الثانى فى المصرف ﴾

فاذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه أو الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره أو الايصال اليه وان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده الى وقت حضوره و إما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولايدرى انه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك و يوقف حتى يتضح الامر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف أو ألفين فهذا ينبغى أن يتصدق به و إما من مال الفىء والأموال

واذادنامن منزل رباطا كان أوغيره يحل الراوية ويحملها تحت ابطه الأيسر وهكذا العصا والابريق يمسكه بيساره وهذه الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجبل ولا يتعهدها أكثر فقراء العراق والشام والمغرب ويجرى بين الفقراء مشاحنة فى رعايتها فمن لايتعاهدها يقول هذه رسوم لاتلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن يتعهدها يقول هذه آداب وضعها المتقدمون واذا رأوا من يخل بها أو بشئ منها ينظرون اليه نظر الازدراء والحقارة و يقال هذا ليس بصوفى وكلا الطائفتين فى الانكار يتعدون الواجب والصحيح فى ذلك أن من يتعاهدها لاينكر عليه فليس بمنكر فى الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلاينكر عليه فليس بواجب فى الشرع ولامندوب اليه وكثيرا من فقراء خراسان والجبل يبالغ فى رعاية هذه الرسوم الى حد يخرج

المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الامور التى يشترك فى الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لاشبهة فيه أما التصدق و بناء القناطر فينبغى أن يتولاه القاضى فيسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضى مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد عالما متدينا فان التحكيم أولى من الانفراد فان عجز فليتولى ذلك بنفسه فان المقصود الصرف وأما عين الصارف فانما نطلبه لمصارف دقيقة فى المصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه فان قيل مادليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام * وحكى عن الفضيل انه وقع فى يده درهمان فلما علم انهما غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا أتصدق الا بالطيب ولا أرضى لغيرى مالا أرضاه لنفسى فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس * أما الخبر فأمر رسول الله ﷺ (١) بالتصديق بالشاة المصلية التى قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال ﷺ أطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى ـ ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ـ كذبه المشركون وقالوا للصحابة ألا ترون مايقول صاحبكم يزعم أن الروم ستغلب (٢) فخاطرهم أبو بكر رضى الله عنه باذن رسول الله ﷺ فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضى الله عنه بما قامرهم به قال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله ﷺ له فى المخاطرة مع الكفار * وأما الأثر فان ابن مسعود رضى الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضى والا فالاجر لى وسئل الحسن رضى الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به * وروى ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له تفرق الناس فأتى معاوية فأبى أن يقبض فأتى بعض النساك فقال ادفع خمسها الى معاوية وتصدق بما بقى فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وجماعة من الورعين الى ذلك وأما القياس فهو أن يقال ان هذا المال مردد بين أن يضيع و بين أن يصرف الى خير اذ قد وقع اليأس من مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير أولى من القائه فى البحر فانا ان رميناه فى البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة واذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره فى التصدق لاينبغى أن ينكر فان فى الخبر الصحيح (٣) ان للزارع والغارس أجرا فى كل مايصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه وذلك بغير اختياره وأما قول القائل لانتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الأجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع و بين التصديق ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع وقول القائل لانرضى لغيرنا مالا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام

(١) حديث أمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت بين يديه وكلمته بانها حرام اذ قال أطعموها الاسارى أحمد من حديث رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فلما رجعنا لقينا داعى امرأة من قريش فقال ان فلانة تدعوك ومن معك الى طعام الحديث وفيه فقال أجد لحم شاة أخذت بغير اذن أهلها وفيه فقال أطعموها الأسارى واسناده جيد (٢) حديث مخاطرة أبى بكر المشركين باذنه ﷺ لما نزل قوله تعالى ـ ألم غلبت الروم ـ وفيه فقال ﷺ هذا سحت فتصدق به البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه ان ذلك كان باذنه ﷺ والحديث عند الترمذى وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضا هذا سحت فتصدق به (٣) حديث أجر الزارع والغارس فى كل مايصيب الناس والطيور البخارى من حديث أنس مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كان له صدقة

الى الافراط وكثيرا مايخل بها فقراء العراق والشام والمغاربة الى حد يخرج الى التفريط والأليق ان ماينكره الشرع ينكر ومالا ينكره لاينكر ويجعل لتصاريف الاخوان أعذارا مالم يكن فيها منكر أو اخلال بمندوب اليه والله الموفق

{ الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه }

ينبغى للفقير اذا رجع من السفر أن يستعيذ بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيذ به من وعثاء السفر * ومن الدعاء المأثور اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد واذا أشرف على بلد يريد المقام بها يشير بالسلام على من بها من الاحياء والاموات ويقرأ من القرآن ماتيسر ويجعله هدية للاحياء والاموات ويكبر فقد روى أن رسول الله ﷺ كان اذا قفل من

حرام لاستغنائه عنه وللفقير حلال اذ أحله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد
رضيناله الحلال ونقول ان له أن يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا أما عياله وأهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفى
عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لانه أيضا فقير ولو
تصدق به على فقير لجاز وكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل أيضا مسائل ﴿مسئلة﴾ اذا وقع في يده
مال من يد سلطان قال قوم يرد الى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدق به واختار
المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به فلعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم
يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق
المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك ان كان له مالك
معين من أن يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع فان
كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر
فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها اذ لم يكن له
أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها ثم وان كان غنيا من حيث انها كتسبه من وجه مباح
وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق ﴿مسئلة﴾
اذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار
الزكاة فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها العائلة فعل وهذا
ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى أن يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في
الحلال فان لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك
ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أنفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم انه
يأكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل
ما أنفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب
ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا اذا أخذه لفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث
ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه ﴿مسئلة﴾ اذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس
يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه أوكد في نفسه منه في عبده وعياله
وأولاده الصغار والكبار من الاولاد يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو أشد منه فان أفضى فيطعمهم
بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذره في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر اذا
لم تعلم اذ لم تتول الامر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته
وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة
وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو أولى
بان يكون طيبا واذا دار الامر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لانه يمتزج بلحمه ودمه
وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا
هو الاظهر عندي وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه (١) لا يقبل الله
صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه
حرام ونبت لحمه من حرام (٢) فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم
(٢) حديث الجسد نبت من الحرام تقدم

غزو أو حج يكبر على كل شرف من الارض ثلاث مرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ويقول اذا رأى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اغتسل لدخول مكة ﴿وروى﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب ونزل المدينة نزع لأمته واغتسل واستحم والا فليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد للقاء الاخوان بذلك وينوي التبرك بمن هنالك من الاحياء والاموات ويزورهم ﴿روى﴾ أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رجل يزور أخا له في الله فارصد الله بمدرجته ملكا وقال أين تريد قال أزور فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له

مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت و يبقى * فان قيل فاذا كان الكل منصرفا الى أغراضه فاى فرق بين نفسه وغيره و بين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق * قلنا عرف ذلك بما روى (١) ان رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فنع منه فقيل ان له أيتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته فاذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذى ذكرناه ﴿مسئلة﴾ الحرام الذى فى يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم واذا أنفق على نفسه فليضيق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب فان أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيأ فانه فى ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغى أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغى أن يعول على أنه لا يدرى فلا يضره فان الحرام اذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان أفتينا بانه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة اليه فهو كالخنزير والخمر اذا أحللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات ﴿مسئلة﴾ اذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى فان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف فى الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة و يطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريبان من ذلك لان حقهما أيضا مؤكد وكذلك اذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع فى غيبتها وليجتهد أن لا يصلى فيه الا عند حضورها فيصلى فيه صلاة المضطر وعند تعارض أسباب الورع ينبغى أن يتفقد هذه الدقائق * وقد حكى عن بشر رحمه الله انه سلمت اليه أمه رطبة وقالت بحقى عليك ان تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه فرأته يتقيأ وانما فعل ذلك لانه أراد أن يجمع بين رضاها و بين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد بن حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة فى الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العبادانى عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفينى فقد سمعت ما قالا ثم قال ما أحسن أن تداريهما ﴿مسئلة﴾ من فى يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب عليه الزكاة اذ معنى الزكاة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه أو صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك وأما اذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبى يكفيه الاطعام والذى نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام أما الصوم فلانه مفلس حكما وأما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع و يحتمل أن يكون له فيكون اللزوم

(١) حديث ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما الحديث وفيه اعلفوه الناضح أحمد والطبرانى من رواية عباية بن رفاعة بن خديج ان جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما الحديث وليس المراد بجده رافع بن خديج فانه بقى الى سنة أربع وسبعين فيحتمل ان المراد جده الأعلى وهو خديج ولم أر له ذكرا فى الصحابة وفى رواية للطبرانى عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال مات أبى وفى رواية له عن عباية قال مات رفاعة على عهد النبى ﷺ الحديث وهو مضطرب

أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دعا الرجل أخاه أوزاره فى الله قال الله له طبت وطاب ممشاك ويتبوأ من الجنة منزلا ﴿وروى﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة فيحصل للفقير فائدة الاحياء والاموات بذلك فاذا دخل البلد يبتدئ بمسجد من المساجد يصلى فيه ركعتين فان قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصده الرباط من السنة على ما رويناه عن طلحة رضى الله عنه قال كان

من جهة الكفارة ﴿مسئلة﴾ من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوع بالحج فان كان ماشيا فلا بأس به لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة أولى وان كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج الى زيادة للمركوب فلا يجوز الاخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة في انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام ﴿مسئلة﴾ من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت طعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما ألحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته ﴿مسئلة﴾ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال أفترى ذلك فقال أفتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه رأى ان أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

﴿الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم﴾

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك الى يد السلطان من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه اذا أضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق

﴿النظر الاول في جهات الدخل للسلطان﴾

وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان * مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية وأموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقدة * والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الامور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه أو غيره ادرارا أو صلة أو خلعة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية فانه اما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على المواريث أو على الاوقاف أو على ملك احياه السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بياع من جملة التجار أو على الخزانة ﴿فالاول﴾ هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية الامضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضا في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الذمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالما ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة اذ لا جزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك ﴿الثاني﴾ المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف ﴿الثالث﴾ الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له في جميع شرائطه ﴿الرابع﴾ ما أحياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له أن يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء

الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن أنزل الصفة فاذا دخل الرباط يمضي الى الموضع الذي يريد نزع الخف فيه فيحل وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كمه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار ثم يضع المداس على الارض ويأخذ الميانيد ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فان كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق واذا قدم على السجادة يطوي السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسنها بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بها لانه من استحسان الشيوخ ونيتهم الظاهرة في ذلك تقييد المريد

وانما النظر فى ان الغالب انه أحياها باكراه الاجراء أو باداء أجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القناة والانهار و بناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا استأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قدنبهنا عليها فى تعلق الكراهة بالاعواض ﴿الخامس﴾ مااشتراه السلطان فى الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله ﴿السادس﴾ ان يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لاشبهة فيه وهو أكثر الادرارات فى هذا الزمان الاماعلى أراضى العراق فانها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين ﴿السابع﴾ مايكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لايعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام ﴿الثامن﴾ مايكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الامن الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون مايسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع فى النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الاغلب لان أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الاعصار والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز فقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كل مالا أتيقن انه حرام فلى أن آخذه وقال آخرون لايحل أن يؤخذ مالم يتحقق انه حلال فلا تحل شبهة أصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ماقدمناذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق * ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين اذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بماروى عن جماعة من الصحابة انهم أدركوا أيام الائمة الظلمة وأخذوا الاموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وأبو أيوب الانصارى وجرير بن عبدالله وجابر وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبدالملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وابراهيم والحسن وابن أبى ليلى وأخذ الشافعى من هرون الرشيد ألف دينار فى دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة وقال على رضى الله عنه خذ مايعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال ومايأخذ من الحلال أكثر وانماترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه ان يحمل على مالايحل ألاترى قول أبى ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ماكان نحلة فاذا كان أثمان دينكم فدعوه وقال أبو هريرة رضى الله عنه اذا أعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل * وعن سعيد بن المسيب ان أبا هريرة رضى الله عنه كان اذا أعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبى عن مسروق لايزال العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار أى يحمله ذلك على الحرام لا انه فى نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لاأسأل أحدا ولاأرد مارزقنى الله وأهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ماروى ان ابن عمر رضى الله عنهما لم يرد هدية أحد الاهدية المختار والاسناد فى رده أثبت وعن نافع انه قال بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين ألفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه فقال لاجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة ألف درهم فاخذها وعن حبيب بن أبى ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ماهى قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدى انه قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام أو نحوه أو أعطاك شيأ فاقبل فان المهنأ لك وعليه الوزر فان ثبت هذا فى المربى فالظالم فى معناه وعن جعفر عن أبيه ان الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على أسفل الفرات

الفقراء بشئ من ذلك لاينكر عليه مالم يخل بواجب أومندوب لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مانقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظرهم الى النية فى الاشياء غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر أكمامه وقد كان فى السفر لم يشمر الاكمام فينبه أن لايتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب اليه شرعا وكون الآخر يشمر الاكمام يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم فى سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام فى معناه من الخفة والارتفاق به فى المشى فن

الفرات فارسل الى العشار ين اطعمونا ماعندكم فارسلوا بطعام فاكل وأكلنا معه وقال العلاء ابن زهير الازدى أتى ابراهيم أبى وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم لا بأس بجائزة العمال ان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم فى معصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة ان ماينقل من امتناع جماعة من السلف لايدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبى ذروغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لايدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا وما نقل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صير فى ولو ضاق وقت الصلاة لانى لاأدرى أصل ماله كل ذلك ورع لاينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لايحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فهذه هى شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم * والجواب ان مانقل من أخذ هؤلاء محصور وقليل بالاضافة الى مانقل من ردهم وانكارهم وان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم فى الورع فان للورع فى حق السلاطين أربع درجات ﴿الدرجة الاولى﴾ أن لايأخذ من أموالهم شيأ أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان أبا بكر رضى الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضى الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت أهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر أصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم و بعيدهم وكسح أبو موسى الاشعرى بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر رضى الله عنه فاعطاه اياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أباموسى ما كان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لايبقى من أمة محمد ﷺ أحد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه و يقتصر على الاقل امتثالا لقوله ﷺ (١) دع مايريبك الى مالا يريبك وقوله (٢) ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه ولما سمعه من رسول الله ﷺ من التشديدات فى الاموال السلطانية حتى قال ﷺ (٣) حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة لها ثؤاج فقال يارسول الله أهكذا يكون قال نعم والذى نفسى بيده الا من رحم الله قال فوالذى بعثك بالحق لاأعمل على شئ أبدا وقال ﷺ (٤) انى لاأخاف عليكم ان تشركوا بعدى انما أخاف عليكم ان تنافسوا وانما خاف التنافس فى المال ولذلك قال عمر رضى الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال انى لم أجد نفسى فيه الا كالوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف وروى ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له و بعث من ثمنها الى عمر بثلثمائة دينار هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا فى الورع ﴿الدرجة الثانية﴾ هو أن يأخذ مال السلطان ولكن انما يأخذ اذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر

(١) حديث دع مايريبك الى مالايريبك تقدم فى الباب الاول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله فى أول الباب الثانى من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه الى الصدقة اتق الله ياأبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك الحديث الشافعى فى المسند من حديث طاوس مرسلا ولأبى يعلى فى المعجم من حديث ابن عمر مختصرا انه قاله لسعد بن عبادة واسناده صحيح (٤) حديث انى لاأخاف عليكم أن تشركوا بعدى أخاف عليكم أن تنافسوا

وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولايتعمد شد الوسط وتشميرا لاكمام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر الى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على المتصوفة انهم اذا دخلوا الرباط لايبتدؤن بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف المندوب ولاينبغى للمنكر أن يبادر الى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله ابن عمر قال مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة

طهر وروى أنه لم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر اليه وقال انى كرهت أن أذكر الله تعالى الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين فى السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلو سلم المتوضئ وأمسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ و يغسل قدمه من يغسل سترا للحال على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون بعض المقيمين أيضا على غير طهارة فيستعد لجواب السلام أيضا بالطهارة لان السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه فى ذلك ومنها انه اذا قدم يعانقه الاخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستعد

لايضره وعلى هذا ينزل جميع مانقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين فى الورع فكيف يتوسع فى مال السلطان وقد كان من أشدهم انكارا عليهم وأشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له انا نرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى و فى حديث آخر أنه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا أحسبك الا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعو لى فقال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال فى أيام الحجاج ماشبعت من الطعام مذ انتهبت الدار الى يومى هذا وروى عن على رضى الله عنه انه كان له سويق فى اناء مختوم يشرب منه فقيل أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال أما انى لا أختمه بخلا به ولكن اكره أن يجعل فيه ماليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شئ الا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال انى أخاف أن تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر وقال أبو سعيد الخدرى مامنا أحد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به و بمن كان فى منصبه انه أخذ مالا يدرى انه حلال ﴿الدرجة الثالثة﴾ أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه فى يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين يأخذون الجوائز اليوم يحتجون بابن عمر وعائشة مايقتدون بهما لان ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض فى مجلسه بعد تفرقته ستين ألفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال رأيت ان آخذه منهم وأتصدق أحب الى من أن أدعها فى أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ﴿الدرجة الرابعة﴾ أن لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل على رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذه من الحلال أكثر فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن انما توقفنا فيه فى حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدى اجتهاد مجتهد الى جواز أخذ مالم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة فى زماننا لا تجرى مجرى ذلك وانها تفارقه من وجهين قاطعين * أحدهما ان أموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفئ والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شئ فى يد السلطان ولم يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل أخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع فى المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ماينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره * والوجه الثانى ان الظلمة فى العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم و يفرقون ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم

متفق عليه من حديث عقبة بن عامر (١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر

و يطلقون

و يطلقون اللسان فيهم و ينكرون المنكرات منهم عليهم فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن بأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الالمن طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء فى حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد فى الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى أعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا فاذا لا يجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعانى فكيف ما يعلم انه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففى أخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى أبوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين فى الباب الذى يلى هذا فاذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور أن يأخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها فى الباب الذى يلى هذا

﴿ النظر الثانى من هذا الباب فى قدر المأخوذ وصفة الآخذ ﴾

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفىء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف أو صدقة أو خمس فىء أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وانما النظر فى الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر رضى الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا فى بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية و يدخل فيه العلماء كلهم أعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب و يدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغى وأعداء الاسلام و يدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه فى ترتيب ديوان الخراج أعنى العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين و بالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه أمر دينى ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز أن يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج اليها فى مصلحة الابدان أو مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعنى من يعالج منهم بغير أجرة وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله أن يوسع و يغنى وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر رضى الله عنه يعطى لجماعة اثنى عشر ألف درهم نقرة فى السنة وأثبتت عائشة رضى الله عنها فى هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شىء فان خص

قد ينزعج منه مراقب و يتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بغسل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب الجمع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقد قال الله تعالى حتى تستأنسوا واستئناس كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها انه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم بل هم اخوانه والألفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم فى طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه فيرى البركة فى استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يمهد عذرهم فى ترك السلام ينبغى لهم أن لا ينكروا على من يدخل و يبتدئ بالسلام فكما ان من ترك السلام له

نية فالذى له أيضا نية وللقوم آداب وردبها الشرع ومنها آداب استحسنها شيوخهم فما ورد به الشرع ماذكرنا من شد الوسط والعصا

واحد منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك فى السلف ولكن ينبغى أن يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر فى السلاطين الظلمة فى شيئين * أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو اما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثانى أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا أفيجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلا أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى * أما الاول فالذى نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان فى الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامراء اذ قد ورد فى الامر بطاعة الامراء(١) والمنع من سل اليد(٢) عن مساعدتهم أوامر وزواجر فالذى نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين فى أقطار البلاد والمبايعين للخليفة وقد ذكرنا فى كتاب المستظهرى المستنبط من كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار تأليف القاضى أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف يفوت رأس المال فى طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء فى أقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الامامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فلسنا نطول الآن به * وأما الاشكال الآخر وهو أن السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز فى العطاء * سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر رضى الله عنه فى زمانه فأعطى عائشة اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعلى خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها فقبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز

(١) حديث الامر بطاعة الامراء البخارى من حديث أنس اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ولمسلم من حديث أبى هريرة عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبى ذر أوصانى النبى ﷺ ان أسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الاطراف (٢) حديث المنع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبى هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له

والركوة والابتداء باليمين فى لبس الخف وفى نزعه باليسار (روى) أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اذا انتعلتم فابدؤا باليمين واذا خلعتم فابدؤا باليسار أو اخلعهما جميعا أو انعلهما جميعا (روى) جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى و بسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد فى حديث طويل لا يؤم الرجل الرجل فى سلطانه ولا فى أهله ولا يجلس على تكرمته الا باذنه واذا سلم على الاخوان يعانقهم و يعانقونه فقد روى جابر ابن عبد الله قال لما قدم جعفر من أرض الحبشة عانقه النبى ﷺ وان قبلهم فلا بأس بذلك (روى) أن رسول الله ﷺ لما قدم جعفر

فانه فى محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى أقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهى كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون فى معناها بقياس جلىّ كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وأن كل واحد من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم اذ المفضول ما رد فى زمان عمر شيأ الى الفاضل مما قد كان أخذه فى زمان أبى بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل فى زمان عمر واشترك فى ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التى يصوّب فيها كل مجتهد فأما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلىّ بغفلة أو سوء رأى وكان فى القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما فى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو ادرارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

﴿ الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة و يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم ﴾

اعلم أن لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال الحالة الأولى وهى شرها أن تدخل عليهم والثانية وهى دونها أن يدخلوا عليك والثالثة وهى الاسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ﴿ أما الحالة الأولى ﴾ وهى الدخول عليهم فهو مذموم جدا فى الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى فى ظاهر العلم ﴿أما الأخبار﴾ فانه لما وصف رسول الله ﷺ الامراء الظلمة قال (١) فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال ﷺ (٢) سيكون من بعدى أمراء يكذبون و يظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض و روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال ﷺ (٣) أبغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون الامراء وفى الخبر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفى الخبر (٤) العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس رضى الله عنه ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكذب و يقول ما ليس فيه وقال أبو ذرّ لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيأ الا أصابوا من دينك أفضل منه وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوّارون للملوك وقال الأوزاعى ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الامير وكنت

﴿ الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين ﴾

(١) حديث فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بعدى أمراء يكذبون و يظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض النسائى والترمذى وصححه والحاكم من حديث كعب بن عجرة (٣) حديث أبى هريرة أبغض القراء الى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم فى العلم (٤) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان الحديث العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة حفص الابرى وقال حديثه غير محفوظ تقدم فى العلم

قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خيبر أسر منى بقدوم جعفر و يصافح إخوانه فقد قال عليه السلام قبلة المسلم أخاه المصافحة ﴿وروى﴾ أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله الرجل يلقى صديقه وأخاه ينحنى له قال لا قيل يلزمه و يقبله قال لا قيل فيصافحه قال نعم و يستحب للفقراء المقيمين فى الرباط أن يتلقوا الفقراء بالترحيب ﴿روى﴾ عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جئته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين وان قاموا اليه فلا بأس وهو مسنون ﴿ روى ﴾ عنه عليه السلام انه قام لجعفر يوم قدومه * و يستحب للخادم أن يقدم له الطعام ﴿روى﴾ لقيط بن صبرة قال وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نصادفه فى منزله وصادفنا عائشة رضى الله عنها فأمرت لنا بالحريرة فصنعت لنا وأتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فأكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبتم شيئا قلنا نعم

أسمع أنه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذما دخلت قط على هذا السلطان الاوحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ماأواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القارئ الناسك الأمراء نفاق وحبه الاغنياء رياء وقال أبو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم أى من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شئ يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشرا وقال الفضيل ماازداد رجل من ذى سلطان قربا الاازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ويقول ان فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين اليه عافانا الله وإياك أبابكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى ـ لتبيننه للناس ولاتكتمونه ـ واعلم ان أيسر مارتكبت وأخف مااحتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ماعمروا لك فى جنب ماخربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم ـ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ـ الآية وانك تعامل من لايجهل ويحفظ عليك من لايغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد ـ ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولافى السماء ـ والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على مافى مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح * فنقول الداخل على السلطان متعرض لأن يعصى الله تعالى امابفعله أو بسكوته واما بقوله واما باعتقاده فلاينفك عن أحد هذه الأمور أما الفعل فالدخول عليهم فى غالب الأحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولايغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أوفتات خبز فان ذلك صحيح فى غير المغصوب أما المغصوب فلالانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لاتنقص الملك فهى فى محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجرى هذا فى كل واحد فيجرى أيضا فى المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد من المارين انما يخطو خطوة لاتنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لاتوجب قصاصا فان فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة أومظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلايعصى بالدخول من حيث انه دخول ولابقوله السلام عليكم ولكن ان سجد أو ركع أومثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التى هى آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لالمعنى آخر اقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلايباح الامجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية الاعند الخوف أولامام عادل أولعالم أولمن يستحق ذلك بأمر دينى * قبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف

يارسول الله * ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيأ لحق القدوم {ورد} أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة نحر جزورا وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر وجهه من السنة منع النبى صلى الله عليه وسلم عن طروق الليل والصوفية بعد العصر يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار {روى} جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا {وروى} كعب ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لايقدم من السفر الانهارا فى الضحى فيستحبون القدوم فى أول النهار فان فات من أول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم فى المشى أوغير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار الى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر حتى

حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فأما السكوت فهو أنه سيرى في مجالسهم من فرش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده و يسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته * وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثني عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره و بقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام * أما الدعاء له فلا يحل الا أن يقول أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال ﷺ (١) من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال ﷺ (٢) ان الله ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر (٣) من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق و بالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان رضي الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تؤب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه في الله و يمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن أحب ظالما فان أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه أن يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لاجل ذلك الخير و يبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة و يزدري نعم الله عليه و يكون مقتحما نهي رسول الله ﷺ حيث قال (٤) يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فانها مسخطة للرزق وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات أو محظورات

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام تقدم أيضا (٤) حديث يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فانها مسخطة للرزق الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الاغنياء فانه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل وقال صحيح الاسناد

ينسب الى تقصيره في الاهتمام بالسنة وقدوم أول النهار فانهم يكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فاذا صار العصر يؤخر القدوم الى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو أن الصلاة بعد العصر مكروهة * ومن الادب أن يصلي القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة ففي السنة التقرب اليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينبسط وتذهب عنه الدهشة ففي ذلك فضل كثير (روى) أبو رفاعة قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي ﷺ علي وترك خطبته ثم أتى بكرسي قوائمه من حديد فقعد رسول الله ثم جعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى

(١) دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي ﷺ نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بى أحد من الناس فجلد مائة وألبس المسوح ولا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين أحدهما أن يكون من جهتهم أمر الزام لا أمر اكرام وعلم أنه لو امتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الاجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية * والثانى أن يدخل عليهم فى دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه اما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول * الحالة الثانية أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما أنه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى أن لا يقوم ان كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم و يظهر به غضبه للدين واعراضه عمن أعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه فى جمع فراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصى مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف فى محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه اذا توقع للكلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا عنده اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالى اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام[٢] ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ وان أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شئ ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما أعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لى بها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى ﴿الحالة الثالثة﴾ أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله أمرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الاصم انما بينى و بين الملوك يوم واحد فاما أمس فلا يجدون لذته وانى واياهم فى غد لعلى وجل وانما هو اليوم وما عسى أن يكون فى اليوم وما قاله أبو الدرداء اذ قال أهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون اليها وننظر

(١) حديث دعى ابن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين أبو نعيم فى الحلية باسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد (٢) حديث حماد بن سلمة مرفوعا ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ واذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شئ هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ وللعقيلى فى الضعفاء نحوه من حديث أبى هريرة وكلاهما منكر

خطبته وأتم آخرها فأحسن أخلاق الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المسموع والمرئى وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشئ من مراسم المتصوفة فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير فقد يكون خلق من الصالحين والاولياء لا يعرفون هذا الترسم الظاهر و يقصدون الرباط بنية صالحة فاذا استقبلوا بالمكروه يخشى أن تتشوش بواطنهم من الاذى ويدخل على المنكر عليه ضرر فى دينه ودنياه فليحذر ذلك و ينظر الى أخلاق النبى ﷺ وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق وقد صح أن أعرابيا دخل المسجد و بال فأمر النبى عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الاعرابى بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتغليظ والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من

معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك * فإن قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا * فإن قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين * فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فأتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكنني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله ﷺ وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز ممن اعتز بي أيها الراعي السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة أتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما في أيدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له على أصل

النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الموضع على ألطف وجه بعد أن يقدم له الطعام ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يعتمده الفقراء من تغميز القادم بخلق حسن ومعاملة صالحة وردت به السنة روى عمر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اقتحمت بي فقد يحسن الرضا بذلك ممن يعتز في وقت تعبه وقدومه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستلذه واستدعاه يحتلم فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله

فقال له عمر هذا صوت رجته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم * وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل الى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم أعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأي الاعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأي الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو قال فأي المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فأي المؤمنين أخسر قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أو تعفيني قال لابد فانها نصيحة تلقيها الي قال يا أمير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئسما قلت قال أبو حازم ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال أبو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر الى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة * ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الاعرابي يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فانهم لم يألوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا بمسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما انك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك * وحكى أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علما لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى * أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم كمن

بعد قدومه أن لا يبتدىء بالكلام دون أن يسئل ويستحب أن يمكث ثلاثة أيام لا يقصد زيارة ومشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعثاء السفر ويعود باطنه الى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة الايام همته وينصلح باطنه ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه اذا كان منورا يستوفي حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره * وقد كنت أسمع شيخنا يوصي الاصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق الا في أصفى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل

وجب عليه أن يعالج من يضاضا نعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور * الثانى أن يزعم انى أقصد الشفاعة لمسلم فى دفع ظلامة وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول عليهم فانرسم فى الاحوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل ﴿مسئلة﴾ اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل أخذه وان لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصى بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر فى الاولى فقول الاولى أن تأخذه ان أمنت ثلاث غوائل * الغائلة الأولى أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك اليه ولا تدخله فى ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يفى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام * الغائلة الثانية أن ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك فى الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا أعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعى رضى الله عنه على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالمقتدى والمتشبه به ينبغى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير * وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به الى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم اليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل له فى ذلك فقال ان الناس قد اعتقدوا انى طولبت بأكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحجاج وكان عاملا وكان فى غداة باردة فى مجلس بارز فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبى عبد الرحمن أى طاوس وكان قد قعد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا أن يقول من بعدى انه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به اذن لفعلت * الغائلة الثالثة أن يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما أنفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى ما يحبب الظلمة اليك فان من أحببته لابد أن تحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة رضى الله عنها جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وقال عليه السلام (١) اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى بين ﷺ ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروى ان بعض الامراء أرسل الى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق قال سل أصحابى فقالوا أخرجه كله فقال أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل اليك قال لا بل الآن قال انما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه اذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما من رضى بأمر وان غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا بأعمالهم فان كنت فى القوة بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ * وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال لو أخذ رجل بيدى وأدخلنى الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبى لان الذى سخره للاخذ بيدى هو الذى أبغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وان كان ذلك المال عينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل ﴿مسئلة﴾ ان قال قائل اذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والايام من طريق أهل البيت مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة

عليه وسلم اذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه وان نوى ان يقيم أياما وفى وقته سعة ولنفسه الى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وان كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لان الخدمة لاهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط الا باذن المقدم فيه ولا يفعل شيأ دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جمل أعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضله يزيدهم توفيقا وتأديبا ﴿الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب﴾ اختلف أحوال الصوفية فى الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن الى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل فى وقت فاقته

لانه بما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه وليس هذا كالو بعثه اليك فان العاقل لايظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لايعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلايجوز أن يقبل منه المال مالم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قدحصل له بشراء فى ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لاسبيل اليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء فى الذمة أوغيره وجب الرد عليه فاذالايجوز سرقة مالهم لامنهم ولا ممن أودع عنده ولايجوز انكار ودیعتهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق أنه ليس ملكالهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى ﴿مسئلة﴾ المعاملة معهم حرام لان أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم اليهم فان علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف فى الصحة وان أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى فى عينه من الاموال وفى معناه بيع الفرس منهم لاسيما فى وقت ركوبهم الى قتال المسلمين أوجباية أموالهم فان ذلك اعانة لهم بفرسه وهى محظورة فأما بيع الدراهم والدنانير منهم ومايجرى مجراها مما لايعصى فى عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية فى الاهداء اليهم وفى العمل لهم من غير أجرة حتى فى تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره الامن حيث أخذ الاجرة فان ذلك حرام الامن وجه يعلم حله ولوانتصب وكيلالهم يشترى لهم فى الاسواق من غير جعل أوأجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم مايعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للفرش واللبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة ﴿مسئلة﴾ الاسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولايجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالاولى الشراء منها فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التى لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الاراضى التى لهم عليها الخراج فانهم ربما يصرفون مايأخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو فى الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قدعم الاراضى ولاغنى بالناس عن ارتفاق الارض ولامعنى للمنع منه ولوجاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لايطلب خراجها وذلك ممايطول ويتداعى الى حسم باب المعاش ﴿مسئلة﴾ معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد أما القضاة فلانهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زى العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولايقع فى أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولاوجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لاأشهد عندهم وان تحققت لانى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجلة انمافسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال ﷺ (١) لاتزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم تمالئ قراؤها أمراءها وانماذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وماوراء ذلك من العلوم فهى محدثة بعدهم وقدقال سفيان لاتخالط السلطان ولامن يخالطه وقال صاحب القلم

(١) حديث لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم تمالئ قراؤها أمراءها أبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها واسنادهما ضعيف

وطمـ فى كل ذلك أدب وحد يراعونه ولايتعدونه واذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى فى الذى يدخل فيه من سبب أوترك سبب فلاينبغى للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبى عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فاما الترغيب فاروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضمن لى واحدة أتكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لاتسأل الناس شيأ فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها ﴿وروى﴾ أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتى رجلا فيسأله اعطاه أومنعه فان اليد العليا خير من اليد السفلى ﴿أخبرنا﴾ الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل وصاحب

وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله ﷺ (١) لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود رضي الله عنه (٢) آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ (٣) وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله ﷺ وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا روى عن عثمان بن زائدة أنه ساله رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها الى ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لأن المعصية تنقسم الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فانما يغلظ أمرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال ﷺ (٤) يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال ﷺ (٥) من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيآت المشهورة فمن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روى ان الله تعالى أوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار قال انهم لا يغضبون لغضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ (٦) ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين

---

(١) حديث أن النبي ﷺ لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهده ولأبي داود لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه قال الترمذي وصححه وابن ماجه وشاهديه (٣) حديث جابر لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قال هم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فاشار اليه الترمذي بقوله وفي الباب ولابن ماجه من حديثه ان آخر ما أنزلت آية الربا ان رسول الله ﷺ مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على انه لم يسمع منه (٤) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك ان طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث (٦) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني اسرائيل اذ خالطوا في معايشهم أبو داود والترمذي وابن ماجه قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم لفظ الترمذي وقال حسن غريب

الحافظ المقدسي قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي ببغداد قال أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد قال ثنا عبدالله ابن محمد بن عبد العزيز قال ثنا على بن الجعد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني واياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فاصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امرأتي ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتاه فلان فاعطاه وأتاه فلان فاعطاه قال فاتيته وقلت التمس شيأ فذهبت أطلب فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيأ فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب الينا ممن سألنا قال فرجعت وما سألته فرزقني الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الانصار أكثر أموالا منا وامامن حيث

في معاشهم ﴿مسئلة﴾ المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وان وجد عنه معدلا تأكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما اذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لايحل العبور عليه أصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فان بني في أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلايجوز دخوله أصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء فلذلك جوزنا للمقتدي الاقتداء بمن صلى في الارض المغصوبة وان عصى صاحبه بالوقوف في الغصب وان كان من مال لايعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخران وجد فان لم يجد غيره فلايترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلاعذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد أعني في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة في جماعة ونحن بالعسكر فقال حجتي ان الحسن وابراهيم التيمي خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضا وأما الخلوق والتجصيص فلايمنع من الدخول لانه غير منتفع به في الصلاة وانما هو زينة والاولى انه لاينظر اليه وأما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانها محل شبهة ✽ وأما السقاية فحكمها ماذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول اليها الا اذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة ✽ وأما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة أو الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلارخصة للدخول فيه وان التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لايلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد اذليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح ولان الحرام أغلب على أموالهم اذليس لهم أخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وأرباب الامر ﴿مسئلة﴾ الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز أن يتخطى فيه ألبتة وان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان أمكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لايحتاج فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فاذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لان السقف لايراد الا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لمافيه من المماسة بل للانتفاع والارض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلافرق بينهما

﴿الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى﴾

﴿مسئلة﴾

سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما أو نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا ✽ فقلت أما الصوفية فلاشبهة في حقهم اذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم اذا أكلوه برضا الخادم ولكن لايخلو عن شبهة أما الحل فلان مايعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وماياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله أن يطعم غير العيال اذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولايتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لان

﴿الباب السابع في مسائل متفرقة﴾

وجهه مزعة لحم وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لايسأل الناس ولايفطن بمكانه فيعطى هذا هو حال الفقير الصادق والمتصوف المحقق لايسأل الناس شيأ ومنهم من يلزم الادب حتى يؤديه الى حال يستحيي من الله تعالى ان يسأله شيأ من أمر الدنيا حتى اذا همت النفس بالسؤال ترده الهيبة ويرى الاقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما نقل عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه جاءه جبريل وهو في الهواء قبل ان يصل الى النار فقال هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا

ذلك مصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صائر اليه في الصدقات والهدايا و يبعد أن يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن أن يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم القيامة وانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا أن يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمروأة فان منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله

﴿مسئلة﴾ سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف اليه فقلت التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم و بعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يناقض أن يقال صوفي مقرئ وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس و يتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذا اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وان لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها الا العادات وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره أو في مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم * وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم

﴿مسئلة﴾ ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين فان أمر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من صالح معايشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف الى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم لا كل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام و يأكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم * وأما الفقيه إذا كان على زيهم وأخلاقهم

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى اليه القسم من غير سؤال مخلوق بلغنا عن بعض الصالحين انه كان يقول إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشئ لا تخلو تلك المطالبة اما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه اليه فتنبه النفس له فقد تتطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وأما أن يكون ذلك عقوبة لذنب وجد منه فاذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء و يصل ركعتين و يقول يارب ان كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فاستغفرك وأتوب إليك وان كانت لرزق قدرته لي فعجل وصوله إلى فان الله تعالى يسوقه إليه ان كان رزقه والا فتذهب المطالبة عن باطنه فشأن الفقير أن ينزل حوائجه بالحق فأما أن يرزقه الشئ أو

فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بقولهم ان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما * وأما الفقيه اذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم فان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزي وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابه أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في أبواب الشبهات

﴿مسئلة﴾ سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت احداهما دون الاخرى * فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة ﴿الاول﴾ ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك اما أن يكون لكون المصروف اليه محتاجا أو عالما أو منتسبا بنسب ديني أو صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له أن يأخذه الا أن يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق وكان المتورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقي خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي أن يجتنب الاخذ بالدين ما أمكن ﴿القسم الثاني﴾ ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود ﴿الثالث﴾ أن يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام أو ظلم انسان أو غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله أوصل هذه القصة الى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينعم علي بكذا وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير أو غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن

بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشئ بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله * حكي عن بعض الفقراء قال جعت ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لي على يد بعض عباده شيأ فلم يقدر فنمت جائعا فأتى آت في منامي فقال لي اذهب الى موضع كذا وعين الموضع فثم خرقة زرقاء فيها قطيعات أخرجها في مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتفرد بالله فقد تفرد بغني قادر لا يعجزه شئ يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء وأولى من

معرفته بموضع الخلل وحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا لا أرى بأسا بأخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل ﴿الرابع﴾ مايقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى اليه لالغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع قال ﷺ (١) تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال أو المآل سمي ذلك هدية وحل أخذها ﴿الخامس﴾ أن يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لالمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لايهدى اليه فان كان جاهه لأجل علم أو نسب فالامر فيه أخف وأخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لايهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر في جنسه اذ مايمكن التوصل اليه بالولايات لايخفى وآية أنه لايبغي المحبة انه لو ولى في الحال غيره لسلم المال الى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارضا فانه دائر بين الهدية المحضة و بين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار أحدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر في ذلك قال ﷺ (٢) يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء لتوعظ به العامة * وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها الاعلى قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيأ في معرض العوض شفع مسروق شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت مافي قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولداه من بيت المال وقال انما أعطيتما لمكانكما مني اذ علم أنهما أعطيا لاجل جاه الولاية وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله ﷺ (٣) يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة أي كان يتقرب اليه لنبوته لالولايته ونحن انما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ماروى أبو حميد الساعدي ان رسول الله ﷺ (٤) بعث واليا على صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله ﷺ أمسك بعض مامعه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هدية ألا جلس في بيت أمه ليهدى له والذى نفسي بيده لايأخذ منكم أحد شيأ بغير حقه الا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه

---

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدي (٢) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء ليوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٣) حديث كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٤) حديث أبي حميد الساعدي ان رسول الله ﷺ بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لي الحديث متفق عليه

سأل نفسه يسألها الصبر الجميل فان الصادق تجيبه نفسه * وحكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء اليه ذات يوم وقال له أريد حبة قال فقلت له ماتفعل بالحبة فذكر شهوة يشتريها بالحبة ثم قال عن اذنك اذهب واستقرض الحبة قال قلت نعم استقرضها من نفسك فهي أولى من أقرض وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

ان شئت أن تستقرض المال منفقا * على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها * عليك وارفاقا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وان أبت * فكل منوع بعدها واسع العذر

فاذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له بشئ ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب و يسأل فقد كان

فى ولايته ومايعلم انه انما يعطاه لولايته فحرام أخذه وماأشكل عليه فى هدايا أصدقائه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

﴿ تم كتاب الحلال والحرام بحمدالله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم ﴾

﴿ كتاب آداب الالفة والاخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمدلله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا * وألف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا * ونزع الغل من صدورهم فظلوا فى الدنيا أصدقاء وأخدانا * وفى الآخرة رفقاء وخلانا * والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا ﴿أما بعد﴾ فان التحاب فى الله تعالى والاخوة فى دينه من أفضل القربات * وألطف مايستفاد من الطاعات فى مجارى العادات * ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى و بالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب فى ثلاثة أبواب ﴿ الباب الاول ﴾ فى فضيلة الالفة والاخوة فى الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها * ﴿ الباب الثانى ﴾ فى حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها ﴿الباب الثالث﴾ فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الاسباب

﴿ الباب الأول فى فضيلة الالفة والاخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها ﴾

﴿ فضيلة الالفة والاخوة ﴾

اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لاتخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال النبى ﷺ (١) أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال أسامة بن شريك قلنا يارسول الله (٢) ماخير ما أعطى الانسان فقال خلق حسن وقال ﷺ (٣) بعثت لأتمم محاسن الاخلاق وقال ﷺ (٤) أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن وقال ﷺ (٥) ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال ﷺ (٦) ياأباهريرة عليك بحسن الخلق قال أبوهريرة رضى الله عنه وماحسن الخلق يارسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك ولايخفى أن ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد فى الثناء على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هى التقوى والدين

﴿ كتاب آداب الصحبة ﴾

﴿الباب الأول فى فضيلة الألفة والأخوة﴾

(١) حديث أول مايدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الاسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يارسول الله ماخير ماأعطى الانسان قال خلق حسن ابن ماجه باسناد صحيح (٣) حديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٤) حديث أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار ابن عدى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة قال ابن عدى فى أسناده بعض النكرة (٦) حديث ياأباهريرة عليك بحسن الخلق قال وماحسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى فى الشعب من رواية

لله ونقل عن أبى جعفر الحداد وكان أستاذا للجنيد انه كان يخرج بين العشاءين و يسئل من باب أو بابين و يكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين ونقل عن ابراهيم ابن أدهم أنه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر فى كل ثلاث ليال ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب ونقل عن سفيان الثورى انه كان يسافر من الحجاز الى صنعاء اليمن و يسأل فى الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا فى الضيافة فيقدم لى الطعام فأتناول حاجتى وأترك مابقى *وقد ورد من جاع ولم يسأل فمات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لايبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم و يمسك عن السؤال بالعلم وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على

والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع * قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال فأصبحتم بنعمته اخوانا أي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى لعلكم تهتدون وقال ﷺ (١) ان أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال ﷺ (٢) المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال ﷺ (٣) في الثناء على الاخوة في الدين من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وقال ﷺ (٤) مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا وقال عليه السلام في الترغيب في الاخوة في الله (٥) من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشئ من عمله وقال أبو ادريس الخولاني لمعاذ اني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله ﷺ (٦) يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله تعالى ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه (٧) ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال ﷺ (٨) ما تحاب اثنان في الله الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في الله اذا كان أحدهما

الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (١) حديث ان أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون الطبراني في مكارم الاخلاق من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٣) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف ان ذلك في الامير ورواه أبو داود من حديث عائشة اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه الحديث ضعفه ابن عدي ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين (٤) حديث مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٥) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشئ من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل الا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة واسناده ضعيف (٦) حديث قال أبو ادريس الخولاني لمعاذ اني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل ان أبا ادريس قال قلت والله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول ان المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك الاشعري ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه (٧) حديث أبي هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٨) حديث ما تحاب اثنان في الله الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد

المعاصي ثم انتبه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيأ وأكتفي بعلم الله بحالي قال فبقيت أياما في الطريق ففتح الله علي بالماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الامر ولم يفتح الله علي بشئ فجعت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت أتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن مني القاء النفس الى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسئلة الاضطرار أسأل فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني انكار لهذا الحال وقلت عزيمة عقدتها مع الله لا أنقضها وهان علي الموت دون نقض عزيمتي فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت رأسي استطراحا للموت وذهبت القافلة فبينا أنا كذلك اذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركني فقمت وفي يده اداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم

أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون اخوة الولادة قال عز وجل ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ وقال ﷺ (١) ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي وقال ﷺ (٢) ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال ﷺ (٣) سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال اني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال ﷺ (٤) مازار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة وقال ﷺ (٥) ان رجلا زار أخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد أوجب لك الجنة وقال ﷺ (٦) أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله تعالى أوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا أو هل واليت في وليا وقال ﷺ (٧) اللهم لا تجعل لفاجر على منة فترزقه مني محبة ويروى ان الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيأ وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال يا داود مالي أراك منتبذا وحيدا قال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصاحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي أخبار داود عليه السلام انه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما

---

(١) حديث ان الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم

(٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا اليه ورغبة في لقائه وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أو زار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا قال الترمذي غريب

(٥) حديث ان رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة

(٦) حديث أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لفاجر على منة الحديث تقدم في الكتاب الذي قبله

قدم لي طعاما وقال كل فأكلت ثم قال لي أتريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد عبرت فقال لي قم وأخذ بيدي ومشي معي خطوات ثم قال لي اجلس فالقافلة اليك تجيء فجلست ساعة فاذا أنا بالقافلة ورائي متوجهة الي هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق * وذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله أن بعض الصوفية أول قول رسول الله ﷺ أحل ما أكل المؤمن من كسب يده بانه المسئلة عند الفاقة وأنكر الشيخ أبو طالب هذا التأويل من هذا الصوفي وذكر ان جعفر الخلدي كان يحكي هذا التأويل عن شيخ من شيوخ الصوفية ووقع لي والله أعلم ان الشيخ الصوفي لم يرد بكسب اليد ما أنكر الشيخ أبو طالب منه وانما أراد بكسب اليد رفعها الى الله تعالى عند الحاجة فهو من أحل ما يأكله اذا أجاب الله سؤاله وساق اليه رزقه

وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل تتراءى فى بطنه من الهزال وقال محمد الباقر رحمه الله قالها وانه محتاج الى شق تمرة وروى عن مطرف انه قال أما والله لو كان عند نبى الله شئ ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى عن النصراباذى أنه قال فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير لم يسأل الكليم الخلق وانما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غذاء النفس انما أراد سكون القلب وقال أبو سعيد الخراز الخلق مترددون بين ما لهم وبين ما اليهم من نظر الى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما اليه تكلم بلسان الخيلاء والفخر ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ماخاطبه به الحق كيف قال أرنى أنظر اليك ولما نظر الى نفسه كيف أظهر الفقر وقال انى

بينى و بينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال النبى ﷺ (١) ان أحبكم الى الله الذين يألفون و يؤلفون وان أبغضكم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال ﷺ (٢) ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين وقال أيضا (٣) ما أحدث عبد أخا فى الله الا أحدث الله له درجة فى الجنة وقال ﷺ (٤) المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين فى الله فيضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون فى الله

﴿الآثار﴾ قال على رضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمع الى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لاهل طاعة الله و بغض لاهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيأ وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم انى اذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى اليك وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الابرار الا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى غيظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لاخيك غفرتها بأى قريب باعدته فى الله بأى بعيد قاربته فى الله و يروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لى عملا قط فقال الهى انى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لى قال موسى الهى دلنى على عمل هو لك قال ياموسى هل واليت لى وليا قط وهل عاديت فى عدوا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب وقال الحسن رضى الله عنه مصارمة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال أحبك الذى أحببتنى له ثم حول وجهه وقال اللهم انى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا اذا قيل لى من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه و يقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه اذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون فى الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة

﴿بيان معنى الاخوة فى الله وتمييزها من الاخوة فى الدنيا﴾

اعلم ان الحب فى الله والبغض فى الله غامض و ينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع

(١) حديث ان أحبكم الى الله الذين يألفون و يؤلفون الحديث الطبرانى فى الاوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا فى الله تعالى الا أحدث الله له درجة فى الجنة ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود

بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أو فى السوق أو على باب السلطان أو فى الاسفار والى ماينشأ اختيارا ويقصد وهو الذى نريد بيانه اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لامحالة اذ لاثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فاما أن يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما أن يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما أن يكون متعلقا بالآخرة واما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام ﴿ أما القسم الاوّل ﴾ وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة واما أن يكون هى الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لامحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولا حسن فى خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشئ ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله ﷺ (١) عن ذلك حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الالفاظ (٢) الارواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فاى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال ﷺ (٣) ان أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط وروى (٤) ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت لها صاحبتها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق فى هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم * وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم أن يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضى التناسب والتواد واذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه أكثر من الاشكال فى أصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا فى التصديق بذلك

سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (١) حديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الارواح تلتقى فتتشام فى الهواء الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على ان الارواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام الحديث (٣) حديث ان أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج (٤) حديث ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة

ـا أنزلت الىّ من خير فقير . وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الانوار افتقار العبد الى مولاه فى جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب * وقال الحسين فقير لما خصصتنى من علم اليقين أن ترقينى الى عين اليقين وحقه ووقع والله أعلم فى قوله لما أنزلت الىّ من خير فقير أن الانزال مشعر ببعد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فما قنع بالمنزل وأراد قرب المنزل ومن صح فقره ففقره فى أمر آخرته كفقره فى أمر دنياه ورجوعه اليه فى الدارين واياه يسأل حوائج المنزلين وتتساوى عنده الحاجتان فماله مع غير الله شغل فى الدارين

﴿ الباب العشرون فى ذكر من يأكل من الفتوح ﴾

اذا كمل شغل الصوفى بالله وكمل زهده لكمال تقواه بحكم الوقت عليه بترك السبب وينكشف

التجربة

التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال ﷺ (١) لو أن مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو أن منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على أن شبه الشئ منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة الا وفى أحدهما وصف من الآخر وان أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يأنس الى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا فى الحال فلابد أن يفترقا وهذا معنى خفى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم

وقائل كيف تفارقتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة فى عينها وان قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء الجارى والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم ﴿القسم الثانى﴾ أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب فى الله وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس فى شئ من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها ﴿القسم الثالث﴾ أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الدنيا بل يرجع الى حظوظه فى الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم فى ملكوت السماء اذ قال عيسى ﷺ من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة فى تحصيل هذا الكمال

عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم (١) حديث لو أن مؤمنا دخل الى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه الحديث البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من

له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم فيزول عن باطنه الاهتمام بالاقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له بابا من التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منهى عنه فى الشرع يجد غب ذلك فى وقته أو يومه كان يقول بعضهم انى لأعرف ذنبى فى سوء خلق غلامى وقيل ان بعض الصوفية قرض الفار خفه فلما رآه تألم وقال لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا اشارة منه الى أن الداخل عليه مقابلة له على شئ استوجب به ذلك فلا تزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله وتمحى عنده أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقا وحالا لا علما وايمانا ثم يتداركه

فان أحبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبيخ فهو من جملة المحبين فى الله وكذا لو أحب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد أحبه فى الله بل نزيد على هذا ونقول اذا أحب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه فى هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله بل نزيد عليه ونقول اذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب فى الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله ولذلك وردت الاخبار (١) بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة فاذا أحب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور أن يحب شيأ الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول اذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا أحبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين فى الله كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال فأحبه من حيث ان فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة فهو وسيلة اليهما فهو محب فى الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب فى العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذى أمر به الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقال عيسى عليه السلام فى دعائه اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى بل قال لا تجعلها أكبر همى وقال نبينا ﷺ فى دعائه اللهم (٢) انى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة وقال اللهم (٣) عافنى من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة فى الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين احداهما أقرب من الاخرى فكيف يتصور أن يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا الا أن الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهى التى احترز عنها الانبياء والاولياء وأمروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهى التى لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعنى أن يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو أحب أستاذه لانه يواسيه ويعلمه أو تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ولكن بشرط

حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه وله فى المسند (١) حديث الأجر فى الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته تقدم (٢) حديث اللهم انى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة الترمذى من حديث ابن عباس فى الحديث الطويل فى دعائه ﷺ بعد صلاة الليل وقد تقدم (٣) حديث اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة أحمد من حديث بشر بن أبى أرطاة نحوه بسند جيد

الاهتمام بالرزق فخرج الى بعض الصحارى فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية فبينما هو كذلك اذا انشقت الارض وخرجت سكرجتان فى احداهما سمسم نقى وفى الاخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الارض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبى الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده فى هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالاقسام ويرى الدخول فى التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير نا
ظرا الى فعل الله تعالى منتظر الامر الله فتساق اليه

واحد

واحد وهو أن يكون بحيث لومنعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لانسان لجملة أغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى أغراض هى أكثر مما توصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل فى جملة الحب لله وحده هو أن كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الايمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب فى الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريرى يعامل الناس فى القرن الاول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفى الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق الا الرهبة والرغبة ﴿القسم الرابع﴾ أن يحب لله وفى الله لا لينال منه علما أو عملا أو يتوسل به الى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها وهذا القسم أيضا ممكن فان من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب و يناسبه ولو من بعد فمن أحب انسانا حبا شديدا أحب محب ذلك الانسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه وأحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا أحب المؤمن أحب كلبه وهو كما قال و يشهد له التجربة فى أحوال العشاق و يدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته و يحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بنى عامر

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به و يتعلق بأسبابه و يناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفى فيه ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه و يحيط به و يتعلق بأسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى اذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب انسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله ولذلك كان ﷺ (١) اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال انه قريب العهد بربنا * وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فاذا قوى تعدى الى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما هو فى نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب أو قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر ادراك الالم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد ان أنال مغفرة الله بمعصية الله وقال سمنون

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة والمقصود أن حب الله اذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب

(١) حديث كان اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال انها قريب عهد بربها الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وأبو داود فى المراسيل والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال انه غير محفوظ وحديث أبى هريرة فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذى حسن صحيح

مكاشفاته تجليات من الله تعالى بطريق الافعال والتجلى بطريق الافعال رتبة من القرب ومنه يترقى الى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى الى تجلى الذات والاشارة فى هذه التجليات الى رتب فى اليقين ومقامات فى التوحيد شئ فوق شئ وشئ أصفى من شئ فالتجلى بطريق الافعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهيبة والانس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون فى تجلى الذات وهو

الله ﷺ ليلة المعراج ومنع عنه موسى بلن ترانى فليعلم ان قولنا فى التجلى اشارة الى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل العبد الى مبادى أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الالهى مجردا عن فعل سواه يكون تناوله الاقسام من الفتوح * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال من وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسئلة ولا اشراف فليأخذه وليوسع به فى رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه الى من هو أحوج منه وفى هذا دلالة ظاهرة على ان العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم اذا أخذ فمنهم من يخرجه الى المحتاج ومنهم من يقف فى الاخراج أيضا حتى يرد عليه الله

للآخرة ومحب لله الا اذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد فى نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل و يقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته و بحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولا فى الآخرة فذلك الميل هو حب فى الله ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضى عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فاذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين و يتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم و بفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جميلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه الا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال

أريد وصاله و يريد هجرى * فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال * وما لجرح اذا أرضاكم ألم * وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه فى نصف ماله أو فى ثلثه أو فى عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك فى مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيأ مثل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التى هى قرة عينه و بذل جميع ماله قال ابن عمر رضى الله عنهما بينما رسول الله ﷺ (١) جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه عن الله السلام وقال له يارسول الله مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فأقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال فالتفت النبى ﷺ الى أبى بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله و يقول أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال أعلى ربى أسخط أنا عن ربى راض أنا عن ربى راض * فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أو أحب شخصا راغبا فى علم أو فى عبادة أو فى خير فانما أحبه فى الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته و بهذا يتضح البغض فى الله أيضا ولكن نزيده بيانا

﴿ بيان البغض فى الله ﴾

اعلم أن كل من يحب فى الله لابد أن يبغض فى الله فانك ان أحببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلابد أن تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب وانما يترشح عند الغلبة و يترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة فاذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت فى وليا وهل عاديت فى عدوا كما نقلناه وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك الا طاعاته تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك الا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصى فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض فى حق

(١) حديث ابن عمر بينما النبى ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء قال الذهبى فى الميزان هو كذب

الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها و يكره بعضها فانك تحبه من وجه و تبغضه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه و يبغضه من وجه و يكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه * فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الاسلام فأقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال و بين الاقبال والاعراض و بين التودد اليه والتوحش عنه ولا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى و يعصيه و يتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى * فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فأقول أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة و بالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة و بالسعي في اساءته وافساد مآربه أخرى و بعض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الستر والاغماض أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك و بينه مودة وصحبة واخوة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء وأما اذا لم تتأكد اخوة وصحبة فلابد من اظهار أثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه وأما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والاخرى السعي في افساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين وهذا لابد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية أما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك و يقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى ألا تحبون أن يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة (1) الافك فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من أساء من أخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب الى الله من تقوية قلب الظالم فأما اذا كنت أنت المظلوم فالاحسن في

(1) حديث كلام مسطح في الافك وهجر أبي بكر له حتى نزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه

من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق واخراجه بالحق * أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحق ابراهيم ابن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو قال أنا يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حويطب ابن عبد العزى عن عبد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول له أعطه يارسول الله من هو أفقر مني فقال رسول الله ﷺ خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيأ ولا يرد شيأ أعطيه درج رسول الله ﷺ الاصحاب بأوامره الى رؤية فعلي

حقك العفو والصفح * وطرق السلف قد اختلفت فى اظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره فأما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الاكابر فى أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله انى لا أسأل أحدا شيأ ولو حمل السلطان الى شيأ لأخذته وهجر الحرث المحاسبى فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة وقال انك لابد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر أبا ثور فى تأويله قوله ﷺ (١) ان الله خلق آدم على صورته وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلا فى المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فأكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصى المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبى الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه و يقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية فى الاغماض عن الجناية على حق الله وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه و يترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له * فان قلت فأقل الدرجات فى اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصى العبد بتركه فأقول لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول عليه و يظهر البغض له والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال فى هذه الامور اما مكروهة أو مندوبة فتكون فى رتبة الفضائل ولا تنتهى الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدى افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا

﴿ بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم ﴾

﴿ فان قلت ﴾ اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ﴿ فاعلم ﴾ ان المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو اما أن يكون مخالفا فى عقده أو فى عمله والمخالف فى العقد اما مبتدع أو كافر والمبتدع اما داع الى بدعته أو ساكت والساكت اما بعجزه أو باختياره فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة ﴿ الأول ﴾ الكفر فالكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل والارقاق وليس بعد هذين اهانة وأما الذمى فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى أضيق الطرق و بترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته واما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى ـ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ـ الآية وقال ﷺ (٢) المسلم والمشرك لا تترا أى ناراهما وقال عز وجل ـ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ـ الآية ﴿ الثانى ﴾ المبتدع الذى يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمى لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر به

من حديث عائشة (١) حديث ان الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث المؤمن والمشرك لا ترا أى ناراهما أبو داود والترمذى من حديث جرير أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم قال لا ترا أى ناراهما ورواه النسائى مرسلا وقال البخارى الصحيح انه مرسل

قال هو ترك التدبير ولو كان هذا فى واحد لكان من أوتاد الارض * وروى زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ من جاءه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا اشراف نفس فليقبله فانما هو شئ من رزق الله تعالى ساقه الله اليه وهذا العبد الواقف مع الله تعالى فى قبول ما ساق الحق آمن ما يخشى عليه انما يخشى على من يرد لان من ورد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد فى أخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفى اخراجه الى الغير اثبات حقيقته فلا يزال فى كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفى هذا المقام يتحقق الزهد فى الزهد ومن أهل الفتوخ

فأمره بينه و بين الله أخف من أمر الكافر لامحالة ولكن الأمر فى الانكار عليه أشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق أما المبتدع الذى يدعو الى البدعة و يزعم أن مايدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب فى اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد وان سلم فى خلوة فلا بأس برد جوابه وان علمت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح فى نفسه بدعته و يؤثر فى زجره فترك الجواب أولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الانسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وان كان فى ملأ فترك الجواب أولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى كف الاحسان اليه والاعانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام (١) من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ ﴿الثالث﴾ المبتدع العامى الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به فى النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان فى الاعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده فى قلبه فالاعراض أولى لان البدعة اذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها * وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشى بالنميمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه و يؤذى غيره وذلك ينقسم الى مايدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذى يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره الى فعله كالذى يشرب و يزنى وهذا الذى لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فاما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة و بعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا ﴿القسم الأول﴾ وهو أشدها مايتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم فى الدماء والى من يظلم فى الاموال والى من يظلم فى الاعراض و بعضها أشد من بعض فالاستحباب فى اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد ﴿الثانى﴾ صاحب الماخور الذى يهيئ أسباب الفساد و يسهل طرقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق فى دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه أخف منه فان المعصية بين العبد و بين الله تعالى الى العفو أقرب ولكن من حيث أنه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضى الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره ﴿الثالث﴾ الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه فى وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهى عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق أن نصحه يمنعه عن العود اليه وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات اذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفى العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل الى هواه ومقتضى طبعه فالأولى

(١) حديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا الحديث أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من

من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فنهم من لا يتناول من الفتوح الا اذا تقدمه علم بتعريف من الله اياه ومنهم من يأخذ غير متطلع الى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدمة العلم فوق من ينتظر تقدمة العلم لتمام صحبته مع الله وانسلاخه من ارادته وعلم حاله فى ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكدر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الاولين لانه علة فى المحبة ووليجة فى الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم فى الاخراج أيضا كما ينتظر فى الأخذ لان النفس تظهر فى الاخراج كما تظهر فى الأخذ وأتم من هذا من يكون فى اخراجه مختارا وفى أخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم إنما

ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على اشارات الشيطان و بعيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب فى أعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتى فيه وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات و يدل على تخفيف الامر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد و بين الله ما روى (١) أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله ﷺ مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال ﷺ لا تكن عونا للشيطان على أخيك أو لفظا هذا معناه وكان هذا اشارة الى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ

﴿ بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته ﴾

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال ﷺ (٢) المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته و تشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لابد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط و يطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب و يصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات فى طلب القوت ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله قال يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم و يقال اذا غفر الله للعبد شفع فى اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ونحن نفصلها أما على الجملة فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا * أما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير فى صحبة الأحمق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت قال على رضى الله عنه

فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه وللشئ من الشئ * مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدرى ولذلك قال الشاعر

انى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه * أدرى فأرصد والجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله وقال الثورى النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعنى بالعاقل الذى يفهم الأمور على ما هى عليه أما بنفسه وأما اذا فهم * وأما حسن الخلق فلابد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء

حديث ابن عمر بسند ضعيف (١) حديث ان شارب خمر ضرب بين يدى النبى ﷺ الحديث وفيه لا تكن عونا للشيطان على أخيك البخارى من حديث أبى هريرة (٢) حديث المرء على دين خليله الحديث أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح ان شاء الله

متجدد و يخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا أعز فى الاحوال من الكبريت الاحمر ﴿وكان﴾ شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الدباس أنه كان يقول أما لا آكل الا من طعام الفضل فكان يرى الشخص فى المنام أن يحمل اليه شيأ وقد كان يعين للرائى فى المنام أن احمل الى حماد كذا وكذا وقيل انه بقى زمانا يرى هو فى واقعته أو منامه انك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه انه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط

على ماهى عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير فى صحبته وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة فى صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال واتبع سبيل من أناب إلى وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق وأما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الامين من القوم ولا أمين الا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى * وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال يابنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى سيئة سدها اصحب من إذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وان حاولتما أمرا أمرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها قال ابن أكثم قال المأمون فأين هذا فقيل له أتدرى لم أوصاه بذلك قال لا قال لانه أراد أن لا يصحب أحدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك و يستر عيبك فيكون معك فى النوائب و يؤثرك بالرغائب و ينشر حسنتك و يطوى سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال على رضى الله عنه

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء لا تصحب الا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيأ فى أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيأ فى أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضى الله عنه لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد و يبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شئ يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك و يفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى قارئ سيئ الخلق وقال ابن أبى الحوارى قال لى أستاذى أبو سليمان يا أحمد لا تصحب الا أحد رجلين رجلا ترتفق به فى أمر دنياك أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة والاخوة كما قاله بشر الاخوان ثلاثة أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المأمون الاخوان ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس كمثل

بالله (قال) الواسطى الافتقار الى الله أعلى درجة المريدين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين (وقال) أبو سعيد الخراز العارف تدبيره فنى فى تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر إلى الله وأحسن ما حكى فى هذا ان بعضهم رأى النورى يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لى لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الآخذ لأنه يعطى الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها إليه فقلت فى نفسى إنما يزن ليعرف مقدارها فكيف خلط

الشجر والنبات فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ماليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر

الناس شتى إذا ماأنت ذقتهم * لايستوون كما لايستوى الشجر
هـذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به قال أبو ذر رضى الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعا وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من أناب الى ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لاتنظروا الى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامة فى مخالطتهم وانما السلامة فى الانقطاع عنهم قال الله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أى سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من اثمكم وأنتم سلمتم من شرنا فهذا ماأردنا أن نذكره من معانى الاخوة وشروطها وفوائدها فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة قال على عليه السلام أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ماأوقعنى فى بلية الاصحبة من لاأحتشمه وقال لقمان يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الارض الميتة بوابل القطر

﴿ الباب الثانى فى حقوق الاخوة والصحبة ﴾

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلأخيك عليك حق فى المال والنفس وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق

﴿ الحق الاول ﴾

فى المال قال رسول الله ﷺ (١) مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لاباليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب * أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان أحوجته الى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الاخوة * الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته فى المال قال الحسن كان أحدهم يشق ازاره بينه وبين أخيه * الثالثة وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس أيضا كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء

﴿ الباب الثانى فى حقوق الاخوة والصحبة ﴾

(١) حديث مثل الاخوين مثل اليدين الحديث تقدم فى الباب قبله

فوزن مائة درهم وقال ردها وقل له أنا لا أقبل منك شيأ وأخذ مازاد على المائة قال فزاد تعجبى فسألته على ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ماجعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد مالنا (ومن لطائف) ما سمعت من أصحاب شيخنا انه قال ذات يوم لاصحابه نحن محتاجون الى شئ من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم واسألوا الله تعالى ومايفتح الله تعالى لكم ائتونى به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطائحى ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذى فتح الله لى فى واقعتى فأخذ الشيخ الكاغد

فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له في ذلك فقال أحببت أن أوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لاوقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليؤاخ أهل القبور * وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا قال أبو حازم إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة * وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون أي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال اني أريد أن أواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فان أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغني ان أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال اني أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم على أن أكون أملك لشيئك منك قال لا قال أعجبني صدقك قال فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى ابراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذي أكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اسمح يسمح لك وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة وروى ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله ﷺ [1] بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والايثار أفضل من المساواة وقال أبو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من اخواني لاستقللتها له وقال أيضا اني لالقم اللقمة أخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه اخواني في الله أحب

(١) حديث لما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس

فلم يكن الاساعة فاذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحة فترك كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسماعيل أو كلاما هذا معناه * وسمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخص وقال لفلان طعام وذهب اثنى من ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل كيف أتصرف في وديعة عندي ولو استفتيتك ما أفتيتني بالتصرف فألزمه الشيخ بذلك فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب في بعض نواحي العراق أن احمل إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال ظننت بالفقراء أن اشلراتهم

إلى من أن أعتق رقبة واقتداء الكل فى الايثار برسول الله ﷺ (١) فانه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار الا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه فأشار بهذا إلى أن الايثار هو القيام بحق الله فى الصحبة وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ (٢) حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لاتفعل فأبى عليه السلام الا أن يستره بالثوب حتى اغتسل وقال ﷺ (٣) مااصطحب اثنان قط الا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجىء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الاكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال يامويلك هكذا كنا لايحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الاخوان من الصفاء فى الاخوة كيف وقد قال الله تعالى أوصديقكم وقال أوماملكتم مفاتحه إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه و يفوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والأصدقاء

﴿الحق الثانى﴾

فى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه أيضا لها درجات كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ماهذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى قال جعفر بن محمد انى لاتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردهم فيستغنوا عنى هذا فى الاعداء فكيف فى الأصدقاء وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم و يتردد كل يوم إليهم و يمونهم من ماله فكانوا لايفقدون من أبيهم الا عينه بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه و يسأل و يقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لايعرفه أخوه و بهذا تظهر الشفقة والاخوة فاذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال ﷺ (٤) ألا وان لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الاخوان و بالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أوأهم من حاجتك وأن تكون متفقدا الاوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لاتغفل عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لاتدرى أنك قمت بها ولاترى لنفسك

(١) حديث انه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث ستر حذيفة للنبى ﷺ بثوب حتى اغتسل ثم ستره ﷺ لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضا (٣) حديث مااصطحب اثنان قط الا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه تقدم فى الباب قبله بلفظ أشدهما حبا لصاحبه (٤) حديث ان لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبها الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى الا انه قال ألينها وأرقها واسناده جيد

باطنه هموم الدنيا و يجعل الغنى فى قلبه و يفتح عليه أبواب الرفق وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فعلى قدر ماخلت من الهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ماعذبت بهموم الدنيا وقنعت وارتقت (روى) ان عوف ابن عبد الله المسعودى كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان يكون كل يوم من الاسبوع عند واحد فكان اخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنيئة حقا

حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد فى البداية بالاكرام فى الزيادة والايثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا أحب الينا من أهلنا وأولادنا لان أهلنا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه فى الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه الى الجنة وفى الاثر (١) مازار رجل أخا فى الله شوقا الى لقائه الانادا ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى رسول الله ﷺ (٢) فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال اذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا أعنته وفى رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبى فى الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من أحب الناس اليك قال جليسى وقال مااختلف رجل الى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له الى فعلمت مامكافأته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث أقبلت عليه واذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنغص لفراقه و يستوحش بانفراده عن أخيه

﴿ الحق الثالث ﴾

(فى اللسان بالسكوت مرة و بالنطق أخرى) أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه و يسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله واذا رآه فى طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج الى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التى بثها اليه ولا يبثها الى غيره ألبتة ولا الى أخص أصدقائه ولا يكشف شيأ منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذى سبك من بلغك وقال أنس كان ﷺ (٣) لا يواجه أحدا بشئ يكرهه والتأذى يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغى أن يخفى مايسمع من الثناء عليه فان السرور به أولا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد و بالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكراهته فان ذلك احسان اليه فى التحقيق وان كان يظن انها اساءة فى الظاهر اما ذكرمساويه وعيوبه ومساوى أهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم و يزجرك عنه أمران أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فان وجدت فيها شيأ واحدا مذموما فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب وكل مالا تصادفه من نفسك فى حق الله فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك والامر الثانى انك تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام وأما المنافق

(١) حديث مازار رجل أخا فى الله الحديث تقدم فى الباب قبله (٢) حديث ابن عمر اذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الايمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعامة سماع من النبى ﷺ (٣) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشئ يكرهه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة بسند ضعيف

الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيأ كل يوم من الخبز أحمله اليك ولكنى قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن مانقول المعلوم شؤم فان الحق يصفى لنا وفعله نرى فكل مايقسم لنا نراه مباركا ولا نراه شؤما * أخبرنا أبو زرعة اجازة قال أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازى اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر ابن شاذان قال سمعت أبا بكر الكتانى قال كنت أنا وأبو عمرو المكى وعياش بن المهدى نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة على طهر العصر وكنا قعودا بمكة على التجر يد ما لنا على الارض

اللئيم فانه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الاخوان ولذلك قال عليه السلام (١) استعيذوا بالله من جار السوء الذى ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا أظهره ومامن شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحها أيضا روى (٢) أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالامس تثنى عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه أرضانى بالامس فقلت أحسن ماعلمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ماعلمت فيه فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال فى خبر آخر (٣) البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفى الحديث الآخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان وكذلك قال الشافعى رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل و إذا جعل مثل هذا عدلا فى حق الله فبأن تراه عدلا فى حق نفسك ومقتضى اخوتك أولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضا وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان ان أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسا وهو الذى يستند إلى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الاردأ من غير علامة تخصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام فى حق كل مؤمن إذ قال ﷺ (٤) ان الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء وقال ﷺ (٥) إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقد قال ﷺ (٦) لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس فى تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح واظهار الجميل أن الله تعالى وصف به فى الدعاء فقيل يامن أظهر الجميل وستر القبيح والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فانه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان

---

(١) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذى ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا أظهره البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام (٢) حديث ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه الحديث وفيه فقال ﷺ ان من البيان لسحرا الطبرانى فى الاوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى بكرة الا أنه ذكر المدح والذم فى مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (٤) حديث ان الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات الا ان أبا على النيسابورى قال ليس هذا عندى من كلام النبى ﷺ انما هو عندى من كلام ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبى هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (٥) حديث اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله

وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا تعريض قبلناه وأكلناه والا طوينا فاذا اشتد بنا الامر وخفنا على أنفسنا النقصان فى الفرائض قصدنا أبا سعيد الخراز فيتخذ لنا ألوانا من الطعام ولا نقصد غيره ولا نتبسط إلا إليه لما نعرف من تقواه وورعه (وقيل) لأبى يزيد ما نراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك فقال مولاى يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد (قال السلمى) سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت مظفرا القرميسنى يقول الفقير الذى لا يكون له إلى الله حاجة * وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف الحاجة على القلب ومحوها من كل أحد سوى الرب (وقال) بعضهم أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه

الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها و يشيعها بأعظم منها * واعلم انه لايتم ايمان المرء مالم يحب لأخيه مايحب لنفسه وأقل درجات الاخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولاشك انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوى والعيوب ولوظهر له منه نقيض ماينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده اذا كان ينتظر منه مالا يضمره له ولايعزم عليه لأجله وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال ـ ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ـ وكل من يلتمس من الانصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين فى الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه فى باطنه ويخفيه ولايبديه مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء و يترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولايزيد لطف الحقود الاوحشة منه ومن فى قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لايصلح للقاء الله وقد روى عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة فقدم على اليهودى من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودى صدقت ولكنكم لاتستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة انه لايحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم ومن ذلك أن يسكت عن افشاء سره الذى استودعه وله أن ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا فى كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وان احتاج الى الكذب فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه فان أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لايختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة وكذلك لايكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر الى أعمال العلانية فان معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام (١) من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة وفى خبر آخر (٢) فكأنما أحيا موؤدة وقال عليه السلام (٣) اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة وقال (٤) المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال ﷺ (٥) انما يتجالس المتجالسان بالامانة ولايحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أنا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه أى لا يستطيع الاحمق اخفاء مافى نفسه فيبديه من حيث لايدرى به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقى عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال آخر أستره وأستر أنى أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال

ومستودعى سرا تبوأت كتمه * فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه

---

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل فى الدنيا ولمسلم من حديث أبى هريرة من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا موؤدة من قبرها أبو داود والنسائى والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهى أمانة أبو داود والترمذى من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالامانة الاثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث انما يتجالس المتجالسان بالامانة لايحل لأحدهما ان يفشى على صاحبه مايكره أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبى بكر بن حزم مرسلا

لامن تصل اليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو المترسم بالفقر مع دناءة همته

* أنبأنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين أبو حفص عمر ابن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت ان أبا سليمان الدارانى كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين ﴿ روى ﴾ أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتينى رزقى فأخذ يسيح فأقام فى سفح جبل سبعا لم يأته شئ حتى كاد أن يتلف فقال يارب ان أحييتنى فأتنى برزقى الذى قسمت لى والا فاقبضنى اليك فألهمه الله تعالى فى قلبه وعزتى وجلالى لا أرزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام

وما السر فى صدرى كثاو بقبره * لانى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى * بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى و بينه * عن السر والاحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا الى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثورى يقول اذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لأبى يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لاخير فى صحبة من لايحب أن يراك الا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لاتصحب من يتغير عليك عند أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغى أن يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل

وترى الكريم اذا تصرم وصله * يخفى القبيح و يظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله * يخفى الجميل و يظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله انى أرى هذا الرجل يعنى عمر رضى الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ عنى خمسا لاتفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبى كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لاتمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال ﷺ (١) من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لان السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على قدر النصب وأشد الأسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالابدان وقال عليه السلام (٢) لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وأشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق أو الى الغفلة والسهو عن فهم الشئ على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفى حديث أبى أمامة الباهلى قال خرج علينا رسول الله ﷺ (٣) ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لاتشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ

والحاكم وصححه من حديث ابن عباس انكم تجالسون بينكم بالامانة (١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم الحديث مسلم من حديث أبى هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبى أمامة خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فان نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الاخوان الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وأبى الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله لقلة خيره ومن هنا الى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند

أن تبطل حكمته بزهدك فى الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدى العباد أحب اليه من أن يرزقهم بأيدى القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدى الآدميين وأيدى الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل الى قطع الاسباب من الارتهان برؤية الاسباب واذا صح التوحيد تلاشت الاسباب فى عين الانسان (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى قال سمعت أحمد بن محمود بن اليسرى يقول سمعت محمدا الاسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل

أنه قال (١) لاتمار أخاك ولا تمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه وقد قال عليه السلام (٢) انكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة الى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولايسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فاقول أعطني من مالك شيأ فكان يلقي الى كيسه فآخذ منه ماأريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج الى شئ فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم أن قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

﴿ الحق الرابع ﴾

(على اللسان بالنطق) فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب أهل القبور وانما تراد الاخوان ليستفاد منهم لاليتخلص عن أذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه أن يتودد اليه بلسانه و يتفقده في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام (٣) اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره وانما أمر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لامحالة فاذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لامحالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين و يتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال (٤) تهادوا تحابوا ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه اذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين مايقبل التحسين لابد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع اظهار الفرح فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض فحق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله ﷺ (٥) الاخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه وقد قال رسول الله ﷺ (٦) المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايثلمه وهذا من الانثلام والخذلان

الفردوس من حديث أبي أمامة فقط واسنادهما ضعيف (١) حديث ابن عباس لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور (٢) حديث انكم لاتسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يعلى الموصلي والطبراني في مكارم الاخلاق وابن عدي في الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة (٥) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٦) حديث المسلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث

فهتف بي هاتف لاأراه تنقطع الى وتتهمني في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي فلما صح حال الصوفي وانقطعت أطماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة ومارضيها مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جناية وذنبا ﴿روى﴾ ان أحمد بن حنبل خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى أيوب الجمال فحمله ودفع اليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه ايوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع الى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضعهما

قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه اليه بعد الاياس فقبل هذا حال أرباب الصدق ان سألوا سألوا بعلم وان أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وان قبلوا قبلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لافى وقت الضرورة فليس من الصوفية بشئ * سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت ابطه مخلاة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم نثر مخلاته بين يدى أهل

فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحية للدفع عنك وتمزيق الاعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا والملك الذى يمثل فى المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى ان من يرى أنه يأكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك فى تمثيله يراعى المشاركة والمناسبة بين الشئ و بين مثاله فى المعنى الذى يجرى فى المثال مجرى الروح لا فى ظاهر الصور فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الاخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك فى غيبته الا كما تحب أن يذكرك فى غيبتك فاذن لك فيه معياران أحدهما أن تقدر أن الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضر اما الذى كنت تحب ان يقوله أخوك فيك فينبغى أن تعامل المتعرض لعرضه به والثانى ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يسمع قولك و يظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى فينبغى أن يكون فى مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ماذكر أخ لى بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ماذكر أخ لى الا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فى وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان فى الله يعملان لله فاذا وقف أحدهما وافقه الآخر و بالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا فى اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت فى شئ من ذلك مماذقة فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال عليه السلام (١) أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة فى أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضى الا حقوقا قريبة فى أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك الى العلم بأقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه فى الدين والدنيا فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال ﷺ (٢) المؤمن مرآة المؤمن أى يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعى رضى الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر أتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحنى فيما بينى و بينه فنعم وان قرعنى بين الملأ فلا وقد صدق فان النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه وأما أهل المقت فينادون

(١) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريرة بالشطر الأول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطنى والحديث ثابت ورواه القضاعى فى مسند الشهاب بلفظ المصنف

(٢) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد حسن

على رؤس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المدارة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من اصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وان أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة * فان قلت فاذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة * فاعلم أن الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب أعنى قلوب العقلاء وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكى نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدى ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغني انك تجمع بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت انه يعلمه من نفسه فانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلابد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدى إلى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدى استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك اصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيأ على أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له ضع رجلك على خدى فأبى فقلت لابد ففعل فزال ذلك من قلبي وقال أبو على الرباطي صحبت عبد الله الرازى وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الامير أو أنا فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له أعطنى قال ألست قلت أنت الامير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي الى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عنى المطر فكنت أقول مع نفسى ليتنى مت ولم أقل أنت الامير

﴿ الحق الخامس ﴾

العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من

فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الادب في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب

﴿ الباب الحادى والعشرون في شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم ﴾

الصوفى يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجموح للصوفى ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستجله الطبع الى التزوّج ولا يقدم

حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال أبو الدرداء اذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان أخاك يعوج مرة و يستقيم أخرى وقال ابراهيم النخعى لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم و يتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفى الخبر (١) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال مافعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر قال اذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع وحكى ان أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال انى قد اعتللت فان شئت أن لا تعقد على صحبتى لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لأجل خطيئتك أبدا ثم عقد أخوه بينه و بين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله ومازال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الاربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالا وضرا وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان الى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود الى ما كان عليه * وروى فى الاسرائيليات ان أخوين عابدين كانا فى جبل نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها الى خلوة وواقعها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع الى أخيه حياء من جنايته قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله و يلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخى فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب الى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى ان ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم * فان قلت ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون فى الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية * فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر وأما كونه أفقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها فى دينه فينبغى أن يراقب و يراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التى ألمت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب و يستحيى من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه * قال جعفر بن سليمان مهما فترت فى العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع الى نشاطى فى العبادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى عشيرته فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون ولم يقل انى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال انما أبغض عمله والا فهو أخى وأخوة

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو ابن عوف المزنى وضعفاه

الدين

على التزوج الا اذا انصلحت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذلك اذا صارت منقادة مطواعة مجيبة الى ما يراد منها بمثابة الطفل الذى يتعاهد بما يروقه و يمنع عما يضره فاذا صارت النفس محكومة مطواعة فقد فاءت الى أمر الله وتنصلت عن مشاحة القلب فيصلح بينهما بالعدل و ينظر فى أمرهما بالقسط ومن صبر من الصوفية على العزوبة هذا الصبر الى حين بلوغ الكتاب أجله يتنخب له الزوجة انتخابا و يهيئ الله له أعوانا وأسبابا و ينعم برفيق يدخل عليه ورزق يساق اليه ومتى استعجل المريد واستفزه الطبع وخامره الجهل بثوران دخان الشهوة المطفئة لشعاع العلم وانحط من أوج العزيمة الذى هو قضية حاله وموجب ارادته وشريطة صدق طلبه الى حضيض الرخصة التى هى رحمة من الله تعالى لعامة خلقه بحكم

الدين أوكدمن أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم أيما أحب اليك أخوك أوصديقك فقال انما أحب أخى اذا كان صديقا لى وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلده أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لاتحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلاجرم لاينبغى أن يقاطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الاخوة عن دوامها فمنهى عنه ومذموم فى نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق أبغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال ﷺ (١) شرار عبادالله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقال بعض السلف فى ستر زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فاذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلاينبغى أن يضاف اليه الثانى والى هذا أشار عليه السلام فى الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال (٢) لاتكونوا عونا للشيطان على أخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاحباب والاخوان أيضا محذورة وليس من سلم عن معارض غيره كالذى لم يسلم وفى الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفى الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة أولى هذا كله فى زلته فى دينه أما زلته فى حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف فى أن الاولى العفو والاحتمال بل كل مايحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ماأقساك يعتذر اليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعيب لاأخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغى أن لاتغضب ان قدرت ولكن ذلك لايمكن وقد قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلاتكن حمارا ولاشيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا ان لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ماشتمت أحدا قط لانه ان شتمنى كريم فأنا أحق من غفرها له أو لئيم فلاأجعل عرضى له غرضا ثم تمثل وقال

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل

خذ من خليلك ماصفا * ودع الذى فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر اليك أخوك كاذبا كان أوصادقا فاقبل عذره قال عليه السلام (٣) من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس وقال عليه السلام (٤) المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بأنه لايغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لاتنتهى الى أن يجرح الانسان فلايتألم بل تنتهى الى أن يصبر عليه و يحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع

(١) حديث شرار عبادالله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
(٢) حديث لاتكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى الباب قبله
(٣) حديث من اعتذر اليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود فى المراسيل من حديث جودان واختلف فى صحبته وجهله ابو حاتم و باقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا وللترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد الخدرى ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك

اذا كان للمريد مال يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوعه فى الابتلاء الى حال دون ذلك نقصان وحدث وسمعت بعض الفقراء وقد قيل له لم لاتتزوج فقال المرأة لاتصلح الا للرجال وأنا مابلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار فى فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك لتنوع الأحوال فنهم من فضيلته فى التجريد ومنهم من فضيلته فى التأهل وكل هذا التعارض فى حق من نار توقانه برد وسلام لكمال تقواه وقهره هواه والافى غير هذا الرجل الذى يخاف عليه الفتنة يجب النكاح فى حال التوقان المفرط و يكون الخلاف بين الأئمة فى غير التائق فالصوفى اذا

القلب ولا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضى التشفى والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر

ولست بمستبق أخا لاتلمه * على شعث أى الرجال المهذب

قال أبو سليمان الدارانى لاحمد بن أبى الحوارى اذا واخيت أحدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى فى جوابك ماهو شر من الاوّل قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغى أن لايبالغ فى البغضة عند الوقيعة قال تعالى عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام (١) أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك

﴿الحق السادس﴾

الدعاء للاخ فى حياته و بعد مماته بكل مايحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك و بينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال ﷺ (٢) اذا دعا الرجل لاخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفى لفظ آخر (٣) يقول الله تعالى بك أبدأ ياعبدى وفى الحديث (٤) يستجاب للرجل فى أخيه مالا يستجاب له فى نفسه وفى الحديث (٥) دعوة الرجل لاخيه فى ظهر الغيب لاترد وكان أبو الدرداء يقول انى لادعو لسبعين من اخوانى فى سجودى أسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهانى يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك و يتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت اليه يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وكان الأخ الصالح يقتدى بالملائكة اذ جاء فى الخبر (٦) اذا مات العبد قال الناس ماخلف وقالت الملائكة ماقدم يفرحون له بما قدم و يسألون عنه و يشفقون عليه و يقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه * وروى عن رسول الله ﷺ (٧) انه قال مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شئ ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب وانه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية

﴿الحق السابع﴾

الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه و بعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب

(١) حديث أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد فى رفعه (٢) حديث اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك مسلم من حديث أبى الدرداء (٣) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ ياعبدى لم أجد هذا اللفظ (٤) حديث يستجاب للرجل فى أخيه مالا يستجاب له فى نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبى داود والترمذى وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب (٥) حديث دعوة الأخ لأخيه فى الغيب لاترد الدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء وهو عند مسلم الا انه قال مستجابة مكان لاترد (٦) حديث اذا مات العبد قال الناس ماخلف وقالت الملائكة ماقدم البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شئ ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة قال الذهبى فى الميزان انه خبر منكر جدا

الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة عن والده أبى الفضل المقدسى الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد ابن عبد الله بن أخى ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن هرون قال أنبأنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان ابن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه فئ قسمه فى يومه فاعطى المتأهل حظين والعزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار ابن ياسر فاعطانى حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله ﷺ

انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ولذلك قال عليه السلام (١) فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ولذلك روى انه ﷺ (٢) أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها كانت تأتينا أيام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء للاخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الاخ فى نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى ان يميز فى القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى ـ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ـ وقال مخبرا عن يوسف ـ من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ـ ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك ألذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى كفاية والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله تعالى فقال ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه وان ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بنى لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء اذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير * وحكى الربيع ان الشافعى رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم ان أخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب اليه الشافعى بهذه الابيات

اذهب فودك من فؤادى طالق * أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة * ويدوم ودك لى على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون تطليقين فى حيضين
واذا الثلاث أتتك منى بتة * لم تغن عنك ولاية السيبين

واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعى رضى الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمنى بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله فقال

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى * فبرئت من نظرى اليه

وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض أمر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها رضى الله عنه الى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ اليه فقال الشافعى سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى فانكسر لها محمد ومال أصحابه الى البويطى مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطى أفضل وأقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا

(١) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث اكرامه ﷺ لعجوز دخلت عليه وقوله انها كانت تأتينا أيام خديجة وأن حسن العهد من الايمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة

وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لوقد أكثر لنا من هذا فالتجرد عن الازواج والاولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير فى ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل فى الاسفار وركوب الاخطار والتجرد عن الاسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة الى الرخص ورجوع من التروح الى النغص وتقيد بالاولاد والازواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات الى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة (قال) أبو سليمان الدارانى ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث * وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج

الخلق على رضا الله تعالى فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن أسبابها كما قيل

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل الى أن حسرتهم ذهبت من قلبى ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر أوّلا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل فى التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد لحكيم قد جئت خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هى قال لا تسمع علىّ بلاغة ولا تخالفنى فى أمر ولا توطئنى عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدوّ صديقه قال الشافعى رحمه الله اذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك

﴿ الحق الثامن ﴾

التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيأ من أعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان فى الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم الا لعلة فى أحدهما وقال على عليه السلام شر الاصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك الى مداراة وألجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضى الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبى وطبقته وحسنا المسوحى وطبقته وسريا السقطى وطبقته وابن الكريبى وطبقته فما تواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش الا لعلة فى أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول أثقل اخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا أذنبت ويعتذر اليك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغى أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا فى الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه

الحسن قال أنا حاجب الطوسى قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزارى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء * وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وان أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء اذا تسورن بالذهب ولبس ريط الشام وعصب اليمن وأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد * وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء * وسئل سهل ابن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على

نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان فى هذا الزمان أين أخ لى فى الله فاعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد ان أردت أخا يكفيك مؤنتك و يتحمل أذاك فهذا العمرى قليل وان أردت أخا فى الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل * واعلم ان الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق أو السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغى أن تتجنبه فاما الثانى فلا تجتنبه لانك تنتفع فى الآخرة بشفاعته و بدعائه و بثوابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان أطعتنى فما أكثر اخوانك أى ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بينى و بينهم خلاف فانى كنت معهم على نفسى ومن كانت هذه شيمته كثر اخوانه * ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض فى نوافل العبادات * كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان ان أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم ولمن صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقال ﷺ (١) أنا والاتقياء من أمتى برآء من التكلف وقال بعضهم (٢) اذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به اذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الاهل فى بيت أخيه و يجامعها لان البيت يتخذ للاستخفاء فى هذه الامور الخمس والا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب فى تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة فى ذلك كله أى لا يشتد علينا شئ مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بأن يرى نفسه دون اخوانه و يحسن الظن بهم و يسئ الظن بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الاسود اخوانى كلهم خير منى قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقد قال ﷺ (٣) المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس أى ينبغى أن تكون معتقدا ذلك فى نفسك أبدا وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان أبيات

تذلل لمن ان تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال * على الاصدقاء يرى الفضل له

﴿وقال آخر﴾

كم صديق عرفته بصديق * صار أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق * صار عندى هو الصديق الحقيق

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا فى عموم المسلمين مذموم قال ﷺ (٤) بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور اخوانه فى كل ما يقصده و يقبل اشاراتهم

(١) حديث أنا وأمتى برآء من التكلف الدارقطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ألا انى برىء من التكلف وصالحو أمتى واسناده ضعيف (٢) حديث اذا صنع الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجد له أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له تقدم الشطر الأول منه فى الباب قبله وأما الشطر الثانى فرواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم فى أثناء حديث لا تدابروا فى هذا

ما لا طاقة لنا به الغلمة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة فى معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى الى الامر السهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذى لا أهل له ولا ولد وقال بعض الفقراء لما قيل له تزوج أنا الى أن أطلق نفسى أحوج منى الى التزوج وقيل لبشر بن الحرث ان الناس يتكلمون فيك فقال ما يقولون قيل يقولون انه تارك للسنة يعنى النكاح فقال قولوا لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة (وكان يقول) لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر والصوفى مبتلى بالنفس ومطالبتها وهو فى شغل شاغل عن نفسه فاذا

انضاف الى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل ارادته وتفتر عزيمته والنفس اذا أطمعت طمعت واذا أقنعت قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم موادخاطر النكاح بادامة الصوم فان للصوم أثرا ظاهرا فى قمع النفس وقهرها وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء أصل الوجاء رض الخصيتين كانت العرب تجأ الفحل من الغنم لتذهب فحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجوأين وقد قيل هى النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا أدام الشاب المريد العمل وأذاب نفسه فى العبادة تقل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يثمر له

فقد قال تعالى وشاورهم فى الامر و ينبغى أن لايخفى عنهم شيأ من أسراره كما روى أن يعقوب ابن أخى معروف قال جاء أسود بن سالم الى عمى معروف وكان مواخياله فقال ان بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحى ان يشافهك بذلك وقد أرسلنى اليك يسألك أن تعقدله فيما بينك و بينه اخوة يحتسبها و يعتدبها الاأنه يشترط فيها شروطا لايحب أن يشتهر بذلك ولا يكون بينك و بينه مزاورة ولاملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولانهارا ولزرته فى كل وقت وآثرته على نفسى فى كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب فى الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه فى العلم [(١)] وقاسمه فى البدن [(٢)] وأنكحه أفضل بناته [(٣)] وأحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وأنا أشهدك انى قد عقدت له اخوة بينى و بينه وعقدت أخاه فى الله لرسالتك ولمسألة على أن لايزورنى ان كره ذلك ولكنى أزوره متى أحببت ومره ان يلقانى فى مواضع نلتقى بها ومره ان لايخفى على شيأ من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى ولا يتم ذلك الابان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك * أما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روى أنه صلى الله عليه وسلم [(٤)] كان يعطى كل من جلس اليه نصيبا من وجهه وما استصغاه أحدا لاظن انه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام * وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهر اللاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولامنازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون * وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك أن لايرفع صوته عليهم ولايخاطبهم الا بما يفقهون * وأما اليدان فأن لايقبضهما عن معاونتهم فى كل مايتعاطى باليد * وأما الرجلان فان يمشى بهما وراءهم مشى الاتباع لامشى المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر مايقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر مايقربونه و يقوم لهم اذا أقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم و يقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من

الباب (١) حديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه فى العلم النسائى فى الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب الحديث وفيه فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى فلم يقم اليه أحد فقمت اليه وفيه حتى اذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لأخوه ووليه ووارث علمه الحديث وكل ماورد فى اخوته فضعيف لايصح منه شئ وللترمذى من حديث ابن عمر وأنت أخى فى الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلىّ بابها وقال صحيح الاسناد وقال ابن حبان لاأصل له وقال ابن طاهر انه موضوع وللترمذى من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمته عليا للبدن مسلم فى حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه فى هديه (٣) حديث انه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن اليه هذا معلوم مشهور ففى الصحيحين من حديث على لما أردت ان أبتنى بفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الاسناد وفى الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة يافاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذى فى الشمائل من حديث على فى أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه

الاجنبية والتكلف فاذاتم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الامسلك نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا و باطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق و يدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة ﴿خاتمة لهذا الباب﴾ نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء * ان أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولاهيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع فى غير مذلة وكن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى قصد الامور ذميم ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غيظك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه مالم يكن معصية ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه و بين أهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك و بين أهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب الى التواضع وان تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ولا تبصق فى جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب فى الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت لك المودة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شئ الا افشاء السر والقدح فى الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم واياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لأن المزاح يخرق الهيبة و يسقط ماء الوجه و يعقب الحقد و يذهب بحلاوة الود و يشين فقه الفقيه و يجرئ السفيه و يسقط المنزلة عند الحكيم و يمقته المتقون وهو يميت القلب و يباعد عن الرب تعالى و يكسب الغفلة و يورث الذلة و به تظلم السرائر وتموت الخواطر و به تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف أو بطر ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى ﷺ (١) من جلس فى

بهم الزوجة ومن حسن أدب المريد فى عزو بته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر الى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة و يؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول فى المداخل المذمومة المؤدية الى الذل والهوان وأخذ الشئ من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر الى ضبط المرأة وحراستها والكلف التى لا تنحصر * وقد سئل عبد الله ابن عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين وكان ابراهيم بن أدهم يقول من تعود أفخاذ النساء لا يفلح ولا شك ان المرأة

ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون و يتعجب مما يتعجبون منه وللترمذى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وقال غريب (١) حديث من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم

مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

﴿ الباب الثالث فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الاسباب ﴾

اعلم ان الانسان اما أن يكون وحده أو مع غيره واذا تعذر عيش الانسان الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالط ففى مخالطته أدب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهى أخصها أو أخوة الاسلام وهى أعمها و ينطوى فى معنى الاخوة الصداقة والصحبة واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب والدرس واما الصداقة أو الاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار و بعده و يظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة فى الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب فالمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هى أتم من الاخوة وتعرفه من قوله ﷺ [1] لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا و باطنا و يستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضى الله عنه أخا فقال [2] على منى بمنزلة هرون من موسى الا النبوّة فعدل بعلى عن النبوّة كما عدل بأبى بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضى الله عنهما فى الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة فى الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت أبا بكر خليلا وكان ﷺ حبيب الله وخليله وقد روى انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال [3] ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فانا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة و يدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب فى تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والاخوة حتى ينتهى أقصاها الى أن يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضى الله عنه نبينا ﷺ وكما آثره طلحة ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز ﷺ فنحن الآن نريد أن نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعنى ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه فى كتاب آداب النكاح

﴿حقوق المسلم﴾

[4] هى أن تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر

من مجلسه ذلك سبحانك اللهم و بحمدك الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه

﴿ الباب الثالث فى حقوق المسلم والرحم والجوار ﴾

(١) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى (٢) حديث على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوّة متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص (٣) حديث ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا الحديث الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله ﴿الاخبار الواردة فى حقوق المسلم على المسلم﴾ (٤) هو أن يسلم عليه اذا لقيه فذكر عشر

خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد اذا كان بعد المائتين أبيحت العزوبة لامتى فان توالت على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما فى الصلاة والاذكار والتلاوة فليستعن بالله أولا ثم بالمشايخ والاخوان و يشرح الحال لهم و يسألهم مسألة الله له فى حسن الاختيار و يطوف على الاحياء والاموات والمساجد والمشاهد و يستعظم الامر ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم و يكثر الضراعة الى الله تعالى و يكثر البكاء بين يديه فى الخلوات و يكرر الاستخارة وان رزق القوّة والصبر حتى يستبين له من فضل الله

قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك وردجميع ذلك فى أخبار وآثار وقد روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه (١) قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى - رحماء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم اصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته * ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى أبو موسى عنه ﷺ (٣) أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا * ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ (٤) المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال ﷺ فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل (٥) فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا (٦) أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال ﷺ (٧) أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال ﷺ (٨) لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين وقال أبو هريرة رضى الله عنه يا رسول الله (٩) علمنى شيأ أنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين

خصال الشيخان من حديث أبى هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس وفى رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته تسلم عليه وزاد واذا استنصحك فانصح له وللترمذى وابن ماجه من حديث على للمسلم على المسلم ست فذكر منها ويحب له ما يحب لنفسه وقال وينصح له اذا غاب أو شهد ولأحمد من حديث معاذ وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفى الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وابرار القسم ونصر المظلوم (١) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له اسنادا (٢) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الحديث متفق عليه (٣) حديث أبى موسى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٤) حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٥) حديث فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبى ذر (٦) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبى موسى (٧) حديث أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبرانى والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ورواه ابن ماجه مقتصرا على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد باسناد صحيح من حديث عمرو بن عبسة قال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٨) حديث لقد رأيت رجلا فى الجنة يتقلب فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبى هريرة (٩) حديث أبى هريرة يا رسول الله علمنى

من يثق الى دينه وحاله انه اذا أشار لا يشير الا على بصيرة واذا حكم لا يحكم الا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانا فيه * وسمعنا ان الشيخ عبد القادر الجيلى قال له بعض الصالحين لم تزوجت فقال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله ﷺ تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول ﷺ يأمر بالرخص وطريق القوم التلزم بالعزيمة فلا أعلم ما قال الشيخ فى جوابه ولكنى أقول رسول الله ﷺ يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ الى الله تعالى وافتقر اليه واستخاره فيكاشفه الله بتنبيهه اياه فى منامه وأمره هذا لا يكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب العزيمة لانه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لى ما نقل عنه انه قال كنت

وقال ﷺ (١) من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال ﷺ (٢) لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم أن يروّع مسلما وقال ﷺ (٣) ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله * ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله ﷺ (٤) ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه ﷺ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبى أوفى كان رسول الله ﷺ (٥) يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى حاجته * ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال ﷺ (٦) لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك * ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصارى قال ﷺ (٧) لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وقد قال ﷺ (٨) من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين قالت عائشة رضى الله عنها ما انتقم رسول الله ﷺ (٩) لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال ﷺ (١٠) ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله * ومنها أن يحسن الى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ (١١) اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله وعنه باسناده قال قال رسول الله ﷺ (١٢) رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر قال أبو

ساق الله لى أربع زوجات ما فيهن الا من تنفق على ارادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فاذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والاكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله تعالى باذن فيه فهو الغاية والنهاية وان عجز عن الصبر الى ورود الاذن واستنفد جهده فى الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد نقل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ

شيأ أنتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبى برزة قال قلت يا نبى الله فذكره (١) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر الى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك فى الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف وفى البر والصلة له من زيادات الحسين المروزى حمزة بن عبد الله بن أبى سمى وهو الصواب (٣) حديث ان الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك فى الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا باسناد جيد (٤) حديث ان الله أوحى الى ان تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار ورجاله رجال الصحيح (٥) حديث ابن أبى أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى حاجته النسائى باسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين (٦) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٧) حديث أبى أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٨) حديث من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٩) حديث عائشة ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط الا ان تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بلفظ الا أن تنتهك (١٠) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله مسلم من حديث أبى هريرة (١١) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف الى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف (١٢) حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبرانى فى الاوسط والخطابى فى تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم فى الحلية دون قوله واصطناع الى آخره وقال الطبرانى التحبب

خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فعوتب فى ذلك فقال هل يعرف احد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف وقفة فى معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصيبنا ذلك فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ما تزوجت قط ولكنى ماخطر على قلبى خاطر شهوة قط شغلنى عن حالى الا نفذته لاستريح منه وأرجع الى شغلى ثم قال منذ أربعين سنة ماخطر على قلبى خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا فى النكاح الاعلى بصيرة وقصدوا حسم موادالنفس وقد يكون للاقوياء والعلماء الراسخين فى العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب اقبال وادبار يقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا أدبرت روحت بالارفاق واذا

هريرة كان رسول الله ﷺ (١) لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه الا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه * ومنها أن لايدخل على أحد منهم الا باذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٢) الاستئذان ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون * ومنها أن يخالق الجميع بخلق حسن و يعاملهم بحسب طريقته فانه ان أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمى بالفقه والعيى بالبيان آذى وتأذى * ومنها أن يوقر المشايخ و يرحم الصبيان قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٣) ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا وقال ﷺ (٤) من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ أن لايتكلم بين أيديهم الا بالاذن وقال جابر (٥) قدم وفد جهينة على النبى ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال ﷺ مه فأين الكبير وفى الخبر (٦) ماوقر شاب شيخا الاقيض الله له فى سنه من يوقره وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ الامن قضى الله له بطول العمر وقال ﷺ (٧) لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا و يجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم (٨) والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ كان ﷺ (٩) يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه و يأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملنى رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه و يقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم وكان (١٠) يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه فى حجره فربما بال الصبى فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبى بوله فيدعه حتى يقضى

---

(١) حديث أبى هريرة كان لايأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها الحديث الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن ولابى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبى هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطنى فى الافراد بسند ضعيف وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع (٣) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف وهو عند أبى داود والبخارى فى الادب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٤) حديث من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم أبو داود من حديث أبى موسى الأشعرى باسناد حسن (٥) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبى ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال ﷺ مه فأين الكبير الحاكم وصححه (٦) حديث ماوقر شاب شيخا لسنه الاقيض الله له فى سنه من يوقره الترمذى من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفى بعض النسخ حسن وفيه أبو الرحال وهو ضعيف (٧) حديث لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن مسعود واسنادهما ضعيف (٨) حديث التلطف بالصبيان البزار من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبى وقد تقدم فى النكاح وفى الصحيحين يا أبا عمير مافعل النغير وغير ذلك (٩) حديث كان يقدم من السفر فتتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيلقى بى و بالحسن وقال فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية تلقى بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جىء باحد ابنى فاطمة فأردفه خلفه وفى الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر اذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله أعلم (١٠) حديث كان يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة و يسميه فيأخذه و يضعه فى حجره فربما بال الصبى فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم و يحنكهم فأتى بصبى فبال

بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته و يبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا انه تأذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده * ومنها أن يكون مع كافة الخلق مستبشر اطلق الوجه رفيقا قال ﷺ (١) أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٢) ان الله يحب السهل الطلق الوجه وقال بعضهم يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال (٣) ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمران البر شئ هين وجه طليق وكلام لين وقال ﷺ (٤) اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وقال ﷺ (٥) ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها فقال أعرابى لمن هى يارسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لى رسول الله ﷺ (٦) أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام و بذل السلام وخفض الجناح وقال أنس رضى الله عنه عرضت لنبى الله ﷺ (٧) امرأة وقالت لى معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسى فى أى نواحى السكك شئت أجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كل سبعة أيام فسأل الله تعالى انه يريه كيف يغوى الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله أرسلنى اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذئاب فقال أى رب من ينجو من هذا قال الورع اللين * ومنها أن لا يعد مسلما بوعد الا و يفى به قال ﷺ العدة عطية (٨) وقال العدة دين (٩) وقال (١٠) ثلاث فى المنافق اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال (١١) ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام

عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله وأصله متفق عليه وفى رواية لأحمد فيدعو لهم وفيه صبوا عليه الماء صبا وللدارقطنى بال ابن الزبير على النبى ﷺ فأخذ به أخذا عنيفا الحديث وفيه الحجاج بن ارطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله ﷺ مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذا بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ائتونى بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح (١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين اللين السهل القريب الترمذى من حديث ابن مسعود ولم يقل اللين وذكرها الخرائطى من رواية محمد بن أبى معيقيب عن أمه قال الترمذى حسن غريب (٢) حديث أبى هريرة ان الله يحب السهل الطلق البيهقى فى شعب الايمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلى مرسلا (٣) حديث ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبى شيبة فى مصنفه والطبرانى والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقى فى شعب الايمان من حديث هانئ بن يزيد باسناد جيد (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وتقدم فى الزكاة (٥) حديث ان فى الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها الحديث الترمذى من حديث على وقال حديث غريب * قلت وهو ضعيف (٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية ولم يقل البيهقى وخفض الجناح واسناده ضعيف (٧) حديث أنس عرضت لرسول الله ﷺ امرأة وقالت لى معك حاجة فقال اجلسى فى أى نواحى السكك شئت أجلس اليك الحديث رواه مسلم (٨) حديث العدة عطية الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف (٩) حديث العدة دين الطبرانى فى معجميه الأوسط والاصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود فى المراسيل (١٠) حديث ثلاث فى المنافق اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه (١١) حديث ثلاث

المنازعة وترك التشبث فى القلوب فاذا اطمأنت النفوس واستقرت عن طيشها ونفورها وشراستها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لان فى أداء الحق اقناعا وفى أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسعون بالنكاح المباح ايصالا الى النفس حظوظها لانها مازالت تخالف هواها حتى صار داؤها دواءها وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لا تضرها ولا تفتر عليها عزائمها بل كلما وصلت النفوس الزكية الى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف أحدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ كلما أخذ

وصلى وذ كرذلك * ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب أن يؤتى اليه قال ﷺ (١) لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه و بذل السلام وقال عليه السلام (٢) من سره أن يزحزح عن النار و يدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليؤت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه وقال ﷺ (٣) يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال الحسن أوحى الله تعالى الى آدم ﷺ بار بع خصال وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيني و بينك وواحدة بينك و بين الخلق فاما التي لى تعبدنى ولا تشرك بى شيأ وأما التي لك فعملك أجزيك به أفقر ماتكون اليه وأما التي بيني و بينك فعليك الدعاء وعلىّ الاجابة وأما التي بينك و بين الناس فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أى رب أى عبادك أعدل قال من أنصف من نفسه * ومنها أن يزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى أن عائشة رضى الله عنها كانت فى سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى فقالت ان الله تعالى أنزل الناس منازل لابد لنا من أن ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا أن نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا وروى أنه ﷺ دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبدالله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ رداءه فالقاه اليه وقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله و يبكى ثم لفه ورمى به الى النبى ﷺ وقال ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتنى فنظر النبى ﷺ يمينا وشمالا ثم قال (٤) اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روى ان ظئر رسول الله ﷺ (٥) التى أرضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأمى ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان ابن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم (٦) ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها و يضعها تحت الذى يجلس اليه فان أبى عزم عليه حتى يفعل * ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين

ان السماء اذا اكتست كست الثرى حللا يدبجها الغمام الراهم وكلما أخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار * سمعت بعض الفقراء يقول النفس تقول للقلب كن معى فى الطعام أكن معك فى الصلاة وهذا من الاحوال العزيزة لا تصلح الا للعالم ربانى وكم من مدع يهلك بتوهمه هذا فى نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد اذا كمل علمه يأخذ من الاشياء ولا تأخذ الاشياء منه وقد كان الجنيد يقول أنا أحتاج الى الزوجة كما احتاج الى الطعام * وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن فى الصوفية فقال

من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى البخارى من حديث أبى هريرة وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وهذا ليس فى البخارى (١) حديث لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقفه البخارى عليه (٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص نحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظه (٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمعروف انه قاله لأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث اذا آتاكم كريم قوم فأكرموه وفى أوله قصة فى قدوم جرير بن عبدالله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الزكاة مختصرا (٥) حديث ان ظئر رسول الله ﷺ التى أرضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون ما بعده (٦) حديث نزعه ﷺ وسادته ووضعها تحت الذى يجلس اليه أحمد من حديث ابن عمرو انه دخل عليه ﷺ فألقى اليه وسادة من أدم حشوها ليف الحديث واسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها الىّ الحديث وسنده

يا هذا ما الذى ينقصهم عندك فقال يأكلون كثيرا فقال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال و يتزوجون كثيرا

مهما وجد اليه سبيلا قال ﷺ (١) ألا اخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة وقال ﷺ (٢) أفضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن النبي ﷺ فيما رواه أنس رضى الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ (٣) جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله بأبى أنت وأمى ما الذى أضحكك قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لى من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شئ فقال يارب فليحمل عنى من أوزارى ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أى للمتظلم ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال ﷺ اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وقد قال ﷺ (٤) ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه قال ﷺ (٥) كل الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها * ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال ﷺ (٦) من ستر على مسلم ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة وقال (٧) لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ﷺ (٨) لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال ﷺ (٩) لماعز لما أخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال أبو بكر رضى الله عنه لو وجدت شاربا لاحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لاحببت أن يستره الله وروى ان عمر رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو أن اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد

ضعيف قال صاحب الميزان هذا خبر ساقط (١) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء (٢) حديث أفضل الصدقة اصلاح ذات البين الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الافريقى ضعفه الجمهور (٣) حديث أنس بينما رسول الله ﷺ جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى وأمى ما الذى أضحكك قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من هذا الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الاسناد وكذا أبو يعلى الموصلى خرجه بطول وضعفه البخارى وابن حبان (٤) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط (٥) حديث كل الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل فى الحرب الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٦) حديث من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبى هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٧) حديث لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبى هريرة أيضا (٨) حديث أبى سعيد الخدرى لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة الطبرانى فى الاوسط والصغير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٩) حديث لو سترته بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف فى صحبته

وأنت أيضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون * وكان سفيان بن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء (وقد ذكر فى أخبار الانبياء) ان عابدا تبتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لنبى ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشئ من السنة فنمى ذلك الى العابد فأهمه فقال ما تنفعنى عبادتى وأنا تارك السنة فجاء الى النبى عليه السلام فسأله فقال نعم انك تارك التزوج فقال ما تركته لأنى أحرمه وما منعنى منه الا انى فقير لا شئ لى

ما كنتم فاعلين قالوا انما أنت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الامر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي رضي الله عنه مثل مقالته الاولى وهذا يشير الى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال رأي علي الى انه ليس له ذلك وهذا من أعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان أفحشها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر في الحديث (١) ان الله اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال أتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال ﷺ لمعاوية (٢) انك ان تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم وقال ﷺ (٣) يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فاستنكهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال عمه قال عبد الله ما أدبت فأحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه حد أن يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرأ ــ وليعفوا وليصفحوا ــ ثم قال اني لاذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ (٤) أتي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لا تكونوا أعوانا للشياطين على أخيكم فقالوا ألا عفوت عنه فقال انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد أن يقيمه ان الله عفو يحب العفو وقرأ ــ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ــ وفي رواية فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد لشدة تغيره وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال ياعدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت يا أمير المؤمنين

عليه الصلاة والسلام وما يمنعك الا هذا قال نعم فقال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزباو ماذكر الله تعالى في القرآن من الانبياء الا المتأهلين * وقيل ان يحيى ابن زكريا عليهما السلام تزوج لاجل السنة ولم يكن يقربها * وقيل ان عيسى عليه السلام سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له * وقيل ان ركعة من متأهل خير من سبعين ركعة من عزب * أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين

(١) حديث ان الله اذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث علي من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع في شئ قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثني العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبي هريرة لا يستر الله على عبد في الدنيا الا ستره يوم القيامة (٢) حديث انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم قاله لمعاوية أبو داود باسناد صحيح من حديث معاوية (٣) حديث يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي برزة باسناد جيد وللترمذي نحوه من حديث ابن عمر وحسنه (٤) حديث ابن مسعود اني لاذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث رواه

ابن الازهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى فتزوجوا فانى مكاثر بكم الامم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم له وجاء ويما ينبغى للمتأهل أن يحذر من الافراط فى المخالطة والمعاشرة مع الزوجة الى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فان الافراط فى ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة * وللمتأهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الافراط فى الاهتمام بأسباب المعيشة * كان الحسن يقول والله ما أصبح

فلا تعجل فان كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فى ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله تعالى ـ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ـ وقد تسورت على وقد قال الله تعالى ـ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ـ الآية وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال عمر رضى الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لا أعود الى مثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبدالله ابن عمر يا أباعبدالرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول (١) ان الله ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه و يستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى اذا قرره بذنوبه فرأى فى نفسه أنه قد هلك قال له ياعبدى انى لم أسترها عليك فى الدنيا الا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وقد قال ﷺ (٢) كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سرا ثم يخبر به وقال ﷺ (٣) من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة * ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ـ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ـ وقال ﷺ (٤) كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه فقال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ (٥) كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله ﷺ وقال يافلان هذه زوجتى صفية فقال يارسول الله من كنت أظن فيه فانى لم أكن أظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وزاد فى رواية (٦) انى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيأ وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته فى العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضى الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين انها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس * ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة و يسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه قال ﷺ (٧) انى أوتى وأسال وتطلب الى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا و يقضى الله على يدى نبيه ما أحب وقال معاوية (١) قال رسول الله ﷺ اشفعوا الى تؤجروا انى أريد الامر وأؤخره كى تشفعوا الى فتؤجروا وقال ﷺ (٨) مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر و يدفع بها

الحاكم وقال صحيح الاسناد وللخرائطى فى مكارم الاخلاق فكأنما سفى فى وجه رسول الله ﷺ رماد الحديث
(١) حديث ابن عمر ان الله عز وجل ليدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٢) حديث كل أمتى معافى الا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة
(٣) حديث من استمع من قوم هم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبى هريرة أيضا (٤) حديث كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو نحوه (٥) حديث أنس أن رسول الله ﷺ كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى فلانة الحديث وفيه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٦) حديث انى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا وقال على رسلكما انها صفية متفق عليه من حديث صفية (٧) حديث انى أوتى وأسأل وتطلب الى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبى موسى نحوه (٨) حديث مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له والطبرانى فى الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف

---

(١) هذا الحديث ساقط عند العراقى وهو من رواية أبى داود والنسائى وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كما فى الشارح اهـ مصححه

المكروه عن آخر وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (١) أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى أنظر اليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه أبو ولدك فقالت يارسول الله أتأمرنى فافعل فقال لا انما أنا شافع * ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم (٢) من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا سلم أحدكم لم يدخل بيته وقال أنس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم (٥) ثمان حجج فقال لى يا أنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا وقال الله تعالى ـ واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ـ وقال عليه السلام (٦) والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يارسول الله قال أفشوا السلام بينكم وقال أيضا (٧) اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ان الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه وقال عليه السلام (٩) يسلم الراكب على الماشى واذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهى تحية أهل الجنة وكان أبو مسلم الخولانى يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعنى الا أنى أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة أيضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجاء آخر فقال السلام

---

(١) حديث عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى أنظر اليه خلفها يبكى الحديث رواه البخارى (٢) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٣) حديث دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أبو داود والترمذى وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٤) حديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه ضعف (٥) حديث أنس خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال لى يا أنس أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من أمتى تكثر حسناتك واذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له والبيهقى فى الشعب واسناده ضعيف وللترمذى وصححه اذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٦) حديث والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٧) حديث اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى هريرة ولم يسنده ولده فى المسند (٨) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٩) حديث يسلم الراكب على الماشى واذا سلم من القوم احد أجزأ عنهم ومالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبى داود من حديث على يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة يسلم الراكب على الماشى الحديث وسيأتى فى بقية الباب (١٠) حديث جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذى من حديث عمران بن حصين

اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله على وجهه فى النار {وفى الخبر} يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل فى المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك {وروى} أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فانى سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون فاذا أفرط النقير فى المداراة ربما تعدى حد الاعتدال فى وجوه المعيشة متطلبا رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله وفتنة خصوص حاله الافراط فى المجالسة والمخالطة فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق الفرض بطول

الحال لاهمال شروط الأعمال وألطف من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس امتزاجا و برابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتنطوى طبيعتها الجامدة وتلتهب نارها الخامدة فدواء هذه الفتنة أن يكون للمتأهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما الى مولاه وعينان ظاهران يستعملهما فى طريق هواه وقد قالت رابعة فى معنى هذا نظما

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

﴿وألطف من هذا فتنة أخرى﴾ يخشاها المتأهل

عليكم ورحمة الله و بركاته فقال ثلاثون وكان أنس رضى الله عنه (١) يمر على الصبيان فيسلم عليهم و يروى عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك * وروى عبد الحميد بن بهرام أنه ﷺ (٢) مر فى المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده الى الحكاية فقال عليه السلام (٣) لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه الى أضيقه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام فاذا لقيتموهم فى الطريق فاضطروهم الى أضيق الطرق قالت عائشة رضى الله عنها (٤) ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك فقال النبى ﷺ عليكم قالت عائشة رضى الله عنها فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام ياعائشة ان الله يحب الرفق فى كل شئ قالت عائشة ألم تسمع ماقالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام (٥) يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام (٦) لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالاصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالاكف قال أبو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلام (٧) اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى بأحق من الاخيرة وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٨) اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضى الله عنه سمعت النبى ﷺ (٩) يقول اذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد فى الود وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (١٠) تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال عليه السلام (١١) قبلة المسلم أخاه المصافحة ولا بأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركا به وتوقيرا له وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قبلنا يد النبى ﷺ (١٢) وعن كعب بن

قال الترمذى حسن غريب وقال البيهقى فى الشعب اسناده حسن (١) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعه متفق عليه (٢) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه ﷺ مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذى من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبى حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٣) حديث لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث عائشة ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك الحديث متفق عليه (٥) حديث يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٦) حديث لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال اسناده ضعيف (٧) حديث اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الاخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة (٨) حديث أنس اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطى بسند ضعيف وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسالمة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبى كثير مجهول (٩) حديث عمر بن الخطاب اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار فى مسنده والخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له والبيهقى فى الشعب وفى اسناده نظر (١٠) حديث أبى هريرة تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو عند الترمذى من حديث أبى امامة وضعفه (١١) حديث قبلة المسلم أخاه المصافحة الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (١٢) حديث عمر قبلنا يد رسول الله ﷺ أبو داود بسند حسن

مالك قال لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ (١) فقبلت يده وروى ان أعرابيا قال يارسول الله (٢) ائذن لي فاقبل رأسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه سلم على رسول الله ﷺ (٣) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يارسول الله ما كنت أرى هذا الامن أخلاق الاعاجم فقال رسول الله ﷺ ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي ﷺ (٤) قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب أو قال وأفضل * والانحناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه قلنا يارسول الله (٥) أينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا قال نعم (٦) والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال أبو ذر رضي الله عنه مالقيته ﷺ (٧) الا صافحني وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فعل ابن عباس ذلك (٨) بركاب زيد بن ثابت وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب الينا من رسول الله ﷺ (٩) وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه عليه السلام قال مرة (١٠) اذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال عليه السلام (١١) من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلام (١٢) لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال ﷺ (١٣) اذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فانما هي

---

(١) حديث كعب بن مالك لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده أبو بكر بن المقرى في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف (٢) حديث ان اعرابيا قال يارسول الله ائذن لي فاقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة الا انه قال رجليك موضع يدك وقال صحيح الاسناد (٣) حديث البراء بن عازب انه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد اليه يده فصافحه الحديث رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحق عن البراء (٤) حديث اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٥) حديث أنس قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٦) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب (٧) حديث أبي ذر مالقيته ﷺ الا صافحني الحديث أبو داود وفيه رجل من عنزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله (٨) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٩) حديث أنس ما كان شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (١١) حديث من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٢) حديث لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا متفق عليه من حديث ابن عمر (١٣) حديث اذا أخذ

على الروح ويصير ذلك وليجة في حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتتبلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح وهذه البلادة في الروح يعز الشعور بها فلتحذر ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طائفة قالوا بالمشاهدة واذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها بلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الالهية فما ظنك فيمن يدعي ذلك في باب غير مشروع يغره سكون النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذه اليها على أني استبحثت عما يبتلى به المفتونون بالمشاهدة فوجدت المحمي من ذلك من صورة الفسق عنده رغوة شراب الشهوة اذ لو ذهب علة الشراب مابقيت الرغوة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعي فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى

كرامة أكرمه بها أخوه فان لم يوسع له فلينظر الى أوسع مكان يجده فيجلس فيه وروى أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ (١) وهو يبول فلم يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال عليه السلام (٢) ان عليك السلام تحية الموتى قالها ثلاثا ثم قال اذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله ﷺ (٣) جالسا في المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فاما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى الى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه وقال ﷺ (٤) ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا (٥) وسلمت أم هانئ على النبي ﷺ فقال من هذه فقيل له أم هانئ فقال عليه السلام مرحبا بأم هانئ * ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويردعنه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى اخوة الاسلام روى أبو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي ﷺ (٦) من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار وقال ﷺ (٧) ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ (٨) قال من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام (٩) من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله ﷺ (١٠) يقول ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره

القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي ﷺ أخصر منه وشيبة بن جبير والمنصور ليست له صحبة (١) حديث ان رجلا سلم على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه (٢) حديث قال رجل لرسول الله ﷺ عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان ﷺ جالسا في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي (٤) حديث ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث سلمت أم هانئ عليه فقال مرحبا بأم هانئ مسلم من حديث أم هانئ (٦) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار الترمذي وحسنه (٧) حديث ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٨) حديث أنس من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على ما ذكرته واسناده ضعيف (٩) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (١٠) حديث جابر وأبي طلحة

قال الاطباء الجماع يسكن هيجان العشق وان كان من غير المعشوق فليعلم أن مستنده الشهوة ويكذب من يدعي فيه حالا وهذه فتن المتأهل وفتنة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة واذا سنح الخاطر يمحوه بحسن الانابة واللياذ بالهرب ومتى سامح الفكر كثف الخاطر وخرج من القلب الى الصدر وعند ذلك يحذر حساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصادق المتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم

﴿ الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا و إيثار ﴾

قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون

الله

الله فى موطن يحب فيه نصره ومامن امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته الاخذله الله فى موضع يحب فيه نصرته * ومنها تشميت العاطس قال عليه السلام (١) فى العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ (٢) يعلمنا يقول اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لى ولكم وشمت رسول الله ﷺ (٣) عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وأنت سكت وقال ﷺ (٤) يشمت العاطس المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام * وروى أنه (٥) شمت عاطسا ثلاثا فعطس أخرى فقال انك مزكوم وقال أبو هريرة كان رسول الله ﷺ (٦) اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده * وروى خمر وجهه وقال أبو موسى الاشعرى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ (٧) رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله * وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبى ﷺ (٨) فى الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبى ﷺ قال من صاحب الكلمات فقال أنا يارسول الله ماأردت بهن الاخيرا فقال لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها وقال ﷺ (٩) من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال عليه السلام (١٠) العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فاذا قال هاها فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابراهيم النخعى اذا عطس فى قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله وقال الحسن يحمد الله فى نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك فقال أنا جليس من ذكرنى فقال فانا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرنى على كل حال * ومنها أنه اذا بلى بذى شر فينبغى أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى الظاهر وقال أبو الدرداء إنا لنبش فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى

مامن امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف فى اسناده (١) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى على كل حال (٢) حديث ابن مسعود اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائى فى اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد الله واختلف فى اسناده (٣) حديث شمت رسول الله ﷺ عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبى هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث واسناده جيد (٥) حديث انه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال انك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٦) حديث أبى هريرة كان اذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لأبى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه (٧) حديث أبى موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح (٨) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبى ﷺ فى الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه واسناده جيد (٩) حديث من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته الطبرانى فى الأوسط وفى الدعاء من حديث على بسند ضعيف (١٠) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وقال البخارى ان الله يحب العطاس

أحسنه الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب قيل أحسنه أى أهداه وأرشده وقال عز وجل واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق هذا السماع هو السماع الحق الذى لايختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وأدمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدم عصرا ماء فاذا ألم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر أثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره الى فوق نحو الدماغ كالمخبر للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره

كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المحال ﴿ روى ﴾ ان عمر رضى الله عنه كان ربما مر بآية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم روى زيد بن أسلم قال قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة من الله تعالى وروت أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها * وورد أيضا اذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى

المداراة وهى مع من يخاف شره قال الله تعالى - ادفع بالتى هى أحسن السيئة - قال ابن عباس فى معنى قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة وقال فى قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله ﷺ (١) فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذى قلت ثم ألنت له القول فقال ياعائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وفى الخبر (٢) ماوقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وفى الأثر خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد ابن الحنفية رضى الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا * ومنها أن يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبى ﷺ يقول (٣) اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال كعب الاحبار كان سليمان عليه السلام فى ملكه اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب اليه من أن يقال له يامسكين وقال كعب الاحبار مافى القرآن من ياأيها الذين آمنوا فهو فى التوراة ياأيها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال يارب كيف لى أن أعلم رضاك عنى فقال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه السلام (٤) اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يارسول الله قال الاغنياء وقال موسى إلهى أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال ﷺ (٥) لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى الى مايصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا وأما اليتيم فقال ﷺ (٦) من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام (٧) أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه وقال ﷺ (٨) من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال ﷺ (٩) خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه * ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد فى ادخال السرور على قلبه قال ﷺ (١٠) المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم

ويكره التثاؤب الحديث (١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث متفق عليه (٢) حديث ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه (٣) حديث اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد والترمذى من حديث عائشة وقال غريب (٤) حديث اياكم ومجالسة الموتى قيل وما الموتى قال الأغنياء الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الاغنياء (٥) حديث لاتغبطن فاجرا بنعمة الحديث البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٦) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبتة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمرو وفيه على بن زيد بن جدعان متكلم فيه (٧) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة (٨) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٩) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (١٠) حديث المؤمن يحب للمؤمن مايحب لنفسه تقدم بلفظ لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ

على النار وهذه جملة لاتنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف فى استماع الاشعار بالالحان وقد كثرت الاقوال

(١) ان أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى فيه شيأ فليمطه عنه وقال ﷺ (٢) من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره وقال ﷺ (٧) من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال ﷺ (٣) من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراله من اعتكاف شهرين وقال عليه السلام (٤) من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال ﷺ (٥) انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم وقال عليه السلام (٦) ان من أحب الاعمال إلى الله ادخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضى عنه دينا أو يطعمه من جوع وقال ﷺ من حمى مؤمنا (٨) من منافق يعنته بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم وقال ﷺ (٧) خصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال ﷺ (٨) من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخى من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الابدال وفى رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال و بكى على بن الفضيل يوما فقيل له مايبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة * ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والاسلام كافيان فى اثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب و يدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ولا يقول ياغلام ولكن يحمد و يسبح وقال ﷺ تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده و يسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال ﷺ (٩) من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال رسول الله ﷺ (١٠) اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ان أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٢) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى فى التاريخ والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا (٣) حديث من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الاوسط من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (٤) حديث من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوفا (٥) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث انس وقد تقدم (٦) حديث ان من أحب الأعمال إلى الله ادخال السرور على المؤمن الحديث الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٧) حديث خصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده فى مسنده (٨) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف (٩) حديث من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وان كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة (١٠) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال انغمس

(٧) حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تخريجا فى نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن العراقى انه رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا (٨) حديث من حمى مؤمنا قال الشارح لم يذكره العراقى ورواه ابن المبارك

فى ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق و يتجاذبان فى طرفى الافراط والتفريط * قيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذوالنون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان جعفر الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب فى السماع وهذا قول صحيح * أخبرنا الشيخ طاهر بن أبى الفضل عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد ابن الحسن الخوافى قال أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف قال ثنا أبو بكر بن وثاب قال ثنا عمرو ابن الحرث قال ثنا الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن

ﷺ مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا أسأم وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابى وتابعى وغيرهم وقول الشيخ أبى طالب المكى يعتبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب والاولى وقال فى السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله

(١) إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة وقال عليه السلام (٢) إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو إذا جاؤه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته أن أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيآته وقال رسول الله ﷺ (٣) من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله ﷺ (٤) فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل ﷺ (٥) على على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيأ من صداقها ويشترى به عسلا ويشرب بماء السماء فيجتمع له الهنىء والمرىء والشفاء والمبارك وقال ﷺ (٦) يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يارسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا ان كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان أنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى وروى أنه قال عليه السلام (٧) عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضى الله عنهما عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه السلام (٨) أغبوا فى العيادة وأربعوا فيها وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل

فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها وللطبرانى فى الصغير من حديث أنس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها (١) حديث إذا عاد المسلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة الا أنه قال ناداه مناد قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسملى ضعفه الجمهور (٢) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى ملكين فقال انظروا ما يقوله لعواده الحديث مالك فى الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث أبى هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى إلى عواده أطلقته من أسارى ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل واسناده جيد (٣) حديث من يرد الله به خيرا يصب منه البخارى من حديث أبى هريرة (٤) حديث عثمان مرضت فعادنى رسول الله ﷺ فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السنى فى اليوم والليلة والطبرانى والبيهقى فى الادعية من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن (٥) حديث دخل على على وهو مريض فقال قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكى ولم يسم عليا وروى البيهقى فى الدعوات من حديث عائشة ان جبريل علمها للنبى ﷺ وقال ان الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات (٦) حديث أبى هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبى الدنيا فى الدعاء وفى المرض والكفارات (٧) حديث عيادة المريض فواق ناقة ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة (٨) حديث أغبوا فى العيادة وأربعوا ابن ابى الدنيا وفيه أبو يعلى

وأحمد وأبو داود وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه

والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء * ومنها أن يشيع جنائزهم قال ﷺ (١) من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر (٢) القيراط مثل أحد ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي و يقول والله لا تقر عيني حتى أعلم الى ما صرت ولا والله لا أعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى انه نجا من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وقال ﷺ (٣) يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان و يبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله و يبقى عمله * ومنها أن يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال ﷺ (٤) ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله ﷺ (٥) فأتى المقابر فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عمر رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته و يقول سمعت رسول الله ﷺ (٦) ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود و بيت الوحدة و بيت الغربة و بيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال ﷺ (٧) ما من ليلة الا وينادي مناد يا أهل القبور من تغبطون قالوا نغبط أهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم و يصلون ولا نصلي و يذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ثم يقول يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله * وآداب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم * وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له

من حديث جابر وزاد الا أن يكون مغلوبا واسناده ضعيف (١) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة (٢) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه (٣) حديث يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان و يبقى واحد مسلم من حديث أنس (٤) حديث ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الاسناد وقال الترمذي حسن غريب (٥) حديث عمر خرجنا مع رسول الله ﷺ فأتى المقابر فجلس الى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه فقام اليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يارسول الله ما لك الحديث (٦) حديث عثمان بن عفان ان القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده (٧) حديث ما من ليلة الا ينادي مناد يا أهل

على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل ويشده طرفات الجليل فهو مباح وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي وهو الصحيح فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الاصرار ونفصل الامر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فاما الدف والشبابة وان كان فيهما في مذهب الشافعي فسحة فالاولى تركهما والاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فان كان من القصائد في ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن ذلك القبيل قصائد الغزاة والحجاج في وصف الغزو والحج

وأن يمشى أمام الجنازة بقربها (١) والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لانك لا تدرى لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله و يختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك فى المعاداة و يذهب دينك ودنياك فيهم و يذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا فى الدين فتعادى أفعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فمالك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم فى مودتهم لك وثنائهم عليك فى وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة الا واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم أحوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك و يعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك اليهم واذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر و يضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة و يحاسبون على النقير والقطمير و يحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون و يؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ظاهرهم ثياب و باطنهم ذئاب يقطعون بالظنون و يتغامزون وراءك بالعيون و يتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله ولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله فى الدنيا والدرهم أو تقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الأحوال فاتخذه أبا لك ان كان كبيرا أو ابنا لك ان كان صغيرا أو أخاك ان كان مثلك فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق

﴿ حقوق الجوار ﴾

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبى ﷺ (٢) الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال

القبور من تغبطون فيقولون نغبط أهل المساجد الحديث لم أجد له أصلا (١) حديث الاسراع بالجنازة متفق عليه من حديث أبى هريرة اسرعوا بالجنازة الحديث (٢) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما وأبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو

فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف يكون سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين يقتات بالسماع و يتقوى به على الطى والوصال و يثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه كأن يسمع الحادى يقول مثلا

أتوب اليك يا رحمن انى * أسأت وقد تضاعفت الذنوب فأما من هوى ليلى وحبى * زيارتها فانى لا أتوب

ﷺ (١) أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي ﷺ (٢) مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال ﷺ (٣) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال ﷺ (٤) لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ (٥) أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام (٦) اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله ﷺ (٧) ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال ﷺ هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام (٨) يشكو جاره فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لاأعود وروى الزهري ان رجلا أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي ﷺ أن ينادي على باب المسجد (٩) ألا ان أربعين دارا جار قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام (١٠) اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه * واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار أيضا قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع

نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف (١) حديث احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما تقدم (٢) حديث مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٤) حديث لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضا (٥) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٦) حديث اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته لم أجد له أصلا (٧) حديث ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد (٨) حديث جاء رجل الى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (٩) حديث الزهري الا ان أربعين دارا جار أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (١٠) حديث اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له ان يك من الشؤم شئ حقا وله من حديث سهل بن سعد ان كان ففي الفرس والمرأة والمسكن وللترمذي من حديث حكيم بن معاوية لاشؤم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فسماه مخمر بن معاوية وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ماسوء الدار قال ضيق ساحتها وخبث جيرانها قيل فما سوء الدابة قال منعها ظهرها وسوء خلقها قيل فما سوء المرأة قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف ورويناه في كتاب الخيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم واذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهي مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة واسناده ضعيف

فطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات في أمر الحق الى الممات يكون في سماعه هذا ذاكر الله تعالى * قال بعض أصحابنا كنا نعرف مواجيد أصحابنا في ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم يأكلون عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وسئل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون للمعاني التي تعزب عن غيرهم فيشير اليهم الحق الي فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يمزق ثيابه ومنهم يبكي ومنهم من يصيح ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت أباسهل محمد بن سليمان يقول المستمع بين استتار

اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء فى ميزابه ولا فى مطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال ﷺ (١) أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ (٢) قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصانى خليلى ﷺ (٣) وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله (٤) ان لى جارين أحدهما مقبل على ببابه والآخر ناء ببابه عنى وربما كان الذى عندى لا يسعهما فأيهما أعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصى جاراله فقال لا تناص جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابورى سألت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل المجاور يأتينى فيشكو غلامى انه أتى اليه أمرا والغلام ينكره فأكره أن أضربه ولعله برىء وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع قال ان غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضى الله عنها خلال المكارم عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٥) يا معشر المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ان من سعادة المرء

ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ماحق الجار ان استعان بك أعنته وان استقرضك أقرضته الحديث الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى الحديث أبو داود والترمذى وقال حسن غريب (٣) حديث أبى ذر أوصانى خليلى ﷺ اذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم (٤) حديث عائشة قلت يا رسول الله ان لى جارين الحديث رواه البخارى (٥) حديث أبى هريرة يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٦) حديث ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار

ومحل فالاستتار يورث التلهب والتجلى يورث المزيد فالاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه الا الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى سمعت جدى يقول المستمع ينبغى أن يستمع بقلب ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتا ونفسه حية لا يحل له السماع وقيل فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام لله أشد أذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة الى قينته نقل عن الجنيد قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم شيأ فقال انه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيأ الا فى وقتين قلت

المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال عبدالله قال رجل يارسول الله (١) كيف لي أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت وقال جابر رضي الله عنه قال النبي ﷺ (٢) من كان له جار في حائط أو شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال أبو هريرة رضي الله عنه قضى رسول الله ﷺ (٣) أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لايمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال ﷺ (٤) من أراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

﴿حقوق الأقارب والرحم﴾

قال رسول الله ﷺ (٥) يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال ﷺ (٦) من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية أخرى من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله ﷺ (٧) أي الناس أفضل قال أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي عليه السلام (٨) بصلة الرحم وان أدبرت وأمرني أن أقول الحق وان كان مرا وقال ﷺ (٩) ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام (١٠) ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجارا فتنمو أموالهم ويكثر عددهم

الصالح والمركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحرث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد (١) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لي أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود واسناده جيد (٢) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الاسناد وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٣) حديث أبي هريرة قضى رسول الله ﷺ أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لايمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه باسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٤) حديث من أراد الله به خيرا عسله أحمد من حديث أبي عنبسة الخولاني ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحمق زاد الخرائطي قيل وما عسله قال حببه الى جيرانه وقال البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد (٥) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليتق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي باسناد جيد (٧) حديث أي الناس أفضل فقال أتقاهم لله وأوصلهم للرحم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب باسناد حسن (٨) حديث أبي ذر أوصاني خليلي ﷺ بصلة الرحم وان أدبرت وأمرني أن أقول الحق وان كان مرا أحمد وابن حبان وصححه (٩) حديث ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (١٠) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكرة والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن

فقال لو رأيته قلت له يا أحق من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر أترجع أنت عليه شيأ أو تظفر بشيء منه فقلت صدقت ﴿وروت﴾ عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندي جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يارسول الله فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ماسمع رسول الله فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمعته * وذكر الشيخ أبو طالب المكي قال كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يجتمعون اليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي ولهجوار يسمعن التلحين أعددهن للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو

اذا وصلوا أرحامهم وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله ﷺ (١) الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببنى مدلج فقال عليه السلام ان الله قد منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما (٢) قدمت على أمى فقلت يارسول الله ان أمى قدمت على وهى مشركة أفأصلها قال نعم وفى رواية أفأعطيها قال نعم صليها وقال عليه السلام (٣) الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان (٤) ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يارسول الله هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب أجرك على الله فاقسمه فى أقاربك وقال عليه السلام (٥) أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح وهو فى معنى قوله (٦) أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروى ان عمر رضى الله عنه كتب الى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

{حقوق الوالدين والولد}

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال ﷺ (٧) لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال ﷺ (٨) بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله وقد قال ﷺ (٩) من أصبح مرضيا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار وان أمسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال ﷺ (١٠) ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال ﷺ (١١) بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فادناك ويروى أن الله تعالى قال لموسى

ابن عوف بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله ﷺ الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج فقال ان الله منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم الخرائطى فى مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم فى لبات الابل وهو مرسل صحيح الاسناد (٢) حديث أسماء بنت أبى بكر قدمت على أمى فقلت يارسول الله قدمت على أمى وهى مشركة أفأصلها قال نعم صليها متفق عليه (٣) حديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى (٤) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون الحديث أخرجه البخارى وقد تقدم (٥) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبرانى من حديث أبى أيوب وفيه الحجاج بن أرطاة ورواه البيهقى من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٦) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف وللطبرانى نحوه من حديث أبى امامة وقد تقدم (٧) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبى هريرة (٨) حديث بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله ﷺ فقال انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال أمى قال قابل الله فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد واسناده حسن (٩) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة الحديث البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (١٠) حديث ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة دون ذكر القاطع وهى فى الأوسط من حديث جابر الا أنه قال من مسيرة ألف عام واسنادهما ضعيف (١١) حديث بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك النسائى من حديث طارق المحاربى وأحمد والحاكم من حديث أبى رمثة ولأبى داود نحوه

لايسلم الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وماهذا القول من الشيخ أبى طالب المكى الامستغرب عجيب والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح * وفى الحديث فى مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز * وقال عليه السلام فى مدح أبى موسى الاشعرى لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود {وروى} عنه عليه السلام أنه قال ان من الشعر لحكمة {ودخل} رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يارسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة {وأنشد} النابغة عند رسول الله ﷺ

عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتى وجلالى لا أخرجت من صلبك نبيا وقال ﷺ (١) ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شئ وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله ﷺ (٢) اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى على من بر أبوى شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما وقال ﷺ (٣) ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب وقال ﷺ (٤) بر الوالدة على الولد ضعفان وقال ﷺ (٥) دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر فقال (٦) بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال ﷺ (٧) رحم الله والدا أعان ولده على بره أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال ﷺ ساووا بين أولادكم فى العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضى الله عنه قال النبى ﷺ (٨) الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة وقال ﷺ (٩) من حق الولد على الوالد

من حديث كليب بن منفعة عن جده وله وللترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم (١) حديث ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله اذا كانا مسلمين (٢) حديث مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر أبوى شئ الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٤) حديث بر الوالدة على الولد ضعفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبى هريرة وهو معنى هذا الحديث (٥) حديث الوالدة أسرع اجابة الحديث لم أقف له على أصل (٦) حديث قال رجل يارسول الله من أبر قال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين من حديث عثمان ابن عفان دون قوله فكما ان لوالديك الخ وهذه القطعة رواها الطبرانى من حديث ابن عمر قال الدارقطنى فى العلل ان الأصح وقفه على ابن عمر (٧) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث على بن أبى طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقانى من رواية الشعبى مرسلا (٨) حديث أنس الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الآذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فاذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الضحايا والعقيقة الا انه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفى اسناده من لم يسم (٩) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفهما

حكيم اذا ما أورد الامر أصدرا فقال له رسول الله ﷺ أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا وكان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرا فى المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ ويقول النبى ﷺ ان روح القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله ﷺ (ورأى) بعض الصالحين أبا العباس الخضر قال فقلت له ما تقول فى السماع الذى يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الأقدام العلماء * ونقل عن ممشاد الدينورى قال رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت يارسول الله هل تنكر

أن يحسن أدبه و يحسن اسمه وقال عليه السلام (١) كل غلام رهين أورهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذاذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بهاأوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الخيط ثم يغسل رأسه و يحلق بعد وجاء رجل الى عبدالله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته و يستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي ﷺ (٢) وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لايرحم لايرحم وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله ﷺ (٣) يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذلم يكن جارية وتعثر الحسن والنبي ﷺ (٤) على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبدالله بن شداد بينما رسول الله ﷺ (٥) يصلى بالناس اذجاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا انه قد حدث أمر فقال ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته وفى ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال ﷺ (٦) ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى الى الأحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له ياأبابحر ماتقول فى الولد قال ياأمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم و يحبوك جهدهم ولاتكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك و يودوا وفاتك و يكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت ياأحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد و بعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر فهذه هى الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه فى حق الاخوة فان هذه الرابطة آكد من الاخوة بل يزيد ههنا أمران أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح أونافلة الاباذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض الاسلام نفل لانه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث كل غلام رهين أورهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع و يحلق رأسه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث رأى الاقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال من لايرحم لايرحم البخارى من حديث أبى هريرة (٣) حديث عائشة قال لى رسول الله ﷺ يوما اغسلى وجه اسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب بيدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذلم يكن جارية لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبي ﷺ يمصه و يقول لوكان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها واسناده صحيح (٤) حديث عثر الحسين وهو على منبره ﷺ فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم وأولادكم فتنة أصحاب السنن من حديث بريدة فى الحسن والحسين معا يمشيان و يعثران قال الترمذى حسن غريب (٥) حديث عبدالله بن شداد بينما رسول الله ﷺ يصلى بالناس اذجاء الحسن فركب عنقه النسائى من رواية عبدالله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أوالحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ريح الولد من ريح الجنة الطبرانى فى الصغير والأوسط وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن على ضعيف

بالقرآن فقلت يارسول الله انهم يؤذونى و ينبسطون فقال احتملهم ياأبا على هم أصحابك فكان ممشاد يفتخر و يقول كنانى رسول الله ﷺ * وأما وجه الانكار فيه فهو أن يرى جماعة من المريدين دخلوا فى مبادئ الارادة ونفوسهم ماتمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال القلب حتى تنضبط حركاتهم بقانون العلم و يعلمون ما لهم وعليهم مشتغلين به * حكى أن ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول شيأ فاذن له فأنشد القوال

صغير هواك عذبنى * فكيف به اذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى * هوى قد كان مشتركا

الوالدين قال أبو سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله ﷺ (١) من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنالك قال لا فقال عليه السلام فارجع الى أبويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والافبرهما مااستطعت فان ذلك خير ماتلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر اليه ﷺ (٢) ليستشيره فى الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئتك حتى (٣) أبكيت والدى فقال ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما وقال ﷺ (٤) حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام (٥) اذا استصعبت على أحدكم دابته أوساء خلق زوجته أوأحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه

﴿ حقوق المملوك ﴾

اعلم ان ملك النكاح قدسبقت حقوقه فى آداب النكاح فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لابد من مراعاتها فقد كان من آخر ماأوصى به رسول الله ﷺ (٦) أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم من العمل مالايطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولاتعذبوا خلق الله فان الله ملككم إياهم ولوشاء لملكهم إياكم وقال ﷺ (٧) للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل مالايطيق وقال عليه السلام لايدخل الجنة (٨) خب ولامتكبر ولاخائن ولاسيئ الملكة وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله ﷺ (٩) فقال يارسول الله كم

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد فقال ﷺ باليمن أبواك قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله مااستطعت الخ (٢) حديث جاء آخر الى النبى ﷺ يستشيره فى الغزو فقال ألك والدة فقال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية ابن جاهمة أن جاهمة أتى النبى ﷺ قال الحاكم صحيح الاسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجئتك حتى أبكيت والدى فقال ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو وقال صحيح الاسناد (٤) حديث حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ورواه أبو داود فى المراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص واسناده ضعيف (٥) حديث اذا استصعب على أحدكم دابته أوساء خلق زوجته أوأحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسين بن على بن أبى طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ماأوصى به رسول الله ﷺ أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق فى عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث على كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفى الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبى ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم لفظ رواية مسلم وفى رواية لأبى داود من لايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لايلايمكم منهم فبيعوه ولاتعذبوا خلق الله تعالى واسناده صحيح (٧) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولايكلف من العمل مالايطيق مسلم من حديث أبى هريرة (٨) حديث لايدخل الجنة خب ولامتكبر ولاخائن ولاسيئ الملكة أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرا على سيئ الملكة من حديث أبى بكر وليس عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذى البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذى أحد طريقيه (٩) حديث ابن عمر جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب

على الأرض ثم قام واحد منهم فنظر اليه ذو النون فقال اتق الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجدا فيقوم أحدهم من غير تدبر وعلم فى قيامه وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمعه الى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ويحسب ذلك طيبة للقلب وما رأى وجه القلب

وطيبته لله تعالى ولعمرى هو طيبة القلب ولكن قلب ملون بلون النفس ميال الى الهوى موافق للردى لايهتدى الى حسن النية فى

نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله ﷺ ثم قال اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى فى كل يوم سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لايطيقه وضع عنه منه * و يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له ياعبد الله احمله خلفك فانما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لايزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقالت جارية لأبى الدرداء انى سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيأ فقال لم فعلت ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال اذهبى فأنت حرة لوجه الله وقال الزهرى متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها أنت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك فأغضبه يوما فقال انما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون فقال ياجارية أحرقتنى قالت يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول والله يحب المحسنين قال أنت حرة لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ (١) ضرب عبداله فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده فقال رسول الله سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتنى أمسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يارسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال ﷺ (٢) العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لى أجران فذهب أحدهما وقال ﷺ (٣) عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لايعطى حق الله وفقير فخور وعن أبى مسعود الأنصارى قال (٤) بينا أنا أضرب غلاما لى اذ سمعت صوتا من خلفى اعلم يا أبا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط من يدى فقال والله لله أقدر عليك منك على هذا وقال ﷺ (٥) اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شئ يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه رواه معاذ وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (٦) اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله لقمة وفى رواية اذا كفى أحدكم مملوكه

(١) حديث ابن المنكدر ان رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبداله فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد الحديث ابن المبارك فى الزهد مرسلا وفى رواية لمسلم فى حديث أبى مسعود الآتى ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفى رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار (٢) حديث اذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٣) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده الحديث الترمذى وقال حسن وابن حبان من حديث أبى هريرة (٤) حديث أبى مسعود الانصارى بينا أنا أضرب غلاما لى سمعت صوتا من خلفى اعلم أبا مسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٥) حديث معاذ اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شئ يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه الطبرانى فى الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٦) حديث أبى هريرة وليأكل معه فان أبى فليناوله وفى رواية اذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو فى

الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولمثل هذا الراقص قيل الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما اذا انضاف الى ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد والتقرب الى بعض الحاضرين من غير نية بل بدلالة نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التى لايعتمدها من المتصوفة الا من ليس له من التصوف الا مجرد زى وصورة أو يكون القوال أمرد تنجذب النفوس الى النظر اليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء أو يكون للنساء اشراف على الجمع وتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص واظهار التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه فأهل المواخير حينئذ أرجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته لانهم يرون فسقهم وهذا الايراه

صنع طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله أوليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه * ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا أباعبدالله ماهذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين وقال ﷺ (١) من كانت عنده جارية فصانها وأحسن اليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران وقد قال ﷺ (٢) كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي ﷺ (٣) قال ثلاثة لايسئل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصى امامه فمات عاصيا فلايسأل عنهما وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لايسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله * تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

﴿ كتاب آداب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم الى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من أخص خاصته والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته ﴿أما بعد﴾ فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احداهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لاتنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل أكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وماذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض مامال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين ﴿الباب الأول﴾ في نقل المذاهب والحجج فيها ﴿الباب الثاني﴾ في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

﴿ الباب الأول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك ﴾

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتألف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبدالله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى أحد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها وماهو مقرون بذكر العلة

مكارم الاخلاق للخرائطى باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير انه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاى

(١) حديث من كانت عنده جارية فعالها وأحسن اليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٣) حديث فضيلة بن عبيد ثلاثة لايسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصيا الحديث الطبرانى والحاكم وصححه

﴿ كتاب العزلة ﴾

﴿ الباب الأول في نقل المذاهب والحجج فيها ﴾

الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكم من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون انكار المنكر على المريد الطالب يمنعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع ووزن من غير اظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محلة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التى تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الاهل والولد ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية اذا

نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول قد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى عظنى قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروأته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثورى هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ✽ ولا أمر يحاذره يفوت

قضى وطر الصبا وأفاد علما ✽ فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعى لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل انى لأجد للرجل عندى يدا اذا لقينى أن لا يسلم على واذا مرضت أن لا يعودنى وقال أبو سليمان الدارانى بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثورى يقول والله الذى لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فانك لا تدرى ما يكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له ألك حاجة قال نعم قال ماهى قال أن لا ترانى ولا أراك ولا تعرفنى وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال اذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت أنى فى مكان أرى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل وقال يا ويح على أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين الى العزلة

﴿ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها﴾

احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الآية وبقوله تعالى فألف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهى الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافى ذلك واحتجوا بقوله ﷺ (١) المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا أيضا ضعيف لانه اشارة الى مذمة سوء الخلق التى تمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذى ان خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله ﷺ من فارق الجماعة شبرا خلع ربقة الاسلام من عنقه وقال (٢) من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله ﷺ (٣) من شق

(١) حديث المؤمن الف مألوف الحديث تقدم فى الباب الأول من آداب الصحبة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام داج فقد خلع ربقة الاسلام الطبرانى والخطابى فى العزلة من حديث

عصا

توى به استجمام النفس كما نقل عن أبى الدرداء أنه قال انى لاستجم نفسى بشئ من الباطل ليكون ذلك عونا الى على الحق ولموضع التروح كرهت الصلاة فى اوقات ليستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض ما آربها من ترك العمل وتستطيب أوطان المهل والآدمى بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته وقد سبق شرحه فى غير هذا الباب لا تنفى قواه بالصبر على الحق الصرف فيكون التفسح فى أمثال ماذكرناه من المباح الذى ينزع الى لهو ما باطلا يستعان به على الحق فان المباح وان لم يكن باطلا فى حقيقة الشرع لان حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة الى الاحوال ورأيت فى بعض كلام سهل بن عبد الله يقول فى وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيد العلم وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا

عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام داخ فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التى اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغى وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس فى هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه ﷺ عن الهجر فوق ثلاث اذ قال (١) من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار وقال عليه السلام (٢) لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر أخاه (٣) سنة فهو كسافك دمه قالوا والعزلة هجره بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجر فوق ثلاث جائز فى موضعين أحدهما أن يرى فيه صلاحا للمهجور فى الزيادة والثانى أن يرى لنفسه سلامة فيه والنهى وان كان عاما فهو محمول على ماوراء الموضعين المخصوصين بدليل ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ (٤) هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروى عن عمر أنه ﷺ (٥) اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهى خزانته فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين وروت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ (٦) قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح فى التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شئ قد تقدم فيه قوم سعد بن أبى وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة واحتجوا بما روى (٧) أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجئ به الى رسول الله ﷺ فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم فى بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما والظاهر أن هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه فى ابتداء الاسلام بدليل ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال غزونا مع رسول الله ﷺ (٨) فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال ﷺ لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا فى سبيل الله فانه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة أدخله الله

ابن عباس بسند جيد (١) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أبى هريرة باسناد صحيح (٢) حديث لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبرانى والذى يبدأ بالصلح يسبق الى الجنة (٣) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه أبو داود من حديث أبى خراش السلمى واسمه حدرد بن أبى حدرد واسناده صحيح (٤) حديث انه ﷺ هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر قلت انما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٥) حديث عمر انه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٦) حديث عائشة لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائقه ابن عدى وقال غريب المتن والاسناد وحديث عائشة عند أبى داود دون الاستثناء باسناد صحيح (٧) حديث ان رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجئ به الى رسول الله ﷺ فقال لا تفعل الحديث البيهقى من حديث عسعس بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون ان حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٨) حديث أبى هريرة غزونا على عهد رسول الله ﷺ فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب الحديث الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها فيكون ماهو نصيب الباطل الصرف فى حق الغير من المباحات المقبولة برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال فى حقه ﷺ متسما بسمة العبادات وقد ورد فى فضيلة النكاح مايدل على انه عبادة ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح الدينية والدنيوية على ما أطنب فى شرحه الفقهاء فى مسئلة التخلى لنوافل العبادات فاذا يخرج هذا الراقص بهذه النية المتبرئ من دعوى الحال فى ذلك من انكار المنكر فيكون رقصه لا عليه ولا له وربما كان بحسن النية فى الترويح يصير عبادة سيما ان أضمر فى نفسه فرحا به ونظر الى شمول رحمته وعطفه ولكن لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لما فيه من مشابهة

الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ (١) قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة واياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتى بيان ذلك وان ذلك ينهى عنه الا لضرورة

﴿ ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة ﴾

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى الآية ثم قال تعالى ـ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق و يعقوب وكلا جعلنا نبيا ـ اشارة الى أن ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند اليأس من اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام فى مخالطة المسلمين ومافيها من البركة لما روى أنه قيل يارسول الله (٢) الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة أيدى المسلمين وروى أنه ﷺ (٣) لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع فى حياض الادم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه و يشربون فاستسقى منه وقال اسقونى فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدى أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر فى البيت فقال اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدى المسلمين فشرب منه فاذا كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى فى أصحاب الكهف ـ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ـ أمرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا ﷺ (٤) قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة الى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به الى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه ﷺ لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر فى العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله ﷺ (٥) لعبد الله ابن عامر الجهنى لما قال يارسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وروى

الاان الترمذى قال سبعين عاما (١) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبرانى ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا (٢) حديث قيل له ﷺ الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٣) حديث لما طاف بالبيت عدل الى زمزم يشرب منها فاذا التمر منقع فى حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس رواه الازرقى فى تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسلا نحوه (٤) حديث اعتزاله ﷺ قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة الى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة فى المغازى ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب مرسلا ورواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مرسلا أيضا ووصله من رواية أبى سلمة الحضرمى عن ابن عباس الا ان ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بنى هاشم فى الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أباطالب جمع بنى عبد المطلب وامرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومغازى موسى بن عقبة أصح المغازى وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج الى أرض الحبشة ولأبى داود من حديث أبى موسى أمرنا النبى ﷺ أن ننطلق الى أرض النجاشى قال البيهقى واسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله ﷺ الى النجاشى وروى ابن اسحق باسناد جيد ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث أم سلمة أن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فألحقوا ببلاده الحديث (٥) حديث سأله عقبة بن عامر يارسول الله ما النجاة فقال ليسعك بيتك الحديث الترمذى من حديث عقبة وقال حسن

للسماع على الاطلاق من غير تفصيل لايخلو من أحد أمور ثلاثة اما جاهل بالسنن والآثار واما مغتر بما أتيح له من أعمال الاخيار واما جامد الطبع لاذوق له فيصر على الانكار وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل أما الجاهل بالسنن والآثار فيعرف بما أسلفناه من حديث عائشة رضى الله عنها و بالاخبار والآثار الواردة فى ذلك وفى حركة بعض المحركين تعرف رخصة رسول الله ﷺ للحبشة فى الرقص ونظر عائشة رضى الله عنها اليهم مع رسول الله ﷺ هذا اذا سلمت الحركة من المكاره التى ذكرناها وقد روى أن رسول الله ﷺ قال لعلى رضى الله عنه أنت

أنه قيل له ﷺ [(١)] أى الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى قيل ثم من قال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال ﷺ [(٢)] ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى وفى الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ماعرفه ﷺ بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فانه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته فى العزلة لافى المخالطة كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت وأن لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفى مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال ﷺ [(٣)] الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقى الخفى اشارة الى ايثار الخمول وتوقى الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لاذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روى أنه ﷺ قال لاصحابه [(٤)] ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يارسول الله فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار بيده نحو الحجاز وقال رجل فى غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعلم حق الله فى ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر أن هذه الادلة لاشفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها

﴿الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق فى فضلها﴾

اعلم أن اختلاف الناس فى هذا يضاهى اختلافهم فى فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص بحسب مافصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهى تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى ما يمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من جلساء السوء وأما الدنيوية فتنقسم الى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف فى خلوته الى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه فى الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروأته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس فى مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذى بثقله وتشويه خلقته والى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها فى ست فوائد

﴿الفائدة الأولى﴾

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى

وكان فخجل جعفر فى قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها على وجعفر وزيد وأما المنكر المغرور بما أتيح له من أعمال الأخيار فيقال تقربك الى الله بالعبادة لشغل جوارحك بها ولولا نيتة قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى والنية لنظرك الى ربك خوفا أو رجاء فالسامع من الشعر بيتا يأخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا أو حزنا أو انكسارا أو افتقارا كيف يقلب قلبه فى أنواع ذلك ذاكرا لربه ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر فى قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة الطائر وتسخيره حلقه ومنشأ الصوت وتأديته الى الاسماع كان فى جميع ذلك الفكر مسبحا

---

(١) حديث أى الناس أفضل فقال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى (٢) حديث ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص (٣) حديث الذى يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذى الصحابى قال شيخ من أصحاب النبى ﷺ والطريق واحد (٤) ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار بيده نحو المغرب وقال رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبرانى من حديث أم مبشر الا أنه قال نحو المشرق بدل المغرب وفيه ابن اسحق رواه بالعنعنة وللترمذى والنسائى نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن

﴿الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها﴾

في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ولذلك كان ﷺ (١) في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله فأخبر النبي ﷺ عن استغراق همه بالله فقال (٢) لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه واذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى أي شئ أفضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش الا ههنا أفر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس أو حمال أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال اني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينما أويس القرني جالس اذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي واذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عزوجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام اذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني أقمت في هذا الجبل دهرا

(١) حديث كان ﷺ في أول أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا

مقدسا فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلا باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك (حكى بعض الصالحين) قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه شيأ فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرأيت رسول الله ﷺ في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه أبو بكر واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبي ﷺ يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر الى جنبه يقول فالتفت رسول الله ﷺ وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق بلى اذا كان ذلك

طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت أن أقع في الأمر الأول فاليك عني فاني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وأغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يادنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فاذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل

واني لاستغشي ومابي غشوة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلني * أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

﴿ الفائدة الثانية ﴾

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا * أما الغيبة فاذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت شريكا والمستمع أحد المغتابين وان أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى غيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم * وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الأمر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال أيها الناس (١) انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقد قال ﷺ ان الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك اذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فاذا لقن الله لعبد حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم (١) حديث أبي بكر انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث ان الله يسأل العبد حتى يقول ما منعك اذا رأيت المنكر في

سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبلة للشاب الصائم حيث جعلت حريم حرام الوقاع وكالخلوة بالأجنبية وغير ذلك فعلى هذا قد تقتضي المصلحة المنع من السماع اذا علم حال السامع وما يؤديه اليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا وقد ينكر السماع جامد الطبع عديم الذوق فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فاذا ينكره من يحب تربى باطنه بالشوق والمحبة

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فاذا سقط عليه يقول ياليتنى تركته مائلا نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج بنفسك * وأما الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر على الابدال والاوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس وقال ﷺ (١) تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال عليه السلام (٢) ان من شر الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وأقل ما يجب فى مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما فى الأصل واما فى الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت فى الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سرى لو دخل على أخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده فى المسجد الحرام فجاء اليه أخ له فقال ماجاء بك قال المؤانسة ياأبا على فقال هى والله بالمواحشة أشبه هل تريد الا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك إما أن تقوم عنى أو أقوم عنك وقال بعض العلماء ما أحب الله عبدا الا أحب أن لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت ياهشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبنى بأمير المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه فى جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك وفى الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللفاف كيف أنت فى نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال ياحامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة وكان اذا قيل لعيسى ﷺ كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى يد غيرى ولا فقير أفقر منى وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثورى اذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا الى ذا وأذم ذا الى ذا وأفر من ذا الى ذا وقيل لأويس القرنى كيف أصبحت قال كيف يصبح رجل اذا أمسى لا يدرى انه يصبح واذا أصبح لا يدرى انه يمسى وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت قال أصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لا أرضى حياتى لمماتى ولا نفسى لربى وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتهى عافية يوم الى الليل فقيل له ألست فى عافية فى كل الأيام فقال العافية يوم لا أعصى الله تعالى فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن أبى سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وانما فعل ذلك لانه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب

الدنيا أن تنكره الحديث ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد (١) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث ابى هريرة (٢) حديث ان من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث

وهو بوجود النفس فى دار الغربة يتجرع كأس الهجران يئن تحت أعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من كعبة الوصول ولا يكشف له المسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح باللائح من شدة البرحاء ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت
على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو تشف منى حرارة
على كبد لم يبق الا صميمها
ألا إن أدوائى بليلى قديمة
وقتل داء العاشقين قديمها

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الأمر وهل يعرف غير هذا وهل هناك الا الخوف من الله وينكر المحبة الخاصة التى تختص بالعلماء الراسخين والابدال المقربين ولما

فى معاملة الله وان سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم انى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أقواما يتلاقون و يتساءلون حتى عن الدجاجة فى البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت و يقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤل يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فان أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا الا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبى بكر بن عياش كيف أصبحت فما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال انما حدث هذا فى زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون و يلقاه عشية فيقول كيف أمسيت والمقصود أن الالتقاء فى غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور و بعضه مكروه وفى العزلة الخلاص من ذلك فان من لقى الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه و يذهب دينه ودنياه فى الانتقام منهم * وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة فى النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له وانما الوازع عنه شدة وقعه فى القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوة الوازعة و يذعن الطبع للميل اليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدرى الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما أتيح له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تأثيره فى الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين فى العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصى استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه وذلك هو الهلاك و يكفى فى تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته و بهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ (١) عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصى واللعنة هى البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصى والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصى سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال (٢) مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد

أبى هريرة وهو الذى قبله (١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل فى الحديث المرفوع وانما هو قول سفيان بن عيينة كذا رواه ابن الجوزى فى مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء

رتب الايمان الى أتم من المحسوس وجادوا من فرط الكشف والعيان بالارواح والنفوس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الارض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق الغيم قالت الله فقال انى أسمع لله شأنا ورمى بنفسه من الجبل فتقطع فالجمال الازلى الالهى منكشف للارواح غير مكيف للعقل ولا مفسر للفهم لأن العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدى من الله سبحانه الا الى مجرد الوجود ولا يتطرق الى

حريم الشهود المتجلى فى طى الغيب المنكشف للارواح بلا ريب وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب المحبة الخاصة

على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها غيبة والثانية وهي أعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة و يسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا و يحرص على جمعها و يتهالك على حب الرياسة وتزيينها و يهون على نفسه قبحها و يزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة و ربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية و يخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضرب ﷺ لذلك مثلا (١) وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل الا بشر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة فهذا مثاله أيضا ومما يدل على سقوط وقع الشئ عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان أكثر الناس اذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس أمرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة و يهون عليك المعصية و يضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الاولى التباعد عنه بالعزلة أو التقرب اليه بالخلطة واياك أن تحكم مطلقا على العزلة أو على الخلطة بان احداهما أولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق في المفصل الا التفصيل

﴿ الفائدة الثالثة ﴾

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله ﷺ (٢) الفتن ووصفها وقال اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فما تأمرني فقال الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة

كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (١) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها الا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعي اجزر لي شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم

دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال والاستقلال بالمنح والنوال والصفات المنقسمة الى ما ظهر منها في الآباد ولازم الذات في الآزال فالكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستنبط بالقياس وفي مطالعة ذلك الجمال أخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلي الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع والاولون منحوا قسطا من تجلي الذات فكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود ﴿وحكي﴾ بعض المشايخ قال رأينا جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع و يجدون به و يتولهون عنده ﴿وقال﴾ بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء و يجيء حتى رجع الى مكانه ﴿ونقل﴾ أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها ﴿ونقل﴾ أن بعض الصوفية ظهر منه

ودع

ودع عنك أمر العامة وروى أبو سعيد الخدرى أنه ﷺ (١) قال يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق الى شاهق وروى عبد الله بن مسعود أنه ﷺ (٢) قال سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذى يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدى قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله تعالى ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ذكر رسول الله ﷺ (٣) أيام الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرنى ان أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت ان دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فان دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت وقال سعد لما ادعى الى الخروج أيام معاوية لا الا أن تعطونى سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينماهم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه (٤) أن الحسين رضى الله عنه توجه الى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال انى أحدثك حديثا ان جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم الا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتيل أو أسير وكان فى الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس فى بيته فقيل له فى ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية فاذا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوائد العزلة

الحديث أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن (١) حديث أبى سعيد الخدرى يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخارى (٢) حديث ابن مسعود سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق تقدم فى النكاح (٣) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله ﷺ الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابى فى العزلة بتمامه وفى اسناده عند الخطابى انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج الى معرفته (٤) حديث ابن عمر انه لما بلغه أن الحسين توجه الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه انه ﷺ خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبرانى مقتصرا على المرفوع رواه فى الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه واسنادهما حسن

يرد نار الشمعة * وحكى عن بعضهم أنه كان اذا وجد عند السماع ارتفع من الارض فى الهواء أذرعا يمرو يجىء فيه * وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ان أنكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارا على سبعين صديقا وان كنا نعلم أن الانكار أقرب الى قلوب القراء والمتعبدين الا أنا لا نفعل ذلك لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب ولكن نبسط لاهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وبين سماع ينكر * وسمع الشبلى قائلا يقول أسائل عن سلمى فهل من مخبر * يكون له علم بها أين تنزل

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الاعمال أو الاقوال مالا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ماهما قال

اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو * بقبيح يكون أو بجمال

ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدوّ يسيء الظن به و يتوهم أنه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته * فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالابرار وأنواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا أشار الاكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر تقله يروى مرفوعا وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي المدينة فقال ما بقي فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا أما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الأعراب يلازم شجرا و يقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل مني وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر وقال الحسن رضي الله عنه أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فأحببت أن أصحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا اني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الاول فلا ينبغي أن يشك في أن الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا أحسب اني رأيت ما أكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعتزل الناس قال خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء وقال أبو الدرداء

اتقوا

فزعق الشبلي الدارين عنه مخبر * وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والاخلاق وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات فقوم يرجعون في سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون فيما يسمعون الى مخاطبات أحوالهم ومقاماتهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم و يليق

اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ماركبوا ظهر بعير الا أدبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف

﴿ الفائدة الخامسة ﴾

أن ينقطع طمع الناس عنك و ينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له قمت بحق فلان وقصرت فى حقنا و يصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله فى دين أو دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومى

عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعى رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة فى أكثر الاحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم وقال ﷺ [(١)] انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الاغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبى ودابة أفره من دابتى فجالست الفقراء فاسترحت * وحكى أن المزنى رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذى هو فى بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما أن يقوى دينه و يقينه فيصبر فيحتاج الى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمرّ من الصبر أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا أما فى الدنيا فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له وأما فى الآخرة فبايثار متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابى

اذا كان باب الذل من جانب الغنى * سموت الى العلياء من جانب الفقر

أشار الى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا

﴿ الفائدة السادسة ﴾

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم فان رؤية الثقيل هى العمى الاصغر قيل للاعمش ممّ عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء * و يحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال فى الخبر [(٢)] من سلب الله كريمتيه

بهم السماع فهم أقرب الناس الى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف فى السماع فقال هو على ضربين تكلف فى المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكى المندوب اليه وقول القائل ان هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تزاحم سنة مأمورا بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن فكان فى عادة العرب ترك ذلك حتى نقل أن رسول الله ﷺ

---

(١) حديث انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما الطبرانى باسناد ضعيف من حديث جرير من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة وله ولأحمد نحوه من حديث أبى أمامة بسند حسن وللبخارى من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه

عوضه الله عنهما ماهو خير منهما فما الذي عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى الله منهما انه كفانى رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشى على وقال جالينوس لكل شئ حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعى رحمه الله ماجالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كانه أثقل على من الجانب الآخر وهذه الفوائد ماسوى الأوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ماهو صنع الله فاذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم

﴿ آفات العزلة ﴾

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعى اليها ماهى وهى التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته فى القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهى سبع

﴿ الفائدة الأولى ﴾

التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم وهما أعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصوّر ذلك الا بالمخالطة الا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضرورى فى الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدرى ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادة فى الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يحتاج الى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان أن يعتزل ان أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام فى معرض الوعظ أو جدل معقد يتوصل به الى افحام الأقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل فى معرض المنافسة والمباهاة وأقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف فى بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين ان صودف ولا ينبغى أن يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة * واعلم أن العلم الذى أشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر فى الحال أثر فى المآل * وأما الكلام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات

كان يدخل ولا يقام له وفى البلاد التى فيها هذا القيام لهم عادة اذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا بأس به لان تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا بأس بها لانها لم تزاحم سنة مأثورة

﴿ الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع ردّا وانكارا ﴾

قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب

المذهب منه والخلاف لايرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لايزال متماديا فى حرصه الى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب ان تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز أن يرخص فيه اذ يرجى أن ينزجر به فى آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب فى الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف فى الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف فى كلام ولا فى خلاف ولا فى مذهب فلا ينبغى أن يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس فى الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم (١) فآفة العلم الخيلاء كما قال ﷺ ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التى سمعها وكان لايحدث ويقول انى أشتهى أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول أوسعوا لى وقالت رابعة العدوية لسفيان الثورى نعم الرجل أنت لولا رغبتك فى الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت فى الحديث ولذلك قال أبو سليمان الدارانى من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا فهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما أمكن بل الذى يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا فى مثل هذا الزمان أن يترك. فلقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية أعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما الى أوطارهم وأغراضهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدى تحفه اليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف اليه مالم يتكفل برزق له على الادرار ثم ان المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا الى أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لايزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه مايقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى فى مقاساة القسمة على أصحابه ان سوّى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام فى مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مطالبة ما يأخذه ويفرقه عليهم فى العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمنى نفسه بالاباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها لا تفترى عن صنيعك فانما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذيعة شرع رسول الله ﷺ وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لامالك لها وهى مرصدة للمصالح وأى مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لاسبب له الا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون مايجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجرؤن على المعاصى باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل مافسدت الرعية الا بفساد الملوك ومافسدت الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذى ليس له دواء

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف مارواه مطين فى مسنده من حديث على بن أبى طالب بسنده ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء

فى السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات ويقطع ذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الاوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة فى الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا الى الطرب واللهو والعشرة ولايخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق وكان يقال لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدئ * وقال الجنيد رحمه الله تعالى اذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تستمع فقال مع من قيل

﴿ الفائدة الثانيـة ﴾ النفع والانتفاع * أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع فى جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه فى كتاب الكسب فان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة أفضل له اذا انسدت طرق المكاسب فى الا كثر الامن المعاصى الا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق فى معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف و بصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة * وأما النفع فهو أن ينفع الناس اما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة فنى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهى أفضل له من العزلة ان كان لا يشتغل فى عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة

﴿ الفائدة الثالثة ﴾

التأديب والتأدب ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله سبحانه وكان هذا هو المبدأ فى الاعصار الخالية والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهى خير من العزلة فى حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه فى بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغى أن يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل و يطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به فى الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص فى الحال من عضها ورفسها ورمحها وهى لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وانما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت ولا ينبغى أن يقنع به كالراهب الذى قيل له يا راهب فقال ما أنا راهب انما أنا كلب عقور حبست نفسى حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر الناس ولكن لا ينبغى أن يقتصر عليه فان من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغى أن يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة أعون له من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا * وأما التأديب فانما نعنى به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه و يتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفى طلبة العلم كثرة فينبغى أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد و يختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى ولا اثبات

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

الاستئناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس فى الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت

له تسمع لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الامن أهل مع أهل فلما فقد الاخوان ترك فاختاروا السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة و يرغبون فى الجنة و يحذرون من النار و يزداد بطلبهم وتحسن به أحوالهم و يتفق لهم ذلك اتفاقا فى بعض الاحايين لا ان يجعلوه دأبا و ديدنا حتى يتركوا لاجله الاوراد * وقد نقل عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال فى كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته (واتفق) أصحاب الشافعى أن المرأة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب

التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة فان القلوب اذا أكرهت عميت ومهما كان فى الوحدة وحشة وفى المجالسة أنس يروح القلب فهى أولى اذ الرفق فى العبادة من حزم العبادة ولذلك قال ﷺ (١) ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا أمر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام مالم تروح وفى تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عنى بقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلاد الأنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغنى المعتزل اذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لا يفسد عليه فى ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال ﷺ (٢) المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففى ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس فى بعض أوقات النهار بما يكون أفضل من العزلة فى حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس أولا ثم ليجالس

﴿الفائدة الخامسة﴾ فى نيل الثواب وانالته * أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين وأما حضور الجمعة فلابد منه وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لا رخصة فى تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك فى حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم * وأما انالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه فى المصائب أو يهنوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء وأذن لهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغى أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة * فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل

﴿الفائدة السادسة﴾ من المخالطة التواضع فانه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة فقد روى فى الاسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا وانى لا أقبل من نفاقك شيأ قال فتخلى وانفرد فى سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت رضا ربى فاوحى الله الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاى حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم فخرج فدخل الاسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى فى الاسواق معهم فأوحى الله تعالى الى نبيه الآن قد بلغ رضاى فكم من معتزل فى بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبده من غير استغراق وقت فى الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتنى الا لأتزين لك وتتزين لى وعن حاتم الاصم أنه قال للامير الذى زاره حاجتى أن لا أراك ولا ترانى فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله

(١) حديث ان الله لا يمل حتى تملوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم فى آداب الصحبة

ونقل عن الشافعى رضى الله عنه أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالالحان وتحسين الصوت بها بأى وجه كان وعند مالك رضى الله عنه اذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه الانفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم يراع لانه فى المساجد والبقاع الشريفة * وقيل فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هو الغناء والاستماع

بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه أحدها أن التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أودينه اذ كان على رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه و بيده و يقول لاينقص الكامل من كماله * ماجر من نفع الى عياله وكان أبوهريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول وهو والى المدينة والحطب على رأسه طرقوا الاميركم وكان سيد المرسلين ﷺ (١) يشترى الشئ فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشئ أحق بحمله وكان الحسن بن على رضي الله عنهما يمر بالسؤال و بين أيديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء ياابن رسول الله فكان ينزل و يجلس على الطريق و يأكل معهم و يركب و يقول ان الله لايحب المستكبرين * الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف الله حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيأ وان ضرره ونفعه بيد الله ولانافع ولاضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لاتنال فرضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى والله ماأقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل الى رجل من أصحابه فقال له اعمل كذا وكذا لشئ أمره به فقال ياأستاذ لاأقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى أصحابه وقال لاينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحدوصفين عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الاخالقه وان أحدا لا يقدر على أن يضره ولاينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلايبالي بأى حال يرونه وقال الشافعي رحمه الله ليس من أحد الاوله محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله وقيل للحسن ياأباسعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الاتتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وماحدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى ﷺ يارب احبس عني ألسنة الناس فقال ياموسى هذاشئ لم اصطفه لنفسي فكيف أفعله بك وأوحى الله سبحانه وتعالى الى عزير ان لم تطب نفسا باني أجعلك علكا في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فاذا لاتستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقى فانها مهلكات في صور منجيات

﴿ الفائدة السابعة ﴾

التجارب فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولاخير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم مايحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال ولايحتاج الى المخالطة ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لايقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب أوحقود أوحسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل يمتلئ بالصديد والمدة وقد لايحس صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه أوعين تبصر

---

(١) حديث كان يشترى الشئ ويحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني أحمله فيقول صاحب المتاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذي اشتراه

اليه ﴿وقيل﴾ في قوله تعالى وأنتم سامدون أى مغنون رواه عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو الغناء بلغة حمير يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال مجاهد الغناء والمزامير ﴿وروى﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه قال ماغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكرى بيميني منذ بايعت رسول الله صلى

صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشئ المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الاخلاق الذميمة انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر فى نفسه كبرا سعى فى اماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الاسواق ليجرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكى عن بعضهم انه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت أصليها فى الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا فى الصف الاول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت أن جميع صلواتى التى كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الى ورؤيتهم اياى فى زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتى غوائل هذه المعانى ودقائقها فى ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل اذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة أفضل من الصلاة فانا نعلم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم (١) فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلاثة أوجه أحدها ما ذكرناه والثانى عموم النفع لتعدى فائدته والعمل لا تتعدى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام * فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغى أن ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعى رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال فى المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له فى الحال والفرق بين العالم والصوفى فى ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفى لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم فى المسائل والعالم هو الذى يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فان الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق فى نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحائط وقل ربى الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذى لا يسأل أحدا ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذى لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار أثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى تقدم فى العلم

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال الغناء ينبت النفاق فى القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر عليه قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن انسانا سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخى اذا ميز الله الحق والباطل فى أيهما يجعل الغناء * وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا * وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم إياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذى

اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما فى التصوّف أو يثنى عليه بل كل واحد منهم يدعى انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان أكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التى تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بأنفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم فى أدلة الزوال بالنظر فى الظل فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان وحكى عن آخر انه نصف قدم وآخر يرد عليه وانه فى الشتاء سبعة أقدام * وحكى عن آخر انه خمسة أقدام وآخر يرد عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذى رآه ببلد نفسه فصدق فى قوله وأخطأ فى تخطئته صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفى لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة فى بلاد مختلفه و يقول فى بعضها لا يبقى ظل وفى بعضها يطول وفى بعضها يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة * فان قلت فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه فى العزلة فنقول انما يطول النظر فى آداب المخالطة وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة * وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الناس أوّلا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الاصغاء الى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار فى السمع كوقوع البذر فى الارض فلابد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه و يتداعى بعضها الى بعض وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس وأصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر فى القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيره الى طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر فى جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه واما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب فى الحال وقد يتجدد ذكره فى دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه اليه فى اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر فى العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الأمل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسى و يمسى على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى فى الشهداء ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ـ وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر (١) فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله ﷺ والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعنون جهاد النفس * تم كتاب العزلة و يتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة

القائل صحيح ذكره هذا لان الطبع الموزون يفيق بالغناء والاوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع مالم يكن يستحسنه من الفرقعة بالاصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل (وروى) عن الحسن أنه قال ليس الدف من سنة المسلمين والذى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع الشعر لايدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالالحان وان أنصف المنصف وتفكر فى اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور فى نفسه هل وقع مثل هذا

﴿كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب احياء العلوم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجارى القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح فى مسارح النظر ومجارى الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه المقتفين لآثاره فى الأخلاق والسير وسلم كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين الى ملكوت السموات وأشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التى نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والأرض ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل

ولم أر فى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

الا أن هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم و بقوله تعالى وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون و بقوله سبحانه وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر فى الوطن وهو السفر الذى لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة فى سفره ووقفة فى حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان فى هذا الميدان والتطواف فى متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه فى مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له فى سفره شروط وآداب ان أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين ان شاء الله تعالى ﴿الباب الأول﴾ فى الآداب من أول النهوض الى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان ﴿الباب الثانى﴾ فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

﴿الباب الاول فى الآداب من أول النهوض الى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى فوائد السفر وفضله ونيته﴾

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فان المسافر اما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما أن يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما أمر له نكاية فى الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد أو

﴿كتاب آداب السفر﴾

﴿الباب الاول فى الآداب من أول النهوض الى آخر الرجوع﴾

الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله ﷺ وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بانه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ولو كان فى ذلك فضيلة تطلب ما اهملوها فمن يشير بانه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين واستروح الى استحسان بعض المتأخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس فى هذا وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين وكان السلف أقرب الى عهد رسول الله ﷺ وهديهم أشبه بهدى رسول الله ﷺ وكثير من الفقراء يتسمح

خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها واما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه أو كمن يدعى الى بدعة قهرا أو الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو اما دنيوى كالمال والجاه أو ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام ﴿القسم الأول﴾ السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم اما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام (١) من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر آخر (٢) من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا (٣) ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الانصاري يحدث به عن رسول الله ﷺ حتى سمعوه وكل مذكور في العلم محصل له من زمان الصحابة الى زماننا هذا لم يحصل العلم الا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء إذا ساح طاب واذا طال مقامه في موضع تغير وبالجملة فان النفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق * وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شئ منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما أريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك الانسان فيه سائر الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني ولم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في

---

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر ابن عبد الله من المدينة الى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة باسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد الا أنه قال الى الشام واسناده حسن ولأحمد ان أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر

عند قراءة القرآن باشياء من غير غلبة * قال عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وروى) أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضي الله عنهما انا لنخشى

السموات والارض الاولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هى توحيدها وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدس هى تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر فى موضع و يفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فماله وللتردد فى الفلوات وله غنية فى ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بامره مسخرات وهى الى أبصار ذوى البصائر مسافرات فى الشهر والسنة مرات بل هى دائبة فى الحركة على توالى الاوقات فمن الغرائب أن يدأب فى الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف فى أكناف الارض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام المسافر مفتقرا الى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد فى المنزل الاول من منازل السائرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكأنه متعكف على باب الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا أن الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثانى خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون فى التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذى يهلك أكثر من الذى يملك ولا يتصدى لطلب الملك الا العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وما أودع الله العز والملك فى الدين والدنيا الا فى حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل

ترى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر اذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله فى الارض فلنرجع الى الغرض الذى كنا نقصده ولنبين ﴿القسم الثانى﴾ وهو أن يسافر لاجل العبادة اما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب أسرار الحج و يدخل فى جملته زيارة قبور الانبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته و يجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام (١) لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك فى المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء فى أصل الفضل وان كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله و بالجملة زيارة الاحياء أولى من زيارة الاموات والفائدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء و بركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان فى الله فيه فضل كما ذكرناه فى كتاب الصحبة وفى التوراة سر أربعة أميال زر أخا فى الله وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر فى أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى

فى حديث وله ان عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أمير مصر فى حديث آخر وكلاهما منقطع (١) حديث لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الحديث تقدم فى الحج

الله ومانسقط ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ماهكذا كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ القرآن فقال بيننا و بينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم انكارا على الاطلاق اذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم فى حق الاكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء و يكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم باحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل أن ذلك

المساجد الثلاثة وقدذكرنافضائل الحرمين فى كتاب الحج و بيت المقدس أيضاله فضل كبيرخرج ابن عمرمن المدينةقاصدابيت المقدس حتى صلى فيـه الصلوات الخمس ثم كرراجعامن الغدالى المدينة وقدسأل سليمان عليه السلام ربه عزوجل ان من قصدهذا المسجدلايعنيه الاالصلاة فيـه أن لاتصرف نظرك عنه مادام مقيما فيه حتى يخرج منه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاعطاه الله ذلك ﴿القسم الثالث﴾ أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضاحسن فالفرار مما لايطاق من سنن الانبياء والمرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لايتم الابقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولايتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقدنجا المخفون وهلك المثقلون والحمدلله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذى ليست الدنيا أكبرهمه وذلك لايتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلايتم مقصوده الابالغربة والخمول وقطع العلائق التى لابدعنها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بمايقوى به يقينه و يطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر و يتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شئ منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الأنبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة فى الاعضاء فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ماوزنه ألف رطل مثلا فلوأراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ماوان كان ذلك لايبلغه درجته فلاينبغى أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقدكان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثورى هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخامل فكيف على المشتهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلدالى بلد كلما عرف فى موضع تحول الى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثورى وقدعلق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى أين ياأباعبد الله قال بلغنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها فقلت له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سرى السقطى يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقدخرج أذار وأورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقدكان الخواص لايقيم ببلد أكثرمن أربعين يوما وكان من المتوكلين و يرى الاقامة اعتمادا على الأسباب قادحا فى التوكل وسيأتى أسرار الاعتماد على الأسباب فى كتاب التوكل ان شاء الله تعالى ﴿القسم الرابع﴾ السفر هربا مما يقدح فى البدن كالطاعون أوفى المال كغلاء السعر أوما يجرى مجراه ولاحرج فى ذلك بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب مايترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلاينبغى أن يفر منه لورود النهى فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ (١) ان هذا الوجع أوالسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقى بعد فى الارض فيذهب المرة و يأتى الاخرى فمن سمع به فى أرض فلايقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلايخرجنه الفرار منه وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ (٢) ان فناء أمتى بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قدعرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم فى مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط فى سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف * وعن مكحول عن أم

(١) حديث اسامة بن زيد ان هذا الوجع أوالسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة ان فناء أمتى بالطعن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبدالبر فى التمهيد باسناد جيد

يضر بدينه وقد لايجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذى ينبغى أن يقف عليه وهذا يباين الصدق ﴿نقل﴾ ان موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى عليه السلام قل لصاحب القميص لا يشق قميصه و يشرح قلبه * وأما اذا انضاف الى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانات انكار ذلك قال بقية بن الوليد كانوا يكرهون النظر الى الغلام الامرد الجميل وقال عطاء كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها وقال بعض التابعين ماأنا أخوف على الشاب التائب من السبع

أيمن قالت أوصى رسول الله ﷺ (١) بعض أصحابه لا تشرك بالله شيأ وان عذبت أو خوفت وأطع والديك وان أمراك أن تخرج من كل شئ هولك فاخرج منه ولا تترك الصلاة عمدا فان من ترك الصلاة عمدا فقد برئت ذمة الله منه واياك والخمر فانها مفتاح كل شر واياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهى عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتى شرح ذلك فى كتاب التوكل فهذه أقسام الاسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية فى السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نيته الآخرة فى جميع أسفاره وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب ومحال فى المكروه والمحظور * واما المباح فمرجعه الى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج الى الحج و باعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله ﷺ (٢) انما الاعمال بالنيات فقوله ﷺ الاعمال بالنيات عام فى الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر فى اخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف ان الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له

* وأما النظر فى أن السفر هو الافضل أو الاقامة فذلك يضاهى النظر فى أن الافضل هو العزلة أو المخالطة وقد ذكرنا منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب فى حق الاكثرين والافضل فى هذا ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم فى الابتداء والاقامة هى المعينة على العمل بالعلم فى الانتهاء وأما السياحة فى الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا فى حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلق الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده فى اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغى أن يسافر المريد الا فى طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به فى سيرته وتستفاد الرغبة فى الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به الا أن أكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره فى الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم فى الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات

---

(١) حديث أم أيمن أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله لا تشرك بالله شيأ وان حرقت بالنار البيهقى وقال فيه ارسال (٢) حديث الاعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم

الضارى خوف عليه من الغلام الامرد يقعد اليه وقال بعض التابعين أيضا اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله كما يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطوه بشئ من الهزل فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه والباب الاول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره التى ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع

واتخذوا الى الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون الى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم وفى سياحتهم وفى لفظهم وعبارتهم وفى آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا و يعتقدون أن كل سوداء تمرة و يتوهمون أن المشاركة فى الظواهر توجب المساهمة فى الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لايميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج أو عمرة فى غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحق بالكلية و بطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده فى سيرته لا فى علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفى أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به و يعود اليه فهو المتأذى والمتلذذ والفتوى تقتضى تشتيت العوام فى المباحات التى لانفع فيها ولاضرر فالسائحون فى غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد كالبهائم المترددة فى الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم فى التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التى وقفت على الصوفية لان الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل فى دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وفقيه يهودى وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر فى دينه على القدر الذى يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعنى به اذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله ﷺ على سبيل الدعوى ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحب أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيأ فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ فى الاحتياط لدينه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيأ بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشترى لهم و يشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى نعم انما يحل أخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بان يكون جاهلا بامر دينه فان أقرب الاشياء الى القلب قلبه فاذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لامحالة أن لا يأكل الا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة أو لا يأكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة الى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطينى لما تعتقده فى من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوقير بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم فان أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين فى ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء

فتكون

ذلك لاينكرون على من يسمع بنية حسنة و يراعى الادب فيه

﴿الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفعا واستغناء﴾

اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبدا لتمحض حرا ومن تمحض حرا أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شئ من العطايا (قال) الحصرى رحمه الله ماأدون حال من يحتاج الى مزعج يزعجه فالوجد بالسماع فى حق المحق كالوجد بالسماع فى حق المبطل من حيث النظر الى انزعاجه وتأثير الباطن به وظهور أثره على الظاهر وتغييره

فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس فى الخلوة مع النفس هو المحمود وأما الذم فى الملا فهو عين الرياء الا اذا أورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعته لله عزوجل أو مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

﴿ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه الى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا ﴾

الاول أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع ان كانت عنده ولا يأخذ لزاده الا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ولا بد فى السفر من طيب الكلام واطعام الطعام واظهار مكارم الاخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل اذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر الاحسان الى المكارى ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه الا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة فى بعض الاوقات من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه ﴿ الثانى ﴾ أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكون رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسى ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى ﷺ (١) عن أن يسافر الرجل وحده وقال (٢) الثلاثة نفر وقال أيضا (٣) اذا كنتم ثلاثة فى السفر فأمروا أحدكم (٤) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله ﷺ وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالاصحاب وأسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا فى الوحدة ولا فساد الا فى الكثرة وانما انتظم أمر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم أمر التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور فى الحضر والسفر إلا أن مواطن الاقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء ثم على الامير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزى انه صحبه أبو على الرباطى فقال على أن تكون أنت الامير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفى يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل ان الامارة مسلمة لى فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أنى مت ولم أقل له أنت الامير فهكذا ينبغى أن يكون الامير وقد قال ﷺ (٥) خير الاصحاب أربعة وتخصيص الاربعة من

---

(١) حديث النهى عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخارى بلفظ لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار راكب بليل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث على فى وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث اذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله ﷺ البزار والحاكم عن عمر أنه قال اذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله ﷺ قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الاصحاب أربعة أبو داود والترمذى والحاكم من حديث ابن عباس قال

للعبد من حال الى حال وانما يختلف الحال بين المحق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث فى القلب شيأ وانما يحرك ما فى القلب فمن متعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه بمحبة الله يجد بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب أرضى ظلمانى وحجاب القلب حجاب سماوى نورانى ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر باذيال الوجود فلا يسمع ولا يجد ومن هذه المطالعة قال بعضهم الوجد ناردم كلى لا ينفذ فى قول

بين سائر الاعداد لابد أن يكون له فائدة والذى ينقدح فيه أن المسافر لايخلو عن رجل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فى الحاجة واحدا فيتردد فى السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد فى الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو أيضا عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذا مادون الاربعة لايفى بالمقصود ومافوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لاتنصرف الهمة اليه فلا تتم المرافقة معه نعم فى كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لاللرفاقة العامة وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفاق لايكلم ولايخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه ﴿ الثالث ﴾ أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة الى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعنى وقال سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول قال لقمان ان الله تعالى اذا استودع شيأ حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال اذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ (٣) كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الى الخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك ياابن أخى شيأ علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع فقلت بلى قال قل (٤) أستودعك الله الذى لاتضيع ودائعه وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رجلا أتى النبى ﷺ (٥) فقال انى أريد سفرا فأوصنى فقال له فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت شك فيه الراوى و ينبغى اذا استودع الله تعالى مايخلفه أن يستودع الجمع ولايخصص فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عنه ياأمير المؤمنين بأمر انى اردت أن أخرج الى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت أستودع الله مافى بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت لصوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لى ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضى الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب ﴿ الرابع ﴾ أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها فى كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلى لاجل السفر فقد روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ (٦) فقال انى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فالى أى الثلاثة أدفعها الى ابنى أم أخى أم أبى فقال النبى ﷺ مااستخلف عبد فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته

الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (١) حديث ابن عمر قال لقمان ان الله اذا استودع شيأ حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك النسائى فى اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا واسناده جيد (٢) حديث زيد بن أرقم اذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله جاعل له فى دعائهم البركة الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف (٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى الخرائطى فى مكارم الاخلاق والمحاملى فى الدعاء وفيه ابن الهيعة

(٤) حديث أبى هريرة استودعك الله الذى لاتضيع ودائعه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة باسناد حسن

(٥) حديث أنس فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى الحديث تقدم فى الحج فى الباب الثانى

(٦) حديث أنس أن رجلا قال انى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فالى أى الثلاثة أدفعها الى أبى أم أخى أم امرأتى فقال مااستخلف عبد فى أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات الحديث

---

* وحكى عن ممشاد الدينورى رحمه الله بقوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فوالله لوجمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض مابى فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة فى حق المبطل وبالقلب تارة فى حق المحق فثار الوجد الروح الروحانى فى حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعانى يظهر وتارة من مجرد النغمات والألحان فما كان من قبيل المعانى تشارك النفس الروح فى السماع فى حق المبطل ويشارك القلب فى حق المحق وما كان من قبيل مجرد النغمات تتجرد الروح للسماع ولكن فى حق المبطل تسترق النفس

اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم انى أتقرب بهن اليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى أهله ﴿الخامس﴾ اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك ان أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت و بك اعتصمت واليك توجهت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ما أهمنى ومالا أهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله و بالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشا لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور ﴿السادس﴾ أن يرحل عن المنزل بكرة * روى جابر أن النبى ﷺ (١) رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك و بكر وقال اللهم بارك لامتى فى بكورها ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس * فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله ﷺ (٢) يخرج الى سفر الا يوم الخميس * وروى أنس أنه ﷺ قال اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم السبت وكان ﷺ (٣) اذا بعث سرية بعثها أول النهار * وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ (٤) قال اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة (٥) فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم بارك لامتى فى بكورها ولا ينبغى أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال ﷺ (٦) لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فا كتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب الى من الدنيا وما فيها ﴿السابع﴾ أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهى السنة ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ (٧) عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم انى أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا أرض ربى و ربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر مادب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكنى البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا شرفا

السمع وفى حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النغمات ان العالم الروحانى مجمع الحسن والجمال و وجود التناسب فى الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب فى الهياكل والصور ميراث الروحانية فتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا ﴿ووجه آخر﴾ انما يستلذ الروح النغمات لان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايماء الخفى فى اشارة ورمز ابين المتعاشقين و بين النفوس والارواح تعاشق أصلى ينزع ذلك الى انوثة النفس

الخرائطى فى مكارم الاخلاق وفيه من لا يعرف (١) حديث جابر انه ﷺ رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لامتى فى بكورها رواه الخرائطى وفى السنن الاربعة من حديث صخر العامرى اللهم بارك لامتى فى بكورها قال الترمذى حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله ﷺ يخرج الى سفر الا يوم الخميس والسبت البزار مقتصرا على يوم خميسها والخرائطى مقتصرا على يوم السبت وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان اذا بعث سرية بعثها أول النهار الاربعة من حديث صخر العامرى وحسنه الترمذى (٤) حديث أبى هريرة اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الاسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس اذا كانت لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا الحديث البزار والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له واسناده ضعيف (٦) حديث لان أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب الى من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالدلجة الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج

من الارض فى وقت السير فينبغى أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت ﴿الثامن﴾ أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع و يكون بالليل متحفظا عند النوم كان ﷺ (١) اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه وان نام فى آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه فى كفه والغرض من ذلك أن لا يستثقل فى النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل (٢) أن يتناوب الرفقاء فى الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهذه السنة ومهما قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخيرات الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين ﴿التاسع﴾ أن يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق ولا يضربها فى وجهها فانه منهى عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة وقال ﷺ (٣) لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى ويستحب أن ينزل عن الدابة (٤) غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع فى ميزان حسناته لا فى ميزان حسنات المكارى ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طولب به يوم القيامة اذ فى كل كبد حراء أجر قال أبو الدرداء رضى الله عنه لبعير له عند الموت أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أك أحملك فوق طاقتك وفى النزول ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والثانية ادخال السرور على قلب المكارى وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب و ينبغى أن يقرر مع المكارى ما يحمله عليها شيأ شيأ و يعرضه عليه و يستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب و يحمل على الزيادة فى الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى فلا ينبغى أن يحمل فوق المشروط شيأ وان خف فان القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لى هذه الرقعة الى فلان فقال حتى أستأذن المكارى فانى لم أشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع ﴿العاشر﴾ ينبغى أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ (٥) اذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط وفى رواية أخرى عنها ستة أشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الانصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) لا يفارقه فى السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقوم قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وفى قوله سبحانه منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنغمات يستلذها الروح لانها مناغاة بين المتعاشقين وكما أن فى عالم الحكمة كونت حواء من آدم ففى عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحانى فهذا التألف من هذا الاصل وذلك ان النفس روح حيوانى تجنس بالقرب من الروح الروحانى وتجنسها بان امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحانى فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحانى فى عالم القدرة كتكون

---

(١) حديث كان اذا نام فى ابتداء الليل فى السفر افترش ذراعيه الحديث تقدم فى الحج (٢) حديث تناوب الرفقاء فى الحراسة تقدم فى الحج فى الباب الثانى (٣) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى تقدم فى الباب الثالث من الحج (٤) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان اذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفى رواية ستة أشياء الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى سننه والخرائطى فى مكارم الاخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة (٦) حديث أم سعد الانصارية كان لا يفارقه فى السفر المرآة والمكحلة رواه الخرائطى واسناده ضعيف

(١) عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر و ينبت الشعر وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه اكتحل (٢) لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتيمم و يغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الاأنها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا ﴿الحادى عشر﴾ في آداب الرجوع من السفر كان النبي ﷺ (٣) اذا قفل من غزو أوحج أو عمره أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات و يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده واذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي له (٤) أن يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان ﷺ (٥) اذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال (٦) توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا و ينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر امكانه فهو سنة فقد روى أنه ان لم يجد شيأ فليضع في مخلاته (٧) حجرا وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة * وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملته أن لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه و ينوى في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها و يجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك و يظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام الا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة الا اذا شق على أخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل بلدا لا يشتغل بشئ سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه الى أن يخرج فاذا خرج تقدم اليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه الا أن يسأله فان سأله

(١) حديث صهيب عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه يزيد في البصر و ينبت الشعر الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين الطبراني في الاوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قفل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحديث تقدم في الحج (٤) حديث النهي عن طروق الاهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر حوبا ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بحجر الدارقطني من حديث عائشة باسناد ضعيف

حواء من آدم في عالم الحكمة فهذا التألف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة من ههنا ظهر و بهذا الطريق استطابت الروح النغمات لانها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما وقد قال القائل
تكلم منا في الوجود عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعاولة بالهوى وتحركت بما فيها لحدوث العارض ووجد القلب المعاول بالارادة وتحركه فيما لوجود العارض في الروح
شربنا وأهرقنا على الارض جرعة وللارض من كأس الكرام نصيب
فنفس المبطل أرض لسماء قلبه وقلب المحق أرض لسماء روحه فالبالغ مبلغ

أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا واذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولاذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولايهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها فى كل قرية و بلدة و لايظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها و يلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لايسمع غيره و إذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر أو بالاقامة فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلاينبغى له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه فى نقصان عما كان عليه فى الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره * قال رجل لأبى عثمان المغربى خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له فى السفر زيادة دين فقد أذل نفسه و إلا فعز الدين لاينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز فى هذه الغربة ولايذل فان من اتبع هواه فى سفره ذل لامحالة اما عاجلا واما آجلا

﴿الباب الثانى فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات﴾

اعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب ومايحتاج إليه من نفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره فى قافلة أو بين قرى متصلة وان ركب البادية وحده أو مع قوم لاطعام معهم ولاشراب فان كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرا مثلا أو يقدر على أن يكتفى بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ولهذا سر سيأتى فى كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لايقدح فى التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لاينتظر له وجود أولى بان لايقدح فيه وسيأتى حقيقة التوكل فى موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذى يحتاج إليه فى طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلابد وأن يتزود منه إذ السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذى يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها فى الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه فى البلد يكتفى بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفى السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه فاذن مايفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين

﴿القسم الاول العلم برخص السفر﴾

والسفر يفيد فى الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفى صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفى النفل رخصتين أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيا وفى الصوم رخصة واحدة وهى الفطر فهذه سبع رخص ﴿الرخصة الاولى المسح على الخفين﴾ قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله ﷺ (١) إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لاننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقيما ولكن بخمسة شروط * الاول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها فى الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها فى الخف لم يجز له المسح عند الشافعى رحمه الله حتى ينزع اليمنى و يعيد لبسه * الثانى أن يكون الخف قويا يمكن المشى فيه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه فى المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه

﴿الباب الثانى فيما لابد للمسافر من تعلمه﴾

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لاننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذى وصححه وابن ماجه والنسائى فى الكبرى وابن خزيمة وابن حبان

لايجوز

الرجال والتجوهر المتجرد من أعراض الاحوال خلع نعلى النفس والقلب بالوادى المقدس وفى مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس وأحرق بنور العيان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه فالهائم المشتاق لا يسعه كشف ظلامة العشاق ومن هذا حاله لايحركه السماع رأسا وإذا كانت الألحان لاتلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفى لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعانى وهو أكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل أعباء العبارات وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى الافهام الوجد وارد يرد من

لايجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف * الثالث أن لا يكون فى موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعى قول قديم أنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضى الله عنه ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز فى السفر فى كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لاتبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذى يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا أن يكون ساترا الى مافوق الكعبين كيفما كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الباقى باللفافة لم يجز المسح عليه * الرابع ان لاينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استئناف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز * الخامس أن يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لا على الساق وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاث أصابع أجزأه والاولى أن يخرج من شبهة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله ﷺ (١) ووصفه أن يبل اليدين و يضع رؤس أصابع اليمنى من يده على رؤس أصابع اليمنى من رجله و يمسحه بان يجر أصابعه الى جهة نفسه و يضع رؤس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف و يمرها الى رأس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف فى الحضر ومسح فى الحضر ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلى الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه و يعيد لبس الخف و يراعى وقت الحدث و يستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف فى الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لان العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين و يستحب لكل من يريد لبس الخف فى حضر أو سفر أن ينكس الخف و ينفض مافيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة فقد روى عن ابى أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال ﷺ (٢) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ﴿الرخصة الثانية التيمم﴾ بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لومشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح أو استغاث وهو البعد الذى لا يعتاد أهل المنزل فى ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو أو سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز الوضوء و يلزمه بذله اما بثمن أو بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجزله التيمم بل عليه أن يجتزى بالفتيت اليابس و يترك تناول المرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وان وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فاول مايلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاوانى والمطاهر فان نسى الماء فى رحله أو نسى بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب وان علم انه سيجد الماء فى آخر الوقت فالاولى أن يصلى بالتيمم فى أول الوقت فان العمر لايوثق به وأول الوقت رضوان الله * تيمم ابن عمر رضى الله عنهما فقيل له أتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال أو أبقى الى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء واذا وجده قبل الشروع فى الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه و يضرب ضربة أخرى بعد نزع

(١) حديث مسحه ﷺ على الخف وأسفله أبو داود والترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخارى وأبو زرعة (٢) حديث أبى أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى

الحق سبحانه وتعالى ومن يريد الله لايقنع بما من عند الله ومن صار فى محل القرب متحققا به لايلهيه ولايحركه ماورد من عند الله فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقريب واجد فما يصنع بالوارد والوجد نار والقلب للواجد ربه نور والنور ألطف من النار والكثيف غير مسيطر على اللطيف فمادام الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجه معهوده بنوازع وجوده لايدركه الوجد بالسماع فان دخل عليه فتور أو عاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبلى المحسن يتالف المحن من تفاريق صور الابتلاء أى يدخل عليه وجود يدركه الواجد لعود العبد عند

الخاتم ويفرج الاصابع ويمسح بهايديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جمع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه فى كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ما شاء بذلك التيمم وان أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين الا بتيممين ولا ينبغى أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما ﴿الرخصة الثالثة فى الصلاة المفروضة القصر﴾ وله أن يقتصر فى كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة * الاول أن يؤديها فى أوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام * الثانى أن ينوى القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك فى أنه نوى القصر أو الاتمام لزمه الاتمام * الثالث أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك فى ان امامه مقيم أو مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده أنه مسافر لان شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند النية وان شك فى ان امامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان فى سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التى يخرج أهل البلدة اليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغى أن يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شئ نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه ﴿وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة * الاول﴾ الوصول الى العمران من البلد الذى عزم على الاقامة به * الثانى العزم على الاقامة ثلاثة أيام فصاعدا اما فى بلد أو فى صحراء * الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم انجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله ان يترخص وان طالت المدة على أقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين ان تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره اذ ترخص رسول الله ﷺ (١) فقصر فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الامر انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر * واما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها فى قطع طريق أو قتل انسان أو طلب ادرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا فى غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق فى السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير

ينفضهما رواه الطبرانى وفيه من لا يعرف (١) حديث قصره ﷺ فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين فى قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلى الا ركعتين وللبخارى من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبى داود سبعة عشر

حجاب القلب فمن هو مع الحق اذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب اذا زل وقع على النفس ﴿سمعت﴾ بعض مشايخنا يحكى عن بعضهم انه وجد من السماع فقيل له أين حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردنى هذا المورود ﴿قال﴾ بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين ما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى آخر عمره قرئ عنده فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فارتعد وكاد يسقط فسألته عن ذلك قال نعم لحقنى ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا من

غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص ﴿ الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما ﴾ فذلك أيضا جائز فى كل سفر طويل مباح وفى جوازه فى السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم أولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزنى وله وجه فى القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة فى العصر فتكفى النية فيها وأما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغى أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا أو مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهى واجبة على وجه ولو أراد أن يقيم الاربع المسنونة قبل الظهر والاربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض ولا ينبغى أن يهمل النوافل فى السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كى لا يتعوق عن الرفقة بسببها وان أخر الظهر الى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه لان ماله سبب لا يكره فى هذا الوقت وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر واذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال ان الظهر انما تقع أداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الاظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقدح أن لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر اذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهى متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الاقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر فى الحضر فعليه أداء العصر وما مضى انما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر الى خروج وقت العصر ﴿ الرخصة الخامسة التنفل راكبا ﴾ كان رسول الله ﷺ (١) يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر رسول الله ﷺ على الراحلة وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود إلا الايماء وينبغى أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فان كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه * وأما استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن فى جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة أو متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وان طال ففيه خلاف وان جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء ﴿ الرخصة السادسة التنفل للماشى جائز فى السفر ﴾ ويومئ بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب

بتقديم السين وفى رواية له خمسة عشر (١) حديث كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر

الضعف فما القوة قال القوة أن الكامل لا يرد عليه وارد إلا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد * ومن هذا القبيل قول أبى بكر رضى الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكى يبكى عند قراءة القرآن وقوله قست أى تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه الى استمرار حال الشهود فهكذا فى السماع كقبل السماع * وقد قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد * وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله انه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا

لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في لحظة لاعسر عليه فيه بخلاف الراكب فان في تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف مالو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه أن يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لاتخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أوماشيا كما ذكرناه في التنفل ﴿ الرخصة السابعة الفطر وهو في الصوم ﴾ فللمسافر أن يفطر الا اذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الاتمام وان أقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية النهار وان أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر اذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار أفضل * فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها * فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك * فاعلم أنه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب عليه وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا أن يسافر على شاطئ نهر يوثق ببقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله أن يؤخر الى وقت الحاجة أما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لامحالة * فان قلت التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لاتجب * فأقول من بينه وبين الكعبة مسافة لاتقطع الا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لامحالة اذا كان يظن أنه لايجد في الطريق من يتعلم منه لان الأصل الحياة واستمرارها ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل مايتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لايتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لامحالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذا للمسافر أن ينشئ السفر مالم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه * فان قلت انه ان لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته ان صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا * فأقول من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم مايحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ماخفف عن المسافر في سفره

﴿ القسم الثاني مايتجدد من الوظيفة بسبب السفر ﴾

وهو علم القبلة والاوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلابد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل أو شماله أو وراءه أو قدامه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد وإقليم

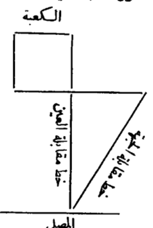
حكم

يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الاشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود * واعلم ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم من يبكي شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القائل

طفح السرور على حتى انني من عظم ماقد سرني أبكاني

قال الشيخ أبو بكر الكتاني رحمه الله سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام * وقال أيضا الموارد ترد فتصادف

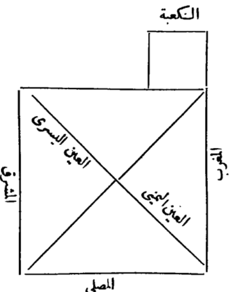
حكم آخر وأما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية أما النهارية فالشمس فلابد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أهي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تميل الى الجبين ميلا أكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه فى هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت المغرب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بان يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أوهى مائلة الى وجهه أو قفاه و بالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الاخيرة و بمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة فى الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة فى جهتين فلابد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فعليه أن يراعى موضع القطب وهو الكوكب الذى يقال له الجدى فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك اما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع فى مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه فى بلده فليعوّل عليه فى الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا أن ينتهى فى أثناء سفره الى بلاد فينبغى أن يسأل أهل البصيرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله أن يعول عليها فان بان له انه أخطأ من جهة القبلة الى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغى أن يقضى وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا فى ان المطلوب جهة الكعبة أو عينها وأشكل معنى ذلك على قوم اذ قالوا ان قلنا أن المطلوب العين فمتى يتصوّر هذا مع بعد الديار وان قلنا أن المطلوب الجهة فالواقف فى المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف فى انه لا تصح صلاته وقد طوّلوا فى تأويل معنى الخلاف فى الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبى الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلى يقدر انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين الى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتى الخط بل لا يتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هى واحدة فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من

شكلا أو موافقا فأى وارد صادف شكلا مازجه وأى وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد أهل السماع وماذكرناه حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التى ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غربته فعند رؤية الأهل يبكى من قوة الفرح وكثرته وفى البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار ويخفى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا او فهمها نظرا كثيرا ومثولا

العينين فيلتقى طرفاهما فى داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل فى الجهة وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين و بالبعد عن الكعبة وهذه صورته



فاذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذى يصح عندنا فى الفتوى أن المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفى استقبال الجهة * فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضى الله عنهم والقياس * أما الكتاب فقوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره أى نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها * وأما السنة فما روى عن رسول الله ﷺ (١) أنه قال لأهل المدينة ما بين المغرب والمشرق قبلة والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب وانما يفى بذلك جهتها وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه رضى الله عنهما * وأما فعل الصحابة رضى الله عنهم فما روى (٢) ان أهل مسجد قباء كانوا فى صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم الآن قد حوّلت القبلة الى الكعبة فاستداروا فى أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بأدلة هندسية يطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة فى أثناء الصلاة وفى ظلمة الليل ويدل أيضا من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفى سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسى * وأما القياس فهو أن الحاجة تمس الى الاستقبال و بناء المساجد فى جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق فى علمها فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة * وأما دليل صحة الصورة التى صورناها وهو حصر جهات العالم فى أربع جهات فقوله عليه السلام فى آداب قضاء الحاجة (٣) لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص فى جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات

(١) حديث ما بين المشرق والمغرب قبلة الترمذى وصححه والنسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث أبى هريرة
(٢) حديث ان أهل قبا كانوا فى صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم الان القبلة قد حولت الى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف (٣) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبى أيوب

وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك فى بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين فى الدنيا إلمامات يسيرة فيوجد البكاء فى بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رشحا هو من وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن و يقرب من ذلك مثلا فى الشاهد قطر الغمام يتلاقى مختلف الاجرام وهذا اوان عز مشعر ببقية تقدح فى صرف الفناء نعم قد يتحقق العبد فى الفناء متجردا عن الآثار منغمسا فى الأنوار ثم يرتقى منه الى مقام البقاء و يرد اليه الوجود مطهرا فتعود اليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشاكلة صورها

العالم يمكن أن تفرض فى ست أو سبع أو عشر وكيفما كان فما حكم الباقى بل الجهات تثبت فى الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة إلى الانسان فى ظاهر النظر أربعا والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة فى المشرق ثم يعرف ذلك أيضا فى موقف المصلى ثم يقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبنى عليها قطعا فاذا القدر الذى لابد من تعلمه من أدلة القبلة موقع المشرق والمغرب فى الزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب * فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى * فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب أو كان معه فى الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصى وإن لم يكن معه شئ من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم أو ترك التعلم ولم يجد فى الطريق من يقلده فعليه أن يصلى فى الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا فى القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك فى حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر فى قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كما ليس للعامى أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن فى البلد إلا فقيه فاسق فعليه الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما فى الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر فى البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير أو ما يغلب عليه الابريسم أو راكبا الفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم ان الذى يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح فى العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة * وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلابد منها * فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لابد أن يقع له فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقم المسافر فى موضع أو لينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر * وطريقه فى معرفة ذلك أن ينظر فى البلد وقت أذان المؤذن المعتمد ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك فى السفر وأخذ فى الزيادة صلى فان زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به فى كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان فى السفر فى موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلا إن كانت كذلك فى البلد * وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغى أن ينظر إلى جانب المشرق فمهما ظهر سواد فى الافق مرتفع من الارض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب * وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة * وأما الصبح فيبدو فى الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضى زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال ﷺ (١) ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه انما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما وأشار به

ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمأنت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمأنينتها أكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس فى ذلك بمثابة الطفل فى حجر الوالد يفرحه فى بعض الاوقات ببعض مآربه ومن هذا القبيل ما نقل أن أبا محمد الراشى كان يشغل أصحابه بالسماع وينعزل

وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لاتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لان ذلك هو الفجر الكاذب والذى ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها و بعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها و يختلف ذلك فى البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح و بعده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلا وعلى الجلة فاذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب و إذا بقى قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق و يبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغى أن يترك الصائم السحور و يقدم القائم الوتر عليه ولا يصلى صلاة الصبح حتى تنقضى مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو أراد مريد أن يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا و يقوم عقيبه و يصلى الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك فى قوة البشر أصلا بل لابد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد فى العيان الا على أن يصير الضوء منتشرا فى العرض حتى تبدو مبادى الصفرة وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت و يدل عليه ماروى أبو عيسى الترمذى فى جامعه باسناده عن طلق بن على أن رسول الله ﷺ (١) قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح فى رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفى الباب عن عدى بن حاتم وأبى ذر وسمرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين أى مستطيلا فاذا لا ينبغى أن يعول الا على ظهور الصفرة وكأنها مبادى الحمرة وانما يحتاج المسافر إلى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت و يتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل أوائل الاوقات لا أوساطها

﴿كتاب آداب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته * واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته * ووقف أبصارهم و بصائرهم على ملاحظة جمال حضرته * حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى * وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى * فلم يروا فى الكونين شيأ سواه * ولم يذكروا فى الدارين الا إياه * ان سنحت لابصارهم صورة عبرت إلى المصور بصائرهم * وان قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم * وان ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه * ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه * ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى مالديه * ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم إلا حواليه * فمنه سماعهم * وإليه استماعهم * فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم * أولئك

إلى انه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود باسناد صحيح مختصر دون الاشارة بالكف والسبابتين ولأحمد من حديث طلق بن على ليس الفجر المستطيل فى الأفق لكنه المعترض الأحمر واسناده حسن (١) حديث طلق بن على كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه وقال حسن غريب وهو كما ذكر ورواه أبو داود أيضا

﴿ كتاب السماع والوجد ﴾

عنهم ناحية يصلى فقد تطرق هذه النغمات مثل هذا المصلى فتتدلى إليها النفس متنعمة بذلك فيزداد مورد الروح من الانس صفاء عند ذلك لبعد النفس عن الروح فى تمتعها فانهامع طمأنينتها بوصف من الاجنبية بوضعها وجبلتها وفى بعدها توفر أقسام الروح من الفتوح و يكون طروق الالحان سمعه فى الصلاة غير محيل بينه و بين حقيقة المناجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الاقسام إلى محالها غير مزاحمة ولا مزاحة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايمان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن

الذين اصطفاهم الله لولايته * واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته * والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته * وسلم كثيرا * ﴿ أما بعد ﴾ فان القلوب والسرائر * خزائن الاسرار ومعادن الجواهر * وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر * وأخفيت كما أخفى الماء تحت التراب والمدر * ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع * ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع * فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها * وتظهر محاسنها أو مساويها * فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه * كما لا يرشح الاناء الا بما فيه * فالسماع للقلب محك صادق * ومعيار ناطق * فلا يصل نفس السماع اليه * الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع * مطيعة للاسماع حتى أبدت بواردانها مكامنها * وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها * وجب شرح القول فى السماع والوجد و بيان ما فيهما من الفوائد والآفات * وما يستحب فيهما من الآداب والهيآت * وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات * ونحن نوضح ذلك فى بابين ﴿ الباب الاول ﴾ فى اباحة السماع ﴿ الباب الثانى ﴾ فى آداب السماع وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب

﴿ الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى اباحة السماع وكشف الحق فيه ﴾

﴿ بيان أقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه ﴾

اعلم أن السماع هو أول الامر و يثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد و يثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب و يقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعى رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشئ من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة * وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده * وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك و يجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى وحماد وابراهيم والشعبى وغيرهم * فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب فى السماع وروى عن يحيى بن

عود أقسام البكاء ما روى أن رسول الله ﷺ قال لأبى اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيرى فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فاذا عيناه تهملان * وروى أن رسول الله ﷺ استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى وقال يا عمر ههنا تسكب العبرات والمتمكن تعود اليه أقسام البكاء وفى ذلك فضيلة سألها النبى ﷺ فقال اللهم ارزقنى عينين هطالتين ويكون البكاء فى الله فيكون لله ويكون بالله

معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الاقلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبى وفيه مايدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لايجيب دعوة الا أن يكون فيه سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن أحمد ابن حنبل انه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعنى أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شئ تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلانى الاسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذا جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه * وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ماتقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذى لايثبت عليه إلا أقدام العلماء * وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ما أنكر منه شيأ ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن * وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم انه قال كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبى ﷺ تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبى ﷺ يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت فى نفسى ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الى رسول الله ﷺ وقال هذا حق بحق أوقال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لايأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لايتحاورون الافى مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص فى السماع فقيل له أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أوسيآتك فقال لافى الحسنات ولافى السيآت لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى ـ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ـ هذا مانقل من الاقاويل ومن طلب الحق فى التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أومائلا الى بعض الاقاويل بالتشهى وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

﴿ بيان الدليل على اباحة السماع ﴾

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص وأعنى بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أوفعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقى فعلا لاحرج فيه كسائر المباحات ولايدل على تحريم السماع نص ولاقياس ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحته * أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف

هو الاثم لعوده اليه بوجود مستأنف موهوب له من الكريم المنان فى مقام البقاء

﴿ الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأدبا واعتناء ﴾

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ فى ذلك وما فى ذلك من المأثور والمحذور * مبنى التصوف على الصدق فى سائر الاحوال وهو جد كله لاينبغى لصادق أن يتعمد الحضور فى مجمع يكون فيه سماع الابعد أن يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا فى ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشئ من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالى اذا عزم البركة فيه واذا حضر يلزم

الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ماهو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة مايستلذ فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها * وأما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق مايشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث (١) مابعث الله نبيا الاحسن الصوت وقال ﷺ (٢) لله أشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام (٣) انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه أربعمائة جنازة ومايقرب منها في الأوقات وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري (٤) لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال انما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لامعنى له فلم لايجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن ﴿الدرجة الثانية﴾ النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فانها اما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره واما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ومامن شئ توصل أهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أومن القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه (٥) الا الملاهي والاوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل مايلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة

(١) حديث مابعث الله نبيا الاحسن الصوت الترمذي في الشمائل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلا في الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الاول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (٢) حديث لله أشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٣) حديث كان داود حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٥) حديث المنع من الملاهي والأوتار والمزامير البخاري

الصدق والوقار بسكون الاطراف * قال أبو بكر الكتاني رحمه الله المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح اليه يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة أو ارادا والوارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون فيتقي الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ (حكي) أن شابا كان يصحب الجنيد رحمه الله وكلما سمع شيأ زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شئ بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل شعرة منه تقطر قطرة عرق فلما كان يوما من الايام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق

الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة بالاجنبية لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر ومامن حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال ﷺ (١) ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل * إحداها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر * الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهى عن الانتباذ (٢) في المزفت والحنتم والنقير وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه * الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعار الأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لان في هذا تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضرب بها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى ـ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ فهذه الأصوات لا تحرم من حيث انها أصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة ﴿ الدرجة الثالثة ﴾ الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان

من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف صورته عند البخاري صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي والمعازف الملاهي قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة ان الله أمرني أن أمحق المزامير والكبارات يعني البرابط والمعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة ان ربي حرم علي الخمر والكوبة والقنين وله في حديث لابي أمامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولابي الشيخ من حديث مكحول مرسلا الاستماع الى الملاهي معصية الحديث ولابي داود من حديث ابن عمر سمع مزمارا فوضع أصبعيه على أذنيه قال أبو داود وهو منكر (١) حديث ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث النهي عن الحنتم والمزفت والنقير

اظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق (قيل) كان النصراباذي رحمه الله كثير الولع بالسماع فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من أن نقعد ونغتاب فقال له أبو عمرو بن نجيد وغيره من اخوانه هيهات يا أبا القاسم زلة في السماع شر من كذا كذا سنة نغتاب الناس وذلك ان زلة السماع اشارة الى الله تعالى وترويح للحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها انه يكذب على الله تعالى انه وهب له شيأ وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات * ومنها أن يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والاغرار خيانة قال عليه السلام من غشنا فليس منا

بالحان أولم يكن والحق فيه ماقاله الشافعي رحمه الله اذقال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز انشاده مع الالحان فان أفراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا الاتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد أنشد بين يدى رسول الله ﷺ (١) وقال عليه السلام (٢) ان من الشعر لحكمة وأنشدت عائشة رضى الله عنها

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله ﷺ (٣) المدينة وعك أبو بكر و بلال رضى الله عنهما وكان بها وباء فقلت ياأبت كيف تجدك و يابلال كيف تجدك فكان أبو بكر رضى الله عنه اذا أخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته و يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضى عنها فاخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وقد كان رسول الله ﷺ (٤) ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

متفق عليه من حديث ابن عباس (١) حديث انشاد الشعر بين يدى رسول الله ﷺ متفق عليه من حديث أبى هريرة ان عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ اليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك الحديث ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

القصيدة وانشاد حسان أيضا

وان سنام المجد من آل هاشم * بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى انشاد ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

الأبيات (٢) حديث ان من الشعر لحكمة البخارى من حديث أبى بن كعب وتقدم فى العلم (٣) حديث عائشة فى الصحيحين لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر و بلال الحديث وفيه انشاد أبى بكر

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وانشاد بلال

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قلت هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند مسلم (٤) حديث كان ﷺ ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وقال ﷺ مرة أخرى

اللهم ان العيش عيش الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال المصنف والبيتان فى الصحيحين قلت البيت الاول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثانى أيضا الا انه قال الاجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثانى فى الصحيحين

ومنها انه اذا كان مبطلا و يرى بعين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك مايفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته فى غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا الى فساد العقيدة فى أهل الصلاح و يدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين و يتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين الى موافقته فى قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس بباطله ويكون فى الجمع من يرى بنور الفراسة انه مبطل و يحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب فى ذلك فليتق الله

هذا الجمال لاجمال خيبر * هـذا أبرر بنا وأطهـر

وقال أيضا ﷺ مرة أخرى

لاهم ان العيش عيش الآخره * فارحـم الانصار والمهاجره

وهذه فى الصحيحين وكان النبى ﷺ (١) يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ويقول رسول الله ﷺ ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ ولما أنشده النابغة شعره قال له ﷺ (٢) لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضى الله عنها كان أصحاب رسول الله ﷺ (٣) يتناشدون عنده الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو ابن الشريد عن أبيه قال أنشدت رسول الله ﷺ (٤) مائة قافية من قول أمية ابن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد فى شعره ليسلم وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ (٥) كان يحدى له فى السفر وان أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة رضى الله عنهم وما هو الا أشعار تؤدى باصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة وألحان موزونة ﴿الدرجة الرابعة﴾ النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على

من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون

اللهم لاخير الاخير الآخره * فانصر الانصار والمهاجره

وليس البيت الثانى موزونا وفى الصحيحين أيضا انه قال فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الانصار والمهاجره وفى رواية فاغفرو فى رواية لمسلم فاكرم وهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار (١) حديث كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح الحديث البخارى تعليقا وأبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى الصحين انها قالت انه كان ينافح عن رسول الله ﷺ (٢) حديث انه قال للنابغة لما أنشده شعرا لا يفضض الله فاك البغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب باسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس ابن عبد الله قال أنشدت النبى ﷺ

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الابيات ورواه البزار بلفظ * علونا العباد عفة وتكرما * الابيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خريم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله انى أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق

الابيات (٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الاشعار وهو يتبسم الترمذى من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبى ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحدى له فى السفر وان أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال الحديث أبو داود الطيالسى واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

ربه ولا يتحرك الا اذا صارت حركته حركة المرتعش الذى لا يجد سبيلا الى الامساك وكالعاطس الذى لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذى يدعوه اليه داعية الطبع قهرا ﴿قال السرى﴾ شرط الواجد فى زعقته أن يبلغ الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات وهو فى تمزيق الثياب آكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانفاق المحال وهكذا

وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الاصغاء إليه والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل والاحمال إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي رضي الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فعساه يحل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي فما أظن اني سمعت قط صوتا أطيب منه فاذا تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع * الاول غناء الحجيج فانهم أولا يدورون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل أو استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فاذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فان التشويق إلى الحرام حرام وكذلك ان كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق * الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة إليه بالاشعار المشجعة مثل قول المتنبي

رمى الخرقة إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمراآة وإذا حسنت النية فلا بأس بالقاء الخرقة إلى الحادي فقد روي عن كعب ابن زهير أنه دخل على رسول الله ﷺ المسجد وأنشده أبياته التي أولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

حتى انتهى إلى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

فقال له رسول الله ﷺ من أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله ﷺ إليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية

فان لاتمت تحت السيوف مكرما ✻ تمت وتقاس الذل غير مكرم

(وقوله أيضا) يرى الجبناء أن الجبن حزم ✻ وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوّقة وهذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ومندوب إليه فى وقت يستحب فيه الغزو ولكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو ✻ الثالث الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع فى النفس وذلك مباح فى كل قتال مباح ومندوب فى كل قتال مندوب ومحظور فى قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضى الله عنهم كعلىّ وخالد رضى الله عنهما وغيرهما ولذلك نقول ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فان صوته مرتق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور فى القتال وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع ✻ الرابع أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم فأما المذموم فكالحزن على مافات قال الله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على مالاتدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهى الصريح [1] عن النياحة وأما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره فى أمر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكى ويبكى ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لان المفضى إلى المحمود محمود وعلى هذا لايحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكى ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره واثارة حزنه ✻ الخامس السماع فى أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى أيام العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لاجل اظهار السرور به ووجه جوازه أن من الالحان مايثير الفرح والسرور والطرب فكل ماجاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد [2] النساء على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول الله ﷺ

طلع البدر علينا ✻ من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ✻ ما دعا لله داع

فهذا اظهار السرور لقدومه ﷺ وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم [3] حجلوا فى سرور أصابهم كما سيأتى فى أحكام الرقص وهو جائز فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفى كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذا ماروى فى

(١) حديث النهى عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبى ﷺ فى البيعة أن لانتوح

(٢) حديث انشاد النساء عند قدوم رسول الله ﷺ

طلع البدر علينا ✻ من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ✻ ما دعا لله داع

البيهقى فى دلائل النبوّة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والالحان (٣) حديث حجل جماعة من الصحابة فى سرور أصابهم أبو داود من حديث على وسيأتى فى الباب الثانى

الصحيحين

بعث إلى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف فوجه إليه ما كنت لاوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفا وأخذ البردة وهى البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأدب فى الصحبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطؤا عليه ولا ينكره الشرع لاوجه للانكار فيه فمن ذلك ان أحدهم إذا تحرك فى السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورمى عمامته إلى

الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لقد رأيت النبي ﷺ (١) يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها * وروى البخارى ومسلم أيضا فى صحيحيهما حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدففان وتضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت النبى ﷺ (٢) يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضى الله عنه فقال النبى ﷺ أمنا يابنى أرفدة يعنى من الامن (٣) ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفى حديث أبى طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله ﷺ (٤) يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترنى بثوبه أو بردائه لكى أنظر الى لعبهم ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف * وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ (٥) قالت وكان يأتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يسربهن الى فيلعبن معى وفى رواية أن النبى ﷺ قال لها يوما ماهذا قالت بناتى قال فما هذا الذى أرى فى وسطهن قالت فرس قال ماهذا الذى عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أوما سمعت انه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ماروى فى بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع وقالت عائشة رضى الله عنها دخل علىّ رسول الله ﷺ (٦) وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه فدخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فأما سألت رسول الله ﷺ واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فأقامنى وراءه وخدى على خده ويقول دونكم يابنى أرفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم

(١) حديث عائشة رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحديث هو كما ذكره المصنف أيضا فى الصحيحين لكن قوله انه فيهما من رواية عقيل عن الزهرى ليس كما ذكر بل هو عند البخارى كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه (٢) حديث عائشة رأيت النبى ﷺ يسترنى بثوبه وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر فقال النبى ﷺ أمنا يابنى أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لهم الى آخره فرواه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أمنا يابنى أرفدة بل قال دعهم ياعمر زاد النسائى فانما هم بنو أرفدة ولهما من حديث عائشة دونكم يابنى أرفدة وقد ذكره المصنف بعد هذا (٣) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفى يغنيان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخارى من رواية الاوزاعى عن ابن شهاب (٤) حديث أبى طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم الحديث رواه مسلم أيضا (٥) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ الحديث وهو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصر الى قولها فيلعبن معى وأما الرواية المطولة التى ذكرها المصنف بقوله وفى رواية فليست من الصحيحين انما رواها أبو داود باسناد صحيح (٦) حديث عائشة دخل رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث الحديث هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التى عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر

الحادى فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الرأس اذا كان ذلك من متقدم وشيخ وان كان ذلك من الشبان فى حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ موافقة الشبان فى ذلك وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة للشبان فاذا سكتوا عن السماع يرد الواجد الى خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمائم ثم ردها على الرؤس فى الحال للموافقة والخرقة اذا رميت الى الحادى هى للحادى اذا قصد اعطاءه اياها وان لم يقصد اعطاءها للحادى فقيل هى للحادى لان المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة وقال بعضهم هى

فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت فهذه الاحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع من الرخص * الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب والثانى فعل ذلك فى المسجد والثالث قوله ﷺ دونكم يابنى أرفدة وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد أى هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور والخامس وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه والسادس قوله ﷺ ابتداء لعائشة أتشتهين أن تنظرى ولم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب أو وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك والثامن أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار فى موضع لما جوّز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع * السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان ألما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشئ المرجوّ ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الاطناب فى وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغى الى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وهذا منه وكذلك ان غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبىّ أو امرأة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل فى نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر فى الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شئ من ذلك وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع * السابع سماع من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه أو فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدرات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهى

للجمع والحادى واحد منهم لان المحرك قول الحادى مع بركة الجمع فى احداث الوجد واحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم فى ذلك * روى أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله كذا ومن أسر فله كذا فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردأ فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسم النبي ﷺ بينهم بالسوية وقيل

غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى تأثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء * واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال ان فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وانما يعنى به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم أدرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادي أنوار تجليه دكا دكا فانى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتي تحقيق هذه الاشارة فى كتاب المحبة و يتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى اذ ليس فى الوجود تحقيقا الا الله وأفعاله ومن عرف الافعال من حيث انها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف الشافعي مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوز محبته الى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله و بديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير

اذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم واذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم وقيل اذا كان القوال أجيرا فليس له منها شئ وان كان متبرعا يؤثر بذلك وكل هذا اذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما اذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم فى ذلك بما يرى فقد تختلف الاحوال فى ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل مايرى فلا اعتراض لاحد عليه وان فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم الى خرقته فلا باس بذلك واذا أصر واحد على الايثار بما خرج منه لنية له فى ذلك يؤثر بخرقته الحادي

مجاوزة الى سواه ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه يتصور له نظير اما في الوجود واما في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظة العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الالفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (١) انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء قالت الله عز وجل قال فمن خلق الارض قالت الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق الغيم قالت الله عز وجل قال اني لاسمع لله شأنا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد وما أنزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع * فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فأقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة الاسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لان أركان السماع هي المسمع والمستمع وآلة الاسماع * العارض الأول أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته * فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت فأقول هذه مسئلة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان أحدهما أن الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور * والثاني أن النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في أول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان أولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها اذ يعلم انه ﷺ كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الامر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع

(١) حديث أبي هريرة ان غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان

يدعو

واما تمزيق الخرقة المجروحة التي مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يتعمد امساكه فنيتهم في تفرقتها وتمزيقها التبرك بالخرقة لان الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقة أثر من آثار الوجد فصارت الخرقة متأثرة بأثر رباني من حقها أن تفدى بالنفوس وتترك على الرؤس اكراما واعزازا تضوع أرواح نجد من ثيابهم * يوم القدوم لقرب العهد بالدار كان رسول الله ﷺ يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثة العهد فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من

يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالاشخاص * العارض الثانى فى الآلة بان تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات * العارض الثالث فى نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شئ من الخنا والفحش والهجو أوماهو كذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ أو على الصحابة رضى الله عنهم كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير ألحان والمستمع شريك للقائل وكذلك مافيه وصف امرأة بعينها فانه لايجوز وصف المرأة بين يدى الرجال وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز فقد كان حسان ابن ثابت رضى الله عنه ينافح عن رسول الله ﷺ ويهاجى الكفار وأمره ﷺ (١) بذلك فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح أنه لايحرم نظمه وانشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع أن لاينزله على امرأة معينة فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل مايسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له أولم يكن اذ مامن لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ولايحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روى عن بعض الشيوخ أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول ياسعتر برى فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه يقول اسع تر برى حتى ان العجمى قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر أنشد بعضهم * ومازارنى فى الليل الاخياله * فتواجد عليه رجل أعجمى فسئل عن سبب وجده فقال انه يقول مازاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضرب عليه أعضاؤه فاذا ليس فى تغيير أعيان الالفاظ كبير فائدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع باى لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ولاتمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة * العارض الرابع فى المستمع وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أولم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها

(١) حديث أمره ﷺ حسان بن ثابت بهجاء المشركين متفق عليه من حديث البراء انه ﷺ قال لحسان اهجهم أوهاجهم وجبريل معك

الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ ان خصص بشئ منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرقها خرقا فله ذلك ولا يقال هذا تفريط وسرف فان الخرقة الصغيرة ينتفع بها فى موضعها عند الحاجات كالكبيرة ﴿وروى﴾ عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل بها الى فخرجت فيها فقال لى ما كنت لاكره لنفسى شيأ أرضاه لك فشققها بين النساء خمرا وفى رواية أتيته فقلت ماأصنع بها ألبسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفى هذه

والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به * العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة الا أنه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما أن الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن أصله ممنوعا اذ فعله رسول الله ﷺ ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة فى بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الاوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة أو فى الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات * فان قلت فقد أدى مساق هذا الكلام الى أنه مباح فى بعض الاحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالاباحة اذ اطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ * فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق ألا ترى انا اذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا انه حلال على الاطلاق مع انه حرام على المحرور الذى يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انها حرام مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشرب بها مهما لم يجد غيرها ولكن هى من حيث انها خمر حرام وانما أبيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال و يحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم وانما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته وذلك لانه من اللهو والمكروه الذى يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروءة وان لم يكن محرما بين التحريم فان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتى لاجله وانما يعرف بانه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروأته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها وقال يونس ابن عبد الاعلى سألت الشافعى رحمه الله عن اباحة أهل المدينة للسماع فقال الشافعى لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه فى الاوصاف فاما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان ﷺ ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به ان عنى به انه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشئ على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وانما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسى منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه وأما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التى ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر انى أكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس

ذلك

الرواية ان الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه فى السنة لتمزيق الثوب وجعله خرقا ﴿حكى﴾ أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا فى دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبا محمد الجوينى وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيرى فقسمت الخرقة على عادتهم فالتفت الشيخ أبو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة للمال فسمع أبو القاسم القشيرى ولم يقل شيأ حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر فى الجمع من معه سجادة خرق اتفق بها فجاءه بسجادة ثم أحضر رجلا من أهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى فى

ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق ومايخرم المروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

﴿ بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها ﴾

احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم ان لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ (١) قال ان الله تعالى حرم القينة و بيعها وثمنها وتعليمها فنقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما ✻ حكي عن بعض المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله ﷺ فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم ✻ واحتجوا بقوله تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لان الآية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه ✻ واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه انه ﷺ (٢) قال كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله ﷺ وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن

طلع البدر علينا ✻ من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه ﷺ (٣) أنه قال ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين فاما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الاكراه فقط وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة

(١) حديث عائشة ان الله حرم القينة و بيعها وثمنها وتعليمها الطبراني في الاوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بمحفوظ (٢) حديث جابر كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بغناء الا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي والطبراني في الكبير وهو ضعيف

المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تساوي قال نصف دينار ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة المال والخرقة المزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو من غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة ٠(روى) طارق ابن شهاب ان أهل البصرة غزوا نهاوند وأمدهم أهل الكوفة وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا وأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لاهل الكوفة من الغنيمة شيأ فقال رجل من بني تميم لعمار أيها الاجدع تريد أن تشاركنا في غنائمنا فكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر رضي الله عنه ان

حتى النيات والقصود * واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي ﷺ (١) قال كل شئ يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله ﷺ (٢) لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شئ منها وان جاز وصفه بانه باطل * واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى مذ بايعت بها رسول الله ﷺ قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت ان عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام * واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه (٣) الغناء ينبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما (٤) في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع وقال الفضيل بن عياض رحمه الله الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق أراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة إلى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضعه أصبعيه في أذنيه فيعارضه انه لم يأمر نافعا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وانما فعل ذلك هو لانه رأى ان ينزه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله ﷺ مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في أكثر الاحوال بل أكثر مباحات الدنيا الاولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله ﷺ (٥) بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه أفترى أن ذلك يدل على

---

(١) حديث عقبة بن عامر كل شئ يلهو به الرجل فهو باطل الا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الاربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ إلا باحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل قال المصنف والمرفوع غير صحيح لان في اسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية اللؤلؤى ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه الحديث ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر (٥) حديث خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة

الغنيمة لمن شهد الوقعة وذهب بعضهم إلى ان المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه في الخرقة الصحيحة فاما المجروحة فحكمها اسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم له (روى) أبو موسى الاشعرى رضي الله تعالى عنه قال لما قدمنا على رسول الله ﷺ بعد خيبر بثلاث فاسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا

تحريم الاعلام على الثوب فلعله ﷺ كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالانبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة وأما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ماعداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله ﷺ * وأما القياس فغاية مايذكر فيه أن يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق أو يقال هو لهو ولعب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب وجود الولد وكذلك المزح الذي لافحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله ﷺ (١) وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان ان شاء الله وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على أني أقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر والقلوب اذا أكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الايام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فان الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيآت المقربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الامور دواء نافع لاغنى عنه

﴿ الباب الثاني في آثار السماع وآدابه ﴾

اعلم ان أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة ﴿ المقام الاول في الفهم ﴾ وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع وللمستمع أربعة أحوال احداها أن يكون سماعه بمجرد الطبع أي لاحظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو أخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة * الحالة الثانية أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا واما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها * الحالة الثالثة أن ينزل مايسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة والتعذر أخرى وهذا سماع المريدين لاسيما المبتدئين فان للمريد لامحالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش

ثوب أبي جهم اذ كان عليه أعلام شغلت قلبه تقدم في الصلاة (١) حديث مزاحه ﷺ يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف

﴿ الباب الثاني في آداب السماع وآثاره ﴾

ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كمتزهد لاذوق له من ذلك فينكر مالا ينكر أو صاحب دنيا يحوج الى المداراة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده * أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري بسرخس قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي اجازة قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله ﷺ

الى منتظر أوشوق الى وارد أوطمع أو يأس أو وحشة أواستئناس أو وفاء بالوعد أونقض للعهد أوخوف فراق أوفرح بوصال أوذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أوهمول العبرات أوترادف الحسرات أوطول الفراق أوعدة الوصال أوغيرذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلابد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه فتشتعل به نيرانه و يقوى به انبعاث الشوق وهيجانه و يهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته و يكون له مجال رحب فى تنزيل الالفاظ على أحواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كى لايظن الجاهل أن المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولاحاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعانى من الابيات ففى حكايات أهل السماع مايكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول

قال الرسول غدا تزو * ر فقلت تعقل ماتقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك و يجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول ﷺ (١) ان أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة ﴿ وحكى الرقى ﴾ عن ابن الدراج أنه قال كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فاذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول

كل يوم تتلون * غير هذا بك أحسن

فاذا شاب حسن تحت المنظرة و بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال ياجارية بالله و بحياة مولاك الا أعدت على هذا البيت فأعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلونى مع الحق فى حالى فشهق شهقة ومات قال فقلنا قداستقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى قال ثم ان أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شئ لى فى سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب فى المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه مايوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه و يقول له

كل يوم تتلون * غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغى أن يكون قد أحكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والاخطرله من السماع فى حق الله تعالى مايستحيل عليه ويكفر به ففى سماع المريد المبتدى خطر الااذا لم ينزل مايسمع الاعلى حاله من حيث لايتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلوسمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون الى الله تعالى فيكفر وهذا قديقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يلينه وتارة يثبته على طاعته و يقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة فى أوقات متقاربة فقد يقال له فى العادة انه ذو بداوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد به الانسبة محبوبه الى التلون فى قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك فى حق الله تعالى

(١) حديث ان أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد ابن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لانعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الاوزاعى شيأ من هذا

اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله ان فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله ﷺ فقال هل فيكم من ينشدنا فقال بدوى نعم يارسول الله فقال هات فأنشأ الاعرابى

قد لسعت حية الهوى كبدى * فلا طبيب لها ولاراق
الا الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه فلما فرغوا أوى كل واحد منهم الى مكانه قال معاوية ابن أبى سفيان ما أحسن لعبكم يارسول الله فقال مه يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر

كفر محض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون و يغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني و يحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير مالم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى و يستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا أمد الانبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال عز وجل ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لاتجاوز حد الادب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه الا أقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الامن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجو نا من هذا السماع رأسا برأس ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر * واعلم أن الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطئ أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول

سبحان جبار السما * ان المحب لفي عنا

فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم * وحكي عن أبي القاسم ابن مروان وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها انسان يقول

واقف في الماء عطشا * ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ماوقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يقنعه ذلك فقالوا له فماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الاحوال و يكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه و بين ماذكروه الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة أولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ماوراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي رحمه الله كثيرا مايتواجد على هذا البيت

ودادكم هجر وحبكم قلى * ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق و بعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرارها بل في كل ماسوى الله تعالى فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة

الحبيب ثم قسم رداءه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم باربعمائة قطعة فهذا الحديث أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث وماوجدنا شيأ نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم الاهذا وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ان لو صح والله أعلم و يخالج سري انه غير صحيح ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على مابلغنا في هذا الحديث و يأبى القلب قبوله والله أعلم بذلك

﴿الباب السادس

الود (١) فما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد فى الخبر وكما قال الثعلبى فى وصف الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها * ومكروهها اما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهى اذا استلذته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقى الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه وان كان على المرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال ﷺ (٢) لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال عليه الصلاة والسلام (٣) انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ماقبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناه والوصول الى أقصى درجات القرب محال والمعنى الثالث أن ينظر فى مبادى أحواله فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه ومامن بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه * الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بانه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شئ الا عن الواحد المشهود وفنى أيضا عن الشهود فان القلب أيضا اذا التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئى لا التفات له فى حال استغراقه الى رؤيته ولا الى عينه التى بها رؤيته ولا الى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه وانما خبره من المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشئ فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشئ فالعالم بالشئ مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشئ كان معرضا عن الشئ ومثل هذه الحالة قد تطرأ فى حق المخلوق وتطرأ أيضا فى حق الخالق ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

مازلت أنزل من ودادك منزلا * تتحير الالباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد فهى أعلى الدرجات لان السماع على الاحوال نازل عن درجات الكمال وهى ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور وانما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدى والسكاكين فيسمع لله و بالله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شئ

(١) حديث ما امتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلا
(٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم
(٣) حديث انى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة تقدم فى الباب الثانى من الاذكار

والعشرون فى خاصية الاربعينية التى يتعاهدها الصوفية﴾ ليس مطلوب القوم من الاربعين شيأ مخصوصا لا يطلبونه فى غيرها ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الاوقات أحبوا تقييد الوقت بالاربعين رجاء ان ينسحب حكم الاربعين على جميع زمانهم فيكونوا فى جميع أوقاتهم كهيئتهم فى الاربعين على أن الاربعين خصت بالذكر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الاربعين بالذكر فى قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الاربعين بمزيد تبتل قال الله تعالى وواعدنا موسى

أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى صفات البشرية رأسا ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود الا للحاضر ومثاله المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان و يعبر عن هذه الحقيقة أعني سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشا كل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات ﴿المقام الثاني﴾ بعد الفهم والتنزيل الوجد * وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد أعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن أصغى اليه بحق تحقق ومن أصغى اليه بنفس تزندق فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضا وأخرجني الى رياض التنزه والفضاء وقال الشبلي رحمه الله السماع ظاهره فتنة و باطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال و يدرك برقة الطبع لرقته و بصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو اشارة الى فائدة أو شوق الى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب الى حال أو داع الى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولي واليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة * وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض

ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى اذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال له أما علمت ان خلوف فم

العاجزمن الرأى واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكال من الافهام والآراء حتى يثوب ماعزب وينهض ماعجز ويصفوما كدر ويمرح فى كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ وقال آخر كما أن الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحانى وقال بعضهم وقدسئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلى والعاشق العقلى لايحتاج الى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق أجمع الأأنها روحانية وأما العاشق البهيمى فانه يستعمل المنطق الجرمى ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف وقال آخر من حزن فليسمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس * والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ولامعنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذى الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لاتخلو عن قسمين فانها اما أن ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات واما أن ترجع الى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الاعرابى حيث قال فى الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف مالم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان إدراكها نوع علم يفيد ايضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر فى تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لايقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت كما أن عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان فى اليقظة وبالرؤيا اذا كان فى المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت

بطور سيناء كرم ما مررت به * الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول

وفى جهنم ماء ماتجرعه * خلق فأبقى له فى الجوف امعاء

قال فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر * وروى عن مسلم العبادانى أنه قال قدم علينا مرة صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسوارى فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين أيديهم اذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام وماذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت

الصائم أطيب عندى من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل بل طوى الاربعين من غير أكل فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب حتى احتاج موسى الى ذلك مستعد لكالمة الله تعالى والعلوم اللدنية فى قلوب المنقطعين الى الله تعالى ضرب من المكالمة ومن انقطع الى الله أربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم اللدنية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين الاربعين من المدة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد

الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام اما على حقيقة صورتها وأما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله ﷺ (١) جبريل عليه السلام مرتين فى صورته وأخبر عنه بانه سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى إلى آخر هذه الآيات وفى مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال ﷺ (٢) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين و يقول ما معنى قول النبى ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق وكما حكى عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابى يقع لى انه يهودى فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أى شئ قال الشيخ فى فاحتشموه فالح عليهم فقالوا له قال انك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدى وقبل رأسى وأسلم وقال نجد فى كتبنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة لانهم يقولون حديثه سبحانه و يقرؤن كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فى علمت انه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية و إلى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه السلام (٣) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفا لم يطف الشيطان حول قلبه و إليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين و بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى ان ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيأ فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول

صغير هواك عذبنى * فكيف به إذا احتنكا * وأنت جمعت فى قلبى
هوى قد كان مشتركا * أما ترثى لمكتئب * إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات و إلى حالات * واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه و إلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد * أما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان فى الصورة و يدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم و إذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه و إدراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات * وأما الحال فكم من انسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه

والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من يخصه الله تعالى بتعريف ذلك من غير الأنبياء و يلوح فى سر ذلك معنى والله أعلم وذلك ان الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتى منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين فى صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا ان الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم فى الصوم

قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر انسان فى شئ فيؤثر فى نفسه أثرا فينسى ذلك السبب و يبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور أو حزنا فينسى المتفكر فيه و يحس بالأثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه و بين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الموزون والمزحف فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده لمن لا ذوق له وفى النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم وأما الاوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة فانها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان أحدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه والثانى معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى انه يشتاق إلى الوقاع لانه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو فيدهش و يتحير و يضطرب و يكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من الاحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن اظهاره و إلى ما لا يمكن اظهاره واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم و إلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا فى جلب الاحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله ﷺ (١) من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى و يتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن أولا يحفظه تكلفا و يقرؤه تكلفا مع تمام التأمل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها و يعلم انه قرأها فى حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ثم تمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعا فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه و يديم النظر اليه و يقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فان لم تبكوا فتباكوا تقدم فى تلاوة القرآن فى الباب الثانى

وأر بعين صباحا خمر طينته ليبعد بالتخمير أر بعين صباحا بأر بعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا و يتعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب إذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ما عمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى فى الارض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب و يتخذ منزلا فى القرب من الحضرة الالهية التى هى مجمع العلوم ومصدرها فاذا تمت الار بعون زالت الحجب وانصبت إليه

ورسخ

ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس معهم فى السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحسنين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لايدرى ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله ﷺ (١) فى دعائه اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى الى حبك فقد فزع عليه السلام الى الدعاء فى طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى أحوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى مالا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لايظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ماينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا وانما الذى لايهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ـ وقوله تعالى ـ مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ـ وكل مايوجد عقيب السماع بسبب السماع فى النفس فهو وجد فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى ـ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ـ وقال تعالى ـ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ـ فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال ﷺ (٢) زينوا القران بأصواتكم وقال لابى موسى الاشعرى (٣) لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام * وأما الحكايات الدالة على ان أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله ﷺ (٤) شيبتنى هود وأخواتها خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ (٥) سورة النساء فلما انتهى الى قوله تعالى ـ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ـ قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدموع وفى رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أوقرئ عنده (٦) ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فصعق ـ وفى رواية أنه ﷺ (٧) قرأ ـ ان تعذبهم فانهم عبادك ـ فبكى وكان عليه السلام (٨) اذا مر بآية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى ـ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ـ وروى ان رسول الله ﷺ (٩) كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل * وأما مانقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضى الله عنهم

(١) حديث اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك الحديث تقدم فى الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم فى تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود قاله لأبى موسى تقدم فيه (٤) حديث شيبتنى هود وأخواتها الترمذى من حديث أبى جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذى حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى (٥) حديث ان ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى الى قوله ـ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ـ قال حسبك الحديث متفق عليه من حديثه (٦) حديث انه قرئ عنده ـ إنّ لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ـ فصعق ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من طريقه من حديث أبى حرب بن أبى الاسود مرسلا (٧) حديث انه قرأ ـ ان تعذبهم فانهم عبادك ـ فبكى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٨) حديث كان اذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم فى تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٩) حديث انه كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم

العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هى أعيان انقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الالهية بها فانقلبت أعيان حديث النفس علوما الهامية وتصدت لحرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ماظهرت العلوم الالهية لان حديث النفس وعاء وجودى لقبول الانوار وماالقلب فى ذاته لقبول العلم شئ وقول رسول الله ﷺ ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أشار الى القلب باعتبار أن للقلب وجها الى النفس باعتبار توجهه الى عالم الشهادة وله وجه الى الروح باعتبار توجهه الى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المكونة فى

والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة ابن أبي أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ـ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ـ فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ماقد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ـ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ـ فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير الى ماقاله الجنيد قول الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية ـ كل نفس ذائقة الموت ـ فجعلت أرددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن ما رفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال أبو علي المغازلي للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى أحوالي والى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ماطرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ ـ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ـ فاستعادها من القارئ وقال كم أقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ ـ وأنذرهم يوم الآزفة ـ الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان ابراهيم ابن أدهم رحمه الله اذا سمع أحدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشاطئ يقرأ ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقده فسأل عنه فقيل له انه مريض فأتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا عبد الله أرأيت تلك القشعريرة التي كانت بي فانها أتتني في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال اذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات * فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله تعالى أفضل من الغناء لامحالة * فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه ﴿ الوجه الأول ﴾ أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع

ولا

النفس ويخرجها الى اللسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لانها متأصلة فيه فالقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رتب الالهام فالعبد بانقطاعه الى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد في الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق الترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى الى أن يكشف باستكمال الاربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجابه وآية صحة هذا العبد وعلامة

ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ماهو ملابس له فمن استولى عليه حزن أوشوق أوندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما فى القلب ما يناسبه والابيات انما يضعها الشعراء اعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج فى فهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وأن كل انسان لابد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله فى قوله يوصيكم الله فى أولادكم فيدهش بمجرد الاسم عما قبله و بعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك بانه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وأن الفضل فى الآخرة للرجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الاناث لامن الرجال تحقيقا فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الآخرة كما أخرت الانثى فى أموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان أحدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والآخر تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعانى البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى فجرى بينهم مسئلة فى العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم

رب ورقاء هتوف فى الضحى * ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا * وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها * وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها * ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها * وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال فما بقى أحد من القوم الاقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا ﴿الوجه الثانى﴾ أن القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب وفى الكرة الثانية يضعف أثره وفى الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة فى الزمان فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرآنا غريبا فى كل وقت ودعوة فان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر والى ماذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظنن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقسى من قلوب الاجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الانس بكثرة استماعه اذ محال فى العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكى ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها و يبكى ولا يفارق الاول الآخر الا فى كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارىء صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك فى نفسه بأثر فاذا

تأثره بالاربعين ووفائه بشروط الاخلاص أن يزهد بعد الاربعين فى الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود لان الزهد فى الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد فى الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين تبين أنه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ما عبد الله لان الله تعالى أمرنا بالاخلاص كما أمرنا بالعمل فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴿أخبرنا﴾ الشيخ طاهر ابن أبى الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال أنا أبو منصور الضبعى قال ثنا

المغنى يقدر على الابيات الغريبة فى كل وقت ولا يقدر فى كل وقت على آية غريبة ﴿الوجه الثالث﴾ أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون وانما يوجد الوزن فى الشعر دون الآيات ولو زحف المغنى البيت الذى ينشده أولحن فيه أومال عن حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع و بطل وجده وسماعه و نفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر فلذلك طاب الشعر ﴿الوجه الرابع﴾ أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالالحان التى تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف فى أثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القرآن الا التلاوة كما أنزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أومكروه واذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتأثير وان لم يكن مفهوما كما فى الاوتار والمزمار والشاهين وسائر الاصوات التى لا تفهم ﴿الوجه الخامس﴾ ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوى وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغى أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل فى مجلس ساكن ولا فى حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن فى كل حال الا المراقبون لاحوالهم فيعدل الى الغناء الذى لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله ﷺ (١) بضرب الدف فى العرس فقال أظهر والنكاح ولو بضرب الغربال أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله ﷺ (٢) بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبى يعلم ما فى غد على وجه الغناء فقال ﷺ دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقوية الاسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب فواجب فى الاحترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء ﴿الوجه السادس﴾ أن المغنى قد يغنى ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى الاعلى ما أراد الله تعالى وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن سماع القرآن * وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما فى الابيات من الاشارات

(١) حديث الامر بضرب الدف فى العرس تقدم فى النكاح (٢) حديث دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين الحديث البخارى من حديثها وقد تقدم فى النكاح

والاطائف

محمد بن أشرس قال ثنا حفص بن عبد الله قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان ابن عسال رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يجىء الاخلاص والشرك يجثوان بين يدى الرب عزوجل فيقول الرب للاخلاص انطلق أنت وأهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك الى النار وبهذا الاسناد قال السلمى سمعت على بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت ابراهيم الشقيق وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت

والللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب الى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق فمادامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد أولى من انبساطنا الى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدأ واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره * وقد حكى عن أبى الحسن الدراج أنه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه فكل من سألته عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت فى نفسى قد جئت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ فاذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل على وقال من أين أقبلت فقلت من بغداد فقال وما الذى جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك انسان أقم عندنا حتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء فقلت ما امتحنى الله بشئ من ذلك ولو امتحننى ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لى أتحسن أن تقول شيأ فقلت نعم فقال هات فانشأت أقول

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى
كأنى بكم والليت أفضل قولكم * ألا ليتنا كنا اذ الليت لا يغنى

قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يابنى تلوم أهل الرى يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت القيامة على لهذين البيتين فاذا القلوب وان كانت محترقة فى حب الله تعالى فان البيت الغريب يهيج منها مالاتهيج تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لايدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه * وروى ان اسرافيل أستاذ ذى النون المصرى دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الارض بأصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن أن تترنم بشئ فقال لا قال فأنت بلا قلب اشارة الى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لايصادف فى غيرها فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب * فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى مايترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول

﴿ المقام الثالث من السماع ﴾

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد ومايذم فأما الآداب فهى خمس جمل ﴿الاول﴾ مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة أشياء والافلا تسمع الزمان والمكان والاخوان ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له وأما المكان فقد يكون شارعا مطروقا أو موضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك وأما الاخوان فسببه أنه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به وكذلك اذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج الى مراقبته والى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع ﴿الأدب الثانى﴾ هو نظر الحاضرين أن الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذى يستضر بالسماع أحد ثلاثة أقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لايعنيه فانه ليس من أهل اللهو

أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن على الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبى ﷺ عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادى فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس اذ النفس بطبعها كارهة

فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر أو خدمة والا فهو تضييع لزمانه * الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال * الثالث أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع * قال سهل رحمه الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه * قال الجنيد رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت ﴿ الأدب الثالث ﴾ أن يكون مصغيا الى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوّش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التنحنح والتثاؤب ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراآة ساكتا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة * حكي أن شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيأ من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه * وروي أن موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خير لهم من أن يغتابوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوّة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوّة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوّة الوجد تحرك وقوّة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوّته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الارض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال ـ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ ـ اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت

للخلوة ميالة الى مخالطة الخلق فاذا أزعجها عن مقار عاداتها وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة في القلب ﴿قال﴾ ذو النون رحمه الله لم أر شيأ أبعث على الاخلاص من الخلوة ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من أركان الصدق وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت ﴿ وقال ﴾ يحيى ابن معاذ رحمه الله الوحدة منية الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة وتنجذب النفس الى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدل على كمال الاستعداد *

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة و بعدها واحدة لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع و بعده إذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روى أن ممشادا الدينوري أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم و بواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم و بعضهم نقل عنه ترك السماع و يظن انه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه و بعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه و بعضهم تركه لفقد الاخوان * قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من ﴿الادب الرابع﴾ أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراآة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ (١) وهم يزفنون هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة (٢) لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال ﷺ لعلي أنت مني وأنا منك فحجل علي وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل زيد وراء حجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده و يؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر وأهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاقتداء به وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره إذ يكون له في الحركة أو التمزيق متنفس فيضطر إليه

(١) حديث نظر عائشة الى رقص الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل الحديث أبو داود من حديث علي باسناد حسن وهو عند البخاري

وقد روى من حال رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد المقرى قال أنا جعفر بن الحكاك المكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا اسحق الدبري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد و يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى

اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى أن يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدرى فروجع فيه واستبعد أن ينتهى الى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع ومعناه انه فى بعض الاحوال قد ينتهى الى هذا الحد فى بعض الاشخاص فان قلت فما تقول فى تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا و يفرقونها على القوم و يسمونها الخرقة فاعلم أن ذلك مباح اذا قطع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة و يعطيها المائة مسكين ولكن ينبغى أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها فى الرقاع وانما منعنا فى السماع التمزيق المفسد للثوب الذى يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار ﴿الادب الخامس﴾ موافقة القوم فى القيام اذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته أو خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة فى هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من (١) مخالقة الناس بأخلاقهم كما ورد فى الخبر لا سيما اذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن فى الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة رضى الله عنهم وانما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النهى عن شئ من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضى الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ (٢) فى بعض الاحوال كما رواه أنس رضى الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا فى البلاد التى جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان المقصود منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر أنواع المساعدات اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل ومن الادب أن لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذى يلوح للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد * فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص و يسبق الى الاوهام انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد فى الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ وقد رأى الحبشة يزفنون فى المسجد وما أنكره لما كان فى وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لذوى المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيرا شيأ فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا فى تواريخ الاخبار من جملة مساويه و يعير به أعقابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه

جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالى وأخبرها الخبر فقال قد خشيت على عقلى فقالت كلا أبشر فوالله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل

دون بخل (١) حديث مخالقة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبى ذر خالقوا الناس بأخلاقهم الحديث قال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله ﷺ فى بعض الاحوال كما رواه أنس تقدم فى آداب الصحبة

أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات ومباحات العوام سيآت الابرار وحسنات الابرار سيآت المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب وأما اذا نظر اليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لا تحريم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله

﴿ كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده * ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده * والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده * وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده ﴿ أما بعد ﴾ فان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الاعظم فى الدين * وهو المهم الذى ابتعث الله النبيين أجمعين * ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوّة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد * واتسع الخرق وخربت البلاد * وهلك العباد * ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد * وقد كان الذى خفنا أن يكون * فانا لله وانا اليه راجعون * اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه * وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه * فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم * وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم * فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا فى احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمان الى اماتتها * ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها * وها نحن نشرح علمه فى أربعة أبواب ﴿ الباب الأوّل ﴾ فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته ﴿ الباب الثانى ﴾ فى أركانه وشروطه ﴿ الباب الثالث ﴾ فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات ﴿ الباب الرابع ﴾ فى أمر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

﴿ الباب الأوّل * فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى اهماله واضاعته ﴾

ويدل على ذلك بعد اجماع الأمة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار ﴿ أما الآيات ﴾ فقوله تعالى ـ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ـ ففى الآية بيان الايجاب فان قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به اذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه اذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة فاذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ـ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ـ يؤمنون

الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة رضى الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة ياعم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره الخبر رسول الله ﷺ فقال لرسول الله ﷺ هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال

بالله واليوم والآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهدلهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف اليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى ـ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة ـ فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر فالذى هجر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية وقال تعالى ـ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر وقال عزوجل كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى ـ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ـ فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء و يدل ذلك على الوجوب أيضا * وقال تعالى ـ الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ـ فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى ـ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى ـ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ـ فبين أنهم أثموا بترك النهى وقال تعالى ـ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض ـ الآية فبين أنه أهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ـ وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى ـ لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ـ وقال تعالى ـ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ـ الآية والاصلاح نهى عن البغى واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله وذلك هو النهى عن المنكر ﴿وأما الاخبار﴾ فمنها ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها (١) أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ـ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ـ وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله ﷺ (٢) عن تفسير قوله تعالى ـ لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ـ فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يارسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله ﷺ (٣) لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم

---

(١) حديث أبى بكر أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الحديث أصحاب السنن وتقدم فى العزلة (٢) حديث أبى ثعلبة أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى ـ لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ـ الحديث أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم

رسول الله ﷺ أو مخرجي هم قال ورقة نعم انه لم يأت أحد قط بما جئت به الا عودى وأوذى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا * وحدث جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى والرجز فاهجر * وقد نقل أن رسول الله ﷺ ذهب مرارا كى يردى نفسه من شواهق الجبال فكلما وافى

من أعين الاشرار فلايخافونهم وقال ﷺ (١) ياأيها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر قبل أن تدعوا فلايستجاب لكم وقال ﷺ (٢) ماأعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله الا كنفثة فى بحر لجى وماجميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٣) ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال ﷺ (٤) اياكم والجلوس على الطرقات قالوا مالنا بد انماهى مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا أبيتم الاذلك فأعطوا الطريق حقها قالوا وماحق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال ﷺ (٥) كلام ابن آدم كله عليه لاله الاأمرا بمعروف أونهيا عن منكر أوذكر الله تعالى وقال ﷺ (٦) ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلاينكرونه وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ (٧) انه قال كيف أنتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون قالوا وماأشد منه يارسول الله قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون قالوا وماأشد منه قال كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون قالوا وماأشد منه قال كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (٨) لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولاتقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه قال وقال رسول الله ﷺ (٩) لاينبغى لامرئ شهد مقامافيه حق الاتكلم

البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذى من حديث حذيفة نحوه الاأنه قال أوليوشكن الله يبعث عليكم عقابامنه ثم تدعونه فلايستجيب لكم قال هذا حديث حسن (١) حديث ياأيها الناس ان الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوافلايستجاب لكم أحمدوالبيهقى من حديث عائشة بلفظ مروا وانهوا وهو عند ابن ماجه دون عزوه الى كلام الله تعالى وفى اسناده لين (٢) حديث ماأعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله الا كنفثة فى بحر لجى ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الاول من حديث جابر باسناد ضعيف وأما الشطر الاخير فرواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أومعضلا ولاأدرى من يحيى بن عطاء
(٣) حديث ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم
(٤) حديث اياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبى سعيد (٥) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله الا أمرا بمعروف الحديث تقدم فى العلم (٦) حديث ان الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر الحديث أحمد من حديث عدى بن عميرة وفيه من لم يسم والطبرانى من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه (٧) حديث أبى أمامة كيف بكم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك كائن يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون قالوا وماأشد منه قال كيف أنتم اذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر الحديث ابن أبى الدنيا باسناد ضعيف دون قوله كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة مقتصرا على الاسئلة الثلاثة الاول وأجوبتها دون الأخيرين واسناده ضعيف (٨) حديث عكرمة عن ابن عباس لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى فى شعب الايمان بسند حسن
(٩) حديث لاينبغى لامرئ شهد مقامافيه حق الاتكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقاهوله البيهقى فى الشعب

ذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبرائيل عليه السلام فقال يامحمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه واذا طالت عليه فترة الوحى عاد لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الاخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الاصل فى ايثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين فانهم اذا أخلصوا لله تعالى فى خلواتهم يفتح الله عليهم مايؤنسهم فى خلواتهم تعويضا من الله اياهم عما تركوا لاجله ثم خلوة القوم مستمرة وانما الاربعون واستكمالها له أثر ظاهر فى ظهور مبادى بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنية

وقد غلط في طريق الخلوة والاربعينية قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا من الغرور ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالاخلاص وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس واخلاص العمل لله تعالى ﴿نقل﴾ عن أبي عمرو الانماطي أنه قال لن يصفو للعاقل فهم الأخبار الا باحكامه ما يجب

به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هوله وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ماساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم الا بمثل مانزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ماجعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ماهم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبي وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (١) من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (٢) مابعث الله عزوجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين أظهرهم ماشاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله و بأمره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله و بأمره و بسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون مايعرفون و يعملون ماينكرون فاذا رأيتم ذلك حق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون فقام أحدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم و يخبرهم بقبيح مايصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما قيل يارسول (٣) أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ (٤) أوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ (٥) عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا

من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق اذا علمه (١) حديث أبي هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها رواه ابن عدي وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود مابعث الله عزوجل نبيا الا وله حواري الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله البزار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله الى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب ان فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء

يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن أبيه قال قال موسى ﷺ يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يتسرع الى هواى كما يتسرع النسر الى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب اذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله (١) هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ نعم ياأبابكر ان لله تعالى مجاهدين فى الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الارض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ومن هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال والذى نفسى بيده ان العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما نظر الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت يارسول الله (٢) أى الشهداء أكرم على الله عزوجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لايجرى عليه بعد ذلك وان عاش ماعاش وقال الحسن البصرى رحمه الله قال رسول الله ﷺ (٣) أفضل شهداء أمتى رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ (٤) يقول بئس القوم قوم لايأمرون بالقسط و بأس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر ﴿أما الاثار﴾ فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم و يدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم * وسئل حذيفة رضى الله عنه عن ميت الأحياء فقال الذى لاينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من أحبار بنى اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض

لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن ابراهيم بن عمر الصنعانى أوحى الله الى يوشع بن نون انى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم (١) حديث أبى ذر قال أبو بكر يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين قال نعم ياأبا بكر ان لله تعالى مجاهدين فى الارض افضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه فقال هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر (٢) حديث أبى عبيدة قلت يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث البزار مقتصرا على هذا دون قوله فان لم يقتله الى آخره وهذه الزيادة منكرة وفيه أبو الحسن غير مشهور لايعرف (٣) حديث الحسن البصرى مرسلا أفضل شهداء أمتى رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن وللحاكم فى المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله (٤) حديث عمر بئس القوم قوم لايأمرون بالقسط و بئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار اليه أبو منصور الديلمى بقوله وفى الباب ورواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا

عليه من اصلاح الحال الأول والمواطن التى ينبغى أن يعرف منها أمزداد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكى لايعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريده ﴿أنبأنا﴾ طاهر بن أبى الفضل اجازة عن أبى بكر بن خلف اجازة قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أباتميم المغربى يقول من اختار الخلوة على الصحبة فينبغى أن يكون خاليا من جميع الافكار الا ذكر ربه عز وجل وخاليا من جميع المرادات الا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة أو بلية ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر

بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يابني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى الى نبي زمانه أن أخبر فلانا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يابني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا أخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم فقال أرهب ان تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت أن آثم وهذا يدل على ان من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شئ من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه أنه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل ألا تأمر وتنهى فقال ان قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا وقيل للثوري ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الادلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه

﴿ الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه ﴾

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط

﴿ الركن الاول المحتسب ﴾

وله شروط وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة * فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما أطرحناه ﴿ أما الشرط الأول ﴾ وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال أسبابه وسلب أسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر ﴿ وأما الشرط الثاني ﴾ وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له ﴿ وأما الشرط الثالث ﴾ وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون

اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد ابن حامد يقول جاء رجل الى زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال فظن أنه على حسن الحال فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع

وبما روى عن رسول الله ﷺ (١) أنه قال مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ﷺ عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وكل ماذكروه خيالات وانما الحق أن للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو أن نقول هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء عليهم السلام قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شئ لم يأمر أحد بشئ فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فإن قالوا لا خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله ﷺ ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بأن كل مقدم على شئ فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد ان يمنع الزانى من الشرب بل من أين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما ان أعصى الله تعالى بالثانى وإذا كان النهى واجبا على فمن أين يسقط وجوبه بإقدامى إذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهى فإن قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وان لم أصل وأتسحر وان لم أصم لان المستحب لى السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما فإن قيل فيلزم على هذا ان يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم وها أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فإنا نقول قوله لها فى تلك الحالة لا تكشفى وجهك واجب أو مباح أو حرام فإن قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهى عن المعصية حق وان قلتم انه مباح فإذا له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على

الهم لها تأثير فى صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد فى الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء فى النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق

(١) حديث مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث تقدم فى العلم

الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأمانفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين * أحدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى مالا يعنى فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة و يشهد بالزور لان الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التى هى اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد فى النفوس لايدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب أوأكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره فى الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله عن الاقل بالاكثر مستنكر فى الطبع من حيث انه ترك الاكثر لامن حيث انه أتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع و يرى مسيئا إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لايدل على أن حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة * الثانى ان الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ولاينجع وعظ من لايتعظ أوّلا ونحن نقول من علم أن قوله لايقبل فى الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذ لافائدة فى وعظه فالفسق يؤثر فى اسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا و إذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لايخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين و يهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولايخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لايتعظ و إذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى إلى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى ان أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلايشترط فيها ذلك فلاحرج على الفاسق فى اراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف فى المسئلة وأما الآيات التى استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشد لانه لاعذر له مع قوّة علمه وقوله تعالى لم تقولون مالاتفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل وتنسون أنفسكم انكار من حيث انهم نسوا أنفسهم لامن حيث انهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو فى الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحى منى لايدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحى منى فلاتترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك والافاستحى *فان قيل فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزنى لأن قوله لاتزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغى أن يكون مباحا أوواجبا *قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وماجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وأما مجرد قوله لاتزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهى عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لامن الكافر الذى هو أولى بالذل منه فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة و إلا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لاتزن من حيث انه نهى بل نقول انه إذا لم يقل لاتزن يعاقب عليه ان رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات ولايليق بغرضنا الآن ﴿ الشرط الرابع ﴾ كونه مأذونا من جهة الامام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التى أوردناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من

الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن انه فاز بالمقصود ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم ان الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شئ من خوارق العادات وصدق الفراسة و يتبين ماسيحدث فى المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولايقدح فى حالهم عدم ذلك وانما يقدح فى حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد ايقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد فى الدنيا والتخلق

الامام تحكم لا أصل له والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم اذا جاؤا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم ان نصرتكم أمر بالمعروف وأستخرج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وماهذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل فى الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الولى وصاحب الامر فنقول أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف فى أن تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالى وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى * وشرح القول فى هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى اولها التعريف والثانى الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول ياجاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجرى هذا المجرى والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهى واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك الى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام وأما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجرى مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد فى الحديث (١) فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهى واراقة الخمور فانه تعاطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام وأما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتى واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف فى الانكار على الائمة كما روى (٢) أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروى أن المهدى لما قدم مكة لبث بها ماشاء الله فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال أعبد الله بن مرزوق قال نعم فأخذ فجىء به الى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى إصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صيروه الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى (٢) حديث ان مروان خطب قبل الصلاة فى العيد الحديث وفيه حديث أبى سعيد مرفوعا من رأى منكر الحديث رواه مسلم

بالاخلاق الجيدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع بصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم ان العبد اذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد فى الخلوة

فاوذن به المهدى فقال له من أخرجك فقال الذى حبسنى فضج المهدى وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أوموتا فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها وروى عن حبان بن عبدالله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبى جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال لها ماشأنك فقالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الارض فأخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبى جعفر ماهذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به فى الدجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء أى شئ ترون نرفع ماقدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائى الليلة قال نحن نعشيك قال لاحاجة لى فى عشائكم فقال هرون للخادم أى شئ تريد منه قال فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لايطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون ياشيخ ماحملك على ماصنعت قال وأى شئ صنعت وجعل هرون يستحى أن يقول كسرت عودى فلما أكثر عليه قال انى سمعت أباك وأجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ـ وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ماقال الا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيأ وان رأيته لايكلم أحدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث أخذها ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الارض وهو يقول

أرى الدنيا لمن هى فى يديه * هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

وعن سفيان الثورى رحمه الله قال حج المهدى فى سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمى جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت ياحسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبدالله الكلابى قال رأيت رسول الله ﷺ (١) يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولااليك اليك وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثورى فقال ياسفيان لو كان المنصور مااحتملك على هذا فقال لو أخبرك المنصور بما لقى لقصرت عما أنت فيه قال فقيل له انه قال لك ياحسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روى عن المأمون انه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس

(١) حديث قدامة بن عبدالله رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لاضرب ولاطرد ولاجلد ولااليك اليك الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأما قوله فى أوله ان الثورى قال حج المهدى سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثورى توفى سنة احدى وستين

أربعين يوما أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم رأى قلبى ربى وقد يصل الى هذا المقام تارة باحياء الاوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الاوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الاوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مبادأة من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الاذكار لانه لايزال يردد ذلك الذكر ويقوله وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لايتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولايزال يردد ذلك الذكر ملتزما به حتى فى

يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ماشئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف الآية وقال رسول الله ﷺ (١) المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه أمرك و بيده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت فاعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن * فان قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق * فاعلم أن الذي نراه انه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده و يريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير و يرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن ادرار رزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه معينا و يبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته و يكسر أواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به و يسخط بسببه الا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر * فان قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما النهي عن التأفيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم اذ لا خلاف (٢) في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن

(١) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (٢) الاخبار الواردة في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولا أن يباشر اقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع * قلت لم أجد فيه الاحديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب

طريق الوضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه واختار جماعة من المشايخ من الذكر كلمة لا إله الا الله وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهي من مواهب الحق لهذه الامة وفيها خاصية لهذه الامة فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين املاء قال أنا أبو القاسم الدمشقي الحافظ قال أنا عبد الكريم بن الحسين قال أنا عبد الوهاب الدمشقي قال أنا محمد بن خريم قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم قال أنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال رب انبئني عن هذه الامة المرحومة قال أمة محمد عليه

يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجرى في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر (١) انه لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالامر فيها أشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على أخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه (٢) كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه أيضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما أخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروى انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه ﴿الشرط الخامس﴾ كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فان لم تستطيعوا الا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا * واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين أحدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه * الحالة الثانية أن ينتفي المعنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة * الحالة الثالثة أن يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين * الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع اليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف ويدل عليه أيضا ما روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت اني أقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير اخلاص في الفعل * فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة * قلنا لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على

(١) حديث لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٢) حديث النهي عن الانكار على السلطان جهرة بحيث يؤدي الى خرق هيبته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان قبلها قبلها والا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الاسناد وللترمذي وحسنه من حديث أبي بكرة من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض

الصلاة والسلام علماء أخفياء أتقياء حلماء أصفياء حكماء كانهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا اله الا الله ياعيسى هم أكثر سكان الجنة لانها لم تذل ألسن قوم قط بلا اله الا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ان هذه الآية مكتوبة في التوراة يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن

صف الكفار و يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك و إذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك فى الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وانما جاز له الاقدام إذا علم انه يقاتل إلى أن يقتل أو علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر أو فى كسر جاه الفاسق أو فى تقوية قلوب أهل الدين وأما ان رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف و بيده قدح وعلم انه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب أن يؤثر فى الدين أثرا و يفديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغى أن يكون حراما وانما يستحب له الانكار إذا قدر على ابطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضى ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة فى شئ بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك و يحتمل أن يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذى تفضى إليه الحسبة والتغيير فانه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح انسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة فى محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده فى ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامى ينبغى له أن لا يحتسب إلا فى الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالاضافة إلى ما يطيف به من الافعال و يفتقر فيه إلى اجتهاد فالعامى ان خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالى إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدى ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله فان قيل وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو انه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقينى على الظن و يفرق بين العلم والظن فى مواضع أخر وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه والاظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن انما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الامر ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغى أن لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذى تتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه أم يجب فى كل حال إلا إذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب أنه لا يصاب وجب

يعفو و يصفح ولن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بان يقولوا لا إله إلا الله و يفتحوا أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها فى القلب عن حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يقشر بها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجوهر فى القلب و بتجوهرها يستكن نور اليقين فى القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى و يصير

ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن فى كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال انه انما يجب عليه إذا علم أنه لاضرر فيه عليه أوظن أنه لاضرر عليه والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو إفراط فان من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لايتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله وقد لايتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الاقدام بسبب ضعف قلبه مايفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بازالة علته وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا إذ المبتدئ فى المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعد الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لايجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر فى وجوب الحسبة * فان قيل فالمكروه المتوقع ماحده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه فى حقه بالغيبة ومامن شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به * قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع إلى أربعة أمور * أما فى النفس فالعلم * وأما فى البدن فالصحة والسلامة * وأما فى المال فالثروة * وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة إلى الاغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الاغراض وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه فى ربع المهلكات وكل واحدة من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره فى هذه الاربعة أمران أحدهما زوال ماهو حاصل موجود والآخر امتناع ماهو منتظر مفقود أعنى اندفاع مايتوقع وجوده فلاضرر إلا فى فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات امكانه كأنه فوات حصوله فرجع المكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لاينبغى أن يكون مرخصا فى ترك الامر بالمعروف أصلا * ولنذكر مثاله فى المطالب الاربعة * أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه * وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة * وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع ادراره فى المستقبل ويترك مواساته * وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة من أن لايحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط

الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة أعنى ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الاقصى من الخلوة وقد يحصل هذا من الخلوة لابذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطأة القلب مع اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام فى القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام فى القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه

وجوب الحسبة لان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شئ الاماتدعو اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخره شدة الضنا به وطول المرض وقد يفضي الى الموت وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد أن يرخص في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا ولا قدرة له على الرحلة الى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام أومات جوعا فهذا أيضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الامور كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير حق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه انه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر أو فلتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد * وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر وأما الثروة فهو بأن يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب لكلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا لو خاف أن يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والبهتان واما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير

وتعالى ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفا باطنه قد يغيب في الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم وقد تتجلى له الحقائق في لبسة الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال كمن رأى في المنام انه قتل حية فيقول له المعبر تظفر بالعدو فظفره بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به وهذا الظفر روح مجرد صاغ ملك الرؤيا له جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من

حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه اليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة المعصية وان علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لان غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له * وأما امتناعه لخوف شئ من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه لان تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له أن يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره فاذا ينبغى أن يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضى الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم أيضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدى ذلك الى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذى له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه بانتقام منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى أقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم أذى فى مال أو نفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب وقدحه فى العرض * فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدى الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفى اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا قلنا يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله فى الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتى على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية وقتله فى الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصى فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغى أن نقتله فى الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه فى حال مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتى على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة أحوال احداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية أفحش منها أو مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقعا كالذى يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى اليها ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على أبواب حمامات النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية وان كان مقصد العاصى وراءه كما أن الخلوة بالاجنبية فى نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعنى بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة

الركن

نفس الرائى فى المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر الى التعبير اذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج الى التعبير فكان يرى الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة فى المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا ينبنى على ذلك ولا يلتفت اليه فليس ذلك واقعة وانما هو خيال فاما اذا غاب الصادق فيه ذكر الله تعالى حتى يغيب عن

﴿ الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة ﴾

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها ﴿ الأول كونه منكرا ﴾ ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر أعم من المعصية اذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره و يمنعه وكذا ان رأى مجنونا يزني بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر و يجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة ﴿الشرط الثاني أن يكون موجودا في الحال﴾ وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ وان أنكر عزمه عليه لم يجز وعظا أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه ﴿الشرط الثالث أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس﴾ فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فيه فأشار علي رضي الله عنه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها* فان قلت فما حد الظهور والاستتار * فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا اذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فاذا فاحت روائح الخمر فان احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر اذ الفاسق محتاج أيضا الى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وانه لو كان حلالا لما أخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما تكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فاذا انما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب اذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس

المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله تعالى واما يفسره له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لانه كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر أولا ثم الاستغراق في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله جعله مما يكاشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة تحكم بالزهد والتقوى وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا

ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا * الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ماهو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه فى دار أخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولى ويطأ زوجته فهذا فى محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذى أدى اجتهاده فى التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو انه يجوز للحنفى أن يعترض على الشافعى اذا نكح بغير ولى بان يقول له الفعل فى نفسه حق ولكن لا فى حقك فأنت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعى ومخالفة ماهو صواب عندك معصية فى حقك وان كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى اذا شاركه فى أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لانه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه اياها فى صغره ولكنه ليس يدرى ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته فهو فى الاقدام مع اعتقاده انها أجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة فينبغى أن يمنعها عنه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال فى علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك فى انه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع أعنى باللسان لان ذلك زنا الا أن الزانى غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ماليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى وان الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما أفتينا فيها بحسب ماترجح عندنا فى الحال ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها ان رأى انه لا يجرى الاحتساب الا فى معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير ومايقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد اذ بعيد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لاجل ظن غيره لان الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به * فان قلت اذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لانه يرى انه حق فينبغى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله ان الله لا يرى وقوله وان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى فى قوله ان الله تعالى جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغى أن يعترض على الفلسفى فى قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم الى ماقالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق * فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل

خالف

واخبار من الله تعالى اياه ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لا من باطنه كالهواتف يعلم بذلك أمرا يريد الله احداثه له أو لغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيدا ليقينه أو يرى فى المنام حقيقة الشئ ﴿ نقل ﴾ عن بعضهم انه أتى بشراب فى قدح فوضعه من يده وقال قد حدث فى العالم حدث ولا أشرب هذا دون أن أعلم ماهو فانكشف له ان قوما دخلوا مكة وقتلوا فيها ﴿ وحكى ﴾ عن أبى سليمان الخواص قال كنت راكبا حمارا لى يوما وكان يؤذيه الذباب فيطأطئ رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدى فرفع الحمار رأسه الى وقال اضرب

خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولى ومسئلة شفعة الجوار ونظائرهما فاعلم أن المسائل تنقسم الى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الافعال فى الحل والحرمة وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لم يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لخطئه الذى هو جهل محض وجه فاذا البدع كلها ينبغى أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون أن ذلك حق لان خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت على القدرى فى قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك الشر من الله وكذلك فى قولك ان الله يرى وفى سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعى انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم أنا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم أهل البلد الى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى المذاهب الا بنصب السلطان فاذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبغى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيها ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق أو ان الله لا يرى أو انه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط

﴿الركن الثالث المحتسب عليه﴾

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا وأقل ما يكفى فى ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التى بها يتهيأ توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل * فان قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة * فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبى عن شرب الخمر والانسان اذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين أحدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثانى حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من اناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبى لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون

فانك على رأسك تضرب قيل له يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعتنى ﴿وحكى﴾ عن أحمد بن عطاء الروذبارى قال كان لى مذهب فى أمر الطهارة فكنت ليلة من الليالى أستنجى الى أن مضى ثلث الليل ولم يطلب قلبى فتضجرت فبكيت وقلت يارب العفو فسمعت صوتا ولم أر أحدا يقول يا أبا عبد الله العفو فى العلم وقد يكاشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وايمانه ﴿قيل﴾ كان عند جعفر الخلدى رحمه الله فص له قيمة وكان يوما من الايام راكبا فى السمارية فى دجلة فهم أن يعطى الملاح قطعة وحل الخرقة فوقع الفص فى الدجلة

فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث * فان قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى أن يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير * فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا أكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف ولا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا احداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال ان كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط أيضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله فان كانت ذهبا أو ثوبا أو شيأ لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة أخرى الا أن يتبرع به فاذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة وأداء الامانة وان كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج الى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل

وكان عنده دعاء للضالة مجرب وكان يدعو به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها * والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي ﴿وسمعت﴾ شيخنا بهمذان حكى له شخص انه كوشف في بعض خلواته بولده في جيحون كاد يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همذان وولده بجيحون فلما قدم الولد أخبر انه كاد يسقط في الماء فسمع صوت والده فلم يسقط ﴿وقال عمر﴾ رضي الله عنه ياسارية الجبل على المنبر بالمدينة وسارية بنهاوند فاخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقيل لسارية كيف علمت ذلك فقال

﴿الركن الرابع نفس الاحتساب﴾

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود ﴿أما الدرجة الاولى﴾ وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره أو بان في داره خمرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وان أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى أن يمتنع لان له حقا في أن لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت ﴿الدرجة الثانية﴾ التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بان هذه ليست بصلاة ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب إلى الجهل بالامور لاسيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلابد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا ﴿الدرجة الثالثة﴾ النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فانها مهلكة وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التمييز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور

سمعت صوت عمر وهو يقول يا سارية الجبل * سئل ابن سالم وكان قد قال للايمان أربعة أركان ركن منه الايمان بالقدرة وركن منه الايمان بالحكمة وركن منه التبري من الحول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبد بالمشرق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه وحكي لي فقير انه كان بمكة وأرجف على شخص ببغداد أنه قد مات فكاشفه الله بالرجل وهو راكب يمشي في سوق بغداد فأخبر اخوانه ان

للشيطان يتدلى بحبله كل انسان إلا من عرّفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني وقيل لداود الطائي رحمه الله أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال انه يقوى عليه قال أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب ﴿الدرجة الرابعة﴾ السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال [1] الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والإزدراء بمحله لأجل معصيته وان علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الانكار له ﴿الدرجة الخامسة﴾ التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة أدبان أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر على أن يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير الى حالة تحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلا بينه وبين

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص انه في تلك الحالة التي كوشف بالشخص راكبا قال رأيته في السوق وأنا أسمع بأذني صوت المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها قوم وتعطى وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شئ من هذا لأن هذه كلها تقوية اليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له إلى شئ من هذه فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجود ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية للمريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا يجذبون به الى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض منهم بذلك ساكن

الوصول الى اراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فى زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان * فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل فى الاخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر * فاعلم أن الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضى والدفع على الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالى له أن يفعل ذلك اذا رأى المصلحة فيه * وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا (١) وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا رأى الوالى باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية * فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون واحراق أموالهم التى بها يتوصلون الى المعاصى * فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الاوانى بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين أحدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها ﴿ الدرجة السادسة ﴾ التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب اذا أمكن تقديمه والادب فى هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لاسبين زوجتك وما يجرى مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد فى الوعيد على ما هو فى عزمه الباطن اذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل فى اصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى أشار بعض الناس انه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وانما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك اذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام ﴿ الدرجة السابعة ﴾ مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه

---

(١) حديث تكسير الظروف التى فيها الخمور فى زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذى من حديث أبى طلحة انه قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه ليث ابن أبى سليم والاصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس ان أبا طلحة كان عندى قاله الترمذى

عزمهم لعمارتهم الأوقات بالقربات فيتروّحون بذلك ويروقون لطريقة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع اجابة وأسهل انقيادا وأتم استعدادا والاولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم ما استتر وقد لا يمنع صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك فى حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا فى مقار الطرد والبعد ابقاء لهم فيما أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شئ يفتح له ويعلم انه لو مشى على الماء والهواء لا ينفعه ذلك حتى يؤدى حق التقوى

الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعى التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح و بالجرح فله أن يتعاطى ذلك مالم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه و بينه و بين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه و يقول له خل عنها أو لأرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى و ينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه و يراعى فيه التدريج وكذلك يسل سيفه و يقول اترك هذا المنكر أو لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لا للآحاد ﴿ الدرجة الثامنة ﴾ أن لا يقدر عليه بنفسه و يحتاج فيه الى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه و يؤدى ذلك الى أن يتقابل الصفان و يتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدى الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر الى ثوان والثوانى الى ثوالث وقد ينتهى لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغى أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود فى رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا و يقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد جائز لان الكافر لا بأس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الأمر الى هذا من النوادر فى الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده و بسلاحه و بنفسه وبأعوانه فالمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق

﴿ بيان آداب المحتسب ﴾

قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب العلم والورع وحسن الخلق * أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه * والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب و يورث ذلك جراءة عليه * وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب و به يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله والا فاذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات و بها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله ﷺ (١) لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به و ينهى عنه وكذا الحلم قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل

لا تلم المرء على فعله * وأنت منسوب الى مثله

---

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث لم أجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف

والزهد فأما من تعوق بخيال أو قنع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور و يخرج بالغرور فيرفض العبادات و يستحقرها و يسلبه الله تعالى لذة المعاملة وتذهب عن قلبه هيبة الشرع فيفتضح فى الدنيا والآخرة فليعلم الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة ادامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات و يصلح لقوم ملازمة ذكر واحد و يصلح لقوم دوام المراقبة و يصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الأوراد ولقوم الانتقال من الأوراد الى الذكر ومعرفة مقادير ذلك

من

من ذم شيأ وأتى مثله * فانما يزرى على عقله

ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس فقد روى عن أنس رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله (١) لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال ان أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك * ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روى عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيأ من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطينك بعد هذا شيأ لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم صدقت التوراة وكذب أبو مسلم * ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم فقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم (٢) فقال يانبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة والسلام أتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم أتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لاختك وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شئ أبغض اليه منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما أخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان ياأبا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل ازاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال ياابن أخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك ياعم قال أحب أن ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال الي ياابن أخي فاستحى الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه

(١) حديث أنس قلنا يارسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه (٢) حديث أبي أمامة ان شابا قال يارسول الله ائذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح

يعلمه المصحوب للشيخ المطلع على اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نصحه للامة وشفقته على الكافة يريد المريد لله لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع ومن كان محبا للاستتباع فما يفسده مثل هذا أكثر مما يصلحه

{ الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الاربعينية }

روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليلة حتى أتاه الغفران من ربه وقد تقرر ان الوحدة والعزلة ملاك الامر ومتمسك أرباب الصدق فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الاسلم لدينه فان لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالاهل والاولاد ثانيا

ولاندعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكرله ماجرى فاستحيامنه و بكى وهم بالانصراف فقال الغلام قدأمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أماترى من ولدك فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسارأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أني لاأعود لشرب النبيذ ولا لشئ مما كنت فيه وأناتائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال أحسنت يابني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ماتطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لايدنو منه أحد الاعقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده اذمر بشر بن الحرث فدنامنه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الارض ومشى بشر فدنوامن الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ماحالك فقال ماأدري ولكني حاكني شيخ وقال لي ان الله عزوجل ناظر اليك والى ماتعمل فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولاأدري من ذلك الرجل فقالوا له هو بشر ابن الحرث فقال واسوأتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنافيها آثاراوأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلانطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه

﴿ الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات ﴾

فنشير الى جمل منها ليستدل بها على أمثالها اذلامطمع في حصرها واستقصائها * فمن ذلك

﴿ منكرات المساجد ﴾

اعلم أن المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذاقلنا هذامنكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الااذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لايعرفه واذاقلنا منكر محظور أوقلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا * فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه الاعند الحنفي الذي يعتقد أن ذلك لايمنع صحة الصلاة اذلاينفع النهي معه ومن رأى مسيئا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر و في الخبر مايدل عليه اذورد في الغيبة (١) أن المستمع شريك القائل وكذلك كل مايقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لايراها أوانحراف عن القبلة بسبب ظلام أوعمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع أكثرأوقاته في أمثال ذلك و يشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا أوعن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذرله فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لايطاوعه اللسان فان كان أكثر مايقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلابأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لايسمع غيره ولمنعه سرا منه أيضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في

﴿ الباب الثالث في المنكرات المألوفة ﴾

(١) حديث المغتاب والمستمع شريكان في الاثم تقدم في الصوم

فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا ﴿ نقل ﴾ عن سفيان الثوري فيماروى أحمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه أنه قال كان يقال ما أخلص عبد لله أربعين صباحا الا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه وزهده الله في الدنيا ورغبه في الآخرة و بصره داء الدنيا ودواءها فيتعاهد العبد نفسه في كل سنة مرة وأما المريد الطالب اذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الامر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه و يغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة و يصلي ركعتين و يتوب الى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع و يسوى بين السريرة العلانية ولاينطوي على غل

الجيعلتين أوانفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف الى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه في صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات أيضا تكثير الاذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه اذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف * ومنها أن يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الابريسم أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ومن قال انه مكروه و بدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب * ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة و بعفو الله و برحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر و يجب منعه عنه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف أحوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح و يتبين ذلك منه بقرائن أحواله بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال و يجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات و يجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله ﷺ (١) ما أحدثن بعده لمنعهن وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الاولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن و يجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف * ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وانشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد و يجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام * ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة و بيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم الا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين و يشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شئ من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فان اتخاذ المسجد

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن أي النساء من بعده لمنعهن المساجد متفق عليه

وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج الا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا ألبتة فترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم اصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر ارسال الطرف الى ما يرى ولا يصغي الى ما يسمع لان القوة الحافظة والمتخيلة كاللوح ينتقش بكل مرئي ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس.

دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات مايباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب مايكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لوفتح بابه لخيف منه أن ينجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالى أو الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه أن ذلك يكثر * ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد ولا بأس بدخول الصبى المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه إلا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ماروى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت الى الحبشة يزفنون و يلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ولاشك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يابنى أرفدة كما نقلناه فى كتاب السماع وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش أو تعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره وأما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف أعنى القىء أو الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل (٧) فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر أشد فان قال قائل ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغى أن يلزم القعود فى المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره أو شهادة شاهدين فاما لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار أثر السكر فان اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس فى موضع الخمر و بوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغى أن يعول عليه

﴿ منكرات الاسواق ﴾

من المنكرات المعتادة فى الاسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه والا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه الى الوالى حتى يغيره * ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة * ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الاوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أعنى التى لا تصلح الا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو ومايؤدى الى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه مالم نذكره

(٧) هذا الحديث لم يخرجه العراقى وقد خرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما

والخيال ويجتهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام فاذا سلم الامام وانصرف ينصرف الى خلوته ويتقى فى خروجه استجلاء نظر الخلق اليه وعلمهم بجلوسه فى خلوته فقد قيل لاتطمع فى المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وهذا أصل ينفسد به كثير من الاعمال اذا أهمل وينصلح به كثير من الاحوال اذا اعتبر ويكون فى خلوته جاعلا وقته شيأ واحدا وهو بالله بادامة فعل الرضا اماتلاوة أو ذكرا أو صلاة أو مراقبة وأى وقت فتر عن هذه الاقسام ينام فان أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيأ فشيأ وان أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ماعلى قلبه

﴿منكرات الشوارع﴾

فن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات و بناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب وأحمال الحبوب والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يؤدى الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤدّ الى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الاطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق و ينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد أن يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لاجلها فى العادة دون سائر الحاجات * ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق أو أمكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة أهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب اذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت و يلوث الطريق بالدم فانه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا فان فى ذلك تضييقا بالطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة و بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذى الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع

﴿منكرات الحمامات﴾

منها الصور التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة و يكفيه أن يشوه وجهها و يبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان * ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها * ومنها الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الأفخاذ والاعجاز فهذا مكروه ان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام الذمى من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال * ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية و يجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول له انا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها فى الماء وأما أنت فمستغن عن ايذائى وتفويت الطهارة على وما يجرى مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر * ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر و يجب قلعه وازالته و ينكر على الحمامى اهماله فانه يفضى

من هذه الاقسام فاذا فتر عن ذلك ينام وان أراد أن يبقى فى سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعل و يلازم فى خلوته ادامة الوضوء ولا ينام الا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره واذا كان ذاكرا لكلمة لا إله إلا الله وسئمت النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله اذا قلت لا إله إلا الله مد الكلمة وانظر الى قدم الحق فاثبته وأبطل ما سواه وليعلم أن الامر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دائم التلازم بفعل الرضا * وأما قوت من فى الاربعينية والخلوة فالاولى أن يقتنع بالخبز والملح و يتناول

الى السقطة وقد تؤدى السقطة الى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه و بين الحمامى اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه فى اليوم الأول وعلى الحمامى فى اليوم الثانى اذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع فى مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هناك

﴿ منكرات الضيافة ﴾

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة أو ما رؤسها من فضة * ومنها اسدال الستور وعليها الصور * ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات * ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع لا الأوانى المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق وانما النظر فى مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه فى الله ومقاطعته كما ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبى غير بالغ فهذا فى محل النظر والصحيح أن ذلك منكر و يجب نزعه عنه ان كان مميزا لعموم قوله عليه السلام (١) هذان حرام على ذكور أمتى وكما يجب منع الصبى من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر فى صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ أما الصبى الذى لا يميز فيضعف معنى التحريم فى حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون فى معنى الصبى الذى لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا أرى رخصة فى تثقيب أذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل فى التقريط بتعليقه على الاذن وفى المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والأجرة المأخوذة عليه حرام الا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة * ومنها أن يكون فى الضيافة مبتدع يتكلم فى بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه فى باب البغض فى الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعنى ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتى حد المزاح المباح

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتى أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وقد تقدم فى الباب الرابع من آداب الأكل

كل ليلة رطلا واحدا بالبغدادى يتناوله بعد العشاء الآخرة وان قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل واحيائه بالذكر والصلاة وان أراد تأخير فطوره الى السحر فليفعل وان لم يصبر على ترك الادام يتناول الادام وان كان الادام شيأ يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك وان أراد التقلل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهى تقلله فى العشر الاخير من الاربعين الى نصف رطل وان قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الاربعين ونقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره الى ربع رطل فى

والكذب المباح فى كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات * ومنها الاسراف فى الطعام والبناء فهو منكر بل فى المال منكران أحدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلافائدة يعتدبها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال فى البحر وفى معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفى أنواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة وأما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الامائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولامعيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ــ ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ــ نزل هذا فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيأ لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شئ وقال تعالى ــ ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ــ وكذلك قال عزوجل ــ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ــ فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لوصرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لافائدة فيه الامجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول فى التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح فى جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلاتخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها

﴿ المنكرات العامة ﴾

اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج الى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولايأكل من أطعمتهم فان أكثرها مغصوب فان قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين والاعم الحرج الكافة أجمعين أما العالم فلتقصيره فى الخروج وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره والافهو شريك فى الاثم ومعلوم ان الانسان لايولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمرى الاثم على الفقهاء أشد لان قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق لان المحترفين لوتركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ مابلغه عن رسول الله ﷺ فان العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للانسان أن يقعد فى بيته ولايخرج الى المسجد لانه يرى الناس لايحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى وكذا كل من تيقن ان فى السوق منكرا يجرى على الدوام أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلايجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج فان كان لايقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلايضره مشاهدة مالايقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل بلده

﴿ وقد اتفق ﴾ مشايخ الصوفية على ان بناء أمرهم على أربعة أشياء قلة الطعام قلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان أحدهما آخر الاربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطى ليلتين والافطار فى الليلة الثالثة ويكون لكل يوم وليلة ثلث رطل وبين هذين الوقتين وقت وهو ان يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل وهذا ينبغى أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سآمة وضجرا

ثم الى أهل السواد المكتنف ببلده ثم الى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والاحرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الاوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه

﴿ الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ﴾

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين فى القول ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر وأما التخشين فى القول كقوله ياظالم يامن لايخاف الله وما يجرى مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لايخاف الاعلى نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله ﷺ (١) خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك وقال ﷺ (٢) أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبى ﷺ (٣) عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال قرن من حديد لاتأخذه فى الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق ولما علم المتصلبون فى الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف * وقد أوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم * فمنها ماروى من انكار أبى بكر الصديق رضى الله عنه على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء وذلك ماروى عن عروة رضى الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله ﷺ (٤) فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما رأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أوكما قالوا فبينما هم فى ذلك اذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه عليه

﴿ الباب الرابع فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ﴾

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى رجل فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه ﷺ عمر بن الخطاب بانه قرن من حديد لاتأخذه فى الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذى بسند ضعيف مقتصرا على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبرانى ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتى قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لاتأخذه فى الله لومة لائم (٤) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من

وقلة انشراح فى الذكر والمعاملة فاذا وجد شيأ من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل فى الوقتين أو الوقت الواحد فالنفس اذا أخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة ثم ردت الى الافطار كل ليلة تقنع وان سومحت بالافطار كل ليلة لاتقنع بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقس على هذا فهى ان أطمعت طمعت وان أقنعت قنعت * وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس الى أقل قوتها ومن الصالحين من كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود * ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف

السلام ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يامعشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأطرق القوم حتى مامنهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن مايجد من القول حتى انه ليقول انصرف ياأبا القاسم راشدا فوالله ماكنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم ومابلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله ﷺ نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وان ذلك لأشد مارأيت قريشا بلغت منه وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال بينا رسول الله ﷺ (١) بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام اليه أبو مسلم الخولاني فقال له يامعاوية انه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال ان أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني واني سمعت رسول الله ﷺ (٢) يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم انه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال (٣) كان علينا أبو موسى الاشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر أن اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من أنت فقلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل لي ولا مال فبماذا استحللت ياعمر اشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به انه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه

في شهر ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين وقد قيل لسهل بن عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بعبارة دلت على انه يجد فرحا بربه ينطفئ معه لهب الجوع وهذا في الخلق واقع ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شيء من هذه الاقسام

عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بتمامه (١) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ الحديث رواه البخاري (٢) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه (٣) حديث ضبة بن محصن كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان أحدثك بيومه وليلته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس الحديث

باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبي بكر و يوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته و يومه قلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله ﷺ ماهذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يارسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك واذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رأى أبو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول له يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحا فقلت ياخليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبما ذا أتألفهم قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيدا لامر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يلومه

وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف * وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له ياشيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك ياوليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل إلي رجلا يحدثني و يسامرني فأدخلت إلي رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له ياعمر ان الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي * وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه و بال الا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون و يتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ماعشت و يروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة

وفقهاء

التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان في حماية الصدق والاخلاص وانما يخشى في ذلك وفي دوام الذكر على من لا يخلص لله تعالى * وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الخبز وغيره مما يؤكل ومتى عينت النفس الخبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحدين بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا احد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على أكثر من ذلك إلى الاربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبزق فاذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل هذا على خلو

وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا اذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا أباسعيد مالي أراك ساكتا قال ماعسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم ـ فعلي ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه و بينها وأقول ان كانت لعلي هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أباسعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني ياعامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك ياعامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت أوسكت فسلمت قال عامر يا أباسعيد قد قلتها وأنا أعلم مافيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال و بعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ماحملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال ياحسن أمسك عليك لسانك واياك أن يبلغني عنك ما أكره فافرق بين رأسك وجسدك * وحكي أن حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم سل عما بدالك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لأصدقن وان ابتليت لأصبرن وان عوفيت لأشكرن قال فما تقول في قال أقول انك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول انه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيأ قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال أخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامرا الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أباعمرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا أحب حفظهم وتعهد مايصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الامر أجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطاءهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الامور والنية فيها على ماذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ و يصيب قال فسر بقولي وأعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ماتقول يا أباسعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول

المعدة من السمومة وصفاء البزاق كالماء الذي لايقصده الذباب روى أن سفيان الثوري وابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستا وكان عبدالله ابن الزبير رضي الله عنه يطوي سبعة أيام (واشتهر) حال جدنا محمد بن عبدالله المعروف بعموية رحمه الله وكان صاحب أحمد الاسود الدينوري انه كان يطوي أربعين يوما وأقصى مابلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدركنا زمانه ومارأيته كان في أبهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع انه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي

قال رسول الله ﷺ (١) من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول انى ربما قبضت من
عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو
فيكتب الى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله
أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته
موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول
من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف
ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان
أمر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة فى معصية الله وانى أحذرك بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة
اربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم
وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن
هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك فى
دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه
قال الشعبى فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عنى يا عامر
قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه وكنا أهلا
أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربى بين المقارف وما شهدنا
مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبى وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد
هذا المجلس فأحابيه * ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة فقال له ما تقول فى القدر فقال جيرانك أهل القبور
فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر * وعن الشافعى رضى الله عنه قال حدثنى عمى محمد بن على قال انى لحاضر
مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وفيه ابن أبى ذؤيب وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال فأتى الغفاريون
فشكوا الى أبى جعفر شيأ من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبى ذؤيب قال فسأله
فقال ما تقول فيهم يا ابن أبى ذؤيب فقال أشهد انهم أهل تحطم فى أعراض الناس كثير والاذى لهم فقال
أبو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن أبى ذؤيب ما تقول فى الحسن
ابن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبى ذؤيب وهو
الشيخ الصالح فقال يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك فقال ما تقول فىّ قال تعفينى يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله
الا أخبرتنى قال تسألنى بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرنى قال أشهد انك أخذت هذا المال من غير
حقه فجعلته فى غير أهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده فى قفا ابن أبى
ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أنى جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك
قال فقال ابن أبى ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولى أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس
والروم وأصغرا آنافهم قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا انى أعلم انك صادق لقتلتك فقال
ابن أبى ذؤيب والله يا أمير المؤمنين انى لأنصح لك من ابنك المهدى قال فبلغنا ان ابن أبى ذؤيب لما انصرف من
مجلس المنصور لقيه سفيان الثورى فقال له يا أبا الحرث لقد سرنى ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءنى قولك له
ابنك المهدى فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدى كلنا كان فى المهد * وعن الاوزاعى عبد الرحمن بن
عمرو (٢) قال بعث الى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة
رواه البغوى فى معجم الصحابة باسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار
(٢) حديث الأوزاعى مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بجملتها رواها ابن

على

والتدريج الى هذا الحد وكان فى أول أمره على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى الى اللوزة فى الاربعين ثم انه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى مستكن فى باطنه يهون عليه ترك الأكل اذا كان له استحلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطى اذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضعف عزيمته فى ذلك اذا علم بأنه يطوى فان صدقه فى الطى ونظره الى من يطوى لأجله يهون عليه الطى فاذا علم به أحد تضعف عزيمته فى ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحس فى نفسه انه يحب أن يرى بعين

على واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعى قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك وأقدمتك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بى الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر (١) قال قال رسول الله ﷺ أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول ﷺ (٢) أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس لحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله ﷺ (٣) جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ (٤) دعا الى القصاص من نفسه فى خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبى ﷺ الاعرابى فقال اقتص منى فقال الاعرابى قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لافعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى فدعا له بخير يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والارض التى يقول فيها رسول الله ﷺ (٥) لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا ومافيها يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك

أبى الدنيا فى كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها فى مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفى اسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدى يحدث بمناكير وهو عندى من أهل الصدق وقد رأيت سرد الاحاديث المذكورة فى الموعظة لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابى كل حديث أو كونه مرسلا فأولها (١) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله الحديث ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء (٢) حديث عطية بن ياسر أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبى الدنيا فيه وابن عدى فى الكامل فى ترجمة أحمد بن عبيد (٣) حديث عروة بن رويم كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٤) حديث حبيب بن مسلمة ان رسول الله ﷺ دعا الى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده الحديث ابن أبى الدنيا فيه وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر قال رأيت رسول الله ﷺ أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه طعن رسول الله ﷺ فى خاصرة أسيد بن حضير فقال أوجعتنى قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٥) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومافيها ابن أبى الدنيا من رواية الأوزاعى

التقلل فليتهم نفسه فان فيه شائبة النفاق ومن يطوى لله يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى الطعام ولكن امتلاء قلبه بالانوار يقوى جاذب الروح الروحانى فيجذبه الى مركزه ومستقره من العالم الروحانى وينفر بذلك عن أرض الشهوة النفسانية وأما أثر جاذب الروح اذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير فأجل من جذب المغناطيس للحديد اذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس فيجذبه بنسبة الجنسية الخاصة فاذا تجنست النفس بعكس نور الروح

يا أمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدى وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لوماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا أمير المؤمنين أتدرى ماجاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى فى الزبور ياداود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوّتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة ياداود انما جعلت رسلى الى عبادى رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء يا أمير المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له مامنعك من الخروج الى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال انه بلغنى ان رسول الله ﷺ قال مامن وال يلى شيأ من أمور الناس الا أتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها الا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا فقال له عمر رضى الله عنه ممن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله ﷺ فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر رضى الله عنه من سلت الله أنفه وألصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبى ﷺ امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبى عليه السلام (٢) ياعباس ياعم النبى نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يغنى عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال (٣) ياعباس وياصفية عمى النبى ويافاطمة بنت محمد انى لست أغنى عنكم من الله شيأ ان لى عملى ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه فى الله لومة لائم * وقال الامراء أربعة فأمير قوى ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله ﷺ (٤) شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام

معضلا لم يذكر اسناده ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ لقاب (١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا مامن وال يلى شيأ من أمور الناس الا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه الحديث ابن أبى الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار أبى الحكم عن أبى وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه وان بشرا سمعه من النبى ﷺ ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث ياعباس ياعم النبى نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها ابن أبى الدنيا هكذا معضلا بغير اسناد ورواه البيهقى من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلا (٣) حديث ياعباس وياصفية ويافاطمة لا أغنى عنكم من الله شيأ لى عملى ولكم عملكم ابن أبى الدنيا هكذا معضلا دون اسناد ورواه البخارى من حديث أبى هريرة متصلا دون قوله لى عملى ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزنى متصلا وهو عند ابن أبى الدنيا عن الاوزاعى معضلا كما ذكره المصنف

بواسطة القلب يصير فى النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها الى النفس فتجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادثة فيها فيزدرى الاطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ويتحقق عنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولا يقدر على ماوصفناه الا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة فيتناول من الطعام أيضا ضرورة ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار لان النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها واذا استيقظت نزعت الى هواها فالعبد المراد بهذا اذا فطن لسياسة

أتى النبي ﷺ (١) فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل
صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فاوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أصفرت ثم أوقد
عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من
ثياب أهل النار أظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه
ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار
ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه
السلام لبكائه فقال أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت
يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني
من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله
قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة وقد بلغني يا أمير
المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم أني أبالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال
الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم
عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتي
اليك والسلام عليك ثم نهضت فقال لي الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقال قد أذنت
لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم
الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة * قلت أفعل ان شاء الله قال
محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من
الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك * وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها
الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى
دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف
اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله
من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه
فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له
المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم
فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي أنبأتك بالامور من أصولها
والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه
وبين الحق والاصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء
في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك
أمور المسلمين وأموالهم فاغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر
وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع
والسلاح وأمرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف
ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار وضعت على النار تسعر ليوم القيامة الحديث بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير اسناد

النفس ورزق العلم سهل عليه الطي وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما ان كوشف بشئ من المنح الالهية وقد حكى لي فقير انه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعي الى الغاية بعد أيام فتح الله على بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت اليها عقيب كسرها فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت عن الطعام أياما وذكر لي أن الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من أركان الايمان فسلم ولا تنكر (وقال) سهل بن عبد الله رحمه الله من طوى أربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقال لا يزهد العبد حقيقة

لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شئ الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته و يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أوّل من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه و بين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه و يلوذ به و يشكو و يستغيث وهو يدفعه و يعتل عليه فاذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهى اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا اهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين و بها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه مالك تبكى لا بكت عيناك فقال أما انى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم بصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما ان كان قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر الا مظلوم فكان يركب الفيل و يطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال ومامن مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء وان قلت أجمع المال لأشيد سلطانى فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وماضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله مافوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الاليم وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغنى عنك عنده شئ مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ياليتنى لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال كيف احتيالى فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا منى قال هربوا منك مخافة أن تحملهم على ماظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن على ان من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى عليك بالرجل ان لم تأتنى به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسى يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل أما تتقى الله قال بلى قال أما تعرفه قال بلى قال فانطلق معى الى الامير فقد آلى أن يقتلنى ان لم آته بك قال ليس لى الى ذلك من سبيل قال يقتلنى قال لا قال

الزهد الذى لامشوبة فيه الا بمشاهدة قدرة من الملكوت وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله عرفنا من طوى أربعين يوما برياضة النفس فى تأخير القوت وكان يؤخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يطوى ليلة فى نصف شهر فيطوى الاربعين فى سنة وأربعة أشهر فتندرج الايام والليالى حتى يكون الاربعين بمنزلة يوم واحد * وذكر لى أن الذى فعل ذلك ظهرت له آيات من الملكوت وكوشف بمعانى قدرة من الجبروت تجلى الله بها له كيف شاء * واعلم ان هذا المعنى من الطى والتقلل لو أنه عين الفضيلة مافات أحدا من الانبياء ولكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك الى أقصى غاياته ولا

كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شئ فقال خذه فاجعله فى جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه إلا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فان رأيت أن تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه و بسط له فى رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلىّ وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلىّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك علىّ إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلىّ وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذى أعطاك ثم جعل يبكى وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام

* وعن أبى عمران الجونى قال لما ولى هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثورى قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وانى منطولك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة واعلم يا أبا عبد الله انه ما بقى من اخوانى واخوانك أحد الا وقد زارنى وهنانى بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى وانى استبطأتك فلم تأتنى وقد كتبت اليك كتابا شوقا منى اليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته فقال علىّ برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى فقال يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ثم سل عن سفيان الثورى فاذا رأيته فألق كتابى هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فاحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو فى المسجد قال عباد فأقبلت الى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة فى قلبى فخرجت فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الىّ رأسه وردوا السلام على رؤس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علىّ الجلوس وقد علانى من هيبتهم الرعدة ومددت عينى اليهم فقلت ان المصلى هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فانى أستغفر الله أن أمس

شك ان لذلك فضيلة لا تنكر ولكن لا تنحصر مواهب الحق تعالى فى ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدرة أفضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر * ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيأ من القدرة ويرى القدرة تنجلى له من سجف أجزاء علم الحكمة فاذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد فى ضبط أحواله بشئ من الانواع التى ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الاربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من

الصالحين يختارون للاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن ابن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى ابن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

﴿ الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية وشرح الخلق ﴾

الصوفية أوفر

شيأ مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت إليه فى قرطاس نقى فقال اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هرون الرشيد الذى سلب حلاوة الايمان أما بعد فانى قد كتبت إليك أعرفك انى قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتنى شاهدا عليك باقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عنى حتى كتبت الى تشهدنى على نفسك أما انى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ياهرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والارامل والايتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك فشد ياهرون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما ياهرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور و يضربون من يشربها و يزنون و يحدون الزانى و يسرقون و يقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك ياهرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله تعالى و يداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام إلى النار كأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا ﷺ فى أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الامر لو بقى لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحد بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وانى أحسبك ياهرون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام قال عباد فألقى إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا أهل الكوفة فأجابونى فقلت لهم ياقوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا الى بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فهزأ بى من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه و بصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه و يدعو بالويل والحزن و يقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى والملك يزول عنى سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الى فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه و يقرأ و يشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه وان سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب

هرون

هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب و به يجازى والله ولى التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به اذ أقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبي ﷺ (١) منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجلا آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك و ينسانى قال فأسبل هرون السجاف ومضى * وعن أبى العباس الهاشمى عن صالح بن المأمون قال دخلت على الحرث المحاسبى رحمه الله فقلت له يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال أكاتم حالى انى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى فاذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علىّ ثم قعد بين يدى فقلت له من أنت فقال أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأى شئ عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه فقلت له أما علمت ان أهل القلوب يخفون أحوالهم و يكتمون أسرارهم و يسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندى يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه فعلمت ازالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفنى قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لى قم معى فلم يزل يمشى حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم ان لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيرى فيك أما تتقى الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم أجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومناد ينادى من ولىّ هذا فليأخذه قال الحرث فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى فاذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم و يطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من أنتم قالوا الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شئ فخرج للامر والنهى وان الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده * وعن أحمد بن ابراهيم المقرى قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامرى رأيت النبي ﷺ منصرفا عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفا من عرفة وانما قالوا يرمى الجمرة وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى

الناس حظا فى الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم باحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ من حسن الاقتداء واحياء سنته على ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الاسلام أبو أحمد عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح عبد الملك ابن أبى القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز ابن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد ابن أحمد المحبوبى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى قال ثنا مسلم بن حاتم الانصارى البصرى قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال

ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لانه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيأ يعبر عنه بلطف فقال للملاح أيش فى هذه الدنان قال وأيش عليك أمض فى شغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال أحب أن تخبرنى أيش فى هذه الدنان قال وأيش عليك أنت والله هو فى نضولى هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه فقال النورى وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تعطينى ذلك المدرى فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدرى فى يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس فى أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد و بيده عمود يقلبه فلما رآنى قال من أنت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الأرض ساعة ثم رفع رأسه الى وقال وما الذى حملك على ما صنعت فقلت شفقة منى عليك اذ بسطت يدى الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه الى وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات خبرنى فقلت يا أمير المؤمنين انى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسى كبرا على انى أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين يبغض الى التغيير لانى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجى سالما فأمر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفى المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

﴿ كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى خلق كل شئ فأحسن خلقه وترتيبه * وأدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه * وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه * ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه * وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه * وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هى مغارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هى التى تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا

لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم وقفوا فى بداياتهم لرعاية أقواله وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك ان تحققوا فى نهاياتهم بأخلاقه وتحسين الاخلاق لا يأتى الا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف الى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته ﷺ

﴿ بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا ﷺ بالقرآن ﴾

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم (١) حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم (٢) جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل ادعوني أستجب لكم فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام (٣) دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن وانما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ وقوله ـ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ـ وقوله ـ واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ـ وقوله ـ ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ـ وقوله ـ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ـ وقوله ـ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ـ وقوله ـ ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ـ وقوله ـ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ـ وقوله ـ اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ـ (٤) ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ـ ليس لك من الأمر شيء ـ تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال ﷺ (٥) بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب

---

(١) حديث كان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي واسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الاخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال ت اللهم اني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم ووهم الحاكم في قوله انهما لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته ﷺ يوم أحد الحديث في نزول ليس لك من الأمر شيء م من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرط م وقد تقدم في

وسلم وانك لعلى خلق عظيم لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أي على دين عظيم والدين مجموع الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة * سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى وينتهي عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر كبير وعلم غامض ما نطقت بذلك إلا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السماوي وصحبة رسول الله ﷺ

الأخلاق فلا نعيده ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى ـ وانك لعلى خلق عظيم ـ فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر الى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله ﷺ للخلق (١) أن الله يحب مكارم الأخلاق و يبغض سفسافها قال على رضى الله عنه (٢) ياعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الأخلاق فانهما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله ﷺ فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طىء وقفت جارية فى السبى فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار و يفك العانى و يشبع الجائع و يطعم الطعام و يفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائى فقال ﷺ ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق وان الله يحب مكارم الأخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ (٣) قال ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الأعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب و بذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أوفاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم قال أنس رضى الله عنه (٤) فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه و يكفى من ذلك كله هذه الآية ـ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ـ الآية وقال معاذ أوصانى رسول الله ﷺ (٥) فقال يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام و بذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا أدب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب

﴿ بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار ﴾

فقال كان ﷺ أحلم الناس (٦)

وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هى من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار و بحسب تلك الاصول التى هى مبادى تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية والشيطانية والى صفة الشيطنة فى الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من مارج

آداب الصحبة (١) حديث ان الله يحب معالى الاخلاق و يبغض سفسافها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات (٢) حديث على قوله واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طىء وقفت جارية فى السبى فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى عنى الحديث ت الحكيم فى نوادر الاصول باسناد فيه ضعف (٣) حديث معاذ حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل و يغنى عنه حديث معاذ الآتى بعده بحديث (٤) حديث أنس لم يدع ﷺ نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وأمرنا بها لم أقف له على اسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٥) حديث يامعاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم فى الحلية وهق فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث كان ﷺ أحلم الناس أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان رسول الله ﷺ من أحلم الناس

واشجع

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعف الناس (٣) لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم (٥) وان فضل شئ ولم يجد من يعطيه وجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه (٦) لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله (٧) لا يسئل شيأ الا أعطاه (٨) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شئ (٩) وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله

الحديث وهو مرسل وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة اسلام زيد بن شعنة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا عمر كل علامات النبوّة قد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما الحديث (١) الحديث انه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته ﷺ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة الا امرأة يملكها (٤) حديث كان ﷺ أسخى الناس الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان انه منكر وفى الصحيحين من حديثه كان رسول الله ﷺ أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم فى الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وان فضل ولم يجد من يعطيه وجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه د من حديث بلال فى حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله ﷺ قاعد فى المسجد وحده وفيه قال فضل شئ قلت نعم ديناران قال انظر أن تريحنى منهما فلست بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات فى المسجد حتى أصبح وظل فى المسجد اليوم الثانى حتى اذا كان فى آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى اذا صلى العتمة دعانى فقال ما فعل الذى قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث وللبخارى من حديث عقبة بن الحارث ذكرت وأنا فى الصلاة فكرهت أن يمسى ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبى عبيد فى غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا كان لا يقبل مالا عنده ولا يبيته (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم فى الزكاة (٧) حديث كان لا يسئل شيأ الا أعطاه الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه فى الرجل الذى سأله الشملة فقيل له سألته اياها وقد علمت انه لا يرد سائلا الحديث ولمسلم من حديث أنس ما سئل على الاسلام شيأ الا أعطاه وفى الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيأ قط فقال لا (٨) حديث انه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس انه ﷺ توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله وقال ه بثلاثين صاعا من شعير واسناده جيد وخ من حديث عائشة توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين وفى رواية هق بثلاثين صاعا من شعير (٩) حديث وكان ﷺ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب وللبخارى من حديث عائشة كان يكون فى مهنة أهله

من نار والله تعالى بخفى لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله ﷺ على ما ورد فى حديث حليمة ابنة الحرث انها قالت فى حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله ﷺ مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض

(١) و يقطع اللحم معهن (٢) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد (٣) و يجيب دعوة العبد والحر (٤) و يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب و يكافئ عليها (٥) و يأكلها ولا يأكل الصدقة (٦) ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين (٧) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه (٨) و ينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد فى عدد من معه فأبى وقال أنا لا أنتصر بمشرك (٩) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به (١٠) وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع

(١) حديث انه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل الينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ أو قالت فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة الا حز له رسول الله ﷺ من سواد بطنها (٢) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد الشيخان من حديث أبى سعيد الخدرى قال كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها (٣) حديث كان يجيب دعوة العبد والحر ت ه ك من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال ك صحيح الاسناد قلت بل ضعيف وللدارقطنى فى غرائب مالك وضعفه والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من حديث أبى هريرة كان يجيب دعوة العبد الى أى طعام دعى و يقول لو دعيت الى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على اجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند خ من حديث أبى هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس الا أجابه الحديث وهو مرسل (٤) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب و يكافئ عليها خ من حديث عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية و يثيب عليها وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب ففى الصحيحين من حديث أم الفضل انها أرسلت بقدح لبن الى النبى ﷺ وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله ﷺ لبنا الحديث وفى الصحيحين من حديث أنس أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها الى رسول الله ﷺ فقبله (٥) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٦) حديث كان لا يستكبر أن يمشى مع المسكين ن ك من حديث عبد الله بن أبى أوفى بسند صحيح وقد تقدم فى الباب الثانى من آداب الصحبة ورواه ك أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم (٨) حديث و ينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد فى عدد من معه فأبى وقال أنا لا أستنصر بمشرك م من حديث عائشة خرج رسول الله ﷺ فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك الحديث (٩) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبى حثمة ورافع بن خديج والرجل الذى وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الانصارى (١٠) حديث كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر فى قصة حفر الخندق وفيه فاذا رسول الله ﷺ شد على بطنه حجرا وأغرب حب فقال فى صحيحه انما هو الحجز بضم الحاء وآخره زاى جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك و يرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبى طلحة شكونا

فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى هذا قد أصيب انطلق بنا فلنرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه الا وقد قدمنا به عليها فقالت ما ردكما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله لا ضير الا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى كان علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث نرده الى أهله فقالت ماذاك بكما فأصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه

ومرة (١) يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر أو شعير أكله وان وجد حلوا أو عسلا أكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا أو رطبا أكله (٢) لا يأكل متكئا (٣) ولا على خوان (٤) منديله باطن قدميه (٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا (٦) يجيب الوليمة (٧) و يعود المرضى و يشهد الجنائز (٨) و يمشى وحده بين أعدائه بلا حارس (٩) أشد الناس تواضعا وأسكنهم فى غير كبر

الى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين ورجاله كلهم ثقات (١) حديث كان يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد خبز بر أو شعير أكله وان وجد حلوا أو عسلا أكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا أورطبا أكله انتهى هذا كله معروف من أخلاقه ففى ت من حديث أم هانئ دخل على النبى ﷺ فقال أعندك شئ قلت لا الا خبز يابس وخل فقال هات الحديث وقال حسن غريب وفى كتاب الشمائل لأبى الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الاوزاعى قال قال رسول الله ﷺ ما أبالى ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبى ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأيته مقعيا يأكل تمرات وت وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت اليه جنبا مشويا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله لفظ م وفى رواية له ماشبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصححه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزهم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس ان النبى ﷺ شرب لبنا فدعا بماء فمضمض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واسناده صحيح (٢) حديث انه كان لا يأكل متكئا تقدم فى آداب الأكل فى الباب الأول (٣) حديث انه كان لا يأكل على خوان تقدم فى الباب المذكور (٤) حديث كان منديله باطن قدمه لا أعرفه من فعله وانما المعروف فيه مارواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله ﷺ قليلا ما نجد الطعام فاذا وجدناه لم يكن لنا مناديل الا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم فى الطهارة (٥) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تقدم فى جملة الاحاديث التى قبله بثلاثة أحاديث (٦) حديث كان يجيب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لو دعيت الى كراع لأجبت وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالى ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب واسناده ضعيف (٧) حديث كان يعود المريض ويشهد الجنازة ت وضعفه وه ك وصححه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف وقال صحيح الاسناد وفى الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٨) حديث كان يمشى وحده بين أعدائه بلا حارس ت ك من حديث عائشة كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمنى الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاسناد (٩) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته ﷺ هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه الى أن قال متواضع فى غير ذلة وفيه دائب الاطراق واسناده ضعيف وفى الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبى أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين الحديث وقد تقدم وعند أبى داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رؤسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث اسامة بن شريك أتيت النبى ﷺ وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير

الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن ألا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف منه قالت فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه الى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات واخلاق مبقاة على رسول الله صلى

(١) وأبلغهم فى غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لايهوله شئ من أمور الدنيا (٤) ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة بردحبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس (٥) وخاتمه فضة (٦) يلبسه فى خنصره الايمن (٧) والايسر (٨) يردف خلفه عبده أوغيره (٩) يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلارداء ولاعمامة ولاقلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة (١٠) يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة

(١) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لوعده العادّ لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه وله فى الشمائل من حديث بن أبى هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لافضول ولاتقصير (٢) حديث كان أحسنهم بشرا ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق الحديث وله فى الجامع من حديث عبدالله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وقال غريب قلت وفيه ابن لهيعة (٣) حديث كان لايهوله شئ من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ماأعجب رسول الله ﷺ شئ من الدنيا وماأعجبه أحد قط الاذوتقى وفى لفظ له ماأعجب النبى ﷺ شئ من الدنيا الاأن يكون فيها ذوتقى وفيه ابن لهيعة (٤) حديث كان يلبس ماوجد فمرة شملة ومرة حبرة ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس خ من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة ببردة قال سهل هل تدرون ماالبردة هى الشملة منسوج فى حاشيتها وفيه فخرج الينا وانها لازاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ صلى فى شملة قدعقد عليها فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب الى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٥) حديث خاتمه فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٦) حديث لبسه الخاتم فى خنصره الايمن م من حديث أنس ان رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة فى يمينه وللبخارى من حديثه فانى لأرى بريقه فى خنصره (٧) حديث تختمه فى الايسر م من حديث أنس كان خاتم النبى ﷺ فى هذه وأشار الى الخنصر من يده اليسرى (٨) حديث اردافه خلفه عبده أوغيره أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو فى الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو فى الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمرو وغيرهم من الصحابة (٩) حديث كان يركب ماأمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلارداء ولاعمامة ولاقلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة ففى الصحيحين من حديث أنس ركوبه ﷺ فرسا لأبى طلحة ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبى ﷺ فرس يقال له اللحيف ولهما من حديث ابن عباس طاف النبى ﷺ فى حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبى ﷺ على بغلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة انه ﷺ ركب على حمار على اكاف الحديث ولهما من حديث ابن عمر كان يأتى قبا راكبا وماشيا ولمسلم من حديثه فى عيادته ﷺ لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولاخفاف ولاقلانيس ولاقمص نمشى فى السباخ الحديث (١٠) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة ن من حديث أنس حبب الى النساء والطيب ود ك من حديث عائشة انها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة لفظ ك وقال صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه الاريح طيبة

الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات فى نفوس الامة بمزيد من الظلمة لتفاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الامة فاستمدت تلك الصفات المبقاة بظهورها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحكمات بازائها لقمعها تأديبا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للامة موزعة بنزول الآيات على الآناء والاوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه

(١) ويجالس الفقراء (٢) ويؤاكل المساكين (٣) ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرلهم (٤) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم (٥) لايجفو على أحد (٦) يقبل معذرة المعتذر إليه (٧) يمزح ولايقول إلاحقا (٨) يضحك من غير قهقهة (٩) يرى اللعب المباح فلاينكره (١٠) يسابق أهله (١١) وترفع الاصوات عليه فيصبر (١٢) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها

---

(١) حديث كان يجالس الفقراء د من حديث أبى سعيد جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضا من العرى الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث و ه من حديث خباب وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا الحديث فى نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم اسنادهما حسن (٢) حديث مؤاكلته للمساكين خ من حديث أبى هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لايأوون إلى أهل ولامال ولاعلى أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٣) حديث كان يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرلهم ت فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته ﷺ وكان من سيرته ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين وفيه ويؤلفهم ولاينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم الحديث وللطبرانى من حديث جرير فى قصة اسلامه فأتى الى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه واسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الانصارى عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد (٤) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يجل العباس اجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبى وقاص انه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ماأنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال فى الاول صحيح الاسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم الملائى ضعيف فآثر عليا الفضله بتقدم اسلامه وشهوده بدرا والله أعلم وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد لايبقين فى المسجد باب الاسد الاباب أبى بكر (٥) حديث كان لايجفو على أحد د ت فى الشمائل و ن فى اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشئ يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة ان رجلا استأذن عليه ﷺ فقال بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول الحديث (٦) حديث يقبل معذرة المعتذر اليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك فى قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه فطفق المخلفون يعتذرون اليه فقبل منهم علانيتهم الحديث (٧) حديث يمزح ولايقول الاحقا أحمد من حديث أبى هريرة وهو عند ت بلفظ قالوا انك تداعبنا قال إى ولاأقول الاحقا وقال حسن (٨) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته انما كان يتبسم و ت من حديث عبدالله بن الحارث بن جزء ما كان ضحك رسول الله ﷺ الاتبسما قال صحيح غريب وله فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة جل ضحكه التبسم (٩) حديث يرى اللعب المباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة فى لعب الحبشة بين يديه فى المسجد وقال لهم دونكم يابنى أرفدة وقد تقدم فى كتاب السماع (١٠) حديث مسابقته ﷺ أهله د ن فى الكبرى و ه من حديث عائشة فى مسابقته لها وتقدم فى الباب الثالث من النكاح (١١) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبر خ من حديث عبدالله بن الزبير قدم ركب من بنى تميم على النبى ﷺ فقال أبو بكر أمّر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمّر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ماأردت الاخلافى وقال عمر ماأردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله (١٢) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد فى الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن أوقالت أكثر عيشنا

ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سنى اما تصريحا أو تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله ﷺ يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ فاكتسى القلب النبوى لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب

(١) وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس (٢) ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه (٣) يخرج الى بساتين أصحابه (٤) لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا (٥) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد

كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة الحديث وفى رواية له كانت لنا أعنز سبع فكان الراعى يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذى الجبل فيؤب الينا ألبانها بالليل الحديث وفى اسنادهما محمد بن عمر الواقدى ضعيف فى الحديث وفى الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد الحديث ولأبى داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فاذا ولد الراعى بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (١) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس محمد بن سعد فى الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبى ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن واسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب الى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد ضعيف كان ﷺ يأكل مع خادمه و م من حديث أبى اليسر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون الحديث (٢) حديث لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (٣) حديث يخرج الى بساتين أصحابه تقدم فى الباب الثالث من آداب الأكل خروجه ﷺ الى بستان أبى الهيثم ابن التيهان وأبى أيوب الانصارى وغيرهما (٤) حديث لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا خ من حديث سهل بن سعد مر رجل على رسول الله ﷺ فقال ما تقولون فى هذا قالوا حرى ان خطب أن ينكح الحديث وفيه فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون فى هذا قالوا حرى ان خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الارض مثل هذا و م من حديث أنس أن النبى ﷺ كتب الى كسرى وقيصر والنجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (٥) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى وفى فقر وفى رعاية الغنم لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الجيدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى حديثه الطويل فى صفته وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه الحديث وفيه فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والاكثار وما لا يعنيه الحديث وقد تقدم بعضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان نبى ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم فى العلم وللبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحم و حب من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة ان جعفرا قال للنجاشى أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبى بن كعب انى انى صحراء ابن عشر سنين وأشهر فاذا كلام فوق رأسى الحديث و خ من حديث أبى هريرة كنت أرعاها أى الغنم على قراريط لأهل مكة ولأبى يعلى و حب من حديث حليمة انما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما الحديث وتقدم حديث بعثت بمكارم الاخلاق

إلى القرار فلما توزعت الآيات على ظهور الصفات فى مختلف الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون فى ابقاء تلك الصفات فى نفس رسول الله ﷺ معنى قوله عليه السلام انما أنسى لأسن فظهور صفات نفسه الشريفة وقت استنزال الآيات لتأديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة فى حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتشرف أخلاقهم قال رسول الله ﷺ الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا أراد الله تعالى

الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين يارب العالمين

﴿بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه﴾

مما رواه أبو البخترى قالوا (١) ماشتم رسول الله ﷺ أحدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة (٢) ومالعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يارسول الله فقال (٣) انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وكان (٤) اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له (٥) وماضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى وما انتقم من شئ صنع اليه قط الا أن تنتهك حرمة الله وماخير بين أمرين قط الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك وما كان (٦) يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته وقال أنس رضى الله عنه (٧) والذى بعثه بالحق ماقال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامنى نساؤه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وماعاب رسول الله ﷺ (٨) مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فى السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على

(١) حديث ماشتم أحدا من المؤمنين الا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة وفى رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفى رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفى رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٢) حديث مالعن امرأة ولا خادما قط المعروف ماضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس لم يكن فاحشا ولا لعانا وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى (٣) حديث انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا م من حديث أبى هريرة (٤) حديث كان اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبى هريرة قالوا يارسول الله ان دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا وائت بهم (٥) حديث ماضرب بيده أحدا قط الا أن يضرب فى سبيل الله وما انتقم فى شئ صنع اليه الا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٦) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته خ تعليقا من حديث أنس ان كانت الأمة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت ووصله هـ وقال فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة فى حاجتها وقد تقدم وتقدم أيضا من حديث ابن أبى أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الارملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (٧) حديث أنس والذى بعثه بالحق ماقال فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامنى أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر الشيخان من حديث أنس ماقال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وروى أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من حديث له قال فيه ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئ كان وفى رواية له كذا قضى (٨) حديث ماعاب مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ماعاب طعاما و يؤخذ من عموم حديث على بن أبى طالب ليس بفظ الى أن قال ولا عياب رواه ت فى الشمائل والطبرانى وأبو نعيم فى دلائل النبوة وروى ابن أبى عاصم فى كتاب السنة من حديث أنس ما أعلمه عاب شيأ قط وفى الصحيحين من حديث عمر اضطجاعه على حصير و ت وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه الحديث

بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال ﷺ انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وروى عنه ﷺ ان لله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتحديدها لا يكون إلا بوحى سماوى لمرسل ونبى والله تعالى أبرز الى الخلق أسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا أن الله تعالى أودع فى القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء

أطرافه وكذلك نعته في الانجيل (١) وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام (٢) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف (٣) وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ (٤) وكان اذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها (٥) وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله (٦) وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته (٧) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة (٨) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لانه (٩) كان حيث انتهى به المجلس جلس (١٠) وما رؤي قط مادّا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد الا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة (١١) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه (١٢) وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل (١٣) وما استصفاه أحد إلا ظن

---

(١) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ت في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة (٢) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوّة من حديث على ابن أبي طالب و ه من حديث أنس كان اذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف ورواه ت نحوه وقال غريب (٣) حديث وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ت ه من حديث أنس الذي قبله كان اذا استقبل الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظ ت وقال غريب (٤) حديث كان اذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته د من حديث أبي ذر وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم اذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صافحني الحديث وفيه الرجل الذي من عنزة ولم يسم وسماه البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وهو عند م بلفظ أخذ رسول الله ﷺ بيدي (٥) حديث كان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله عز وجل ت في الشمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال على ذكر بالتنوين (٦) حديث كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته لم أجد له أصلا (٧) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة د ت في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ اذا جلس في المجلس احتبى بيديه واسناده ضعيف وللبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبيا بيديه (٨) حديث انه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر قالا كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٩) حديث انه حيثما انتهى به المجلس جلس ت في الشمائل في حديث علي الطويل (١٠) حديث ما رؤي قط مادّا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد الا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل و ت و ه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (١١) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصحح اسناده من حديث أنس دخل جرير بن عبد الله على النبي ﷺ وفيه فأخذ بردته فألقاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فاذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة وللطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى الى كساء ولأبي نعيم في الحلية فبسط الي رداءه (١٢) حديث كان يؤثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٣) حديث ما استصفاه أحد الاظن انه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه

ولا يبعد والله أعلم أن أقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستر الحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال أدبها و بين قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم و بين قوله وانك لعلى خلق عظيم مناسبة مشعرة بقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن * قال الجنيد

انه

انه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة قال الله تعالى ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ (١) ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم (٢) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٣) ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الاولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى (٤) ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم (٥) وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٦) وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس (٧) ولم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات (٨) وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام

﴿ بيان كلامه وضحكه ﷺ ﴾

(٩) كان ﷺ أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول

وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت فى الشمائل من حديث على الطويل وفيه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة (١) حديث كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم فى الصحيحين فى قصة الغار من من حديث أبى بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله ﷺ قال عمر انه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرط م وفى الصحيحين انه قال لعلىّ قم يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك ان أبا حسن وجد مغصا فى بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد بن أبى وقاص فقال من هذا أبو اسحق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود ان النبى ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبى ﷺ ببقلة كنت أختليها يعنى أبا حمزة قال حديث غريب و ه ان عمر قال لصهيب بن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله ﷺ بأبى يحيى وللطبرانى من حديث أبى بكرة تدليت ببكرة من الطائف فقال لى النبى ﷺ فانت أبو بكرة (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ك من حديث أم أيمن فى قصة شربها بول النبى ﷺ فقال يا أم أيمن قومى الى تلك الفخارة الحديث و ه من حديث عائشة أنها قالت للنبى ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبى ﷺ قال لها يا أم خالد هذا سناه وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولابى داود باسناد صحيح انها قالت يا رسول الله كل صواحبى لهن كنى قال فاكتنى بابنك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان ففى الصحيحين من حديث أنس أن النبى ﷺ قال لاخ له صغير يا أبا عمير ما فعل النغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه اخباره ﷺ أن بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفىء رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو ﷺ خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة (٦) حديث كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا فى الجزء الاوّل من فوائد أبى الدحداح من حديث علىّ فى صفة النبى ﷺ كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات ت فى الشمائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك الحديث أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وك فى المستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم فى الاذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما أبو الحسن بن الضحاك

رحمه الله كان خلقه عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطى رحمه الله لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم فى معنى التصوف التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الاكوان فى عينه بمشاهدة مكونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه ﴿ وقد ﴾ ندب رسول الله ﷺ أمته الى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ

(١) أنا أفصح العرب (٢) وان أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ (٣) وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظمن قالت عائشة رضي الله عنها (٤) كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا قالوا (٥) وكان أوجز الناس كلاما وبذاك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كل ما أراد (٦) وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه (٧) وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة (٨) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة (٩) ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١٠) ويعرض عمن تكلم بغير

في كتاب الشمائل وابن الجوزي في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يخبرهم (١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب واسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قلت يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث وفي كتاب الرعد والمطر لابن أبي الدنيا في حديث مرسل ان اعرابيا قال للنبي ﷺ ما رأيت أفصح منك (٢) حديث ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ ك من حديث ابن عباس وصححه كلام أهل الجنة عربي (٣) حديث كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم وسيأتي في حديث عائشة بعده كان إذا تكلم تكلم نزرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لأحصاه (٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه نزرا وأنتم تنثرونه نثرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الاخيرتان فرواه الخلعي في فوائده باسناد منقطع (٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كما سيأتي قال خ بلغني في جوامع الكلم ان الله جمع له الامور الكثيرة في الامر الواحد والامرين ونحو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها (٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه ت في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بعثت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي ﷺ ترتيل أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقال ت يحفظه من جلس إليه وقال ت في اليوم والليلة يحفظه من سمعه واسناده حسن (٧) حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي ﷺ في سفر بينا نحن عنده إذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ على نحو من صوته هاؤم الحديث وقال أحمد في مسنده وأجابه نحوا مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه ﷺ كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وانما رفع صوته رفقا بالاعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه (٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة (٩) حديث لا يقول المنكر ولا يقول في الرضى والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شئ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق رواه ك وصححه (١٠) حديث يعرض عمن تكلم بغير جميل ت في الشمائل

العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة

جبل (١) ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره (٢) وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث (٣) ويعظ بالجد والنصيحة ويقول (٤) لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه أنزل على وجوه (٥) وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم (٦) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٧) وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا (٨) ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فاراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لي بابي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا (٩) وكان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة

من حديث على الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث (١) حديث يكني عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض خذي فرصة ممسكة فتطهري بها الحديث (٢) حديث كان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الشمائل في حديث على الطويل (٣) حديث يعظ بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله ﷺ اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٤) حديث لا تضربوا القرآن بعضه ببعض وانه أنزل على وجوه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن ان القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض وفي رواية للهروي في ذم الكلام ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥) حديث كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني الا تبسم وت في الشمائل من حديث على يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (٦) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الحبر الذي قال ان الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة المجامع في رمضان وغير ذلك (٧) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له ت في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبسم (٨) حديث جاء اعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا الحديث وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه حين سأله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم انهم يقولون ان معه جبالا من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما ان معه ماء ونارا الحديث (٩) حديث كان من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما منه وللطبراني في مكارم الاخلاق من حديث جابر كان اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث على أو الزبير كان

الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار من الحديث والمتشدق المتطاول على الناس في الكلام {قال الواسطي رحمه الله} الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم وقال أيضا انك لعلى خلق عظيم لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك وقال أيضا لانك قبلت فنون ما أسديت اليك من نعمي أحسن مما قبله غيرك من الانبياء والرسل {وقال الحسين} لانه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق

عظة (١) وكان اذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الالله لم يقم لغضبه شئ وكذلك كان في أموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم (٢) أرني الحق حقا فاتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشتبه على فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

﴿بيان أخلاقه وآدابه في الطعام﴾

(٣) كان ﷺ يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي (٥) وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (٦) وكان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم

وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخلق باخلاق الله تعالى اذلم يبق للاعواض عنده خطر ﴿وقال﴾ بعضهم قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين أتم لانه حيث قال وانك أحضره واذا أحضره أغفله وحجبه وقوله لاخذنا أتم لان فيه فناء في قول هذا القائل نظر فهلا قال ان كان في ذلك فناء ففي قوله وانك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لان الفناء انما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت

يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة وكان اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بلفظ كان اذا خطب (١) حديث كان اذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله ﷺ يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان اذا رضي فكأنما ملاحك الجدر وجهه واسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يبرق وجهه من السرور وفيه وكان اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٢) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقا فاتبعه وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشتبه على فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي ﷺ يدعو فيقول اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه الا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه الى آخر الحديث

﴿بيان أخلاقه وآدابه في الطعام﴾

(٣) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٤) حديث كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف أي كثرت عليه الايدي أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام الى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأبي يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم الا على ضفف واسناده ضعيف (٥) حديث كان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة * أما التسمية فرواها ن من رواية من خدم النبي ﷺ ثمان سنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعاما يقول بسم الله الحديث واسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٦) حديث كان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل المصلي الا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد * عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أحفز وقال آكل كما يأكل العبد الحديث وروى

و يقول

و يقول انما أناعبداً آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد(١) وكان لا يأكل الحار و يقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه (٢) وكان يأكل مما يليه (٣) و يأكل بأصابعه الثلاث (٤) ور بما استعان بالرابعة (٥) ولم يأكل بأصبعين و يقول ان ذلك أكلة الشيطان (٦) وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال ماهذا يا أباعبد الله قال بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل في البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال رسول الله ﷺ ان هذا الطعام طيب (٧) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول (٨) وكان يأكل القثاء بالرطب (٩) وبالملح

ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد وروى أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان يجثوا على ركبتيه وكان لا يتكئ أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ وللبزار من حديث ابن عمر انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبي يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندهما ضعيف (١) حديث كان لا يأكل الحار و يقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا البيهقي من حديث أبي هريرة باسناد صحيح أتي النبي ﷺ يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد باسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حس وللطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة ابردوا الطعام فان الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أتي بصحفة تفور فرفع يده منها وقال ان الله لم يطعمنا نارا وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفي اسناده رجل لم يسم وسماه في روايته له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٣) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٤) حديث استعانته بالرابعة رويناه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلا كان النبي ﷺ يأكل بالخمس (٥) حديث لم يأكل بأصبعين و يقول ان ذلك أكلة الشيطان الدارقطني في الافراد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل الملوك ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث (٦) حديث جاءه عثمان بن عفان بفالوذج الحديث قلت المعروف ان الذي صنعه عثمان الخبيص رواه البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال ان أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقي والعسل الحديث وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفالوذج فرواه هـ باسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال ان أمتك تفتح عليهم الأرض و يفاض عليهم من الدنيا حتى انهم ليأكلون الفالوذج قال النبي ﷺ وما الفالوذج قال يخلطون السمن والعسل جميعا قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له (٧) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٨) حديث كان يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٩) حديث كان يأكل القثاء بالملح أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد بن كثير متروك

النعوت فأي عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأي حجبة تبقى هنالك * وقيل من أوتي الخلق العظيم فقد أوتي أعظم المقامات لان المقامات ارتباطاعاما والخلق ارتباط بالنعوت والصفات (وقال الجنيد) اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والالفة والنصيحة والشفقة (وقال ابن عطاء) الخلق العظيم أن لا يكون له اختيار و يكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المألوفات (وقال أبو سعيد القرشي) العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح

(١) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب (٢) وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر (٣) وربما أكله بالرطب (٤) ويستعين باليدين جميعا وأكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة (٥) وكان ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ (٦) وكان أكثر طعامه الماء والتمر (٧) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين (٨) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل (٩) وكان يأكل الثريد باللحم والقرع (١٠) وكان يحب القرع

(١) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي ان النبي ﷺ كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله ﷺ الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فان خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وانما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعا عليكم بالمرازمة قيل يارسول الله وما المرازمة قال أكل الخبز مع العنب فان خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز واسناده ضعيف وأما أكل البطيخ بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وان أريد به السكر الذي هو الطبرزذ فلم أر له أصلا إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين ان النبي ﷺ أكل بطيخا بسكر وفيه موسى بن ابراهيم المروزي كذبه يحيى بن معين (٣) حديث أكل البطيخ بالرطب ت ن من حديث عائشة وحسنه ت و ه من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ البطيخ بالرطب (٤) حديث استعانته باليدين جميعا فأكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في احدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس باسناد ضعيف (٥) حديث ربما أكل العنب خرطا الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف (٦) حديث كان أكثر طعامه الماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٧) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين أحمد من رواية اسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبنا بتمر وقال ادن فان رسول الله ﷺ سماهما الأطيبين ورجاله ثقات وابهامه لا يضر (٨) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم الحديث و ت في الشمائل من حديث جابر أتانا النبي ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا انا نحب اللحم واسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٩) حديث كان يأكل الثريد باللحم والقرع م من حديث أنس (١٠) حديث كان يحب القرع ويقول انها شجرة أخي يونس ن ه من حديث أنس كان النبي ﷺ يحب القرع وقال ن الدبا وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء

والعفو والاحسان ألا ترى إلى قوله عليه السلام ان لله مائة وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم (وقيل) عظم خلقك لانك لم ترض بالاخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات (وقيل) لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الاخلاق قال له وانك لعلى خلق عظيم (وأخبرنا) الشيخ الصالح

ويقول

ويقول انها شجرة أخي يونس عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها (١) وكان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين (٢) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٣) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله (٤) وكان اذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا (٥) وكان يأكل الخبز والسمن (٦) وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة (٧) ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر (٨) وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة

أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر المليحي قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الاعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب ابن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل

(١) حديث يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي (٢) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي ﷺ طير فقال اللهم ائتني بأحب الخلق اليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة وروى د ت واستغربه من حديث سفينة قال أكلت مع النبي ﷺ لحم حباري (٣) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطادو يطلب الصيد فهو ضعيف جدا (٤) حديث كان اذا أكل اللحم لم يطاطئ رأسه اليه ورفعه الى فيه رفعا ثم نهشه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبي ﷺ فآخذ اللحم من العظم فقال ادن اللحم من فيك فانه أهنى وأمرأ و ت من حديثه انهش اللحم نهشا فانه أهنى وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضا وللشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (٥) حديث كان يأكل الخبز والسمن متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأمت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته الحديث وفيه ثم أكل النبي ﷺ وفي رواية هـ فصنعت فيها شيأ من سمن ولا يصح و د هـ من حديث ابن عمر وددت أن عندي خبزة بيضاء من برسمراء ملبقة بسمن الحديث قال د منكر (٦) حديث كان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة اليه الحديث وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم الى رسول الله ﷺ الكتف واسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يعجبه من الشاة الا الكتف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام اليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ الى رسول الله ﷺ الخل وله بالاسناد المذكور كان أحب التمر الى رسول الله ﷺ العجوة (٧) حديث دعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الاسود قال كنا عند رسول الله ﷺ في وفد سدوس فأهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامي فقال بارك الله في الجذامي وفي حديقة خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى المديني قيل هو تمر أحمر وت ن هـ من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبح سبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٨) حديث كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه ما يوم الا يقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم من رواية ثوير قال مر النبي ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله

(١) وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول (٢) وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ويكره ذلك (٣) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث (٤) وماذم طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره (٥) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما (٦) وكان يلعق باصابعه الصحفة و يقول آخر الطعام أكثر بركة (٧) وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر (٨) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة و يقول انه لا يدرى فى أى الطعام البركة (٩) واذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فاشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (١٠) وكان اذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه (١١) وكان يشرب فى ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفى أواخرها ثلاث تحميدات

فيك أينى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف (١) حديث كان يكره الكليتين لمكانهما من البول رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين (٢) حديث كان لا يأكل من الشاة الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدة والحيا والدم ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسلا (٣) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث مالك فى الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدارقطنى فى غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفى الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فانى أناجى من لا تناجى ولمسلم من حديث أبى أيوب فى قصة بعثه اليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال انى أكرهه من أجل ريحه (٤) حديث ماذم طعاما قط لكن ان أعجبه أكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره تقدم أول الحديث وفى الصحيحين من حديث ابن عمر فى قصة الضب فقال كلوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى (٥) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما أما الضب ففى الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه ولهما من حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال وللبيهقى موقوفا على زيد بن ثابت انى لآكل الطحال ومابى اليه حاجة الا ليعلم أهلى انه لا بأس به (٦) حديث كان يلعق الصحفة و يقول آخر الطعام أكثر بركة البيهقى فى شعب الايمان من حديث جابر فى حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلعقها أو تلعقها فان آخر الطعام فيه البركة م من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصحفة وقال ان أحدكم لا يدرى أى طعامه يبارك له فيه (٧) حديث كان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل (٨) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة و يقول انه لا يدرى فى أى أصابعه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبى ﷺ كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر فاذا فرغ فليلعق أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة وللبيهقى فى الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فان الرجل لا يدرى فى أى طعامه يبارك له فيه (٩) حديث واذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبرانى من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف وللبخارى من حديث أبى امامة كان اذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا (١٠) حديث كان اذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه (١١) حديث كان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفى آخرها ثلاث تحميدات الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة ورجاله ثقات وم من

ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد لا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس

وكان

(١) وكان يمص الماء مصاولا يعب عبا (٢) وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه (٣) فان كان من على يساره أجل رتبة قال للذى على يمينه السنة أن تعطى فان أحببت آثرتهم (٤) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (٥) وكان لا يتنفس فى الاناء بل ينحرف عنه (٦) وأتى باناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان فى شربة وإدامان فى اناء واحد ثم قال ﷺ لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله (٧) وكان فى بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما أعطوه قبل وماسقوه شرب (٨) وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب

﴿ بيان آدابه وأخلاقه فى اللباس ﴾

(٩) كان ﷺ يلبس من الثياب ماوجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب

حديث أنس كان اذا شرب تنفس ثلاثا (١) حديث كان يمص الماء مصاولا يعبه عبا البغوى والطبرانى وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا ويشرب مصا وللطبرانى من حديث أم سلمة كان لا يعب ولابى الشيخ من حديث ميمونة لا يعب ولا يلهث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يدفع فضل سؤره الى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث استئذانه من على يمينه اذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٤) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبى قتادة وصححه اذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس فى الاناء والله أعلم (٥) حديث كان لا يتنفس فى الاناء حتى ينحرف عنه له من حديث أبى هريرة ولا يتنفس أحدكم فى الاناء اذا شرب منه ولكن اذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس وقال حديث صحيح الاسناد (٦) حديث أتى باناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان فى شربة وادامان فى اناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان فى شربة الى آخره وسنده ضعيف (٧) حديث كان فى بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب الشيخان من حديث أبى سعيد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فانه أراد أى طعام بعينه من حديث عائشة انه قال ذات يوم ياعائشة هل عندكم شئ قالت فقلت ما عندنا شئ الحديث وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال ماهو قلت حيس قال هاتيه وفى رواية قربيه وفى رواية للنسائى أصبح عندكم شئ تطعمينيه ولابى داود هل عندكم طعام ولت أعندك غداء وفى الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر برمة على النار فيها لحم الحديث وفى رواية لمسلم لو صنعتم لنا من هذا اللحم الحديث فليس فى قصة بريرة الا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهى والله أعلم وللشيخين من حديث أم الفضل انها أرسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبى داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة باناء فيه شراب فتناوله فشرب منه واسناده حسن (٨) حديث وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه د من حديث أم المنذر بنت قيس دخل على رسول الله ﷺ فشرب ومعه على وعلى ناقه ولنا دوال معلقة فقام رسول الله ﷺ فأكل منها الحديث واسناده حسن وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله ﷺ فشرب من فى قربة معلقة قائما الحديث

﴿ بيان أخلاقه وآدابه فى اللباس ﴾

(٩) حديث كان يلبس من الثياب ماوجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة انها أخرجت ازارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت فى هذا قبض رسول الله ﷺ وفى رواية ازارا غليظا ولهما من حديث أنس كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية الحديث

الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لان ذلك يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار اليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهو الفرح الذى قال الله تعالى اذ قال له قومه

الخضر (١) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم (٢) وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب (٣) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه (٤) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق (٥) وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها (٦) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها (٧) وربما لبس الكساء وحده ماعليه غيره

لفظ مسلم وقال خ برد نجرانى و ه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله ﷺ يلبس قميصا قصير اليدين والطول و د ت وحسنه و ن من حديث أم سلمة كان أحب الثياب الى رسول الله ﷺ القميص ولأبى داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد قميص رسول الله ﷺ الى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا حديث الجبة والشملة والحبرة (١) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ه ك من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح (٢) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث المسور بن مخرمة ان النبي ﷺ قدمت عليه أقبية من ديباج مزرر بالذهب الحديث وليس فى طرق الحديث لبسها الا فى طريق علقها خ قال فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث و م من حديث جابر لبس النبي ﷺ يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزعه الحديث (٣) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى الى النبي ﷺ جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث فى الصحيحين وليس فيه انه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت وصححه ن انه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب (٤) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر فى كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله ﷺ ازاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك واسناده ضعيف و ك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده بلفظ قميصا قصير اليدين والطول وعندهما و ت فى الشمائل من رواية الأشعث قال سمعت عمتى تحدث عن عمها فذكر النبي ﷺ وفيه فاذا ازاره الى نصف ساقه ورواه ن وسمى الصحابى عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٥) حديث كان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها د ه ت فى الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن اياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ فى رهط من مزينة وبايعناه وان قميصه لمطلق الازرار وللبيهقى من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلى محلولة ازراره فسألته عن ذلك فقال رأيت رسول الله ﷺ يفعله وفى العلل للترمذى انه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعنى زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد ابن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة فى صحيحه وللطبرانى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلى محتبيا محلل الازرار (٦) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د ت من حديث قيلة بنت مخرمة قالت رأيت النبي ﷺ وعليه اسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال ت لانعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته موثقون و د من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبى سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات (٧) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي ﷺ صلى فى بنى عبد الأشهل وعليه

لاتفرح ان الله لايحب الفرحين لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة فاما الفرح بالاقسام الاخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت الى تحسين الاخلاق وكم من نفس

وكان

(١) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد (٢) وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (٣) وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه (٤) وربما أم به الناس على الجنائز (٥) وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ (٦) وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك (٧) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي مافعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته مارأيت شيأ قط كان أحسن من بياضك على سواده وقال أنس (٨) وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٩) وكان يتختم (١٠) وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء

كساء متلفف به الحديث وفي رواية البزار في كساء (١) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت الينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله ﷺ وللبخاري من حديث عمر انما أنا عبد ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعا معضلا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا (٢) حديث كان له ثوبان لجمعته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناهما الى مثله وبرده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٣) حديث ربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره فعقد طرفيه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في ازار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا (٤) حديث ربما أم به الناس على الجنائز لم أقف عليه (٥) حديث ربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى باسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ في ثوب واحد فقلت يا أم حبيبة أيصلي النبي ﷺ في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٦) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي ﷺ صلى في ثوب بعضه علي ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا الى جنبه وأنا حائض وعلي مرط بعضه على رسول الله ﷺ وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي ﷺ وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي ﷺ ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٧) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي مافعل ذلك الكساء الحديث لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت بياض النبي ﷺ وسوادها ورواه ك بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها البزار وأبو يعلى بلفظ صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس واسناده صحيح و هـ من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان الى قفاه وفي جزء الغطريف فعقدها في عنقه ماعليه غيرها واسناده ضعيف (٩) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (١٠) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث واثلة بسند ضعيف كان اذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيط وزاد الحارث بن

تجيب الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق فنفوس العباد أجابت الى الأعمال وجمحت عن الاخلاق ونفوس الزهاد أجابت الى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت الى الاخلاق الكريمة كلها أخبرنا الشيخ أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول التصوف خلق فمن زاد عليك

(١) وكان يختم به على الكتب و يقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة (٢) وكان يلبس القلانس تحت العمائم و بغير عمامة ور بما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها (٣) ور بما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته (٤) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فر بما طلع علي فيها فيقول ﷺ أتاكم علي في السحاب (٥) وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه و يقول (٦) الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس (٧) واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره (٨) وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ماواراه حيا وميتا (٩) وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١٠) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته

أبي اسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف (١) حديث كان يختم به على الكتب و يقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي ﷺ أن يكتب الى الروم قالوا انهم لا يقرؤن الا كتابا مختوما فاتخذ خاتما من فضة الحديث و ن ت في الشمائل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الخاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمائم و بغير عمامة ور بما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الايمان من حديث عمر كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فر بما وضعها بين يديه اذا صلى واسنادهما ضعيف ولأبي داد و ت من حديث ركانة فرق ما بيننا و بين المشركين العمائم على القلانس قال ت غريب وليس اسناده بالقائم (٣) حديث ر بما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته خ من حديث ابن عباس صعد رسول الله ﷺ المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فر بما طلع علي فيها فيقول ﷺ أتاكم علي في السحاب ابن عدي وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ت من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس ت وقال غريب وه ك وصححه من حديث عمر ابن الخطاب (٧) حديث كان اذا نزع ثوبه خرج من مياسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان اذا لبس شيأ من الثياب بدأ بالأيمن واذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان اذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه واذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو في الانتعال في الصحيحين من حديث أبي هريرة قوله لا من فعله (*) حديث كان له ثوب لجمعة خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ ثوبين (٨) حديث كان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما الحديث ك في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي ثم قال مامن مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه ﷺ بثيابه وهو عند ت ه دون ذكر النبي لبس ﷺ لثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي (٩) حديث كان له فراش من أدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصرا على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع الانسان في قبره وفيه من لم يسم (١٠) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته ابن

(*) قول العراقي حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فلعله بنسخة العراقي

بالخلق زاد عليك بالتصوف فالعباد أجابت نفوسهم الى الاعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لان القلب يبيض بعضه بنور الاسلام و بعضه بنور الايمان

(١) وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره (٢) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة (٣) وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة (٤) وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور (٥) وكان اسم ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل

سعد فى الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية الحديث ولأبى سعيد عنها انها كانت تفرش للنبى ﷺ عباءة باثنين الحديث وكلاهما لا يصح و ت فى الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح نثنيه ثنتين فينام عليه الحديث وهو منقطع (١) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره متفق عليه من حديث عمر فى قصة اعتزال النبى ﷺ نساءه (٢) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذوالفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة الطبرانى من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال لها الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرآة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى المشوق وفيه على بن غرورة الدمشقى نسب الى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا وله من حديث على بن أبى طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس انه ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وك من حديث على فى أثناء حديث وسيفه ذوالفقار وهو ضعيف ولابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد بن المعلى مرسلا قال أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه انه يقال انه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهد به بدرا ولأبى داود و ت وقال حسن و ن وقال منكر من حديث أنس كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة (٣) حديث كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل ولابن سعد فى الطبقات وأبى الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلا كان فى درع النبى ﷺ حلقتان من فضة (٤) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور لم أجد له أصلا وقد تقدم فى حديث ابن عباس انه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبى خيثمة فى تاريخه أخذ رسول الله ﷺ يوم أحد من سلاح بنى قينقاع ثلاثة قسى قوس اسمها الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (٥) حديث كان اسم ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبرانى وللبخارى من حديث أنس كان للنبى ﷺ ناقة يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر فى حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث على ناقته القصواء و بغلته دلدل وحماره عفير الحديث ورويناه فى فوائد ابن الدحداح فقال حماره يعفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبى ﷺ على حمار يقال له عفير ولابن سعد فى

وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة والقلب اذ لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون ذا وجهين وجه الى الروح ووجه الى النفس فاذا ابيض كله توجه الى الروح بكله فيتداركه مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما

وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها و يشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم و يبتغون بذلك البركة

﴿ بيان عفوه ﷺ مع القدرة ﴾

(٢) كان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة حتى (٣) أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل فقال و يحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا وروى جابر أنه ﷺ (٤) كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله ﷺ و يحك فمن يعدل اذا لم أعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى وكان رسول الله ﷺ (٥) فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال من يمنعك منى فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله فقال لا غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى أنس (٦) أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجىء بها الى النبى ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا أفلا نقتلها فقال لا * (٧) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وماذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط وقال على رضى الله عنه (٨) بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبى ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب منهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى

انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى القلب وكلما انجذبت توجهت الى القلب بوجهها الذى يليه وتنور النفس لتوجهها الى القلب بوجهها الذى يلى القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية وتنور وجهها الذى يلى القلب بمثابة نورانية أحد وجهى

الطبقات من رواية ابراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبعا عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفى سنده الواقدى وله من رواية مكحول مرسلا كانت له شاة تسمى قمر (١) حديث كانت له مطهرة من فخار يتوضأ منها و يشرب فيها الحديث لم أقف له على أصل

﴿ بيان عفوه مع القدرة ﴾

(٢) حديث كان أحلم الناس تقدم (٣) حديث أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمه بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٤) حديث جابر انه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يا نبى الله اعدل الحديث رواه م (٥) حديث كان فى حرب فرؤى فى المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب الى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحارث (٦) حديث أنس أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة الحديث رواه م وهو عند خ من حديث أبى هريرة (٧) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره فى الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٨) حديث على بعثنى رسول الله ﷺ

ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله ﷺ انه صدقكم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (١) وقسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرّ وجهه وقال رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر وكان ﷺ يقول (٢) لا يبلغني أحدمنكم عن أحد من أصحابي شيأ فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر

﴿بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه﴾

(٣) كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه (٤) وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة (٥) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيأ حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة (٦) وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهمّ به الصحابة فقال ﷺ لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا (٧) وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيأ فأعطاه ﷺ ثم قال له أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجلت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل الى الاعرابي وزاده شيأ ثم قال أحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي ﷺ انك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شئ من ذلك فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي ﷺ ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال ﷺ ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ وبقاء شئ من الظلمة على النفس لنسبة وجهها الذي يلي الغريزة والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه واذا تنور أحد وجهي النفس لجأت الى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سمي الابدال ابدالا

أنا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (١) حديث قسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث لا يبلغني أحدمنكم عن أحد من أصحابي شيأ فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه

﴿بيان اغضائه ﷺ عما يكرهه﴾

(٣) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم (٤) حديث كان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن (٥) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيأ حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة دت في الشمائل و ن في اليوم والليلة من حديث أنس واسناده ضعيف (٦) حديث بال اعرابي في المسجد بحضرته فقال ﷺ لا تزرموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٧) حديث جاء اعرابي يوما يطلب منه شيأ فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال أحسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا أجلت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

﴿ بيان سخاوته وجوده ﷺ ﴾

(١) كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لايمسك شيأ (٢) وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي ﷺ قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٣) وماسئل عن شئ قط على الاسلام الاأعطاه وان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لايخشى الفاقة (٤) وماسئل شيأ قط فقال لا (٥) وحمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فمارد سائلا حتى فرغ منها (٦) وجاءه رجل فسأله فقال ماعندي شئ ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يارسول الله ماكلفك الله مالاتقدر عليه فكره النبي ﷺ ذلك فقال الرجل أنفق ولاتخش من ذى العرش إقلالا فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه (٧) ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لاتجدوني بخيلا ولا كذابا ولاجبانا

﴿ بيان شجاعته ﷺ ﴾

(٨) كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم قال علي رضي الله عنه (٩) لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقرب الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أيضا (١٠) كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه

والسر الاكبر في ذلك ان قلب الصوفي بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقي الى ذكر الذات ويصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة والقلب عرش في عالم الامر والقدرة ﴿قال﴾ سهل بن عبدالله التستري القلب كالعرش والصدر كالكرسي وقد ورد عن الله

﴿ بيان سخائه وجوده ﷺ ﴾

(١) حديث كان أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٢) حديث كان علي اذا وصف النبي ﷺ قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس اسناده بمتصل (٣) حديث ماسئل شيأ قط على الاسلام الاأعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث ماسئل شيأ قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٥) حديث حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فمارد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلا ان رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد الا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس الحديث وللبخاري تعليقا من حديث أنس أتي النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ الحديث وفيه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذجاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه (٦) حديث جاءه رجل فسأله فقال ماعندي شئ ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يارسول الله ماكلفك الله الحديث ت في الشمائل من حديث عمر وفيه موسى ابن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هرون (٧) حديث لما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم

﴿ بيان شجاعته ﷺ ﴾

(٨) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح مارأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله ﷺ وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٩) حديث علي لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ باسناد جيد (١٠) حديث علي أيضا كنا اذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قيل وكان ﷺ قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا (٢) وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين (٣) مالقى رسول الله ﷺ كتيبة الا كان أول من يضرب وقالوا (٤) كان قوى البطش (٥) ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب * فما رىء يومئذ أحد كان أشد منه

﴿ بيان تواضعه ﷺ ﴾

(٦) كان ﷺ أشد الناس تواضعا فى علو منصبه قال ابن عامر (٧) رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لاضرب ولاطرد ولااليك اليك (٨) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٩) وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك (١٠) ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم (١١) وكان أصحابه لايقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (١٢) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (١٣) وأتى ﷺ برجل فأرعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (١٤) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلايدرى أيهم * وحتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا اله دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضى الله عنها (١٥) كل جعلنى الله فداك متكئا فانه أهون عليك قال فأصغى رأسه حتى كاد أن

تعالى لايسعنى أرضى ولاسمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى فى جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى ﴿حكى﴾ عن الشيخ أبى على الفارمزى انه حكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه

الحديث ن باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (١) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسلا (٢) حديث كان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب الحديث م من حديث البراء والله اذا حمى الوطيس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به (٣) حديث عمران بن حصين مالقى كتيبة الا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه (٤) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضا من رواية أبى جعفر معضلا وللطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف (٥) حديث لما غشيه المشركون نزل فجعل يقول أنا النبى لا كذب الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله فما رؤى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لابى الشيخ وله من حديث على فى قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

﴿ بيان تواضعه ﷺ ﴾

(٦) حديث كان أشد الناس تواضعا فى علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه متواضع فى غير مذلة واسناده ضعيف (٧) حديث قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة صهباء لاضرب ولاطرد ولااليك اليك ت ن هـ من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف (٨) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث اسامة بن زيد (٩) حديث كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ت وضعفه ك وصحح اسناده من حديث أنس وتقدم منقطعا (١٠) حديث كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويصنع فى بيته مع أهله فى حاجته هو فى المسند من حديث عائشة وقد تقدم فى أوائل آداب المعيشة (١١) حديث كان أصحابه لايقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث انس وصححه وتقدم فى آداب الصحبة (١٢) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم فى آداب الصحبة (١٣) حديث أتى برجل فأرعد من هيبته فقال هون الله عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (١٤) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلايدرى أيهم هو الحديث د ن من حديث أبى هريرة وأبى ذر وقد تقدم (١٥) حديث قالت عائشة كل جعلنى الله فداك متكئا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ

تصيب جبهته الارض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (٢) وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم الا قال لبيك (٣) وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وان تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم (٤) وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام

﴿ بيان صورته وخلقته ﷺ ﴾

(٥) كان من صفة رسول الله ﷺ انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو عليه السلام الى الربعة ويقول ﷺ جعل الخير كله في الربعة * وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شئ من الالوان (٦) ونعته عمه أبو طالب فقال

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك

من رواية عبدالله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١) حديث كان ﷺ لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لقى الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (٢) حديث وكان ﷺ لا يدعوه أحد من أصحابه ولا من غيرهم الا قال لبيك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبراني في الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث ان أمه قالت يا رسول الله فقال لبيك وسعديك الحديث (٣) حديث كان ﷺ اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى أمر الآخرة أخذ معهم وان تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (٤) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم الا عن حرام

﴿ بيان صورته ﷺ ﴾

(٥) حديث كان من صفة رسول الله ﷺ انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب الآتى ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ ودون قوله وربما كان واسع الجبهة الى قوله وكان سهل الخدين وفيه صبيح بن عبدالله الفرغانى منكر الحديث قاله الخطيب وفي الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه و د ت وحسنه و ه من حديث أم هانئ قدم الى مكة وله أربع غدائر و ت من حديث على في صفته ﷺ أدعج العينين أهدب الأشفار الحديث وقال ليس اسناده بمتصل وله في الشمائل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الاسنان الحديث (٦) حديث نعته عمه أبو طالب فقال

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

ذكره ابن اسحاق في السيرة وفي المسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى فقال أبو بكر ذاك رسول الله ﷺ وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه و خ تعليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت

قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل و يكون الشيخ عنى بهذا ان العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات المشايخ في الاسماء

الاذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان اذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية انه كان الى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان ﷺ أحسن الناس وجها وأنورهم لم يصفه واصف الاشبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول

أمين مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما وكان أبلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان أهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أقنى العرنين أي مستوى الأنف وكان أفلج الاسنان أي متفرقها وكان اذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ماظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس أي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان الفضة كفه ألين من الخز كأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أولم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن * وأما مشيه ﷺ فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينى بغير تبختر والهوينى تقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبي ابراهيم ﷺ أشبه الناس بي خلقا وخلقا (١) وكان يقول ان لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم قال أبو البحتري والقثم الكامل الجامع والله أعلم

والصفات التي هي أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيأ من الحلول تزندق وألحد وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة

قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه رسول الله ﷺ ليستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فانشده وقد وصله باسناد صحيح (١) حديث ان لي عند ربي عشرة أسماء الحديث ابن عدي من حديث علي وجابر وأسامة ابن زيد وابن عباس وعائشة باسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربي عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب ان أبا جعفر قال ان الاسمين طه ويس واسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح

﴿ بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه ﴾

اعلم ان من شاهد أحواله ﷺ وأصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة و بدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولاشك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ماهذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وانما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته مالا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة (١) اذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية (٢) وأطعم النفر الكثير في منزل جابر (٣) وفي منزل أبي طلحة و يوم الخندق ومرة (٤) أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق وهو من أولاد المعز فوق العتود ومرة (٥) أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده ومرة (٦) أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم (٧) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه

اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصي اماما عادلا أو تفسد أرضا أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل

﴿ بيان معجزاته ﴾

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث اطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث اطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث اطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الاسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند خ دون ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث اطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا (٦) حديث اطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن اسحق حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد واسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضؤا الحديث متفق عليه من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج الى قبا فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه ثم قال هلم الى الشرب قال أنس بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه واسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال ائتوني بماء فأتوه باناء فيه

(١) وأهرق عليه السلام وضوأه فى عين تبوك ولاماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) ان يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان فى اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقى منه فحبسه (٣) ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (٤) وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٥) وحنّ الجذع الذى كان يخطب اليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن (٦) ودعا اليهود الى تمنى الموت وأخبرهم بانهم لايتمنونه فحيل بينهم و بين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التى فيها وأخبر عليه السلام بالغيوب (٧) وأنذر عثمان بان تصيبه بلوى بعدها الجنة (٨) و بان عمارا تقتله الفئة الباغية (٩) وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (١٠) وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل فى سبيل الله انه من أهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف البتة بشئ من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه (١١) واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه فى الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بان سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى فكان كذلك

ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (وروى) معاذ أيضا عن رسول الله ﷺ قال حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على باسناده المتقدم الى الترمذى

ماء فوضع يده فى الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث اهراقه وضوأه فى عين تبوك ولاماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الاكوع بقصة عين الحديبية وفيه فامادعا واما بصق فيها فجاشتا الحديث وللبخارى من حديث البراء انه توضا وصبه فيها وفى الحديثين معا انهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر وقال البيهقى انه الاصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة ولمسلم من حديث ابن أبى أوفى ألف وثلثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان كربضة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد باسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبى داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٣) حديث رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الاكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث ابطال الكهانة بمبعثه الخرائطى من حديث مرداس بن قيس الدوسى قال حضرت النبى ﷺ وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغيرها عند مخرجه الحديث ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس فى استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد ﷺ دحروا بالنجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق (٥) حديث حنين الجذع خ من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود الى تمنى الموت وأخبرهم بانهم لايتمنونه الحديث خ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا الحديث وللبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لايقولها رجل منكم الاغص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا الحديث واسناده ضعيف (٧) اخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى (٨) حديث اخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبى قتادة وأم سلمة و خ من حديث أبى سعيد (٩) حديث اخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين خ من حديث أبى بكرة (١٠) حديث اخباره عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد (١١) حديث اتباع سراقة بن مالك له فى قصة الهجرة فساخت قدما فرسه فى الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبى بكر الصدّيق

(١) وأخبر بمقتل الاسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله (٢) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه (٣) وشكا اليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له (٤) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا (٥) وقال لآخرين منهم آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات (٦) ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا وكان عليه السلام نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم (٧) ودعا عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا فعرفهم ﷺ أنهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا (٨) وأتاه عامر ابن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته (٩) وأخبر عليه السلام انه يقتل أبى بن خلف الجحى فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه (١٠) وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذى أكله معه وعاش هو ﷺ بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم (١١) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد

(١) حديث اخباره بمقتل الاسود العنسى ليلة قتل وهو بصنعاء اليمن ومن قتله وهو مذكور فى السير والذى قتله فيروز الديلمى وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة بينا أنانائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى الى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فتأولتهما كذابين يخرجان بعدى فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء الحديث (٢) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه انهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا (٣) حديث شكا اليه البعير وتذلل له د من حديث عبدالله بن جعفر فى أثناء حديث وفيه فانه شكا الى إنك تجيعه وتدئبه وأول الحديث عند م دون ذكر قصة البعير (٤) حديث قال لنفر من أصحابه أحدكم ضرسه فى النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث أبى هريرة بغير اسناد فى ترجمة الرجال بن عنفرة وهو الذى ارتد وهو بالجيم وذكره عبدالغنى بالمهملة وسبقه الى ذلك الواقدى والمدائنى والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطنى وابن ماكولا ووصله الطبرانى من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء النفر فى النار وفيه الواقدى عن عبدالله بن نوح متروك (٥) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها فمات الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن محذورة وفى رواية البيهقى أن آخرهم موتا سمرة بن جندب لم يذكر انه احترق ورواه البيهقى من حديث أبى هريرة نحوه ورواته ثقات وقال ابن عبدالبر انه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات وروى ذلك باسناد متصل الا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور (٦) حديث دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا أحمد من حديث على بن مرة بسند صحيح (٧) حديث دعا النصارى الى المباهلة وأخبر ان فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا خ من حديث ابن عباس فى أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون مالا ولا أهلا (٨) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما و بين ذلك الحديث طب فى الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين (٩) حديث اخباره انه يقتل أبى بن خلف الجحى فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البيهقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا (١٠) حديث انه أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم د من حديث جابر فى رواية له مرسلة ان الذى مات بشر بن البراء وفى الصحيحين من حديث أنس ان يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه فمازلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ (١١) حديث اخباره ﷺ يوم بدر بمصارع صناديد

رحمه الله قال أنا أبو كريب قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال سمعت النبى عليه السلام يقول ما من شئ يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (وقد كان) من أخلاق رسول الله صلى الله عليه

قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع (١) وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك (٢) وزويت له الارض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس و بلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال كما أخبر ﷺ سواء بسواء (٣) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به فكان كذلك (٤) وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به رضى الله عنها (٥) ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت وكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية (٦) وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما (٧) وتفل فى عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته و بعثه بالراية (٨) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ (٩) وأصيبت رجل بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرأت من حينها (١٠) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقى فاجتمع شئ يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء فى العسكر الا ملئ من ذلك (١١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل ٧ مشيته عليه السلام مستهزئا فقال ﷺ كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات (١٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها ان بها برصا

وسلم انه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه و يأتيه الليل لا يأوى الى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير و يضع ماعدا ذلك فى سبيل الله لا يسئل شيأ الا يعطى ثم

قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب (١) حديث أخباره بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام (٢) حديث زويت له الارض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٣) حديث اخباره فاطمة انها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٤) حديث أخبر نساءه ان أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفى الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك (٥) حديث مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد (٦) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذى سقطت عينه ففى رواية للبيهقى انه كان ببدر وفى رواية أبى نعيم انه كان بأحد وفى اسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى فيه من حديث أبى سعيد الخدرى (٧) حديث تفل فى عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته و بعثه بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا (٨) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه خ من حديث ابن مسعود (٩) حديث أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها خ فى قصة قتل أبى رافع (١٠) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقى فاجتمع شئ يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (١١) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا به فقال فكذلك كن الحديث البيهقى فى الدلائل من حديث هند بن خديجة باسناد جيد وللحاكم فى المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد (*) حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده ن من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس وليس فيه أنه مسحها وللبخارى من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ يوم أحد (١٢) حديث خطب امرأة فقال أبوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزى فى التلقيح

٧ قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا فى النسخ وصوابه كما فى الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس

* قول العراقى حديث يد طلحة الخ لم يكن بنسختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه تبعا للاصل فلينظر اهـ مصححه

امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهى أم شبيب ابن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب فى انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب فى شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائى ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى فى تواتر القرآن وهى المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبى معجزة باقية سواه ﷺ اذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبى وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده فى أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بغباوة من ينظر فى أحواله ثم فى أقواله ثم فى أفعاله ثم فى أخلاقه ثم فى معجزاته ثم فى استمرار شرعه الى الآن ثم فى انتشاره فى أقطار العالم ثم فى اذعان ملوك الارض له فى عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه يتمارى بعد ذلك فى صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه فى كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به فى الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده

*تم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى

يعود الى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ﴿وكان﴾ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ﴿وكان﴾ أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا فصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

وسماها جرة بنت الحرث بن عوف المزنى وتبعه على ذلك الدمياطى فى جزء له فى نساء النبى ﷺ ولم يصح ذلك

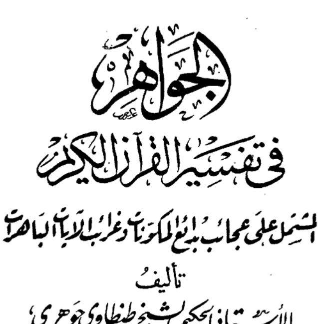
﴿ قد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع الجزء الثانى من كتاب احياء علوم الدين ويليه الجزء الثالث ان شاء الله تعالى أوله كتاب شرح عجائب القلب ﴾

فهرست

﴿ الجزء الثاني وهو الربع الثاني من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى ﴾

﴿ تمت ﴾





المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع منه ١١ جزء والباقي جاري طبعه

القول المفيد
في
أدلة الاجتهاد والتقليد

لإمام الأصوليين وحافظ المحدثين وقدوة المجتهدين

محمد بن علي الشوكاني

صاحب نيل الأوطار

